تاریخ مسعودی ابن طاووس

فهرس ما في جزء السفر الأول والثاني من المقدمة من الأبواب والفصول

المقدمة في فضل علم التاريخ ٢	الكتاب الأول في طبيعة العمران ١٥	الفصل الأول من الكتاب الأول في العمران البشري ١٩	المقدمة الثانية في قسط العمران من الأرض ٢٠	تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا ٢٥
الإقليم الأول ٢٥	الإقليم الثاني ٢٧	الإقليم الثالث ٢٨	الإقليم الرابع ٣١	الإقليم الخامس ٣٥
الإقليم السادس ٣١	الإقليم السابع ٣٩	المقدمة الثالثة في المعتدل من الأقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في ألوان البشر ٤٠	المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر ٤٢	المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع ٤٣
المقدمة السادسة في أصناف المدركين للغيب من البشر ٤٥	ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ٤٦	وأما الكهانة ٤٩	وأما الرؤيا ٥١	فصل ثم إنا نجد في النوع الإنساني ٥٢
الفصل الثاني من الكتاب الأول في العمران ٦١	فصل في أن جيل العرب في الخليقة طبيعي ٦٢	فصل في أن البدو أقدم من الحضر ٦٢	فصل في أن البدو أقرب إلى الخير ٦٣	فصل في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر ٥٤
فصل في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مفسدة للبأس ٥٤	فصل في أن سكنى البدو لا يكون إلا للقبائل ٦٥	فصل في أن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب ٦٥	فصل في أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ٦٦	فصل في اختلاط الأنساب كيف يقع ٦٦
فصل في أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم ٦٧	فصل في أن البيت والشرف بالأصالة والحقيقة لأهل العصبية ٦٨	فصل في أن البيت والشرف للموالي ٦٩	فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد ٦٩	فصل في أن الأمم الوحشية أقدر على التغلب ممن سواها ٧٠
فصل في أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك ٧١	فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم ٧١	فصل في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد لسواهم ٧٢	فصل في أن من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس ٧٢	فصل في أن الأمة الوحشية يكون ملكها أوسع ٧٤
فصل في أن الملك إذا ذهب من أمة فقد يعود في شعب آخر منها ما دام لهم ٧٤	فصل في أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ٧٥	فصل في أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ٧٥	فصل في أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط ٧٦	فصل في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب ٧٦

فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو ما في معنى الدين ٧٧	فصل في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك ٧٧	فصل في أن البادية من القبائل والعصائب مغلوبون لأهل الأمصار ٧٨	الفصل الثالث في الدول والخلافة والملك والمراتب ٧٩	فصل في أن الملك والدول العامة إنما تحصل بالعصبية والشوكة ٧٩
فصل في أن الدولة إذا استقرت وتمهدت فقد تستغني عن العصبية ٧٩	فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة بغير عصبية وتستغني عنهم ٨٠	فصل في أن الدول العامة العظيمة الاستيلاء أصلها الدين أو دعوة الحق ٨٠	فصل في أن الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة العصبية التي لها في عددها ٨١	فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم ٨٢
فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها ٨٢	فصل في أن عظم الدولة على نسبة القائمين بها في عددهم ٨٣	فصل في أن الأوطان الكثيرة القبائل قل أن تستحكم فيها دولة ٨٤	فصل في أن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد ٨٥	فصل في أن من طبيعة الملك الترف ٨٥
فصل في أن من طبيعة الملك الدعة والسكون ٨٦	فصل في أنه إذا استحكمت طبيعة الملك من ... أقبلت الدولة على الهرم ٨٦	فصل في أن الدول لها أعمار طبيعية كما للأشخاص ٨٧	فصل في انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة ٨٨	فصل في أن الترف يزيد الدولة قوة ٨٩
فصل في أطوار الدولة من البداوة وما بعدها ٩٠	فصل في أن آثار الدولة على نسبة قوتها في الأصل ٩١	فصل في استظهار صاحب الدولة بالموالي والمصطنعين على قومه ٩٤	فصل في أحوال الموالي والمصطنعين في الدول ٩٤	فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه ٩٥
فصل في أن المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك ٩٦	فصل في حقيقة الملك وأصنافه ٩٦	فصل في أن إرهاف الحد مضر بالملك مفسد له ٩٧	فصل في معنى الخلافة والإمامة ٩٧	فصل في اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب وشروطه ٩٨
فصل في مذاهب الشيعة في الإمامة ١٠١	فصل في انقلاب الخلافة إلى الملك ١٠٤	فصل في معنى البيعة ١٠٨	فصل في ولاية العهد وفيه الكلام في شأن يزيد وحسين بن علي رضي الله عنهما ١٠٨	فصل في الخطط الدينية الخلافية من الإمامة ١١٣
فصل في اللقب بأمير المؤمنين ١١٦	فصل في شرح اسم البابا ١١٩	فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابها ١٢١	الوزارة ١٢٢	الحجابة ١٢٤
والجباية ١٢٦	والكتابة ١٢٧	والشرطة ١٣٠	وقيادة الأساطيل ١٣١	في التفاوت بين مراتب السيف والقلم ١٣٤
فصل في شارات الملك الخاصة به من الآلة والسرير ١٣٤	والسكة ١٣٦	الخاتم ١٣٦	والطراز ١٣٨	الفساطيط ١٣٨

المقصورة ١٣٩	فصل في الحروب وترتيبها عند الأمم ١٤٠	في الجباية ١٤٤	فصل في ضرب المكوس أواخر الدول ١٤٥	فصل في أن التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجباية ١٤٦
فصل في أن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة ١٤٧	فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية ١٤٨	فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران ١٤٩	فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وأنه يعظم عند الهرم ١٥١	فصل في انقسام الدولة بدولتين ١٥٢
فصل في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع ١٥٣	فصل في كيفية طروق الخلل للدول ١٥٤	فصل في اتساع نطاق الدولة أولاً إلى نهايته ثم تضايقه طوراً بعد طور ١٥٥	فصل في حدوث الدول وتجددها كيف يقع ١٥٥	فصل في أن الدولة المستجدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة ١٥٥
فصل في وفور العمران أواخر الدول وكثرة الموتان والمجاعات ١٥٦	فصل في أن العمران البشري لا بد فيه من سياسة ينتظم بها أمره وفي الفاطمي واختلاف الناس في شأنه ١٦٢	في حدثان الدول والأمم والجفر ١٧٢	الفصل الرابع من الكتاب الأول في البلدان والأمصار والمدن وسائر العمران ١٨١	فصل في أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار ١٨٢
فصل في أن المدن العظيمة والهياكل المرتفعة إنما يشيدها الملك الكثير ١٨٢	فصل في أن الهياكل العظيمة جداً لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة ١٨٣	فصل فيما تجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث إذا غفل عن المراعاة ١٨٤	فصل في المساجد والبيوت المعظمة في العالم ١٨٥	فصل في أن الأمصار والمدن بإفريقية والمغرب قليلة ١٩٠
فصل في أن المباني والمصانع في الملة الإسلامية قليلة بالنسبة إلى قدرتها وإلى من كان قبلها من الدول ١٩٠	فصل في أن المباني التي تختطها العرب يسرع إليها الخراب إلا في الأقل ١٩١	فصل في مبادي الخراب في الأمصار ١٩١	فصل في أن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفه وتفاضل الأسواق إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة ١٩١	فصل في أسعار المدن ١٩٢
فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر ١٩٤	فصل في أن الأقطار في اختلاف أحوالها بالرفه والفقر مثل الأمصار ١٩٤	فصل في تأثل العقار والضياع في الأمصار وحال فوائدها ومستغلاتها ١٩٥	فصل في حاجة المتمولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة ١٩٦	فصل في أن الحضارة في الأمصار من قبل الدول وأنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها ١٩٦
فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده ١٩٨	فصل في أن الأمصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانقراضها ١٩٩	فصل في اختصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع دون بعض ٢٠١	فصل في وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض ٢٠١	فصل في لغات أهل الأمصار ٢٠٢
الفصل الخامس من الكتاب الأول في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع ٢٠٣	فصل في وجوه المعاش وأصنافه ومذاهبه ٢٠٤	فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي ٢٠٥	فصل في أن ابتغاء الأموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي ٢٠٥	فصل في أن الجاه مفيد للمال ٢٠٨
فصل في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخضوع والتملق وأن هذا الخلق من أسباب السعادة ٢٠٩	فصل في أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان ونحو ذلك ٢١٠	فصل في أن الفلاحة من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو ٢١١	فصل في نقل التاجر للسلع ٢١١	فصل في معنى التجارة ومذاهبها وأصنافها ٢١١

كتاب طاهر بن الحسين إلى ابنه عبد الله ١٥٨

فصل في الاحتكار ٢١١	فصل في أن رخص الأسعار مضر بالمحترفين بالرخص ٢١٢	فصل في أي أصناف الناس ينتفع بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتنابها ٢١٢	فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة ٢١٣	فصل في أن الصنائع لا بد لها من المعلم ٢١٣
فصل في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته ٢١٤	فصل في أن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها ٢١٤	فصل في أن الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثر طالبها ٢١٥	فصل في أن الأمصار إذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع ٢١٥	فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع ٢١٦
فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى ٢١٦	فصل في الإشارة إلى أمهات الصنائع ٢١٦	فصل في صناعة الفلاحة ٢١٧	فصل في صناعة البناء ٢١٧	فصل في صناعة النجارة ٢١٩
فصل في صناعة الحياكة والخياطة ٢٢٠	فصل في صناعة التوليد ٢٢٠	فصل في صناعة الطب وأنها محتاج إليها في الحواضر والأمصار دون البادية ٢٢٢	فصل في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية ٢٢٤	فصل في صناعة الوراقة ٢٢٨
فصل في صناعة الغناء ٢٢٩	فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب ٢٣٢	الفصل السادس من الكتاب الأول في العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه وما يعرض في ذلك كله من الأحوال ٢٣٣	فصل في أن عالم الحوادث الفعلية إنما يتم بالفكر ٢٣٣	فصل في العقل التجريبي وكيفية حدوثه ٢٣٤
فصل في علوم البشر وعلوم الملائكة ٢٣٥	فصل في علوم الأنبياء عليهم السلام ٢٣٦	فصل في أن الإنسان جاهل بالذات عالم بالكسب ٢٣٦	فصل في أن تعليم العلم من جملة الصنائع ٢٣٧	فصل في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة ٢٤٠
فصل في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد ٢٤٠	علوم القرآن من التفسير والقراءات ٢٤١	علوم الحديث ٢٤٣	الفقه وما يتبعه من الفرائض ٢٤٧	علم الفرائض ٢٥١
أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات ٢٥٢	الخلافيات ٢٥٤	علم الكلام ٢٥٦	فصل في كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من الطوائف السنية ٢٦٢	علم التصوف ٢٦٦
علم تعبير الرؤيا ٢٧٥	العلوم العقلية وأصنافها ٢٧٧	العلوم العددية ٢٧٩	العلوم الهندسية ٢٨٢	الهندسة المخصوصة بالأشكال الكروية والمخروطات ٢٨٤
علم الهيئة ٢٨٤	علم المنطق ٢٨٥	علم الطب ٢٨٧	علم الفلاحة ٢٨٨	علم الإلهيات ٢٨٩

علوم السحر والطلسمات ٢٩٠	علم أسرار الحروف ٢٩٤	فصل ومن فروع علم السيميا عندهم استخراج الأجوبة من الأسئلة ٢٩٨	الكلام على استخراج نسبة الأوزان وكيفياتها ومقادير المقابل ٢٩٩	مطالع الشعاعات في مواليد الملوك ٢٩٩
اتصال أنوار الكواكب ٢٩٩	فصل في المقامات للنهاية ٣٠٠	الوصية والعهد والأيمان والإسلام والتحريم ٣٠٠	تصحيح البرين وتعديل الكواكب بتدبير الزيج ٣٠٠	كيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زايرجة العالم ٣٠١
فصل في الاطلاع على الأسرار الخفية ٣٠٦	فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية ٣١٠	علم الكيمياء ٣١٢	فصل في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها ٣١٨	فصل في إبطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها ٣٢٢
فصل في إنكار ثمرة الكيمياء واستحالة وجودها ٣٢٥	فصل في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف وإلغاء ما سواها ٣٣٠	فصل في أن كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل ٣٣٢	فصل في أن كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم ٣٣٢	فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم ٣٣٣
فصل في أن العلوم الإلهية لا يوسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل ٣٣٥	فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار ٣٣٦	فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ٣٣٨	فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ٣٣٩	فصل في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ٣٣٩
فصل في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم ٣٣٩	فصل في أن العجمة إذا سبقت إلى اللسان قصرت بصاحبها عن تحصيل العلوم ٣٤١	فصل في علوم اللسان العربي ٣٤٢	النحو ٣٤٣	علم اللغة ٣٤٤
علم البيان ٣٤٦	علم الأدب ٣٤٨	فصل في أن اللغة ملكة صناعية ٣٤٩	فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مغايرة للغة مضر ولغة حمير ٣٤٩	فصل في أن لغة الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها ٣٥١
فصل في تعليم اللسان المضري ٣٥٢	فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم ٣٥٢	فصل في تفسير لفظة الذوق في مصطلح أهل البيان ٣٥٤	فصل في أن أهل الأمصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية ٣٥٥	فصل في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر ٣٥٧
ادا القرآن ٣٥٧	فصل في أنه لا تتفق الإجادة في فني المنظوم والمنثور ٣٥٨	فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه ٣٥٨	فصل في أن صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ٣٦٦	فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ ٣٦٧
فصل في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيف جودة المصنوع أو قصوره ٣٦٦	فصل في ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر ٣٦١	فصل في أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد ٣٦٨	الموشحات والأزجال للأندلس ٣٧٣	

٩٧٠

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى بعلمه ١١٧٥

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAĞIP P. KÜTÜPHANESİ
MO773/2000
~~Sayı~~ 932

٩٧٨

RAĞIP P.
Ka. N.
967

بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا محمد وآله •

قال ~~سيدنا ومولانا~~ العبد الفقير الى الله تعالى الامام العالم
العلامة شيخ الاسلام بركة الانام قاضي قضاة المسلمين
ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون امتع الله بلقائه

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه
الغني بلطفه عبد الرحمن
ابن محمد بن خلدون الحضرمي
صح

الحمد لله الذي له العزة والجبروت • وبيده الملك والملكوت • وله
الاسماء الحسنى والنعوت • العالم فلا يعزب عنه ما يبديه النطق او
يخفيه السكوت • القادر فلا يعجزه شيء في السموات والارض ولا يفوت
انشأنا من الارض نسما • واستعمرنا فيها اجيالا وامما • ويسر لنا منها ارزاقا
وقسما تكنفنا الارحام والبيوت • ويكفلنا الرزق والقوت • وتبلينا الايام
والوقوت وتعتورنا الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت • وله البقاء
والثبوت وهو الحي الذي لا يموت • والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبي العربي المكتوب في التوراة والانجيل المنعوت • الذي تمخض لفصاله
الكون قبل ان تتعاقب الآحاد والسبوت • ويتباين زحل والبهموت
وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت • وعلى آله واصحابه الذين لهم في محبته
واتباعه الاثر البعيد والصيت • والشمل الجميع في مظاهرته ولعدوهم
الشمل الشتيت صلى الله عليه وعليهم ما اتصل للاسلام جده المبخوت
وانقطع بالكفر حبله المبتوت وسلم كثيرا اما بعد فان فن التاريخ من
الفنون التي تتداوله الامم والاجيال • وتشد اليه الركائب والرحال
وتسمو الى معرفته السوقة والاغفال • وتتنافس فيه الملوك والاقيال
وتتساوى في فهمه العلماء والجهال • اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار

اخبار عن الايام والدول • والسوابق من القرون الاول • تنمو فيها
الاقوال وتضرب فيها الامثال • وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال
وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال • واتسع للدول فيها النطاق
والمجال وعمروا الارض حتى نادى بهم الارتحال • وحان منهم الزوال •
وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيفيات
الوقائع واسبابها عميق فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق • وجدير بان يعد
في علومها وخليق وان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار
الايام وجمعوها • وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها وخلطها
المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها وزخارف من
الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها واقتفى تلك الآثار الكثير
ممن بعدهم واتبعوها وادوها الينا كما سمعوها ولم يلاحظوا اسباب
الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها
فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسيب
للاخبار وخليل والتقليد عريق في الآدميين وسليل والتطفل على
الفنون عريض طويل ومرعى الجهل بين الانام وبيل والحق لا يقاوم سلطانه
والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه والناقل انما هو يملي وينقل
والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل والعلم يجلو لها صفحات الصواب
ويصقل هذا وقد دون الناس في الاخبار واكثروا وجمعوا تواريخ
الامم والدول في العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة
المعتبرة واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة فهم
قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل ولا حركات العوامل
مثل ابن اسحق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف
بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجماهير
وان كان في كتب الواقدي والمسعودي من المطعن والمغمز ما هو معروف
عند الاثبات ومشهور بين الحفظة الثقات الا ان الكافة اختصتهم
بقبول اخبارهم واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد
البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون او اعتبارهم فللعمران

غصها

طبايع في احواله ترجع اليها الاخبار وتحمل اليها الروايات والاثار ثم
ان اكثر التواريخ لهولاء عامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر
الاسلام في الافاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمتارك
ومن هولاء من اوعب ما قبل الملة من الدول والامم والامر العمم كالمسعودي
ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد ووقف
في العموم والاحاطة عن الشأو البعيد فقيد شوارد عصره واستوعب اخبار
افقه وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابن حيان مورخ
الاندلس والدوله الامويه بها وابن الرقيق مورخ افريقيه والدولة
التي كانت بالقيروان ثم لم يات من بعد هولاء الا مقلد وبليد الطبع
والعقل او متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال ويذهل عما
احالته الايام من الاحوال واستبدلت به من عوايد الامم والاجيال
فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقايع في العصور الاول صورا
قد تجردت من موادها وصفاحا انتضيت من اغمادها ومعارف تستنكر
للجهل بطارفها وتلادها انما هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تعتبر
اجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتها الاخبار المتداولة
باعيانها اتباعا لمن عني من المتقدمين بشانها ويغفلون امر الاجيال الناشية
في ديوانها بما اعوز عليهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم عن بيانها ثم
اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما
او صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها
واظهر من ايتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد
الى مبادي الاحوال ومراتبها مفتشا عن اسباب تزاحمها او تعاقبها باحثا
عن المقنع في تباينها او تناسبها حسبما نذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب
ثم جا اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك
والاقتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها ايامهم
بحروف الغبار كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر
من الهمل وليس يعتبر لهولاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال لما ذهبوا
بالفوايد واخلوا بالمذاهب المعروفة للمورخين والعوايد ولما طالعت

طالعت كتب القوم وسبرت غور الامس واليوم نبهت عين القريحة من سنة
الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسي وانا المفلس احسن السوم
فانشات في التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشية من الاجيال حجابا
وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا وابديت فيه لاولية الدول
والعمران عللا واسبابا وبنيته على اخبار الجيلين الذين عمروا المغرب في هذه
الاعصار وملؤا اكناف الضواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول
الطوال او القصار ومن سلف لهم من الملوك والانصار وهما العرب والبربر
اذ هما الجيلان اللذان عرف بالمغرب ماواهما وطال فيه على الاحقاب مثواهما
حتى لا يكاد يتصور عنه منتواهما ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواهما
فهذبت مناحيه تهذيبا وقربته لافهام العلماء والخاصة تقريبا و
سلكت في تبويبه وترتيبه مسلكا غريبا واخترعته من بين المناحي مذهبا
عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا وشرحت فيه من احوال العمران والمدن [والتمدن]
وما يعرض في الاجتماع الانساني من الاعراض الذاتيه ما يمتعك بعلل الكوائن
واسبابها ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها حتى تنزع من التقليد
يدك وتقف على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك
ورتبته على مقدمة وثلثة كتب المقدمه في فضل علم التاريخ وتحقيق
مذاهبه والالماع بمغالط المورخين الكتاب الاول في العمران وذكر ما يعرض
فيه من العوارض الذاتيه من الملك والسلطان والكسب والمعاش
والصنايع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب الكتاب الثاني في
اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ مبدا الخليقة الى هذا العهد وفيه
الالمام ببعض من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين
والفرس وبني اسرائيل والقبط ويونان والروم الكتاب الثالث في اخبار [والترك]
البربر ومن اليهم من زناتة وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار
المغرب خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء
انواره وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره والوقوف على اثاره
في دواوينه واسفاره فافدت ما نقص من اخبار ملوك العجم بتلك الديار
ودول الترك فيما ملكوه من الاقطار واتبعت بها ما كتبته في تلك الاسطار

وادرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار
منهم والضواحي سالكا سبيل الاختصار والتلخيص مقتديا بالمرام
السهل من العويص داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على
الخصوص فاستوعب اخبار الخليقة استيعابا واذلل من الحكم النافرة صعابا
واعطى لحوادث الدول عللا واسبابا واصبح للحكمة صوانا وللتاريخ جرابا
ولما كان مشتملا على اخبار العرب والبربر من اهل المدر والوبر والالمام
بمن عاصرهم من الدول الكبر وافصح بالذكرى والعبر في مبادي الاحوال
وما بعدها من الخبر سميته كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب
والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ولم اترك شيا
من اولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول واسباب التصرف و
الحول في القرون الخالية والملل وما يعرض في العمران من دولة وملة
ومدينة وحلة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة
وكسب واضاعة واحوال متقلبة مشاعة وبدو وحضر وواقع
ومنتظر الا واستوعبت جمله واوضحت براهينه وعلله فجا
هذا الكتاب فذا بما ضمنته من العلوم الغريبة والحكم المحجوبة القريبة
وانا من بعدها موقن بالقصور بين اهل العصور معترف بالعجز
عن المضاء في مثل هذا القضاء راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف
المتسعة الفضاء في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتغمد
لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضاء فالبضاعة بين اهل العلم
مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله
اسال ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبي ونعم الوكيل

المقدمه في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالماع بما يعرض للمورخين من المغالط والاوهام وذكر شي من اسبابها

اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفائدة شريف الغاية اذ هو يوقفنا
على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم والانبياء في سيرهم والملوك
في دولهم وسياستهم حتى تتم فايدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال
الدين والدنيا فهو محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن
نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط
لان الاخبار اذا اعتمد فيها مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد
السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس
الغايب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يومن فيها من العثور
ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمورخين و
المفسرين وايمة النقل المغالط في الحكايات والوقايع لاعتمادهم فيها
على مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها
باشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبايع الكاينات و
تحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيدا الوهم
والغلط سيما في احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت في
الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها الى
الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المورخين
في جيوش بني اسرايل وان موسى عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان اجاز
من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستماية الف
او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا
العدد من الجيوش فلكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها و
تقوم بوظايفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوايد المعروفة و
الاحوال المالوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى هذا العدد يبعد
ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعدها اذا اصطفت
عن مدى البصر مرتين وثلاثا او ازيد فكيف يقتتل هذان الفريقان او تكون
غلبة احد الصفين وشي من جوانبه لا يشعر بها الجانب الاخر والحاضر يشهد
لذلك فالماضي اشبه بالاتي من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم
اعظم من ملك بني اسرايل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم
والتهامه بلادهم واستيلايه على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم

وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان
المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وماوراء النهر
والابواب اوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك فلم تبلغ جيوش
الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه واعظم ما كانت جموعهم بالقادسيه
مايه وعشرين الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في اتباعهم
اكثر من مائتي الف وعن عايشة والزهري ان جموع رستم التي زحف بها
لسعد بالقادسيه انما كانوا ستين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو
اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فان
العمالات والممالك في الدول على نسبة الحاميه والقبيل القايمين بها
في كثرتها وقلتها حسبما يتبين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم
لم تتسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر
من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو
ثلثة اباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن قاهث بفتح الهاء و
كسرها بن لاوي بكسر اللام او فتحها بن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا
نسبه في التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودي قال دخل اسرائيل
مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان
مقامهم بمصر الى ان خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مايتين وعشرين
سنه يتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعد ان يتشعب النسل في اربعة
اجيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش انما كان في
زمن سليمان ومن بعده فبعيد ايضا اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا
احد عشر ابا فانه سليمان بن داود بن ايشا بن عوبذ ويقال عوفذ بن
باعز ويقال بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناذاب ويقال بحاء مكان العين
المهمله ابن رم بن حصرون ويقال حسرون بن بارس ويقال بيرص
بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا العدد
الذي زعموه اللهم الى المئين والالاف فربما يكون واما ان يتجاوز الى ما بعدهما
من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في الحاضر والشاهد والقريب
المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا والذي ثبت في الاسرائيليات ان

ان جنود سليمان كانت اثني عشر الفا خاصة وان مقرباته كانت الفا واربع
مية فرس مرتبطة على ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات
العامة منهم وفي ايام سليمان عليه السلام كان عنفوان دولتهم واتساع
ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في الحديث عن عساكر
الدول التي لعهدهم او قريبا منه وتفاوضوا في الاخبار عن جيوش المسلمين او
النصارى او اخذوا في احصاء اموال الجبايات وخرج السلطان ونفقات
المترفين وبضايع الاغنياء الموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود
العوايد وطاوعوا وساوس الاغراب فاذا استكشف اصحاب الدواوين
عن عساكرهم واستنبطت احوال اهل الثروه في بضايعهم وفوايدهم واستجلبت
عوايد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذاك الا لولوع
النفس بالغرايب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن المعقب و
والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطا ولا عمد ولا يطالبها في الخبر
بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم
في مراتع الكذب لسانه ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق و
حسبك بها صفقة خاسرة **ومن الحكايات المدخولة للمورخين**
ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة
اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانه لكلفه بمكانهما من معاقرته
اياهما الخمر اذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما
في مجلسه وان العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها
من حبه حتى واقعها زعموا في حالة سكر فحملت ووشي بذلك للرشيد
فاستغضب وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها
وجلالها وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة
رجال هم اشراف الدين وعظما الملة من بعده العباسة بنت محمد المهدي
ابن عبد الله ابي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي ابي الخلفا بن عبد الله
ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنت خليفه
اخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافه النبويه وصحبة الرسول
وعمومته وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها

قرية ببداوة العروبية وسذاجة الدين البعيدة عن عوايد الترف ومراتع
الفواحش فاين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها اواين توجد الطهارة
والزكاء اذا فقد من بينها وكيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها
العربي بمولى من موالى العجم بملك جده من الفرس او تولاه جدها من عمومه
الرسول واشراف قريش وغايته ان جذبت دولتهم بضبعه وضبع ابيه
واستخلصتهم ورقتهم الى منازل التشريف وكيف يسوغ من الرشيد ان
يصهر الى موالى الاعاجم على بعد همته وعظم ابائه ولو نظر المتامل في
ذلك نظر المنصف وقاس العباسة بابنة ملك من اعاظم ملوك زمانه
لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها وفى سلطان قومها واستنكره
ولج في تكذيبه واين قدر العباسة والرشيد من الناس وانما نكب البرامكة
ماكان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم اموال الجباية حتى كان الرشيد
يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه في سلطانه ولم يكن له
معهم تصرف في امور ملكه فعظمت اثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة
وخططها بالروسا من ولدهم وصنايعهم واحتازوها عمن سواهم من
وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم يقال انه كان بدار الرشيد
من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف و
صاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح
لمكان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولى عهد وخليفة حتى شب في حجره
ودرج من عشه وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابت فتوجه الايثار
من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم
وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الامال
وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وتسربت الى
خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة اموال الجباية وافاضوا في رجال
الشيعة وعظماء القرابة وطوقوهم المنن وكسبوا من بيوتات الاشراف
المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا لعفاتهم
الجوائز والصلات واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والامصار
في ساير الممالك حتى اسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل

اهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهاد هم
الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة اخوال
جعفر من اعظم الساعين عليهم لم يعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد
عواطف الرحم ولا وزعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند مخدومهم
نواشئ الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن الحقود التي بعثتها
منهم صغاير الدالة وانتهى بها الاصرار على شانهم الى كباير المخالفة
كقضيتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن ابي طالب
اخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا
هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد
بخطه وبذل لهم فيه الف الف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد
الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة
على تخلية سبيله والاستبداد بحل عقاله حرما لدماء اهل البيت
بزعمه ودالة على السلطان في حكمه وساله الرشيد عنه لما وشي به اليه
ففطن وقال اطلقته فابدى له وجه الاستحسان واسرها في نفسه
فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل عرشهم واكفئت عليهم
سماوهم وخسفت الارض بهم وبدارهم وذهبت سلفا ومثلا للاخرين
ايامهم ومن تامل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك
محقق الاثر ممهد الاسباب وانظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة
الرشيد عم جده داود بن على في شان نكبتهم وما ذكره في باب الشعراء من
كتاب العقد في محاورة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم تفهم
انه انما قتلتهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه
وكذلك ما تحيل به اعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر
احتيالا على اسماعه للخليفة وتحريك حفايظه لهم وهو قوله

ليت هندا انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اى والله عاجز حتى بعثوا بامثال هذه كامن
غيرته وسلطوا عليهم باس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال

كفاه بكمنعه جرفه وكبته وقلبه كفاه
والكفاه قادري

وسوء الحال وانما ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران
سكره بسكر الندمان فحاش لله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال
الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان
عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن
السماك والعمري ومكاتبته سفيان وبكائه من مواعظهم ودعائه
بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات
وشهود الصبح لاول وقتها حكى الطبري وغيره انه كان يصلي كل يوم
مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن ابي مريم مضحكه
سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ وما لي لا اعبد
الذي فطرني قال والله لا ادري لم فما تمالك الرشيد ان ضحك ثم التفت
اليه مغضبا وقال يا ابن ابي مريم في الصلاة ايضا اياك واياك والقران والدين
ولك ما شئت بعدهما وايضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب
عهده من سلفه المنتحلين لذلك ولم يكن بينه وبين جده ابي جعفر بعيد
زمن انما خلفه غلاما وقد كان ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل
الخلافة وبعدها وهو القايل لمالك حين اشار عليه بتأليف الموطا يا
ابا عبد الله انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك واني قد شغلتني
الخلافة فضع انت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس
وشدايد ابن عمر ووطيه للناس توطية قال مالك فوالله لقد علمني
التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنه المهدي ابو الرشيد هذا وهو
يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوما وهو
بمجلسه يباشر الخياطين في ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف
المهدي من ذلك وقال يا امير المومنين على كسوة هذا العيال عامنا هذا
من عطاي فقال له لك ذلك ولم يصده عنه ولا سمح بالانفاق من اموال
المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وابوته
وما ربي عليه من امثال هذه السير في اهل بيته والتخلق بها ان يعاقر الخمر
او يجاهر بها وقد كانت حال الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر
معلومة ولم يكن الكرم شجرهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم

منهم والرشيد واباؤه كانوا على نهج من اجتناب المذمومات في دينهم و
دنياهم والتخلق بالمحامد واوصاف الكمال ونزعات العرب وانظر ما نقله الطبري
المسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين احضر له السمك
في مائدته فحماه عنه ثم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله وفطن
الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعد ابن بختيشوع
للاعتذار ثلث قطع من السمك في ثلثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج
بالتوابل والبقول والبوارد والحلوا وصب على الثانية ماء مثلجا وعلى الثالثة
خمرا صرفا وقال في الاول والثاني هذا طعام امير المومنين ان خلط السمك
بغيره او لم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها الى
صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضره للتوبيخ احضر الاقداح
فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الاخرين قد فسدا
وتغيرت رايحتهما فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال
الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مائدته ولقد
ثبت عنه انه عهد بحبس ابي نواس لما بلغه من انهماكه في المعاقرة حتى تاب
واقلع وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم
فيها معروفة واما الخمر الصرفة من العنب فلا سبيل الى اتهامه بها
ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من اكبر
الكباير عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاة من خنث السرف
والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة
البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة
الى الحظر وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المورخون الطبري والمسعودي
وغيرهم على ان جميع من سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يركبون
بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان
اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء
بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا في ملابسهم فما ظنك بمشاربهم و
يتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة في اولها من البداوة
والغضاضة كما نشرح في مسائل الكتاب الاول ان شاء الله ويناسب هذا

اوقريبا منه ماينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضى المامون وصاحبه
وانه كان يعاقر المامون الخمر وانه سكر ليلة مع شربه ندفن فى الريحان
حتى افاق وينشدون على لسانه

ياسيدى واميرالناس كلهم قدجار فى حكمه من كان يسقينى
انى غفلت عن الساقى فصيرنى كما ترانى سليب العقل والدين

وحال ابن اكثم والمامون فى ذلك من حال الرشيد وشربهم انما كان
النبيذ ولم يكن محظوراً عندهم واما السكر فليس من شانهم وصحابته
للمامون انما كان خلة فى الدين ولقد ثبت انه كان ينام معه فى البيت
ونقل من فضايل المامون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة فقام
يتحسس ويلتمس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكثم وثبت انهما كانا يصليان
الصبح جميعا فاين هذا من المعاقرة وايضا فيحيى بن اكثم كان من اهل
الحديث وقد اثنى عليه الامام احمد واسمعيل القاضى وخرج عنه الترمذى
وكذلك البخارى فى غير الجامع على ماذكر الحافظ المزى فالقدح فيه
قدح فى جميعهم وكذلك ينبزه المجان بالميل الى الغلمان بهتانا على الله
وفرية على العلماء ويستندون فى ذلك الى اخبار القصاص الواهية
التى لعلها من افتراء اعدائه فانه كان محسّداً فى كماله وخلته للسلطان
وكان مقامه من العلم والدين منزها عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن
حنبل مايرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا
وانكر ذلك انكاراً شديداً وقيل لاسمعيل القاضى عما كان يقال فيه
فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد وقال
كان يحيى بن اكثم ابرأ الى الله من ان يكون فيه شى مما كان يرمى به من امر
الغلمان ولقد كنت اقف على سرايره فاجده شديد الخوف لله لكنه كانت
فيه دعابة وحسن خلق فرمى بما رمى به وذكره ابن حبان فى الثقات
وقال لايشتغل بما يحكى عنه لان اكثرها لايصح ومن امثال هذه الحكايات
مانقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل فى سبب اصهار
المامون الى الحسن بن سهل فى بنته بوران وانه عثر فى بعض الليالى فى
تطوافه بسكك بغداد بزنبيل مدلى من بعض السطوح بمعالق وجدل

فى كتابه الجامع وذكر الحافظ المزى ان البخارى روى عنه فى غير الجامع نسخ

وجدل مغارة الفتل من الحرير فاقتعده وتناول المعالق فاهتزت وذهبت
صعداً الى مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشه وتنضيد آنيته وجمال
رواته مايستوقف الطرف ويملك النفس وان امرأة برزت له من حلل الستر
فى ذلك المجلس رايعة الجمال فتانة المحاسن فحيته ودعته الى المنادمة
فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره
وقد شغفته حبا بعثه على الاصهار الى ابيها واين هذا كله من حال
المامون المعروفة فى دينه وعلمه واقتفائه سنن الخلفاء الراشدين
من ابائه واخذه بسير الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته للعلماء
وحفظه لحدود الله فى صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق
المستهترين فى التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق
الاعراب واين ذلك من منصب بنت الحسن بن سهل وشرفها وماكان ببيت
ابيها من الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفى كتب المورخين
معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك فى اللذات المحرمة
وهتك قناع المروات ويتعللون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم
فلذلك تراهم كثيراً مايلهجون باشباه هذه الاخبار وينقرون عنها عند تصفحهم
لاوراق الدواوين ولو ائتسوا بهم فى غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللايقة بهم
المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لوكانوا يعلمون ولقد عذلت يوما بعض
الامراء من ابناء الملوك فى كلفه بتعلم الغناء وولوعه بالاوتار وقلت له
ليس هذا من شانك ولايليق بمنصبك فقال لى افلاترى الى ابراهيم ابن
المهدى كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنين فى زمانه فقلت له
ياسبحان الله وهلا تاسيت بابيه او اخيه اوما رايت كيف قعد ذلك
بابراهيم عن مناصبهم فصمّ عن عذلى واعرض ومن الاخبار الواهية
مايذهب اليه الكثير من المورخين فى العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان
والقاهرة من نفيهم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن فى نسبهم
الى اسماعيل الامام بن جعفر الصادق يعتمدون فى ذلك على احاديث لفقت
للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلفا اليهم بالقدح فيمن ناصبهم
وتفننا فى الشمات بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه الاحاديث فى اخبارهم

ويغفلون عن التقطن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت
خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم
عن مبدا دولة الشيعه ان اباعبدالله المحتسب لما دعا بكتامه للرضى من
آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويمه على عبيدالله المهدى وابنه ابى القاسم
خشيا على انفسهما فهربا من المشرق محل الخلافه واجتازا بمصر وانهما
خرجا من الاسكندريه في زى التجار ونمى خبرهما الى عيسى النوشرى عامل
مصر والاسكندريه فسرح في طلبهما الخياله حتى اذا ادركا خفى حالهما
على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى فافلتوا الى المغرب وان المعتضد
اوعز الى الاغالبه امراء افريقيه بالقيروان وبنى مدرار امراء سجلماسه باخذ
الافاق عليهما واذكاء العيون في طلبهما فعثر اليسع صاحب سجلماسه
من آل مدرار على خفى مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة للخليفه هذا قبل
ان تظهر الشيعه على الاغالبه بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من
ظهور دعوتهم بافريقيه والمغرب ثم باليمن ثم بالاسكندريه ثم بمصر
والشام والحجاز وقاسموا بنى العباس في ممالك الاسلام شق الابلمه
وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويديلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم
ببغداد وعراقها الامير البساسيرى من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء
بنى العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على منابرها
حولا كريتا وما زال بنو العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك
بنى اميه وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعى
في النسب يكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرمطى اذ كان دعيا في انتسابه
كيف تلاشت دعوته وتفرق اتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم
فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف
ولو بعد مهلة فمهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس
تعلم فقد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام
ابراهيم ومصلاه وموطن الرسول ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط
الملائكه ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على اتم ما كانوا عليه من
الطاعه لهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر

وكان بينا شق الابلمة ارتضعان

بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدوله ودروس اثرها
داعين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من اعقابهم يزعمون استحقاقهم
للخلافه ويذهبون الى تعينهم بالوصيه ممن سلف قبلهم من الائمه ولو
ارتابوا في نسبهم لما ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة
لا يلبس في امره ولا يشبه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب
من القاضى ابو بكر الباقلانى شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقاله
المرجوحه ويرى هذا الراى الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من
الالحاد في الدين والتعمق في الرافضيه فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم
وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيئا في كفرهم فقد قال
تعالى لنوح عليه السلام في شان ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح
فلا تسالنى ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمه
يعظها يا فاطمه اعملى فلن اغنى عنك من الله شيئا ومتى عرف امرؤ
قضية او استيقن امرا وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو
يهدى السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من
الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصيه بدعوتهم وتكرر خروجهم
مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل
فلو تسال الايام ما اسمى ما درت وابن مكانى ما عرفن مكانى حتى لقد
سمى محمد بن اسمعيل الامام جد عبيدالله المهدى بالمكتوم سمته بذلك
شيعتهم لما اتفقوا عليه من اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل
شيعة بنى العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلفوا
بهذا الراى الفائل الى المستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم
وامراء دولهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم
معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من
البربر الكتاميين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة
ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك من اعلام الناس عندهم
جماعة منهم الشريف الرضى واخوه المرتضى وابن البطحاوى ومن العلماء
ابو حامد الاسفراينى والقدورى والصيمرى وابن الاكفانى والابيوردى

وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعه وغيرهم من اعلام الامه ببغداد
في يوم مشهود وذلك سنه ثنتين واربع مايه في ايام القادر وكانت
شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها
شيعه بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه
وروره حسبما وعوه والحق من ورايه وفي كتاب المعتضد في شان عبيد الله
الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسه اصدق شاهد واوضح
دليل على صحه نسبهم فالمعتضد اقعد بنسب اهل البيت من كل احد والدوله
والسلطان سوق للعالم يجلب اليه بضايع العلوم والصنايع وتلتمس فيه
ضوال الحكم وتحدى اليه ركايب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق
عند الكافه فان تنزهت الدوله عن التعسف والميل والافن والسفسفة
وسلكت النهج الامم ولم تجر عن قصد السبيل نفق في سوقها الابريز الخالص
واللجين المصفى وان ذهبت مع الاغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي
والباطل نفق البهرج والزايف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان
بحثه وملتمسه ومثل هذا وابعد منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون في
نسب ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب رضوان
الله تعالى عليهم وصلاته وسلامه الامام بعد ابيه بالمغرب الاقصى
ويعرضون تعريض الحذ بالتظنن في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد
مولاهم قبحهم الله وابعدهم ما اجهلهم اما يعلمون ان ادريس الاكبر كان
اصهاره في البربر وانه منذ دخل المغرب الى ان توفاه الله عز وجل عريق
في البدو وان حال البادية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكامن لهم تتأتى
فيها الريب واحوال حرمهم اجمعين بمراى من جاراتهن ومسمع من جيرانهن
لتلاصق الجدران وتطامن البناء وعدم الفواصل بين المساكن وقد كان
راشد يتولى خدمة الحرم اجمع من بعد مولاه بمشهد من اوليائهم وشيعتهم
ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة على بيعة
ادريس الاصغر من بعد ابيه واتوه طاعتهم عن رضى واصفاق وبايعوه
على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ولو حدثوا
انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو كاشح اومنافق

والقِبل بالكسر العدد والقبايل جمعه اقبال
والعصد بق ضد والنظير
الفخ موضع بمكة دفن فيه ابن عمر

او منافق مرتاب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه
الكلمات من بني العباس اقتالهم ومن بني الاغلب عمالهم كانوا بافريقية
وولاتهم وذلك انه لما فر ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة فخ اوعز
الهادي الى الاغالبة ان تقعد وا له بالمراصد ويذكوا عليه العيون فلم
يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد
من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من
دسيسه التشيع للعلوية وادهانه في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ودس
الشماخ من موالي ابيه للتحيل على قتل ادريس فاظهر اللحاق به والبراءة من
بني العباس مواليه فاشتمل عليه ادريس وخلطه بنفسه وناوله الشماخ في بعض
خلواته سما استهلكه به ووقع خبر مهلكه من بني العباس احسن المواقع
لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب الاقصى واقتلاع جرثومتها
ولما تأدى اليهم خبر الحمل المخلف لادريس فلم يكن الا كلا ولا واذا بالدعوة
قد عادت والشيعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس ابن ادريس
قد تجددت فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهرم
قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد
على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيل
في اهلاكه بالسموم فعند ذلك فزعوا الى اوليائهم من الاغالبة في سد
تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع
تلك العروق قبل ان تشج منهم يخاطبهم بذلك المامون ومن بعده من
خلفائهم فكان الاغالبة عن برابرة المغرب الاقصى اعجز وللتهامن الزبون
على ملوكهم احوج لما طرق الخلافه من انتزاء المماليك العجم على سدتها
وامتطائهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم
في رجالها وجبايتها واهل خططها وسائر نقضها وابرامها كما قال
شاعر عصرهم شعر خليفة في قفص بين وصيف وبغا يقول ما قالا له كما
تقول الببغا فخشي هولاء الامراء الاغالبة بوادر السعايات وتلوّوا
بالمعاذير فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب بشان ادريس
الخارج به ومن قام مقامه من اعقابه يخاطبونهم بتجاوزه حدود التخوم

من عمله وينفذون سكته فى تخومهم وهداياهم ومرتفع جباياتهم تعريضًا
باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته
ومراسه وتهديدا بقلب الدعوة ان لجئوا اليه وطورًا يطعنون فى نسب
ادريس بمثل ذلك الطعن الكاذب تخفيضا لشانه لا يبالون بصدقه من
كذبه لبعد المسافة وافن عقول من خلف من صبية بنى العباس ومماليكهم
العجم فى القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دابهم حتى
انقضى امر الاغالبة فقرعت هذه الكلمة الشنعاء اسماع الغوغاء وصر
عليها بعض الطاعنين اذنه واعتدها ذريعه الى النيل من خلفهم
عند المنافسه ومالهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعه فلا تعارض
بين المقطوع والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على
ان تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقايد الايمان فالله سبحانه قد اذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه
عن الرجس بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء باثمه وولج الكفر
من بابه وانما اطنبت فى هذا الرد سدًّا لابواب الريب ودفعا فى صدر
الحاسد لما سمعته اذناى من قائله المعتدى عليهم القادح فى نسبهم بفريته
وينقله بزعمه عن بعض مورخى المغرب ممن انحرف عن اهل البيت وارتاب
فى الايمان بسلفهم والا فالمحل منزه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب
حيث يستحيل العيب عيب لكنى جادلت عنهم فى الحيوة الدنيا وارجو ان يجادلوا
عنى يوم القيامه ولتعلم ان اكثر الطاعنين فى نسبهم انما هم الحسدة لاعقاب
ادريس هذا من منتم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب
دعوى شرف عريض على الامم والاجيال من اهل الافاق فتعرض التهمة فيه
ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فاس وساير ديار المغرب قد بلغ
من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا يطمع احد فى دركه اذ هو نقل
الامة والجيل من الخلف عن الامة والجيل من السلف وبيت جدهم ادريس
مختط فاس ومؤسسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلتهم ودروبهم
وسيفه منتضى براس المأذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من اثاره التى
جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق بالعيان فاذا نظر

نظر غيرهم من اهل البيت هذا النسب الى ما آتاهم الله من امثالها وما عضد
شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه
بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتمين
الى البيت الكريم ممن لم تحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم
لان الناس مصدقون فى انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين
والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم
عن شرفهم ذلك سوقه ووضعا حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى
العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن القائل والقول
المكذوب تعللا بالمساواة فى المظنة والمشابهه فى تطرق الاحتمال وهيهات
لهم ذلك فليس فى المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ فى
صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن
وكبراؤهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى بن محمد بن يحيى
العدام بن القاسم بن ادريس ابن ادريس وهم نقباء اهل البيت هنالك
والساكنون ببيت جدهم ادريس ولهم السياده على اهل المغرب كافه
حسبما نذكرهم عند ذكر الادارسه ان شاء الله ويلحق بهذه المقالات
الفاسدة والمذاهب الفائلة ما يتناوله ضعفه الراى من فقهاء
المغرب من القدح فى الامام المهدى صاحب دولة الموحدين ونسبته
الى الشعوذه والتلبيس فيما اتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعى على اهل
البغى قبله وتكذيبهم لجميع مدعياته فى ذلك حتى فيما يزعم الموحدون
اتباعه من انتسابه فى اهل البيت وانما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن
فى نفوسهم من حسده على شانه فانهم لما راوا من انفسهم مناهضته
فى العلم والفتيا وفى الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراى
مسموع القول موطؤ العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح فى مذاهبه
والتكذيب لمدعياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونه اعدائه تجلة
وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجه وانتحال الديانه
فكان لحملة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل
فى بلده وعلى قدره فى قومه فاصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا

على المهدي فيما جاء به من خلافهم او التثريب عليهم والمناصبه لهم تشيعا
للمؤمنه وتعصبا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله على غير معتقداتهم
وما ظنك برجل نقم على الدوله ما نقم من احوالهم وخالف اجتهاده فقهاءهم
فنادى في قومه ودعى الى جهادهم بنفسه فاقتلع الدوله من اصولها وجعل
عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز انصارا وحاميه
وتساقطت في ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه
على الموت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله باتلاف مهجهم في
اظهار تلك الدعوه والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم وادالت
بالعدوتين من الدول وهو بحاله من التقشف والحصر والصبر على المكاره
والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله تعالى وليس على شيء من الحظ والمتاع
في دنياه حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس وتخادع عن تمنيه فليت
شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من
الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح ما تم امره وانفسخت دعوته
سنة الله التي قد خلت في عباده واما انكارهم نسبه في اهل البيت فلا تعضده
حجه لهم مع انه ان ثبت انه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه
لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم
في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبما ياتي في الفصل الاول من هذا الكتاب
والرجل قد راس سائر المصامده ودانوا باتباعه والانقياد اليه والى عصابته
من هرغة حتى تم امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن امر المهدي
يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وانما كان اتباعهم له بعصبيه
الهرغيه والمصموديه ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك
النسب الفاطمي خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه
بينهم فيكون النسب الاول كانه انسلخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر فيها
فلا يضره الانتساب الاول في عصبيته اذ هو مجهول عند اهل العصابة و
مثل هذا واقع كثيرا اذا كان النسب الاول خفيا وانظر قصة عرفجة وجرير
في رياسة بجيله وكيف كان عرفجة من الازد ولبس جلدة بجيلة حتى تنازع
مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله عنه كما هو مذكور تفهم منه وجه الحق

الحق والله الهادي للصواب وقد كدنا ان نخرج عن غرض الكتاب بالاطناب
في هذه المغالط فقد زلت اقدام كثير من الاثبات والمؤرخين الحفاظ في
مثل هذه الاحاديث والاراء وعلقت بافكارهم ونقلها عنهم الكافة من
ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم ايضا كذلك من غير بحث
ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا
وناظره مرتبكا وعد من مناحي العامة فاذن يحتاج صاحب هذا الفن
الى العلم بالسياسه وطبايع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار
في السير والاخلاق والعوايد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة
بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغايب من الوفاق او بون ما بينهما
من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف والقيام على اصول الدول والملل
ومبادي ظهورها واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال القايمين بها
واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفا على اصل كل خبر
وحينئذ يعرض خبره المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها
وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه وما استكبر
القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبري والبخاري وابن اسحق
من قبلهما وامثالهم من علماء الامه وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه
حتى صار انتحاله مجهلة واستخف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف
مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه فاختلط المرعي بالهمل
واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور ومن
الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال
بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوي شديد الخفاء اذ لا يقع
الا بعد احقاب متطاوله فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من اهل
الخليقه وذلك ان احوال العالم والامم وعوايدهم ونحلهم لا تدوم على
وتيره واحده ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنه
وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاوقات
والامصار فكذلك يقع في الافاق والاقطار والازمنه والدول
سنة الله التي قد خلت في عباده وقد كانت في العالم امم الفرس

الاولى والسريانيون والنبط والتبابعه وبنوا اسرائيل والقبط وكانوا
على احوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياستهم وصنائعهم
ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال
اعتمادهم للعالم يشهد بها اثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانيه والروم
والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت العوايد الى ما يجانسها ويشابهها
والى ما يباينها ويباعدها ثم جاء الاسلام بدوله مضر فانقلبت تلك
الاحوال اجمع انقلابة اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد
يأخذه الخلف عن السلف ثم درست دوله العرب وايامهم وذهب
الاسلاف الذين شيدوا عزهم ومهدوا ملكهم وصار الامر في ايدى
سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجه بالشمال
فذهبت بذهابهم امم وانقلبت احوال وعوايد نسى شانها واغفل
امرها والسبب الشايع في تبدل الاحوال والعوايد ان عوايد كل جيل تابعه
لعوايد سلطانه كما يقال في الامثال الحكميه الناس على دين الملك
واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدوله والامر فلا بد وان
ينزعوا الى عوايد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ولا يغفلون عوايد جيلهم
مع ذلك فيقع في عوايد الدوله بعض المخالفه لعوايد الجيل الاول فاذا جاءت
دوله اخرى من بعدهم ومزجت من عوايدهم وعوايدها خالفت ايضا بعض
الشئ وكانت للاولى اشد مخالفه ثم لا يزال التدريج في المخالفه حتى ينتهى
الى المباينه بالجمله فما دامت الامم والاجيال يتعاقب في الملك والسلطان لا تزال
المخالفه في العوايد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعه
معروفه ومن الغلط غير مامونه تخرجه مع الذهول والغفله عن قصده و
تعوج به عن مرامه فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن
لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لاول وهلة على ما عرف ويقيسها
بما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط فمن هذا الباب
ما ينقله المورخون من احوال الحجاج وان اباه كان من المعلمين مع ان التعليم
لهذا العهد من جملة الصنايع المعاشيه البعيده من اعتزاز اهل العصبيه
والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل

الحرف والصنايع المعاشيه الى نيل الرتب التى ليسوا لها باهل ويعدونها
من الممكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من
ايديهم فسقطوا في مهواه الهلكه والتلف ولا يعلمون استحالتها
في حقهم وانهم اهل حرف وصنايع للمعاش وان التعليم صدر الاسلام
والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجمله صناعه انما كان نقلا
لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ وكان
اهل الانساب والعصبيه الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله
وسنه نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على معنى التبليغ الخبرى لا على وجه
التعليم الصناعى انه كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هدايتهم
والاسلام دينهم قاتلوا عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا
فيحرصون على تعليم ذلك وتفهيمه للامه لا تصدهم عنه لايمة الكبر
ولا يزعهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به
من شرايع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشره فمن بعدهم فلما استقر
الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيده من ايدى اهلها
واستحالت بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص
لتعدد الوقايع وتلاحقها فاحتاج ذلك الى قانون يحفظه من الخطا وصار
العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جمله الصنايع والحرف كما ياتى
ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل اهل العصبيه بالقيام بالملك و
السلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم واصبح حرفة للمعاش وشمخت
انوف المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله
بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك والحجاج
بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم من عصبيه
العرب ومناهضة قريش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه القرآن على
ما هو الامر عليه لهذا العهد من انه حرفه للمعاش وانما كان على ما وصفنا
من الامر الاول في الاسلام ومن هذا الباب ما يتوهمه المتصفحون لكتب
التاريخ اذا سمعوا احوال القضاه وما كانوا عليه من الرياسه في الحروب

وقود العساكر فيتراءى بهم وساوس الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان
الشان فى خطة القضا لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بابن
ابى عامر حاجب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوايف باشبيليه
اذا سمعوا ان اباءهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون
لما وقع فى رتبة القضاء من مخالفة العوايد كما نبينه فى فصل القضاء من
الكتاب الاول وابن ابى عامر وابن عباد كانا من قبايل العرب القايمين
بالدوله الامويه بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما
ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسه والملك بخطة القضا كما هى لهذا العهد
بل انما كان القضاء فى الامر القديم لاهل العصبيات من قبيل الدوله
ومواليها كما هى الوزاره لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر فى
الصوايف وتقليدهم عظايم الامور التى لا تقلد الا لمن له الغناء فيها بالعصبية
فيغلط السامع فى ذلك ويحمل الاحوال على غير ما هى عليه واكثر ما يقع فى
هذا الغلط ضعفاء البصاير من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان
العصبيه فى مواطنهم منذ اعصار بعيده لفناء العرب ودولتهم بها و
خروجهم عن ملكة اهل العصبيه من البربر فبقيت انسابهم العربيه محفوظة
والذريعه الى العز من العصبيه والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة
الرعايا المتخاذلين الذين تعبدهم القهر ورءموا للمذله يحسبون ان انسابهم
مع مخالطه الدوله هى التى يكون بها الغلب والتحكم فتجد اهل الحرف
منهم والصنايع متصدين لذلك ساعين فى نيله فاما من باشر احوال
القبايل والعصبيه ودولهم بالعدوه المغربيه وكيف يكون التغلب
بين الامم والعشاير فقل ما يغلطون فى ذلك او يخطئون فى اعتباره ومن
هذا الباب ايضا ما يسلكه المورخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها
فيذكرون اسمه ونسبه وامه واباه ونساه ولقبه وخاتمه وقاضيه
وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد المورخى الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم
والمورخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريخهم لاهل الدوله وابناوها
متشوفون الى سير سلفهم ومعرفه احوالهم ليقتفوا اثارهم وينسجوا
على منوالهم حتى فى اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط

والمراتب لابنا صنايعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبيه
الدوله وفى عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله
واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة
الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض فى قوتها و
غلبها ومن كان يناهضها من الامم او يقصر عنها فما الفايدة للمصنف لهذا
العهد فى ذكر الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضى والوزير
والحاجب من دوله قديمه لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم
انما حملهم على ذلك التقليد والغفله عن مقاصد المولفين الاقدمين
والذهول عن تحرى الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت
اثارهم وعفت على الملوك اخبارهم كالحجاج وبنى المهلب والبرامكه وبنى سهل
ابن نوبخت وكافور الاخشيدى وابن ابى عامر وامثالهم فغير نكير الالماع
بابائهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم فى عداد الملوك ولنذكر هنا فايده
نختم كلامنا فى هذا الفصل بها وهى ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصه
بعصر او جيل فاما ذكر الاحوال العامه للافاق والاجيال والاعصار
فهو اس للمورخ ينبنى عليه اكثر مقاصده وتتبين به اخباره وقد كان الناس
يفردونه بالتاليف كما فعله المسعودى فى كتاب مروج الذهب شرح فيه
احوال الامم والافاق لعهده فى عصر الثلاثين والثلثمايه غربا وشرقا وذكر
نحلهم وعوايدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب
العرب والعجم فصار اماما للمورخين يرجعون اليه واصلا يعولون فى تحقيق
الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكرى من بعده ففعل مثل ذلك فى المسالك
والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعهده لم يقع
فيها كبير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو اخر المايه الثامنه
فقد انقلبت احوال المغرب الذى نحن شاهدوه وتبدلت بالجمله واعتاض
من اجيال البربر اهله على القدم بمن طرا فيه من لدن المايه الخامسه من
اجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم
فيما بقى من البلدان لملكتهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف
هذه المايه الثامنه من الطاعون الجارف الذى تحيف الامم وذهب باهل الجيل

وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها واوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبايل وتبدل الساكن وكاني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبته ومقدار عمرانه وكانما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر الى الاجابة والله وارث الارض ومن عليها واذا تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم باسره وكانه خلق جديد ونشاة مستانفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والافاق واجيالها والعوايد والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفو مسلك المسعودي لعصره ليكون اصلا يقتدي به من ياتي من المورخين من بعده وانا ذاكر في كتابي هذا ما امكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحا او مندرجا في اخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التاليف بالمغرب واحوال اجياله واممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على احوال المشرق وامه وان الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما اريده منه والمسعودي انما استوفى ذلك لبعد رحلته وتقلبه في البلاد كما ذكر في كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء احواله وفوق كل ذي علم عليم ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في عونه تيسرت عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب ونحن اخذون بعون الله فيما رمناه من اغراض التاليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان وقد بقي علينا ان نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغة العرب اذا عرضت في كتابنا هذا واعلم ان الحروف في النطق كما ياتي شرحه بعد هي كيفيات الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحنك والحلق والاضراس او بقرع الشفتين ايضا فتتغاير كيفيات الاصوات بتغاير ذلك القرع وتجيء الحروف متمايزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضماير وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد تكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفا كما علمت ونجد للعبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضا حروفا ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هولاء من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وباء وجيم وراء وطاء الى اخر الثمانية والعشرين فاذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملا عن الدلالة الكتابية مغفلا عن البيان وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتنفه من لغتنا قبله او بعده وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصله ولما كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطلحت في كتابي هذا ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تاديته وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارئ انه متوسط فينطق به كذلك فنكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق

م

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الكتاب الاول في طبيعه العمران في الخليقه وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنايع ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشا عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنايع وساير ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فمنها التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لراي او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فيقع في قبول الكذب ونقله ومن الاسباب المقتضيه للكذب في الاخبار ايضا الثقه بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ومنها توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقه بالناقلين ومنها تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة

ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما راها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه صح

حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضايل ولا متنافسين في اهلها ومن الاسباب المقتضيه له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبايع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لابد له من طبيعه تخصه في ذاته وفيما يعرض له من احواله فاذا كان السامع عارفا بطبايع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التمحيص من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيله وينقلونها وتوثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بنا الاسكندريه وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانيه التي راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنيه ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها وتم له بناوه في حكاية طويله من احاديث خرافة مستحيله من قبل اتخاذ التابوت الزجاج ومصادمة البحر وامواجه بجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرر ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتقاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك اتلافه لا ينتظرون به رجعه من غروره ذلك طرفة عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرووس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لا انه حقيقة وهذه كلها قادحة في تلك الحكايه والقادح المحيل لها من طريق الوجود بأبين من هذا كله ان المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهوا للتنفس الطبيعي وتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهوا البارد المعدل لمزاج الرية والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو السبب في هلاك اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين في الابار والمطامير العميقة المهوى اذا سخن هواؤها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتخلخلها فان المتدلي فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق

اذا فارق البحر فان الهوى لا يكفيه في تعديل رئته اذ هو حار بافراط والما
الذي يعدّله بارد والهوا الذي خرج اليه حار فيستولى الحرّ على روحه
الحيواني ويهلك دفعةً ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك
ومن الاخبار المستحيله مانقله المسعودي ايضا في تمثال الزرزور
الذي برومة تجتمع اليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة الزيتون
ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ
الزيت ومنها مانقله البكري في بنا المدينه المسماه ذات الابواب
تحيط باكثر من ثلثين مرحله وتشتمل على عشرة الاف باب والمدن
انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما ياتي وهذه خرجت عن ان يحاط بها
فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما نقله المسعودي ايضا في حديث
مدينه النحاس وانها مدينه كلها من نحاس بصحرا سجلماسة ظفر بها موسى
ابن نصير في غزاته الى المغرب وانها مغلقه الابواب وان الصاعد
اليها من اسوارها اذا اشرف على الحايط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع
اخر الدهر في حديث مستحيل من خرافات القصاص وصحرا سجلماسه قد
نفضها الركاب والادلاء ولم يقفوا لهذه المدينه على خبر ثم ان هذه
الاحوال التي ذكروها عنها كلها مستحيل عادة مناف للامور الطبيعيه
في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود منها ان يصرف
في الآنية والخرثي واما تشييد مدينه منها فكما تراه من الاستحاله
والبعد وامثال ذلك كثير وتمحيصه انما هو بمعرفه طبايع العمران وهو احسن
الوجوه واوثقها في تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو
سابق على التمحيص بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم
ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع واما اذا كان مستحيلا فلا فايده
للنظر في التعديل والتجريح ولقد عدّ اهل النظر من المطاعن في الخبر
استحالة مدلول اللفظ وتأويله ان تؤول بما لا يقبله العقل
وانما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحه الاخبار الشرعيه لان معظمها
تكاليف انشائيه اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها
وسبيل صحه الظن الثقه بالرواه للعداله والضبط واما الاخبار

عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة
فلذلك وجب علينا ان ننظر في امكان وقوعه وصار ذلك فيها اهم من
التعديل ومقدما عليه اذ فايده الانشاء مقتبسه منه فقط وفايده الخبر
منه ومن الخارج بالمطابقه واذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار
بالامكان والاستحاله ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز
ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد
به وما لا يمكن ان يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز
الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل
للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شي من الاحوال الواقعة في العمران
علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرى به
المورخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب
الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو
العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسايل وهي بيان ما يلحقه من
الاحوال لذاته واحده بعد اخرى وهذا شان كل علم من العلوم وضعيا
كان او عقليا واعلم ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعه غريب النزعه
غزير الفايده اعثر عليه البحث وادّى اليه الغوص وليس من علم الخطابة
الذي هو احد الكتب المنطقيه فانّ موضوع الخطابه انما هو الاقوال المقنعة
النافعه في استماله الجمهور الى راي او صدهم عنه ولا هو ايضا من علم
السياسه المدنيه اذ السياسه المدنيه هي تدبير المنزل او المدينه بما يجب
بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع
وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين اللذين ربما يشبهانه
وكانه علم مستنبط النشاه ولعمري لم اقف على الكلام في منحاه لاحد من
الخليقة ما ادري لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم او لعلهم كتبوا في هذا
الغرض واستوفوه ولم يصل الينا فالعلوم كثيره والحكما في امم النوع
الانساني متعددون وما لم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل فاين
علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح واين علوم الكلدانيين
والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من اثارها ونتايجها واين علوم القبط

من قبلهم وانما وصل الينا علوم امه واحدة وهم يونان خاصه لكلف
المامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل
الاموال فيها ولم نقف على شى من علوم غيرهم **واذا كانت** كل حقيقة
متعقله طبيعيه يصلح ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب
ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه لكن الحكما
لعلهم انما لاحظوا فى ذلك العنايه بالثمرات وهذا انما ثمرته كما رايت
فى الاخبار فقط وان كانت مسايله فى ذاتها وباختصاصاتها شريفه
لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهى ضعيفه فلهذا هجروه والله اعلم وما
اوتيتم من العلم الا قليلا **وهذا الفن الذى لاح لنا النظر فيه** نجد منه
مسايل تجرى بالعرض لاهل العلوم فى براهين علومهم وهى من جنس مسايله
بالموضوع والمطلب مثل ما يذكره الحكما فى اثبات النبوة من ان البشر متعاونون
فى وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر فى اصول الفقه
فى باب اثبات اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة [التعاون]
والاجتماع وشان العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقهاء فى تعليل الاحكام
الشرعيه بالمقاصد فى ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع وان القتل
ايضا مفسد للنوع وان الظلم موذن بخراب العمران المفضى لفساد النوع
وغير ذلك من ساير المقاصد الشرعيه فى الاحكام فانها كلها مبنيه على
المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا
هذا فى هذه المسايل الممثله وكذلك ايضا يقع الينا القليل من مسايله فى
كلمات متفرقه لحكماء الخليقه لكنهم لم يستوفوه فمن كلام الموبذان بهرام
بن بهرام فى حكاية البوم الذى نقلها المسعودى ايها الملك ان الملك لا يتم
عزه الا بالشريعه والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام
للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال
ولا سبيل الى المال الا بالعماره ولا سبيل الى العماره الا بالعدل والعدل
الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب وجعل له قيما وهو الملك
ومن كلام انوشروان فى هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال [والمال]
بالخراج والخراج بالعماره والعماره بالعدل والعدل باصلاح العمال [واصلاح]

واصلاح العمال باستقامة الوزرا وراس الكل بافتقاد الملك حال رعيته
بنفسه واقتداره على تاديبها حتى يملكها ولا يملكه **وفى الكتاب المنسوب**
لارسطو فى السياسه المتداول بين الناس جزء صالح منه الا انه غير
مستوفى ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره واشار فى ذلك الكتاب
الى هذه الكليات التى نقلناها عن الموبذان وانوشروان وجعلها فى الدايره
الغريبه التى اعظم [القول] فيها وهى قوله العالم بستان سياجه الدوله
الدوله سلطان تحيا به السنة [السنه] سياسه يسوسها الملك
الملك نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق
تجمعه الرعيه الرعيه عبيد يكنفهم العدل العدل
مالوف وبه قوام العالم العالم بستان
ثم يرجع الى اول الكلام

مم

فهذه ثمان كلمات حكميه سياسيه ارتبط بعضها ببعض وارتدت
اعجازها على صدورها واتصلت في دايره لايتعين طرفها فخر بعثوره عليها
وعظم من فوايدها وانت اذا تاملت كلامنا في فصل الملك والدول
واعطيته حقه من التصفح والتفهم عثرت في اثنايه على تفسير هذه
الكلمات وتفصيل اجمالها مستوفى مبينا باوعب بيان واوضح دليل
وبرهان اطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة الموبذان وكذلك
نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسايله من ذكر السياسات الكثير
من مسايل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه انما يجليها في الذكر على منحى
الخطابه في اسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك حوم القاضي ابو بكر
الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على ابواب تقرب من ابواب كتابنا
ومسايله لكنه لم يصادف فيه الرميه ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى
المسايل ولا اوضح الادله انما يبوب الباب للمسله ثم تستكثر من الاحاديث
والاثار وينقل كلمات متفرقه لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والموبذان
وحكماء الهند والماثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكابر الخليقه ولا
يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعيه حجابا انما هو
نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكانه حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق
قصده ولا استوفى مسايله ونحن الهمنا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على
علم جعلنا سن بكره وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسايله
وميزت عن ساير الصنايع انظاره وانحاه فتوفيق من الله وهدايه وان
فاتني شي في احصايه او اشتبهت بغيره مسايله فللناظر المحقق اصلاحه
ولي الفضل اني نهجت له السبيل واوضحت الطريق والله يهدي بنوره
من يشا ونحن الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم
من احوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنايع بوجوه برهانيه
يتضح بها التحقيق في معارف الخاصه والعامه وتندفع بها الاوهام
وترتفع الشكوك ونقول لما كان الانسان متميزا عن ساير الحيوانات
بخواص اختص بها فمنها العلوم والصنايع التي هي نتيجه الفكر الذي
تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجه

الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين
الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل
ذلك فبطريق الهامي لا بفكر وروية ومنها السعي في المعاش والاعتمال
في تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار
الى الغذاء في حياته وبقائه وهداه الى التماسه وطلبه قال تعالى
اعطى كل شي خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التساكن والتنازل
في مصر او حلة للانس بالعشرة واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من
التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذي
يكون في الضواحي والجبال وفي الحلل المنتجعه للقفار واطراف الرمال
ومنه ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمداشر
للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله في كل هذه الاحوال امور تعرض
من حيث الاجتماع عروضا ذاتيا فلا جرم انحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة
فصول الاول في العمران البشري على الجملة واصنافه وقسطه من الارض
الثاني في العمران البدوي وذكر القبايل والامم الوحشيه الثالث
في الدول والخلافه والملك وذكر المراتب السلطانيه الرابع في العمران
الحضري والبلدان والامصار الخامس في الصنايع والمعاش والكسب ووجوهه
السادس في العلوم واكتسابها وتعلمها وقدمت العمران البدوي لانه
سابق على جميعها كما يتبين لك بعد وكذا تقديم الملك على البلدان والامصار
واما تقديم المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كمالي او حاجي
والطبيعي اقدم من الكمالي وجعلت الصنايع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه
ومن حيث العمران كما من الكتاب الاول يتبين بعد والله الموفق والمعين

الفصل الاول في العمران البشري على الجمله وفيه مقدمات الاولى

في ان الاجتماع للانسان ضروري ويعبر الحكما عن هذا بقولهم الانسان
مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينه في اصطلاحهم وهو
معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة
لا يصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب
فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل

حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا
منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطه مثلا فلا يحصل الا
بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال
الثلاثه تحتاج الى مواعين والات لا تتم الا بصناعات متعددة من
حداد ونجار وفخار هب انه يأكله حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج
في تحصيله حبا الى اعمال اخرى اكثر من هذه من الزراعه والحصاد
والدوس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه
الى الات متعدده وصنايع كثيره اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفى
بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من
ابناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفايه
من الحاجه لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا
في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب
الطبايع الحيوانيه كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات
العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير
من قدره الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل
اضعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد
منها عضوا يختص بمدافعة ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان
عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصنايع بخدمة الفكر
والصنايع تحصل له الالات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في ساير
الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف
النائبه عن المخالب الجارحه والتراس النائبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك
وغيره مما ذكر جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم
قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسه فهو عاجز عن
مدافعتها وحده بالجمله ولا تفي قدرته ايضا باستعمال الالات المعدة
للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنايع والمواعين المعده لها فلا بد في ذلك
كله من التعاون عليه بابناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل
له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لما ركبه الله عليه من الحاجة الى الغذاء

الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون
فريسة للحيوانات ويعاجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر
واذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت
حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني
والا لم يكمل وجودهم وما اراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم
وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام
نوع اثبات للموضوع في فنه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على
صاحب الفن لما تقرر في الصناعه المنطقيه انه ليس على صاحب علم اثبات
الموضوع في ذلك العلم فليس ايضا من الممنوعات عندهم فيكون اثباته من
التبرعات والله الموفق بفضله ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر
كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض
لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت
دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم بكافية في دفع العدوان بينهم لانها
موجودة لجميعهم فلا بد من شيء اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون
من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهاماتهم فيكون ذلك
الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة
حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك
بهذا انه خاصه للانسان طبيعيه لا بد لهم منها وقد توجد في بعض
الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقري فيها من
الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه و
جثمانه الا ان ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى
الفكرة والسياسه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ويزيد الفلاسفة على هذا
البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها خاصة طبيعيه
للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بد للبشر من الحكم الوازع
ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتي به
واحد من البشر يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع
التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف

وهذه القضيه للحكماء غير برهانيه كما تراه اذ الوجود وحياة البشر قد تتم بدون
ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه او بالعصبية التى يقتدر بها على قهرهم وحملهم
على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبه الى المجوس
الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول
والاثار فضلا عن الحياة وكذلك هى لهم لهذا العهد فى الاقاليم المنحرفه الى
الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع البته فانه ممتنع
وبهذا يتبين لك غلطهم فى وجوب النبوات وانه ليس بعقلى وانما مدركه
الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولى التوفيق والهدايه

المقدمة الثانيه فى قسط العمران من الارض والاشاره الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم

انه قد تبين فى كتب الحكماء الناظرين فى احوال العالم ان شكل الارض
كرى وانها محفوفة بعنصر الماء كانها عنبه طافيه عليه فانحسر
الماء عن بعض جوانبها لما اراده الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها
بالنوع البشرى الذى له الخلافة على سايرها وقد يتوهم من ذلك ان
الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الارض ووسط
كرتها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك
من جوانبها والماء المحيط بها فهو فوق وان قيل فى شىء منها انه تحت
فبالاضافة الى جهة اخرى عنه وهذا الذى انحسر عنه الماء من الارض
هو النصف من سطح كرتها فى شكل دايرة احاط العنصر المائى بها من جميع
جهاتها بحر ايسمى ايضا البلاغيه بتفخيم اللام الثانيه ويسمى اوقيانوس اسما
اعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المنكشف من الارض
للعمران فيه القفار والخلاء اكثر من عمرانه والخالى من جهة الجنوب منه
اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعه اميل الى جانب الشمال على
شكل سطح كرى ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال
الى الخط الكرى وراه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصرى التى بينها سد
ياجوج وماجوج وهذه الجبال مايله الى جهة الشرق وتنتهى من الشرق
والغرب الى عنصر الماء ايضا بقطعتين من الدايره المحيطة وهذا المنكشف

المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة او اقل والمعمور منه
مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض
بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط فى كرتها كما ان
منطقة البروج ودايرة معدل النهار اكبر خط فى الفلك ومنطقة البروج
منقسمه بثلثمايه وستين درجه والدرجه من مسافة الارض خمسه
وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع فى ثلثه اميال لان الميل اربعة
الاف ذراع والذراع اربعه وعشرون اصبعا والاصبع ست حبات شعير
مصفوفة ملصق بعضها الى بعض ظهرا لبطن وبين دايره معدل النهار
التى تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل
واحد من القطبين تسعون درجة لكن العماره فى الجهة الشماليه من
خط الاستواء اربعة وستون درجة والباقى منها خلاء لا عماره فيه لشدة
البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبيه خلاء كلها لشدة الحر كما نبين ذلك
كله ان شاء الله تعالى ثم ان المخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه
من الامصار والمدن والجبال والانهار والقفار والرمال مثل بطليموس
فى كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب رجار من بعده قسموا هذا المعمور بسبعة
اقسام يسمونها السبع الاقاليم بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية
فى العرض ومختلفه فى الطول فالاقليم الاول اطول مما بعده وكذا الثانى
الى اخرها فيكون السابع اقصرها لما اقتضاه وضع الدايره الناشيه من انحسار
الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشره
اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالى وفى كل جزء الخبر عن احواله واحوال
عمرانه وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهه المغرب فى الاقليم
الرابع البحر الرومى المعروف يبدا فى خليج متضايق فى عرض اثنى عشر ميلا او
نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسح الى عرض
ستمايه ميل ونهايته فى اخر الجزء الرابع من الاقليم الرابع على الف فرسخ ومايه
وستين فرسخا من مبدائه وعليه هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب
سواحل المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم افريقيه ثم برقه الى الاسكندريه
ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينيه ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة

مستقيم

مقدار الدرجه من مسافة الارض

بطليموس

الافرنجه

قوله بالنسبة الى المجوس فيه كلام لان المجوس يدعون ان زردشت حكيم كان منهم وكتابه [illegible] عندهم زند وپازند [illegible] كتابه والآن كتابه غير ثابت عند المليين الا انهم اعتقدوه وضعا او نحوه الحكيم المزبور تامل

ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومى
والشامى وفيه جزر كثيرة عامرة كبارها مثل اقريطش وقبرص وصقليه (يعني كريد وقبرس)
وميورقه وسردانيه ودانيه قالوا ويخرج منه فى جهة الشمال بحران
اخران من خليجين احدهما سامت للقسطنطينيه يبدا من هذا البحر
متضايقا فى عرض رميه السهم ويمر ثلثة مجار فيتصل بالقسطنطينيه
ثم ينفسخ فى عرض اربعه اميال ويمر فى جريه ستين ميلا ويسمى خليج
القسطنطينيه ثم يخرج من فوهة عرضها ستة اميال فيمد بحر نيطش
وهو بحر ينحرف من هنالك فى مذهبه الى ناحيه الشرق فيمر بارض هرقليه
وينتهى الى بلاد الخزريه على الف وثلثمائة ميل من فوهته وعليه من
الجانبين امم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر الثانى من خليجى
هذا البحر الرومى وهو بحر البنادقة يخرج فى بلاد الروم على سمت الشمال فاذا انتهى
الى سمت الجبل انحرف فى سمت الغرب الى بلاد البنادقه وينتهى الى بلاد اكلايه
على الف ومايه ميل من مبدايه وعلى ضفتيه من البنادقة والروم وغيرهم
امم ويسمى خليج البنادقه قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق
وعلى ثلث عشرة درجة فى الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب
قليلا حتى ينتهى الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا الى ان ينتهى فى الجزء
الخامس منه الى بلاد الحبشه والزنج والى باب المندب منه على اربعة
الاف فرسخ وخمس مئه فرسخ من مبدايه ويسمى البحر الصينى والهندى
والحبشى وعليه من جهة الجنوب الى بلاد الزنج وبلاد بربرا التى ذكرها امرؤ
القيس فى شعره وليسوا من البربر الذين هم قبايل المغرب ثم بلد مقدشو ثم
بلد سفاله وارض الواق واق وامم اخرى ليس بعدهم الا القفار والخلاء
وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدايه ثم الهند ثم السند ثم سواحل
اليمن من الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم
البجة قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشى بحران اخران يخرج احدهما من
نهايته عند باب المندب فيبدا متضايقا ثم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال
ومغربا قليلا الى ان ينتهى الى مدينة القلزم فى الجزء الخامس من الاقليم
الثانى على الف واربع مايه ميل من مبديه وهو بحر القلزم وبحر السويس

السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلث مراحل وعليه من جهة
الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة ثم مدين وايلة وفاران عند نهايته
ومن جهه الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزالع ثم بلاد البجة
عند مبديه واخره عند القلزم يسامت البحر الرومى عند العريش وبينهما
نحو ست مراحل ومازال الملوك فى الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما
ولم يتم ذلك والبحر الثانى من هذا البحر الحبشى ويسمى الخليج الاخضر يخرج
ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحيه الشمال مغربا
قليلا الى ان ينتهى الى الابلة من سواحل البصرة فى الجزء السادس من الاقليم
الثانى وعلى اربع مية فرسخ واربعين فرسخا من مبدائه ويسمى بحر فارس وعليه
من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابلة عند نهايته ومن (وكرمان م)
جهة الغرب سواحل البحرين واليمامه وعمان والشحر والاحقاف عند مبدئه
وفيما بين بحر فارس والقلزم هى جزيرة العرب كانها داخله من البر فى البحر
ويحيط بها البحر الحبشى من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق
ويفضى الى العراق فيما بين الشام والبصرة على الف وخمس مايه ميل بينهما
وهناك الكوفة والقادسيه وبغداد وايوان كسرى والحيرة ووراء ذلك
امم الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم وفى جزيره العرب بلاد الحجاز فى
جهة الغرب منها وبلاد اليمامه والبحرين وعمان فى جهة الشرق منها
وبلاد اليمن فى جهة الجنوب منها وسواحله على البحر الحبشى قالوا وفى
هذا المعمور بحر اخر منقطع عن سائر البحار فى ناحيه الشمال وبارض الديلم
يسمى بحر جرجان وطبرستان طول الف ميل فى عرض ستمايه ميل فى غربيه
اذربيجان والديلم وفى شرقيه ارض الترك وخوارزم وفى جنوبيه طبرستان
وفى شماليه ارض الخزر واللان

هذه جملة البحار المشهورة التى ذكرها اهل الجغرافيا

قالوا وفى هذا الجزء المعمور انهار كثيرة
اعظمها اربعة انهار وهى النيل والفرات ودجله ونهر بلخ وهو المسمى
جيحون واما النيل فمبدوه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست
عشرة درجة وعلى سمت الجزء ... وراء خط الاستواء بست عشرة درجة
وعلى سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل القمر ولا يعلم فى الارض

جبل علا منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة هنالك
وبعض في اخرى ثم يخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة
عند خط الاستواء وعلى عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران
يذهب احدهما الى ناحيه الشمال على سمته ويمر ببلاد النوبه ثم بلاد
مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجا وتصب
كلها في البحر الرومي عند الاسكندريه ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد
من شرقيه والواحات من غربيه ويذهب الاخر منعطفا الى المغرب ثم
يمر على سمته الى ان يصب في البحر المحيط وهو نيل السودان وامهم كلهم
على ضفتيه **واما الفرات** فمبدوه من بلاد ارمينيه في الجزء السادس
من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر
بصفين ثم بالرقة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة
وواسط ومن هنالك يصب في البحر الحبشي وتنجلب اليه في طريقه انهار
كثيرة وتخرج منه انهار اخرى تصب في دجلة **واما دجله** فمبدوها
اعين ببلاد خلاط من ارمينيه ايضا وتمر على سمت الجنوب بالموصل
واذربيجان وبغداد الى واسط فتفترق في خلجان تصب كلها في بحيره
البصره وتفضي الى بحر فارس وهو في الشرق عن نهر الفرات وتنجلب اليه
انهار كثيره عظيمه من كل جانب وفيما بين الفرات ودجله من اوله جزيرة
جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتي الفرات وقبالة اذربيجان من
عدوتي دجله **واما نهر جيحون** فمبدوه من بلخ في الجزء الثامن من الاقليم
الثالث من عيون هنالك كثيرة وتنجلب اليه انهار عظام ويذهب من
الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ويخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء
الثامن من الاقليم الخامس فيصب في بحيره الجرجانية التي باسفل مدينتها
وهي مسيرة شهر في مثله واليها ينصب نهر فرغانه والشاش الاتي من بلاد
الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد
بخارى والترمذ وسمرقند ومن هنالك الى ما وراءه بلاد الترك وفرغانة
والخرلخية وامم الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه والشريف
في كتاب رجار وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من البلاد والجبال

الجبال والبحار والاودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به لطوله
ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر وبالاوطان
التي للعرب من المشرق والله الموفق للصواب **تكملة لهذه المقدمة
الثانية في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمرانا من الربع الجنوبي
وذكر السبب في ذلك** نحن نرى بالمشاهدة والاخبار المتواترة ان الاول
والثاني من اقاليم المعمور اقل عمرانا مما بعدهما وما وجد من عمرانه فيتخلله
الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منهما وامم
هذين الاقليمين واناسيهما ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك
والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيهما قليلة والرمال
كذلك او معدومه وامهما واناسيهما تجوز الحد من الكثرة وامصارهما
ومدنهما تجاوز الحد عددا والعمران فيهما متدرج ما بين الثالث و
السادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط
الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرؤس فلنوضح ذلك ببرهانه
ويتبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب
الشمال الى الخامس والسابع فنقول ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي
اذا كانا على الافق فهنالك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هي اعظم
الدوائر المارة من المغرب الى المشرق وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين
في موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة
يومية يحرك بها سائر الافلاك التي في جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة
وكذلك تبين ان للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي
من المغرب الى المشرق وتختلف امادها باختلاف حركات الكواكب في السرعة
والبطء وممرات هذه الكواكب في افلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة
من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة
باثني عشر برجا وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار
على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها
دائرة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار الى الشمال
وهو من اول الحمل الى اخر السنبله ونصف مائل عنه الى الجنوب وهو من اول

من اول الميزان الى اخر الحوت واذا وقع القطبان على الافق فى جميع نواحى
الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دايره معدل النهار
يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد
على ما زعموا فى مبداء الاقليم الاول من الاقاليم السبعه والعمران
كله فى الجهة الشماليه عنه والقطب الشمالى يرتفع على افاق هذا
المعمور بالتدريج الى ان ينتهى ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهنالك
ينقطع العمران وهو اخر الاقليم السابع واذا ارتفع على الافق تسعين درجة
وهى التى بين القطب ودايره معدل النهار صار القطب على سمت الروس
وصارت دايره معدل النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق
الافق وهى الشماليه وستة تحت الافق وهى الجنوبيه والعماره فيما بين
الاربعه والستين الى التسعين ممتنعه لان الحر والبرد حينئذ لا يحصلان
ممتزجين لبعد الزمان بينهما فلا يحصل تكوين فاذن الشمس تسامت
الروس على خط الاستواء فى راس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامتة
الى راس السرطان والى راس الجدى ويكون نهاية ميلها عن دايره معدل
معدل النهار اربعا وعشرين درجه ثم اذا ارتفع القطب الشمالى عن الافق
مالت دايره معدل النهار عن سمت الروس بمقدار ارتفاعه وانخفض
القطب الجنوبى كذلك بمقدار متساو فى الثلثه وهو المسمى عند اهل
المواقيت عرض البلد واذا مالت دايره معدل النهار عن سمت الروس
علت عليها البروج الشماليه متدرجة فى مقدار علوها الى راس
السرطان وانخفضت البروج الجنوبيه عن الافق كذلك الى راس الجدى
لانحرافها الى الجانبين فى افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق الشمالى
يرتفع حتى يصير ابعدُ الشماليه وهو راس السرطان فى سمت الروس وذلك
حيث يكون عرض البلد اربعا وعشرين فى الحجاز وما يليه وهذا هو
الميل الذى مال راس السرطان عن معدل النهار فى افق الاستواء ارتفع
بارتفاع القطب الشمالى حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب اكثر من اربع
وعشرين نزلت الشمس عن المسامته ولا تزال فى انخفاض الى ستين عن المسامته
كذلك وانخفاض القطب الجنوبى عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط

ارتفع
اى الى ان يكون القطب اربعا وتسعين
ويكون انخفاض الشمس م

لافراط البرد والجمد وطول زمانه غير ممتزج بالحر ثم ان الشمس عند
المسامته وما يقاربها تبعث الاشعة على الارض على زوايا قايمة وفيما دون
المسامته على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قايمة
عظم الضوء وانتشر بخلافه فى المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر
عند المسامته وما قرب منها اكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب الحر
والتسخين ثم ان المسامته فى خط الاستواء تكون مرتين فى السنة
عند نقطتى الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل
فى اخر ميلها عند راس السرطان والجدى الا وقد صعدت الى المسامته
فتبقى الاشعة القايمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها او يدوم
فيشتعل الهواء حرارة ويفرط فى شدتها وكذا ما دامت الشمس تسامت
مرتين فيما بعد خط الاستواء الى عرض اربعة وعشرين فان الاشعة ملحة
على الافق فى ذلك الافق بقريب من الحاحها فى خط الاستواء وافراط
الحر يفعل فى الهواء تجفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا افرط الحر جفت
المياه والرطوبات وفسد التكوين فى المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين
لا يكون الا بالرطوبه ثم اذا مال راس السرطان عن سمت الروس فى عرض
خمسه وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامته فيصير الحر الى الاعتدال
او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدريج الى ان يفرط البرد
فى شدته بقلة الضوء وكون الاشعه منفرجة الزوايا فينقص التكوين
ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة
شدة البرد لان الحر اسرع تاثيرا فى التجفيف من تاثير البرد فى الجمد
فلذلك كان العمران فى الاقليم الاول والثانى قليلا وفى الثالث والرابع
والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفى السادس والسابع
كثيرا لنقصان الحر وان كيفيه البرد لا تؤثر عند اولها فى فساد التكوين
كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ
من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران فى الربع الشمالى اكثر واوفر
والله اعلم ومن هنا اخذ الحكماء خلاء خط الاستواء وما وراءه واورد
عليهم انه معمور بالمشاهده والاخبار المتواتره فكيف يتم البرهان

في ذلك والظاهر انهم لم يريدوا امتناع العمران فيه بالكلية انما اداهم
البرهان الى ان فساد التكوين فيه قوي بافراط الحر فالعمران فيه
اما ممتنع او ممكن اقلي وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه
وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا وقد زعم ابن رشد ان خط
الاستواء معتدل وان ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال
فيعمر منه ما عمر من هذا والذي قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين
وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة ان العنصر المائي
غمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من
الجهة الشمالية قابلا للتكوين ولما امتنع المعتدل
لغلبة الماء تبعه ما سواه لان العمران متدرج
ويأخذ في التدريج من جهة الوجود لا من
جهة الامتناع واما القول بامتناعه
في خط الاستواء فيرده النقل
المتواتر والله اعلم وهذه
صورة الجغرافيا ونتلوها
الكلام عليها مفصلا
تمت

بفصل

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

اعلم ان الحكماء قسموا هذا المعمور
كما تقدم ذكره بسبعة اقسام من الجنوب الى الشمال يسمون كل قسم منها اقليما
فانقسم المعمور من الارض كله بهذه السبعة الاقاليم كل واحد منها آخذ
من الغرب الى الشرق على طوله فالاول منها مار من الغرب الى الشرق مع خط
الاستواء بحده من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا القفار والرمال
وبعض عمارة ان صحت فهي كلا عمارة ويليه من جهة شماليه الاقليم الثاني
ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران
في جهة الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار الى ان ينتهي الى البحر
المحيط كالحال فيما وراء الاقليم الاول في جهة الجنوب ثم ان ازمنة الليل
والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار
وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك
وينتهي اطول الليل والنهار في آخر الاقليم الاول وذلك عند حلول الشمس
برأس الجدي لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما الى ثلث عشرة ساعة
وكذلك في آخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال ينتهي اطول النهار فيه عند حلول
الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفي الى ثلث عشرة ساعة ونصف
ساعة ومثله اطول الليل عند منقلبها الشتوي برأس الجدي ويبقى
الاقصر من النهار والليل ما يبقى بعد الثلاثة عشر ونصف من جملة اربعة
وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك
الكاملة وكذلك في آخر الاقليم الثالث مما يلي الشمال ايضا ينتهيان الى
اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي
آخر السادس الى خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر السابع الى ست عشرة
ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من
ليلها ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم تتزايد من اوله في ناحية الجنوب
الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد واما عرض البلدان
في هذه الاقاليم وهو عبارة عن بعد ما بين سمت راس البلد ودائرة
معدل النهار الذي هو سمت خط الاستواء وبمثله سواء ينخفض
القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهي

وخمسة وثمانين والخامس الفين وخمسماية وعشرين والسادس الفين وثمانمائة واربعين والسابع ثلثة آلاف ومائة وخمسين
ثم ان ازمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع قطب الشمال عن افاقها فيتفاوت قوس
النهار والليل لذلك وينتهي اطول الليل والنهار في اخر الاقليم الاول عند حلول الشمس براس الجدي وبراس السرطان [illegible] لكل واحد منهما عند
بطليموس الا اثنى عشرة ساعة والنصف وينتهيان في اخر الاقليم الثاني الى ثلث عشرة ساعة وفي اخر الاقليم الثالث الى ثلث عشرة
ساعة والنصف وفي اخر الرابع الى اربع عشرة ساعة وفي اخر الخامس بزيادة نصف ساعة وفي اخر السادس الى خمس عشرة ساعة
وفي اخر السابع بزيادة نصف ساعة

[illegible]

وهي ثلثه ابعاد متساويه تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل

والمتكلمون على هذه الجغرافيا

قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعه في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساويه ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلاد والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الان نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب نزهه المشتاق الذي الفه العلوي الادريسي الحمودي لملك صقليه من الافرنج وهو رجار بن رجار عندما كان نازلا عليه بصقليه بعد خروج سلفه من امارة مالقه وكان تاليفه للكتاب في منتصف المايه السادسة وجمع له كتبا جمه للمسعودي وابن خرداذبه والحوقلي والعذري واسحق المنجم وبطليموس وغيرهم ونبدا منها بالاقليم الاول الى اخرها

الاقليم الاول وفيه من جهة غربيه الجزاير الخالدات التي منها بدا بطليموس باخذ اطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط وهي جزر متكثره اكبرها واشهرها ثلثه ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفاين من الافرنج مرت بها في اواسط هذه المايه وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمه السلطان فلما تعلموا اللسان العربي اخبروا عن حال جزيرتهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وماشيتهم المعز وقتالهم بالحجاره يلوحونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت لا يعرفون دينا ولم تبلغهم دعوة ولا توقف على مكان هذه الجزاير الا بالعثور لا بالقصد اليها لان سفر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابها والى اين توصل اذا مرت على الاستقامه من البلاد التي في ممر ذلك المهب واذا اختلف المهب وعلم حيث توصل على الاستقامة حوذي به القلع محاذاة تحمل السفينه بها على قوانين في ذلك محصله عند النواتيه والملاحين الذين هم رؤسا السفن في البحر والبلاد التي حفا في البحر الرومي بعدوتيه مكتوبه كلها في صحيفه على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفه ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون في اسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك لا تلجج فيه السفن لانها ان غابت عن مراي السواحل فقل ان تهتدي الى الرجوع مع ما ينعقد في جو هذا البحر وعلى صفح مايه من الابخرة المانعه للسفن في سيرها وهي لبعدها لا تدركها اضواء الشمس المنعكسه من سطح الارض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها **واما الجزء الاول من هذا الاقليم** ففيه مصب النيل الاتي من مبدائه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليل وعلى هذا النيل مدينه سلي وتكرور وغانه وكلها لهذا العهد في مملكة اهل مالي من امم السودان والى بلادهم يسافر تجار المغرب الاقصى وبالقرب منها من شماليها بلاد لمتونه وساير طوايف الملثمين ومفاوز يجولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان يقال لهم لملم وهم كفار ويكتوون في وجوههم واصداغهم واهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب ومنهم عامه رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الا اناسي اقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافي والكهوف ويأكلون العشب والحبوب غير مهيئة وربما ياكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحرا المغرب مثل توات وتيكورارين ووادي كلان وكان في غانه فيما يقال ملك ودوله لقوم من العلويه يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن ابن حسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدوله لهذا العهد وصارت غانه لسلطان مالي وفي شرقي هذه البلاد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني وكان لكوكو ملك قايما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي واصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت هنالك نذكرها عند ذكر دولة اهل مالي في محلها من تاريخ

ملثمين نسخة

وبرادوكلان نسخة

[illegible] وعرض [illegible] الاقليم الاول [illegible] وثلث عشرة دقيقة والثاني السبع وعشرين
وثلث عشرة دقيقة والثالث الثلث وثلثين وتسع وثلثين دقيقة والرابع الثماني
وثلثين وثلث وعشرين دقيقة والخامس اثنتان واربعين وثمان وخمسين دقيقة
والسادس السبع واربعين ودقيقتين والسابع الخمسين وخمس واربعين دقيقة هذا
ما حضرني من اختلافهم في العروض والساعات والاميال لهذه الاقاليم والله خالق كل شيء وقدره تقديرا

هكذا وجد في نسخة منقولة من الاصل بخط الفاضل القطري

ولكارة نسخة

البربر وفي جنوبي بلاد كوكو بلاد كانم من امم السودان وبعدهم ونقاره على ضفة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونقاره وكانم بلاد زغاوه وتاجرة المتصله بارض النوبه في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيها يمر نيل مصر ذاهبا من مبدائه عند خط الاستواء الى البحر الرومي في الشمال ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجه واختلفوا في ضبط هذه اللفظه فبعضهم بفتح القاف والميم نسبه الى قمر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوءه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبه الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينهما ستة اميال ويخرج من كل واحده من البحيرتين ثلثة انهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة في اسفلها جبل معترض تشق البحيرة من ناحيه الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي منه الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى الشمال على بلاد الحبشه والنوبه وفيما بينهما وينقسم في ارض مصر من اعلاها فتصب ثلثه من جداوله في البحر الرومي عند الاسكندريه ودمياط ورشيد ويصب واحد في بحيرة ملحة قبل ان يتصل بالبحر وفي وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبه والحبشه وبعض بلاد الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبه مدينه دنقلة وهي من غربي هذا النيل وبعدها علوه وبلاق وبعدها جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبه فينفذ فيه النيل ويصب في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان ثنتي عشرة مرحله والواحات في غربيها عدوة النيل وهي الان خراب وبها اثار العمارة القديمه وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد الحبشه على واد ياتي من وراء خط الاستواء ذاهبا الى ارض النوبه فيصب هنالك في النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطليموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من

ويمر قبالة مقدشو التي في جنوب البحر الهندي كا

من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس ينتهي بحر الهند الذي يدخل من ناحيه الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزاير التي في داخله وهي متعدده يقال تنتهي الى الف جزيره او فيما على سواحله الجنوبيه وهي اخر المعمور في الجنوب او فيما على سواحله من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الاول الا طرف من بلاد الصين في جهة الشرق وبلاد اليمن في الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من البحر الهندي الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر في شرقيها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز واليمامه وما اليهما كما نذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذي على ساحل هذا البحر من غربيه فبلد زالغ من اطراف بلاد الحبشه ومجالات البجة في شمالي الحبشه ما بين جبل العلاقي الذي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي وتحت بلد زالغ من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هنالك بمزاحمة جبل المندب الماثل في وسط البحر الهندي ممتدا مع ساحل اليمن الغربي من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك الى ان يصير في عرض ثلثة اميال او نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك وقبالته من غربيه مجالات البجه من امم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في هذا الجزء تهايم اليمن ومنها على ساحله بلد علي بن يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالغ وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربرا يتلو بعضها بعضا وتنعطف مع جنوبيه الى اخر الجزء السادس ويليها هنالك من جهة شرقيها بلاد الزنج ثم بلاد سفالة على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي بلاد سفاله من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى اخر الجزء العاشر من هذا الاقليم وعند مدخل هذا البحر من البحر المحيط واما جزاير هذا البحر فكثيرة ومن اعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلا منه وهي قبالة سفاله ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيله تبدأ من قبالة ارض سفاله وتذهب الى الشرق منحرفه بكثير

الى ارض مصر ٢

وبعدها مدينة مقدشو وهي مدينة مستبحرة العمارة بدوية الاحوال كثيرة التجار على ساحل البحر الهندي من جنوبه ثم يليها شرقا كا

الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالى الصين وتحتف بها فى هذا البحر من جنوبيها جزاير الواق واق ومن شرقيها جزاير السيلا الى جزاير اخرى فى هذا البحر كثيره العدد وفيها انواع الطيوب والافاوه وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامه اهلها على دين المجوسيه وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزاير من احوال العمران عجايب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الشماليه من هذا البحر وفى الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها فمن جهه بحر القلزم بلد زبيد والمهجم وتهامه اليمن وبعدها شرقا بلد صعده مقر الدولة الزيديه وهى بعيده عن البحر الجنوبى وعن البحر الشرقى وفيما بعد ذلك مدينه عدن وفى شماليها صنعا وبعدهما الى الشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر مابين البحر الجنوبى وبحر فارس وهذه القطعه من الجزء السادس هى التى انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من التاسع واكثر منه من العاشر فيه اعالى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينه خانكو وقبالتها من جهة الشرق جزاير السيلا وقد تقدم ذكرها وهذا اخر الكلام فى الاقليم الاول

الاقليم الثانى

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة الغرب منه فى البحر المحيط جزيرتان من الجزاير الخالدات التى مر ذكرها وفى الجزء الاول والثانى منه فى الجانب الاعلى منهما ارض قمنورية وبعدها فى جهة الشرق اعالى ارض غانه ثم مجالات زغاوة من السودان وفى الجانب الاسفل منهما صحراء نيسر متصلة من المغرب الى المشرق ذات مفاوز يسلك فيها التجار مابين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملثمين من صنهاجه وهم شعوب كثيره مابين كدالة ولمتونه ومسوفه ولمطه ووتريكه وعلى سمت هذه المفاوز شرقا ارض فزان ثم مجالات ازكار من قبايل البربر ذاهبة الى اعالى الجزء الثالث على سمتها فى الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان ثم قطعة من ارض التاجوين وفى اسافل هذا الجزء الثالث وهى جهة الشمال منه بقيه ارض ودان وعلى سمتها شرقا ارض سنترية وتسمى الواحات الداخله وفى الجزء الرابع من اعلاه بقية ارض التاجوين ثم يعترض فى وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حفافى النيل الذاهب من مبدائه فى الاقليم الاول الى مصبه فى البحر فيمر فى هذا الجزء بين الجبلين الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت وتتصل كذلك حفافيه الى اسيوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك على شعبين ينتهى الايمن منهما فى هذا الجزء عند اللاهون والايسر عند دلاص وفيما بينهما اعالى ديار مصر وفى الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب وذاهبه فى الجزء الخامس الى ان ينتهى الى بحر ارض السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندى فى الجنوب الى جهة الشمال وفى عدوته الشرقيه من هذا الجزء ارض الحجاز من جهة جبل يلملم الى بلد يثرب وفى وسط الحجاز بلد مكه شرفها الله وفى ساحلها مدينه جدة تقابل فى العدوة الغربيه من هذا البحر وفى الجزء السادس من غربيه بلاد نجد اعلاها فى الجنوب جرش وتبالة الى عكاظ من الشمال وتحت بلاد نجد من هذا الجزء بقيه ارض الحجاز وعلى سمتها فى الشرق بلاد نجران وجند وتحتهما بلاد اليمامه وعلى سمت نجران فى الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وتنتهى الى بحر فارس وهو البحر الثانى الهابط من البحر الهندى الى الشمال كما مر ويذهب فى هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيمر مابين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثه عليها من اعلاه مدينه قلهات وهى ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها فى اخر الجزء وفى الجزء السابع ثم فى الاعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعه الاخرى فى السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلى كله وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران ويقابلها بلاد الطوبران وهى من السند ايضا فيتصل السند كله فى الجانب الغربى من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين ارض الهند ويمر فيه نهره الاتى من ناحيه بلاد الهند ويصب فى البحر الهندى فى الجنوب واول بلاد الهند على ساحل البحر الهندى وفى سمتها شرقا بلاد بلهرا وتحتها الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من الهند اعالى بلاد سجستان وفى الجزء الثامن من غربيه بقيه بلاد بلهرا من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد

منبار في الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب الاسفل
ارض كابل وبعدها شرقا الى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشمير الداخلة
وقشمير الخارجة عند اخر الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه
بلاد الهند الاقصى وتتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل من اعلاه الى العاشر
ويبقى في اسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة خيفون
ثم تتصل بلاد الصين في الجزء العاشر كله الى البحر المحيط

الاقليم الثالث وهو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الاول
وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر
المحيط الى الشرق عند اخره ويسكن هذا الجبل من البربر امم لا يحصيهم
الا خالقهم حسبما يأتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم
الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة وتتصل به شرقا بلاد سوس
ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعه ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء
نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد
كلها في هذا الجزء وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية
الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي وفي
هذه الناحية منه امم المصامدة فهسكورة عند البحر المحيط ثم هنتاتة
ثم تينملل ثم كدميوة ثم هسكورة وهم اخر المصامدة فيه ثم قبائل
صناكة وهم صنهاجة ثم في اخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة
ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامة وبعد ذلك
امم اخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة
غربيه مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه ففي الناحية الجنوبية
منها بلاد مراكش واغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة
سلا وفي الشرق الجوفي عن بلاد مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر
كتامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف اهلها وعلى ساحل البحر
المحيط منها بلدا اصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب
الاوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين و
وهران والجزاير لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة

طنجة في الناحية الغربية من الجزء الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد
الشام فاذا خرج من الخليج المتضايق غير بعيد انفسح جنوبا وشمالا فدخل
في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان على ساحله من هذا الاقليم الثالث
الكثير من بلاده ثم يتصل ببلد الجزاير من شرقيها بلد بجاية في ساحل البحر ثم
قسنطينة في الشرق عنها وفي اخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر وفي
جنوبي هذه البلاد ومرتفعا الى جنوب المغرب الاوسط بلد اشير ثم بلد
المسيلة ثم الزاب وقاعدته بسكرة ثم تحت جبل اوراس المتصل بدرن كما مر
وذلك عند اخر هذا الجزء من جهة الشرق **والجزء الثاني** من هذا الاقليم
على هيئة الجزء الاول يمر جبل درن على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه
من غرب الى شرق فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله
فالقطعة الجنوبية عن جبل درن غربيها كله مفاوز وفي الشرق منها بلد
غدامس وفي سمتها شرقا ارض ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مر
والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في المغرب
منها جبل اوراس وتبسة والاربس وعلى ساحل البحر بلد بونة ثم في سمت
هذه البلاد شرقا بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة
ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر
وقفصة ونفزاوة وفيما بينها وبين سواحل مدينة القيروان وجبل
وسلات وسبيطلة وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقا بلد طرابلس على
البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبال دمر ونقرة من قبائل هوارة متصلة
بجبل درن وفي مقابلها غدامس التي مر ذكرها في اخر القطعة الجنوبية
واخر هذا الجزء في الشرق سويقة ابن مثكود على البحر وفي جنوبها مجالات
العرب في ارض ودان **والجزء الثالث** من هذا الاقليم يمر فيه ايضا جبل
درن الا انه ينعطف عند اخره الى الشمال ويذهب على سمته الى ان يدخل
في البحر الرومي ويسمى هنالك طرف اوثان والبحر الرومي من شماليه يغمر
طائفة منه الى ان تضايق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء الجبل
في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض ودان ومجالات العرب فيها ثم
زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار الى اخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل

يبتدي من طنجة الى القصر الصغير ثم سبتة ثم بادس ثم غساسة ثم

بجبل تيطري

نفزاوة

والبحر في الغرب منه بلد سُرت على البحر ثم خلاد وقفار يجول فيها العرب
ثم اجدابيه ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طليثه على البحر هنالك ثم شرق
المنعطف من الجبل مجالات هيب ورواحه الى اخر الجزء وفي الجزء الرابع
من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربه صحارى برنيق واسفل منها بلاد هيب

برنيق خ

ورواحة ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طايفه منه ذاهبا الى
الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه وبين اخر الجزء قفار تجول فيها
العرب وعلى سمتها شرقا بلاد الفيوم وهي على مصب احد الشعبين من النيل
الذي يمر على اللاهون من بلد الصعيد وفي الجزء الرابع من الاقليم الثاني
ويصب في بحيرة الفيوم وعلى سمته شرقا ارض مصر ومدينتها الشهيرة
على الشعب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد عند اخر الجزء الثاني
ويفترق هذا الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين اخرين من
شطنوف وزفته وينقسم الايمن منهما من قرط بشعبين اخرين ويصب
جميعها في البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلد اسكندريه وعلى
مصب الوسط بلد رشيد وعلى مصب الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة
وبين هذه السواحل البحريه اسافل الديار المصريه كلها محشوة
عمرانا وفلحا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على
ما اصف وذلك ان بحر القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس
لانه في ممره من البحر الهندي الى الشمال ينعطف اخذا الى جهة الغرب فتكون
قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة تنتهي في الطرف الغربي منه الى
السويس وعلى هذه القطعه بعد السويس جبال فاران ثم جبل الطور ثم
ايلة بلد مدين ثم الحوراء في اخره ومن هنالك ينعطف ساحله الى الجنوب
في ارض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي الناحية
الشماليه من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيرا من غربية عليها
الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فتضايق ما بينهما من هنالك
وبقي شبه الباب مفضيا الى ارض الشام وفي غربي هذا الباب فحص
التيه ارض جرداء لا تنبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر
وقبل دخولهم الى الشام اربعين سنه كما قصه الله تعالى وفي هذه

هذه القطعه من البحر الرومي في هذا الجزء طايفه من جزيره قبرص
وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعه عند الطرف
المضايق لبحر السويس بلد العريش وهو اخر بلد الديار المصريه وعسقلان
وبينهما طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة في انعطافها من هنالك
الى الاقليم الرابع عند طرابلس وعرقة وهنالك منتهى البحر الرومي في
جهة الشرق وعلى هذه القطعه اكثر سواحل الشام ففي شرقي عسقلان
وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم

وقيسارية مخففة بلد بفلسطين وبلد بالروم ق

صور ثم صيدا ثم عرقه ثم ينعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل
هذه البلاد الساحليه من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل
ايلة من بحر القلزم ويذهب في ناحيه الشمال منحرفا عن الشرق الى ان يجاوز
هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكانه حاجز بين ارض مصر والشام ففي طرفه

وجبل اللكام كغراب ورمان بيات حماة وشيزر وافاميه ويمتد شمالا الى المصيصه والثغور وبكاس وينتهي عند انطاكيه قاموس

عند ايله العقبة التي يمر عليها الحاج من مصر الى مكه ثم بعدها في ناحيه
الشمال مدفن الخليل عليه السلام عند جبل السراة يتصل من عند جبل اللكام
المذكور من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا وفي شرقيه
هنالك بلد الحجر وديار ثمود وتيماء ودومة الجندل وهي اسافل الحجاز وفوقها
جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل السراة
وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينه القدس عند جبل اللكام
ثم الاردن ثم طبريه وفي شرقها بلاد الغور الى اذرعات وعلى سمتها شرقا

وحوران لها

دومة الجندل اخر هذا الجزء وهي اخر الحجاز وعند منعطف جبل اللكام الى
الشمال من اخر هذا الجزء مدينه دمشق مقابلة صيدا وبيروت من القطعه
البحريه وجبل اللكام يعترض بينهما وعلى سمت دمشق في الشرق مدينه بعلبك
ثم مدينة حمص في الجهه الشماليه اخر الجزء وعند منقطع جبل اللكام وفي
الشرق عن بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات الباديه الى اخر الجزء وفي
الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامه ما بين
جبل العرج والصمان الى البحرين وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء
تحت المجالات بلد الحيره والقادسيه ومغايض الفرات وفيما بعدها شرقا
مدينه البصره وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس عند عبادان والابلة في اسافل

الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجله بعد ان ينقسم بجداول
كثيرة وتختلط به جداول اخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان
وتصب في بحر فارس وهذه القطعه من البحر متسعة في اعلاه متضايقة
لاخره وفي شرقيه وضيقة عند منتهاه متضايقه للحد الشمالي منه وعلى
عدوتها الغربيه اسافل البحرين وهجر والاحساء وفي غربيها الخط والقطيف
وبقية ارض اليمامه وعلى عدوته الشرقيه سواحل فارس فمن اعلاها
وهو من عند اخر الجزء من الشرق على طرف قد امتد من هذا البحر مشرقا وورآه
الى الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل
بلد سيراف ونجيرم على ساحل هذا البحر وفي شرقيه الى اخر الجزء وتحت هرمز
بلاد فارس مثل سابور ودارابجرد وفسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي
قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان
ومنها الاهواز وتستر وجندي سابور والسوس ورام هرمز وغيرها
وارجان وهي حد بين فارس وخوزستان وفي شرقي بلاد خوزستان جبال
الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراءها في ارض
فارس وتسمى الزموم وفي الجزء السابع ثم في الاعلا منه من الغرب بقية جبال
القفص ويليها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودان
والشيرجان وجيرفت ويزدشير والفهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقية
بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينه اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين
غربه وشماله ثم في الشرق عن ارض كرمان وبلاد فارس ارض سجستان في الجنوب
وارض كوهستان في الشمال عنها وتتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان
وكوهستان في وسط هذا الجزء المفازة العظمى القليلة المسالك لصعوبتها
ومن مدن سجستان بست والطاق واما كوهستان فهي من بلاد خراسان
ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان اخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه
وجنوبه مجالات الخلج من امم الترك متصلة بارض سجستان من غربها وبارض
كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور وبلادها
وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي اخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم
في الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان

القرامطة وآخذ أبو سعيد بلد هجر وآخذ أبو حجاج او غيرها وآخذ خرشاف بلد سيف البحرين وآخذ ابن وهب بلد الرقعا ودوخصه أرض كجار بن فارس

الزموم

وقاشان وبوشنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان وتنتهي خراسان
هنالك الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان في غربيه مدينة بلخ
وفي شرقيه مدينه الترمذ ومدينه بلخ كانت كرسي مملكة الترك وهذا النهر
جيحون مخرجه من بلاد وخان في حدود بدخشان مما يلي الهند ويخرج من
جنوب هذا الجزء عند اخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء
ويسمى هنالك نهر خرناب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب
على سمته الى ان يصب في بحيرة خوارزم في الاقليم الخامس كما يذكر ويمده
عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب الى الشمال خمسه انهار عظيمه
من بلاد الختل والوخش من شرقيه وانهار اخرى من جبال البتم من شرقيها ايضا
وجوفي الختل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدة
نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء
فيمر مغربا بانحراف الى الشمال ويعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط
الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء
التاسع قريبا من شمالي هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقيه
الجنوبيه من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الختل وليس فيه الا
مسلك واحد في وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى
سدا وبنى له بابا كسد ياجوج وماجوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت
واعترضه هذا الجبل فينفذ تحته في مدى بعيد الى ان يمر ببلاد الوخش
ويصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر هابطا الى الترمذ في الشمال الى
بلاد الجوزجان وفي الشرق عن بلاد الغور فيما بينه وبين نهر جيحون
بلاد النامبان من خراسان وفي العدوة الشرقيه هنالك من النهر
بلاد الختل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال
البتم تخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل
طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب
كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه
الجبال وانهار اخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من
الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من جبال البتم

نهر ه

الذي خلفه صح
الفضل صح
اخرى تصب صح

من مبدانه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى جنوب النهر من
غربيه بلد آمل من خراسان وفي شرقي النهر هنالك ارض الصغد واشروسنه
من بلاد الترك وفي شرقها ارض فرغانه ايضا الى اخر الجزء شرقا وكل بلاد
الترك هذه تحوزها جبال البتم الى شماليها وفي الجزء التاسع من غربيه
ارض التبت الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد الهند وفي شرقها بلاد
الصين الى اخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد
الخزلجيه من الترك الى اخر الجزء شمالا ويتصل بها من غربيها ارض فرغانه
ومن شرقها ارض التغزغز من الترك الى اخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء
العاشر في الجنوب منه جميعا بقيه الصين واسافله وفي الشمال بقيه بلاد
التغزغز ثم شرقا عنهم بلاد خرخير من الترك ايضا الى اخر الجزء شرقا وفي الشمال
عن ارض خرخير بلاد كيماك من الترك وقبالتهما في البحر المحيط جزيرة الياقوت — جزيرة الياقوت
في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه
من خارجه صعب في الغايه وبالجزيرة حيات قتاله وحصى من الياقوت
كثير فيحتال اهل تلك الناحيه في استخراجه بما يلهمهم الله اليه وهذه
البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجبال كلها
مجالات للترك امم لا تحصى وهم ظواعن رحاله اهل ابل وشاء وبقر وخيل
للنتاج والركوب والاكل وطوايفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم
مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم الدانين بالمجوسيه
فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق
الاقليم الرابع يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الاول منه في غربيه — اقليم رابع
قطعة من البحر المحيط مستطيله من اوله جنوبا الى اخره شمالا وعليها
في الجنوب مدينه طنجه ويخرج من هذه القطعه تحت طنجه من البحر المحيط
البحر الرومي في خليج متضايق بمقدار اثني عشر ميلا ما بين طريف والجزيره
الخضرا شمالا وقصر المجاز وسبتة جنوبا ويذهب شرقا الى ان ينتهي
الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم وينفسح في ذهابه بتدريج الى
ان يغمر الاربعة الاجزا واكثر الخامس ويغمر من جانبيه طرفا من الاقليم
الثالث والخامس كما نذكره ويسمى هذا البحر الشامي ايضا وفيه جزاير

جزاير كثيرة اعظمها في جهة الغرب يابسة ثم ميورقه ثم منرقه ثم سردانيه
ثم صقليه وهي اعظمها ثم بلبونس ثم اقريطش ثم قبرص كما نذكرها كلها
في اجزايها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند اخر الجزء الثالث
منه وفي الجزء الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقه يذهب الى ناحيه
الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزء من جوفيه ويمر مغربا الى ان ينتهي
في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه ايضا في اخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم
الخامس خليج القسطنطينيه يمر في الشمال متضايقا في عرض رميه السهم
الى اخر الاقليم ثم يفضي الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى
بحر نيطش ذاهبا الى الشرق في الجزء الخامس كله ونصف السادس من الاقليم
السادس كما نذكر ذلك في اماكنه وعندما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المحيط
في خليج طنجه وينفسح الى الاقليم الثالث وتبقى في الجنوب عن الخليج قطعة
صغيرة من هذا الجزء فيها مدينه طنجه على مجمع البحرين وبعدها سبته
على البحر الرومي ثم تيطاوين ثم بادس ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقا
ويخرج الى الثالث واكثر العماره في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه
وهي كلها بلاد الاندلس الغربيه منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي
اولها طريف عند مجمع البحرين وفي الشرق عنها على ساحل البحر الرومي الجزيرة
الخضرا ثم مالقه ثم المنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط
غربا وعلى مقربه منه شريش ولبله وقبالتهما فيه جزيرة قادس وفي
الشرق عن شريش ولبله اشبيليه ثم استجه وقرطبه ومرتله ثم غرناطه
وجيان وابذه ثم وادياش وبسطه وتحت هذه شنتمريه وشلب على — شنتمريه
البحر المحيط غربا وفي الشرق عنهما بطليوس وماردة ويابرة ثم غافق و
ترجاله ثم قلعه رباح وتحت هذه اشبونه على البحر المحيط غربا وعلى نهر
تاجه وفي الشرق عنها شنترين وقوريه على النهر المذكور ثم قنطرة السيف
ويسامت اشبونه من جهة الشرق جبل الشارات يبدا من الغرب هنالك
ويذهب شرقا مع اخر الجزء من شماليه فينتهي الى مدينه سالم فيما بعد
النصف منه وتحت هذا الجبل طلبيره في الشرق عن قوريه ثم طليطله
ثم وادي الحجاره ثم مدينه سالم وعند اول هذا الجبل فيما بينه وبين اشبونه

بلد فلمريه هذه غرب الاندلس واما شرق الاندلس فعلى ساحل البحر الرومى
منها ثم من بعد المريه قرطاجنه ثم لقنت ثم دانية ثم بلنسيه الى طرطوشه
كونه اخر الجزء فى الشرق وتحتها شمالا لورقه وشقوره يتاخمان بسطه
وقلعة رباح من غرب الاندلس ثم مرسيه شرقا ثم شاطبه تحت
بلنسيه شمالا ثم شقره ثم طرطوشه تحت طركونه اخر الجزء ثم تحت
هذه شمالا ايضا جنجاله ووبذه متاخمتان لشقوره وطليطله
من الغرب ثم افراغه شرقا تحت طرطوشه وشمالا عنها ثم فى الشرق عن
مدينه سالم قلعة ايوب ثم سرقسطه ثم لاردة اخر الجزء شرقا وشمالا
والجزء الثانى من هذا الاقليم غمر الماء جميعه الا قطعة من غربيه
فى الشمال فيها بقيه جبل البرتات ومعناه جبل الثنايا والمسالك
يخرج اليه من اخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبدأ من الطرف
المنتهى من البحر المحيط عند اخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويمر فى الجنوب
بانحراف الى الشرق فيخرج فى هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه
الى هذا الجزء الثانى فيقع فيه قطعة منه يفضى ثناياها الى البر المتصل
وتسمى ارض غشكونية وفيه مدينه جرنده وقرقشونه وعلى ساحل البحر
الرومى من هذه القطعة مدينه برشلونة ثم اربونة وفى هذا البحر الذى
غمر هذا الجزء جزاير كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرها ففى غربيه
جزيرة سردانيه وفى شرقيه جزيره صقليه متسعة الاقطار يقال
ان فى دورها سبع مئة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقوسه
وبلرم وطرابنه ومازر ومسينى وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية وفيما بينهما جزائر تاغودش ومالطه ﺻﻪ جزيرة تاغودش نخ والجزء الثالث من هذا
الاقليم مغمور ايضا بالبحر الا ثلث قطع من ناحيه الشمال الغربيه منها
من ارض قلوريه والوسطى من ارض انكبرده والشرقيه من بلاد البنادقة
والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمور ايضا بالبحر كما مر وجزايره كثيرة واكثرها
غير مسكون كما فى الثالث والمعمور منها جزيرة بلبونس فى الناحيه الغربيه
الشماليه وجزيرة اقريطش مستطيله من وسط الجزء الى ما بين الجنوب
والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم غمر البحر منه مثلثه كبيره
بين الجنوب والغرب ينتهى الضلع الغربى منها الى اخر الجزء فى الشمال و

ولقنت الكبرى والصغرى حصنان بالاندلس ق

شعر خ نترقاه

وينتهى الضلع الجنوبى منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى فى الجانب الشرقى
من الجزء قطعة نحو الثلث يمر الشمالى منها الى الغرب منعطفا مع البحر كما قلنا
وفى النصف الجنوبى منها اسافل الشام ويمر فى وسطها جبل اللكام الى ان
ينتهى الى اخر الشام فى الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقى
الشمالى ويسمى بعد انعطافه جبل السلسله ومن هنالك يخرج الى
الاقليم الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى
جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة الغرب جبال متصل
بعضها ببعض الى ان ينتهى الى طرف خارج من البحر الرومى متاخم الى اخر
الجزء من الشمال وبين هذه الجبال ثنايا تسمى الدروب وهى التى تفضى
الى بلاد الارمن وفى هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل
السلسله فاما الجهة الجنوبيه التى قدمنا ان فيها اسافل الشام وان
جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومى واخر الجزء من الجنوب الى
الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد انطرسوس فى اول الجزء من الجنوب متاخمة
لعرقه وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفى شمال انطرسوس
جبلة ثم اللاذقيه ثم اسكندرونه ثم سلوقيه وبعدها شمالا بلاد الروم
واما جبل اللكام المعترض بين البحر واخر الجزء بحفافيه من بلاد الشام
من اعلى الجزء جنوبا حصن الخوابى من غربيه وهو للحشيشية الاسماعيليه
ويعرفون لهذا العهد بالفداويه ويسمى الحصن مصيات وهو قبالة
انطرسوس شرقا ويقابل هذا الحصن فى شرق الجبل بلد سلميه فى الشمال
عن حمص وفى الشمال عن مصيات بين الجبل والبحر بلد انطاكيه ويقابلها
فى شرق الجبل المعرة وفى شرقها المراغه وفى شمال انطاكيه المصيصه
ثم اذنه ثم طرسوس اخر الشام ويحاذيها من غربى الجبل قنسرين ثم
عين زربة وقبالة قنسرين فى شرق الجبل حلب وتقابل عين زربه
منبج اخر الشام واما الدروب فعن يمينها ما بينها وبين البحر الرومى بلاد
الروم التى هى لهذا العهد للتركمان وسلطانها ابن عثمان وفى ساحل البحر
الرومى منها بلد انطاليه والعلايا واما بلاد الارمن التى بين جبل اللكام
وجبل السلسله ففيها بلد مرعش وملطيه والمعرة الى اخر الجزء شمالا و

حفافيه والكتاب الجانب والازر ق

المصيصة كسفينة بلد بالروم ق

اذنة محركة بلد قرب طرسوس ج

ويخرج من الجزء الخامس في بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان في شرقيه فيمر
نهر جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصه ثم
ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب في البحر الرومي جنوب سلوقيه
ويمر نهر سيحان موازيا لنهر جيحان فيحاذي انقرة ومرعش ويتجاوز جبال
الدروب الى ارض الشام ثم يمر بعين زربه ويجوز عن نهر جيحان ثم ينعطف
الى الشمال ومغربا فيختلط بنهر جيحان عند المصيصه ومن غربها واما بلاد
الجزيره التي يحيط بها منعطف جبل اللكام الى جبل السلسله ففي جنوبها
بلد الرافقه والرقه ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم شميساط
وامد تحت جبل السلسله والخر الجزء من شماله وهو ايضا اخر الجزء من شرقه
ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجله يخرجان من الاقليم
الخامس ويمران في بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوز اجبل السلسله فيمر
نهر الفرات في غربي شميساط وسروج ثم ينحرف الى الشرق فيمر بقرب الرافقه
والرقة ويخرج الى الجزء السادس ويمر دجله في شرق امد وتنعطف قريبا
الى الشرق فيخرج قريبا الى الجزء السادس وفي الجزء السادس من هذا الاقليم
من غربيه بلاد الجزيره وفي الشرق عنها بلاد العراق متصلة بها تنتهي
في الشرق الى قرب اخر الجزء ويعترض اخر العراق هنالك جبل اصبهان هابطا
من جنوب الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من اخره في الشمال
يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمته بجبل السلسلة
في الجزء الخامس فينقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربيه وشرقيه ففي الغربيه
من جنوبها مخرج الفرات من الخامس وفي شمالها مخرج دجله منه اما الفرات
فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج من هنالك جدول الى الشمال
ينساح في ارض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم ينعطف
الى الجنوب فيمر بقرب الخابور الى غرب الرحبه ويخرج منه جدول من هنالك
يمر جنوبا ويبقى صفين في غربه ثم ينعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر
بعضها بالكوفه وبعض بقصر ابن هبيره وبالجامعين ويخرج جميعها في جنوب
الجزء الى الاقليم الثالث فتغوص هنالك في شرق الحيره والقادسيه ويمر
الفرات من الرحبه مشرقا على سمته الى هيت من شمالها ثم الى الزاب والانبار

قرقيسيا بالكسر ويقصر بلد على الفرات سمي بقرقيسيا بن طهمورث ق

والانبار من جنوبهما ثم يصب في دجله عند بغداد واما نهر دجله فاذا
دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرقا على سمته ومحاذيا الجبل
السلسله المتصل بجبل العراق على سمته فيمر بجزيره ابن عمر من شمالها ثم بالموصل
كذلك وتكريت وينتهي الى الحديثه فينعطف جنوبا وتبقى الحديثه
في شرقه والزاب الصغير والكبير كذلك ويمر على سمته جنوبا وفي غرب
القادسيه الى ان ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب
جرجرايا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتتكثر هنالك شعوبه
وجداوله ثم تجتمع وتصب هنالك في بحر فارس عند عبادان وفيما بين
نهر الدجله والفرات قبل مجمعها ببغداد هي بلاد الجزيره ويختلط بنهر
دجله بعد مفارقة بغداد نهر اخر ياتي من الجهة الشرقيه الشماليه عنه
وينتهي الى بلد النهروان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط
بدجله قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين
جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفي شرقها عند الجبل بلد حلوان وصيمره
واما القطعة الغربيه من الجزء فيعترضها جبل يبدا من جبل الاعاجم
مشرقا الى اخر الجزء ويسمى جبل شهرزور ويقسمها بقطعتين وفي الجنوب
من هذه القطعة الصغرى بلد خونجان في الغرب والشمال عن اصبهان
وتسمى هذه القطعه بلاد البهلوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي
شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند اخر الجزء
في القطعة الصغرى الثانيه طرف من بلاد ارمينيه قاعدتها المراغة
والذي يقابلها من جبل العراق يسمى جبل بارما وهو مساكن للاكراد
والزاب الكبير والصغير الذي على دجله من ورائه وفي اخر هذه القطعه
من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز والبيلقان وفي الزاوية الشرقيه
الشماليه من هذا الجزء قطيعة من بحر نيطش وهو بحر الخزر وفي الجزء
السابع من هذا الاقليم في غربيه وجنوبه معظم بلاد البهلوس وفيها
همدان وقزوين وبقيتها في الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها
من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف
من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقيه الذي

وليس هو قطيعة من بحر نيطش بل هو بحيرة مستقلة لا تتصل ببحر نيطش ولا بغيره

مر ذكره هنالك وانه محيط ببلاد البهلوس فى القطعة الشرقيه ويهبط
هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى
هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد البهلوس من شرقيها وتحته هنالك قاشان
ثم قم وينعطف فى قرب المنتصف من طريقه مغربا بعض الشئ ثم يرجع مستديرا
فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل عند
منعطفه واستدارته على بلد الرى فى شرقيه ويبدا من منعطفه جبل
اخر يمر غربا الى اخر الجزء ومن جنوبه هنالك قزوين ومن جانبه الشمال
وجانب جبل الرى المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء
ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة
من بحر طبرستان يدخل من الاقليم الخامس فى هذا الجزء فى نحو النصف
من غربيه الى شرقيه ويعترض عند جبل الرى وعند انعطافه الى الغرب
جبل متصل يمر على سمته شرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل فى الجزء
الثامن من غربيه ويبقى بين جبل الرى وهذا الجبل من عند مبدئهما بلاد
جرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من
هذا الجزء فيها بقيه المفازة التى بين فارس وخراسان وهى فى شرقى
قاشان وفى اخرها عند هذا الجبل بلد استراباذ وحفافى هذا الجبل
من شرقيه الى اخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان ففى جنوب الجبل وشرقى المفازة
بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان اخر الجزء وفى شماله وشرق جرجان بلد مهرجان
وخازرون وطوس اخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفى الشمال عنها
بعيدا بلاد نسا ويحيط بها عند زاويه الجزء بين الشمال والشرق مفاوز
معطلة وفى الجزء الثامن من هذا الاقليم فى غربيه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب
الى الشمال ففى عدوته الغربيه زم وامل من بلاد خراسان والظاهريه والجرجانيه
من بلاد خوارزم ويحيط بالزاويه الغربيه الجنوبيه منه جبل استراباذ
المعترض فى الجزء السابع قبله ويخرج فى هذا الجزء من غربيه ويحيط بهذه
الزاويه وفيها بقية بلاد هراه ويمر الجبل فى الاقليم الثالث بين هراة و
الجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفى شرقى نهر جيحون من
هذا الجزء فى الجنوب منه بلاد بخارا ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم

ثم بلاد اشروسنه ومنها خجنده اخر الجزء شرقا وفى الشمال عن سمرقند و
اشروسنه ارض ايلاق ثم فى الشمال عن ايلاق ارض الشاش ثم الى اخر الجزء شرقا
وتاخذ قطعة من الجزء التاسع فى جنوب تلك القطعة بقيه ارض فرغانه
ويخرج من هذه القطعه التى فى الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا فى
الجزء الثامن الى ان يصب فى نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن
فى شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه فى ارض ايلاق نهر ياتى من الجزء التاسع
من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع
نهر فرغانه وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبدا من الاقليم الخامس و
ينعطف مشرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بارض
الشاش ثم ينعطف فى الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانه هنالك الى جنوبه
فيدخل فى الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل وسط الجزء بلاد
فاراب وبينه وبين ارض بخارا وخوارزم مفاوز معطلة وفى زاوية هذا
الجزء بين الشمال والشرق ارض خجنده وفيها بلد اسبيجاب وطراز
وفى الجزء التاسع من هذا الاقليم فى غربيه بعد فرغانه والشاش ارض
الخزلجيه فى الجنوب وارض الخلجيه فى الشمال وفى شرقى الجزء كله الى اخره
ارض الكيماكيه وتتصل فى الجزء العاشر كله الى جبل قوقايا اخر الجزء شرقا
وعلى قطعة من البحر المحيط هناك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الامم
كلها من شعوب الترك الاقليم الخامس الجزء الاول منه اكثره مغمور
بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط من هذه الجهة الغربيه
دخل فى الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائره المحيطه بالاقليم
فاما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل المثلث متصلة من هنالك
بالاندلس عليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كانهما ضلعان محيطان
بزاويه المثلثه ففيها من بقيه غرب الاندلس سنترين على البحر عند اول
الجزء من الجنوب والغرب وشنتمرية شرقا عنها وفى جنوبها سمورة وفى
الشرق عن شنتمرية ايلة اخر الجنوب وارض قشتاله شرقا عنها وفيها مدينة ايلة نسخة
شقوبية وفى شمالها ارض ليون وبرغشت ثم وراها فى الشمال ارض جليقيه
الى زاويه القطعة وفيها على البحر المحيط فى اخر الضلع الغربى بلد

شنتياقوب ومعناه يعقوب وفيها من بلاد شرق الاندلس مدينة تُطِيلَه
عند اخر الجزء في الجنوب وشرقا عن قشتاله في شمالها وشرقها وشقة ثم
بَنْبَلُونَة على سمتها شرقا وشمالا وفي غرب بنبلونه قسطاله ثم ناجرة فيما
بينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذيا
للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به ويطرف البحر
من عند بنبلونه في جهة الشرق الذي ذكرناه من قبل انه يتصل في
الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجزا على الاندلس من جهة
الشرق وثناياه ابواب لها تفضي الى بلاد غشكونية من امم الفرنج فمنها
في الاقليم الرابع برشلونه واربونة على ساحل البحر الرومي وجرندة و
قرقشونة ووراءها في الشمال ومنها في الاقليم الخامس طلوشة شمالا
عن جرندة واما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على
شكل مثلث مستطيل زاويته الحادة وراء البرتات شرقا وفيها على البحر
المحيط على راس القطعة التي تتصل بها جبل البرتات بلد بيونة وفي
اخر هذه القطعه في الناحية الشرقية الشماليه من الجزء ارض
بيطو من الفرنج الى اخر الجزء **وفي الجزء الثاني** في الناحية الغربيه منه
ارض غشكونيه وفي شمالها ارض بيطو وبرغش وقد ذكرناهما وفي شرق
بلاد غشكونية قطعة من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس
مايلة الى الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربها داخلة في
جون من البحر وعلى راس هذه القطعه شمالا بلاد جنوة وعلى سمتها
في الشمال جبل منت جون وفي شماله وعلى سمته ارض برغونه وفي الشرق
عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون
داخل من البر في البحر في غربيه بيش وفي شرقيه مدينه رُومَة العظيمه
كرسي ملك الافرنجه ومسكن البابه بترك مر الاعظم وفيها من المباني
الضخمه والهياكل المهوله والكنايس العاديه ماهو معروف الاخبار ومن
عجايبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه
ببلاط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان
بها وفي الشمال عن بلاد رومه بلاد ابرضية الى اخر الجزء وعلى هذا الطرف

ذكر رومه وكيفيتها

الطرف من البحر الذي في جونة رومة بلد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة
بلاد قلوريه من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في
هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى الى
نحو الثلث منه وعليه الكثير من بلاد البنادقة من جنوبه فيما بينه وبين
البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلايه في الاقليم السادس **وفي الجزء الثالث**
من هذا الاقليم في غربه بلاد قلوريه بين خليج البنادقه والبحر الرومي
يدخل جانب من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرجا من
البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء وفي شرقي بلاد قلوريه بلاد انكبردة
في جون بين خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينعطف
الى الغرب محاذيا لاخر الجزء الشمالي ويخرج على سمته من الاقليم الرابع
جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس
الى ان ينتهي قبالة الخليج في شماله في بلاد انكلايه من امم المانيين كما نذكر
وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ما داما ذاهبين الى الشمال بلاد
البنادقة فاذا ذهبا الى الغرب فبينهما بلاد جرواسيا ثم بلاد المانيين
عند طرف الخليج **وفي الجزء الرابع** من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي
خرجت اليه من الاقليم الرابع مضرسه كلها بقطع من البحر تخرج منها الى
الشمال وبين كل ضرسين منها طرف من البر في الجون الذي بينهما وفي اخر
الجزء شرقا خليج القسطنطينيه ثم يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب
على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك شرقا
عن قرب الى بحر نيطش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس
بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينيه في شرقي هذا الخليج
عند اخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسي القياصرة
وبها من اثار البناء والفخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة
التي بين البحر الرومي وخليج القسطنطينيه من هذا الجزء فيها بلاد مقدونية
التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى اخر
الجزء قطعة من ارض باطوس واظنها لهذا العهد مجالات للتركمان
وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بُرْصَا وكانت قبلهم للروم وغلبتهم

برصه

عليها الامم الى ان صارت للتركمان وفى الجزء الخامس من هذا الاقليم
من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفى الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد عمورية
وفى شرق عمورية نهر قباقب الذى يمد الفرات يخرج من جبل هنالك ويذهب
فى الجنوب حتى يخالط الفرات قبل فصوله من هذا الجزء الى ممره فى الاقليم
الرابع وهنالك فى غربيه اخر الجزء مبدا نهر سيحان ثم نهر جيحان غربيه
الذاهبين على سمته وقدمر ذكرها وفى شرقيه هنالك مبدا نهر دجلة
الذاهب على سمته وفى موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفى الزاويه
التى بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذى يبدا منه نهر
دجله بلد ميافارقين ونهر قباقب الذى ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين
احداهما غربية جنوبية وفيها ارض باطوس كما قلناه واسافلها الى اخر
الجزء شمالا ووراء الجبل الذى يبدا منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه
والقطعة الثانية شماليه شرقيه جنوبيه على الثلث فى الجنوب منها
مبدا الدجلة والفرات وفى الشمال بلاد البيلقان متصلة بارض عمورية
من وراء جبل قباقب وهى عريضة وفى اخرها عند مبدا الفرات بلد خرشنة
وفى الزاويه الشرقيه الشماليه قطيعة من بحر نيطش الذى يمده خليج
القسطنطنيه وفى الجزء السادس من هذا الاقليم فى جنوبه وغربيه
بلاد ارمينيه متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانبا الشرق وفيها
بلد ارزن فى الجنوب والغرب وفى شمالها تفليس ودبيل وفى شرقى
ارزن مدينة خلاط ثم بردعة وفى جنوبها باعراف الى الشرق مدينه
ارمينيه ومن هنالك تخرج بلاد ارمينيه الى الاقليم الرابع وفيها هنالك
بلد المراغة فى شرقى جبل الاكراد المسمى بارما وقدمر ذكره فى الجزء السادس
منه ويتاخم بلاد ارمينيه فى هذا الجزء وفى الاقليم الرابع قبله من
جهة الشرق فيهما بلاد اذربيجان واخرها فى هذا الجزء شرقا بلد اردبيل
على قطعة من بحر طبرستان دخلت فى الناحيه الشرقيه من هذا الجزء
من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله فى هذا الجزء قطعة
من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدا من عند اخر هذه القطيعه البحريه
فى الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس وتمر

وتمر فيه منعطفة ومحيطة ببلد ميافارقين وتخرج الى الاقليم الرابع
عند امد وتتصل بجبل السلسلة فى اسافل الشام ومن هنالك تتصل
بجبل اللكام كما مر وبين هذه الجبال الشماليه فى هذا الجزء شبه الابواب
تفضى من الجانبين ففى جنوبيها بلاد الابواب متصله فى الشرق الى بحر
طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب الابواب وتتصل بلاد
الابواب فى الغرب من ناحيه جنوبها ببلاد ارمينيه وبينها فى الشرق
وبين بلاد اذربيجان الجنوبيه بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفى
شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء فى غربيها مملكة السرير وفى الزاويه
الغربيه الشماليه منها وهى زاويه الجزء كله قطيعة ايضا من بحر نيطش
الذى يمده خليج القسطنطنيه وقدمر ذكره وتحف بهذه القطعة
من نيطش بلاد السرير وعليها منها بلد اطرابزنده وتتصل بلاد السرير
بين جبال الابواب والجهة الشماليه من الجزء الى ان تنتهى شرقا الى
جبل حاجز بينهما وبين ارض الخزر وعند اخرها مدينه صول ووراء
هذا الجبل الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهى الى الزاويه الشرقيه
الشماليه من هذا الجزء بين بحر طبرستان واخر الجزء شمالا والجزء
السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغمور ببحر طبرستان وخرج من جنوبه
فى الاقليم الرابع القطعة التى ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان
وجبال الديلم الى قزوين وفى غربى تلك القطعة متصلة بها القطيعة
التى فى الجزء السادس من الاقليم الرابع وتتصل بها من شمالها القطيعة
التى فى الجزء السادس من شرقه انفا وتنكشف من هذا الجزء قطعة عند
زاويته الشماليه الغربيه يصب فيها نهر اتل فى هذا البحر وتبقى من هذا
الجزء فى ناحيه الشرق قطعة منكشفة من البحر هى مجالات للغز من امم
الترك ويحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل من الجزء الثامن ويذهب فى
الغرب الى ما دون وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحر طبرستان
فيحتف به ذاهبا معه الى بقيته فى الاقليم السادس ثم ينعطف مع طرفه
ويفارقه ويسمى هنالك جبل شياه ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم
السادس ثم يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا الطرف

انظر طرابزندة مهم

ويقال لهم الخوز كانه عرب وصارت
خاوه غبنا وشدت الزاء وط

منه هو الذى اعترض فى هذا الجزء بين ارض التترين وارض الخزر واتصلت
ارض الخزر فى الجزء السادس والسابع حفافى هذا الجبل المسمى جبل شياه
كما يأتى والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للغز من امم الترك
وفى الجهة الجنوبيه الغربيه منه بحيرة خوارزم التى يصب فيها نهر
جيحون دورها ثلثمائه ميل وتصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه
المجالات وفى الجهة الشماليه الشرقيه منه بحيرة غرغون دورها
اربع مائة ميل وماؤها حلو وفى الناحية الشماليه من هذا الجزء جبل
مرغار ومعناه جبل الثلج لانه لايذوب فيه وهو متصل باخر الجزء
وفى الجنوب عن بحيره غرغون جبل من الحجر الصلد لاينبت شيا يسمى غرغون
وبه سميت البحيره وتحلب منه ومن جبل مرغار شمالى البحيره انهار لاينحصر
عددها فتصب فيها من الجانبين وفى الجزء التاسع من هذا الاقليم
بلاد اذكش من امم الترك فى غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية وفى حده
من جهة الشرق اخر الجزء جبل قوقايا المحيط بياجوج وماجوج يعترض
هنالك من الجنوب الى الشمال حين ينعطف اول دخوله من الجزء العاشر
وقد كان دخل اليه من اخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتف
هنالك بالبحر المحيط الى اخر الجزء فى الشمال ثم انعطف مغربا فى الجزء العاشر
من الاقليم الرابع الى مادون نصفه واحاط من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية
ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى اخره
وبقيت فى جنوبه قطعة من هذا الجزء مستطيله الى الغرب فيها اخر
بلاد الكيماكيه ثم خرج الى الجزء التاسع فى شرقيه وفى الاعلى منه وانعطف
قريبا الى الشمال وذهب على سمته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه
السد هنالك كما يذكر وبقيت منه القطعة التى احاط بها جبل قوقايا
عند الزاويه الشرقيه الشماليه من هذا الجزء مستطيله الى الجنوب وهى
من بلاد ياجوج وماجوج وفى الجزء العاشر من هذا الاقليم ارض ياجوج
متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا من شرقيه من جنوبه
الى شماله والا القطعة التى يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل
قوقايا حين مر فيه وماسوى ذلك فكله ارض ياجوج الاقليم السادس فالجزء

فالجزء الاول منه غمر البحر الاكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية الشماليه
ثم ذهب مع الناحيه الشرقيه الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحيه الجنوبيه
فانكشفت قطعة من الارض فى هذا الجزء داخلة بين طرفين من البحر المحيط
كالجون فيه وينفسح طولا وعرضا وهى كلها ارض برطانية وفى بابها بين
الطرفين وفى الزاويه الجنوبيه الشرقيه من الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد بيطو
التى مر ذكرها فى الجزء الاول والثانى من الاقليم الخامس والجزء الثانى
من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فمن غربه فى قطعة مستطيلة
اكثر من نصفه الشمالى من شرق ارض برطانية فى الجزء الاول واتصلت بها
القطعة الاخرى فى الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت فى النصف الغربى
منه بعض الشى وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكلطرة وهى جزيرة
عظيمه متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها فى الاقليم
السابع وفى جنوب هذه القطعة وجزيرتها فى النصف الغربى من هذا الجزء
بلاد نرمنديه وبلاد افلاندش متصلين بها ثم بلاد افرنسيه جنوبا
وغربا وبلاد برغونية شرقا عنها وكلها الامم الافرنجه وبلاد الماينين
الشرقى من الجزء فجنوبه بلاد انكلايه ثم بلاد برغونيه شمالا ثم ارض
لهرنكه وشصونيه وعلى قطعة البحر المحيط فى الزاويه الشماليه الشرقيه
ارض افريزه وكلها لامم الماينين وفى الجزء الثالث من هذا الاقليم
فى الناحيه الغربيه بلاد بوانيه فى الجنوب وبلاد شصونيه فى الشمال
وفى الناحيه الشرقيه بلاد انكريه فى الجنوب وبلاد بلونيه فى
الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلا من الجزء الرابع ويمر مغربا بانحراف
الى الشمال الى ان يقف فى بلاد شصونيه اخر النصف الغربى وفى الجزء
الرابع فى ناحيته الجنوبيه ارض جثوليه وتحتها فى الشمال بلاد الرقسيه
ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غربا الى ان يقف فى النصف
الشرقى وفى شرق ارض جثوليه بلاد جرمانيه وفى الزاويه الجنوبيه
الشرقيه ارض القسطنطينيه ومدينتها عند اخر الخليج الخارج من البحر
الرومى وعند مدفعه فى بحر نيطش فتقع قطيعة من بحر نيطش فى
اعالى الناحيه الشرقيه من هذا الجزء ويمدها الخليج وبينهما فى الزاويه

مسناه

بلد مسناة وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبيه منه بحر نيطش يتصل من الخليج اخر الجزء الرابع ويخرج على سمته شرقا فيمر في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول الف وثلثمائة ميل من مبدئه في عرض ستمائه ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحيه الجنوبيه من هذا الجزء من غربها الى شرقها بر مستطيل في غربه هرقليه على ساحل نيطش متصلة بارض البيلقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانيه وقاعدتها سوبلي على بحر نيطش وفي شمال بحر نيطش في هذا الجزء غربا ارض برجان وشرقا بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسيه محيطة ببلاد برجان من شرقها في هذا الجزء ومن شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الجزء السادس من غربه بقية بحر نيطش وينحرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين اخر الجزء شمالا بلاد قمانيه وفي جنوبه ومنفسحا الى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية بلاد اللانيه التي كانت اخر جنوبه في الجزء الخامس وفي الناحيه الشرقيه من هذا الجزء متصل بارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي الزاويه الشرقيه الشماليه ارض بلغار وفي الزاويه الجنوبيه الشرقيه ارض بلنجر تحوزها هنالك قطعة من جبل شياه كويه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقته مغربا فيحوز هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك بجبال الابواب وعليه من ناحيته بلاد الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحيه الجنوبيه ما حازه جبل شياه بعد مفارقته بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى اخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل شياه في الناحيه الغربيه الشماليه ارض برطاس وفي الناحيه الشرقيه من الجزء ارض بشجرت وبجناك امم من الترك وفي الجزء الثامن والناحيه الجنوبيه منه كلها ارض الخلخ من الترك وفي الناحيه الشماليه غربا الارض المنتنة وشرقا الارض التي يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنه مبدأ نهر

نهر اتل من اعظم انهار العالم ومجراه في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس وفي الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتنة من ثلاثة ينابيع تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى اخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من السادس ويخرج منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر نيطش في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل شياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاويه الغربيه الجنوبيه وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ من الترك وهم قفجق وبلاد التركش منهم ايضا وفي الشرق منه بلاد ماجوج يفصل بينهما جبل قوقايا المحيط وقد مر ذكره يبدا من البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى اخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغربا وبانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من جنوبه الى شماله وبانحراف الى الغرب وفي وسطه ها هنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته الى الاقليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه من الجنوب الى ان يلتقي البحر المحيط في شماله ثم ينعطف معه من هنالك مغربا في الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك بقطعة من البحر المحيط في غربيه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القران وقد ذكر عبيد الله ابن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا ان الواثق رأى في منامه كان السد انفتح فانتبه فزعا وبعث سلاما الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى اخره

ياجوج وماجوج

سد ياجوج الذي بناه الاسكندر

على قطعة هنالك من البحر المحيط احاطت به من شرقه وشماله مستطيله
فى الشمال وعريضه بعض الشئ فى الشرق الاقليم السابع والبحر المحيط
قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل
قوقايا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثانى مغموران بالماء
الا ما انكشف من جزيرة انجلطره التى معظمها فى الثانى وفى الاول منها
طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه
فى الجزء الثانى من الاقليم السادس وهى مذكورة هناك والمجاز منها الى البر
فى هذه القطعة بسعة اثنى عشر ميلا ووراء هذه الجزيره فى شمال الجزء الثانى
جزيرة رسلانده مستطيله من الغرب الى الشرق والجزء الثالث
من هذا الاقليم مغمور اكثره بالبحر الا قطعة مستطيلة فى جنوبه وتتسع
فى شرقيها وفيها هناك متصل ارض فلونيه التى مر ذكرها فى الثالث من
الاقليم السادس فانهما فى شماله وفى القطعة من البحر التى تغمر هذا الجزء
ثم فى الجانب الغربى منها مستديرة فسيحه وتتصل بالبر من باب فى جنوبها
يفضى الى بلاد قلونيه وفى شمالها جزيرة برقاغه مستطيله مع الشمال
من الغرب الى الشرق والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر
المحيط من الغرب الى الشرق وجنوبه منكشف فى غربيه ارض فيماززك من الترك
وفى شرقيها بلاد طبست ثم ارض رسلانده الى اخر الجزء شرقا وهى دايمة الثلوج
وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسيه فى الاقليم السادس وفى الجزء الرابع
والخامس منه وفى الجزء الخامس من هذا الاقليم فى الناحية الغربية منه
بلاد الروسيه وتنتهى فى الشمال الى قطعة البحر المحيط التى يتصل بها جبل
قوقايا كما ذكرناه من قبل وفى الناحيه الشرقيه منه متصل ارض القمانيه
التى على قطعة بحر نيطش فى الجزء السادس من الاقليم السادس وتنتهى الى
بحيرة طرمى من هذا الجزء وهى عذبة وتجلب اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب
والشمال وفى شمال الناحيه الشرقيه من هذا الجزء ارض التبانيه من الترك
الى اخره وفى الجزء السادس فى الناحيه الغربيه الجنوبيه متصل بلاد
القمانيه وفى وسط الناحيه بحيره غثون عذبة تجلب اليها الانهار من
الجبال فى النواحى الشرقيه وهى جامدة دايما لشدة البرد الا قليلا فى زمن

فى زمن المصيف وفى شرق بلاد القمانيه بلاد الروسيه التى كان مبداها فى
الاقليم السادس فى الناحيه الشرقيه الشماليه من الجزء الخامس منه وفى
الزاويه الجنوبيه الشرقيه من هذا الجزء بقية ارض بلغار التى كان مبداها
فى الاقليم السادس وفى الناحيه الشرقيه الشمالية من الجزء السادس منه
وفى وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر اتل من القطعة الاولى
الى الجنوب كما مر وفى اخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقايا متصل من
غربه الى شرقه وفى الجزء السابع من هذا الاقليم فى غربه بقية ارض بجناك
من امم الترك وكان مبداها فى الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس
قبله فى الناحية الجنوبية الغربيه من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس
فوقه وفى الناحية الشرقية بقية ارض بسجرت ثم بقية الارض المنتنه
الى اخر الجزء شرقا وفى اخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقايا متصلا من
غربه الى شرقه وفى الجزء الثامن من هذا الاقليم فى الجنوبيه الغربية منه
متصل الارض المنتنه وفى شرقيها الارض المحفورة وهى من العجايب خرق عظيم
فى الارض فسيح الاقطار بعيد المهوى يمتنع الوصول الى قعره يستدل على
عمرانه بالدخان فى النهار والنيران بالليل تضئ وتخفى وربما رئى فيها نهر
يشقها من الجنوب الى الشمال وفى الناحيه الشرقيه من هذا الجزء البلاد الخراب
المتاخمه للسد وفى اخر الشمال منه جبل قوقايا متصلا من الغرب الى الشرق
وفى الجزء التاسع من هذا الاقليم فى الجانب الغربى منه بلاد خفشاخ وهم
قفجق يجوزها جبل قوقايا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب
فى وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج فى الجزء التاسع من الاقليم
السادس ويمر معترضا فيه وفى وسطه هنالك سد ياجوج وماجوج
وقد ذكرناه وفى الناحيه الشرقية من هذا الجزء ارض ماجوج وراء
جبل قوقايا على البحر قليلة العرض مستطيله احاطت به من شرقه وشماله
والجزء العاشر غمره البحر جميعه هذا اخر الكلام على الجغرافيا واقاليمها
السبعة وهو اخر المقدمة الثانية وفى خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار ايات للعالمين

المقدمة الثالثه فى المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتاثير الهواء فى الوان البشر والكثير من احوالهم

ارض محفوره

قد بينا ان المعمور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه الى الجانب
الشمالى لافراط الحر فى الجنوب منه والبرد فى الشمال ولما كان الجانبان
من الجنوب والشمال متضادين فى البرد والحر وجب ان تتدرج الكيفيه
من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران والذى
حفافيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذى يليهما السادس
والثانى بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت
العلوم والصنايع والمبانى والملابس والاقوات والفواكه بل والحيوانات
وجميع ما يتكون فى هذه الاقاليم الثلثه المتوسطه مخصوصه بالاعتدال
وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم
على غاية من التوسط فى مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنايعهم
يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون فى استجادة
الالات والمواعين يذهبون فى ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن
الطبيعيه من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير
ويتصرفون فى معاملاتهم بالنقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف
فى عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والعراقين والصين والسند
وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجه والجلالقه ومن كان مع هؤلاء
او قريبا منهم فى هذه الاقاليم المعتدله ولهذا كان العراق والشام اعدل
هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال
مثل الاول والثانى والسادس والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال فى جميع
احوالهم فبناؤهم بالطين والقصب واقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم
من اوراق الشجر يخصفونها عليهم والجلود واكثرهم عرايا من اللباس وفواكه
بلادهم وادمها غريبة التكوين مايلة الى الانحراف ومعاملاتهم لغير
النقدين الشريفين من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم
مع ذلك قريب من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من السودان اهل
الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض وياكلون العشب وانهم
متوحشون غير مستانسين وانهم ياكل بعضهم بعضا وكذلك الصقالبه
والسبب فى ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم

واخلاقهم من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانيه بمقدار ذلك
وكذلك احوالهم فى الديانه ايضا فلا يعرفون النبوة ولا يدينون بشريعة
الا من قرب منهم من الاعتدال وهو فى الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين
لليمن الدانين بالنصرانيه فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل
مالى وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدانين بالاسلام لهذا
العهد يقال انهم دانوا به فى الماية السابعة ومثل من دان بالنصرانيه
من امم الصقالبه والافرنجه والترك فى الشمال ومن سوى هولاء من اهل
تلك الاقاليم المنحرفه جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود
بينهم وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسى قريبة من احوال البهايم
ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت
والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامه وما اليها من جزيرة العرب فى الاقليم
الاول والثانى فان جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلث
كما ذكرناه فكان لرطوبتها اثر فى رطوبة هوايها فنقص ذلك من اليبس
والانحراف الذى يقتضيه الحر وصار فيها بعض الاعتدال برطوبة البحر
وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبايع الكاينات ان السودان
هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت من ابيه ظهر اثرها
فى لونه وفيما جعل الله من الرق فى عقبه ودعاء نوح على ابنه حام قد
وقع فى التوراة وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان يكون ولده
عبيدا لولد اخويه لا غير وفى القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن
طبيعة الحر والبرد واثرهما فى الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك
ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثانى من مزاج هوايهم للحرارة
المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين فى كل سنه
قريبه احديهما من الاخرى فتطول المسامتة عامة الفصول ويكثر
الضوء لاجلها ويلح القيظ الشديد عليهم فتسود جلودهم لافراط
الحر ونظير هذين الاقليمين فيما يقابلهما من الشمال الاقليم السابع والسادس
شمل سكانهما ايضا البياض من مزاج هوايهم للبرد المفرط بالشمال اذ
الشمس لا تزال بافقهم فى دايرة مراى العين او ما قرب منها فيضعف الحر

ولا ترتفع الى المسامتة ولا ما قرب منها

فيها ويشتد البرد عامة الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهى الى الزعورة ويتبع ذلك مايقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الاقاليم الثلثه الخامس والرابع والثالث فكان لهما فى الاعتدال الذى هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها فى الاعتدال غاية للنهايه فى التوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال فى خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج اهويتهم وتبعه عن جانبيه الخامس والثالث وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلا الى الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك فى خلقهم وخلقهم فالاول والثانى للحر والسواد والسادس والسابع للبرد والبياض وتسمى سكان الجنوب من الاقليمين الاول والثانى باسم الحبشه والزنج والسودان اسما مترادفة على الامة المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشه مختصا منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند وليست هذه الاسما لهم من جهة انتسابهم الى ادمى اسود لاحام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان اعقابهم على التدريج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفى ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء

قال ابن سينا فى ارجوزته فى الطب

بالزنج حر غير الاجسادا حتى كسى جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضعة للاسماء فلم تكن فيه غرابه تحمل على اعتباره فى التسميه لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبه والطغرغر والخزر واللان والكثير من الفرنجه ويأجوج ومأجوج اسما متفرقة واجيالا متعدده مسمين باسماء متنوعة واما اهل الاقاليم المتوسطة اهل الاعتدال فى خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعيه للاعتمار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع

والصنايع والعلوم والرياسات والملك فكانت فيهم النبوات والملل والدول والشرايع والعلوم والبلدان والامصار والمبانى والفراسه والصنايع الفايقه وساير الاحوال المعتدله واهل هذه الاقاليم الذين وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرايل واليونانيين واهل السند والصين ولما راى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتها وشعارها حسبوا ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا فى الوانهم فتكلفوا نقل تلك الحكايه الواهيه وجعلوا اهل الشمال كلهم او اكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدله وهم اهل الوسط المنتحلون للعلوم والصنايع والملل والشرايع والسياسه والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق فى انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لا ان تسمية اهل الجنوب بالسودان والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما اداهم الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم انما يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجيل او للامة يكون بالنسب فى بعضهم كما للعرب وبنى اسرايل والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشان والصقالبه والسودان ويكون بالعوايد والشعاير مع النسب كما للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول فى اهل جهة معينه من جنوب او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من لون او نحلة او سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الاغاليط التى اوقع فيها الغفلة عن طبايع الاكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل فى الاعقاب ولا يجب استمرارها سنه الله فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

المقدمه الرابعة فى اثر الهواء فى اخلاق البشر

قد راينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحمق فى كل قطر والسبب الصحيح فى ذلك انه تقرر فى موضعه من الحكمة ان طبيعة الفرح والسرور هى انتشار الروح الحيوانى وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهى انقباضه وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفشية للهواء والبخار مخلخلة له زايده فى كميته ولهذا يجد المنتشى

من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب
من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى
الروح وتجيء طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات اذا تنفسوا
في هوائها واتصلت حرارة الهواء بارواحهم فتسخنت لذلك حدث لهم
فرح وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان
ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان
في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم
بالقياس الى ارواح اهل الاقليم الرابع اشد حرا فتكون اكثر تفشيا فتكون
اسرع فرحا وسرورا واكثر نشاطا وتجيء الطيش على اثر هذه وكذلك
يلحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف الحرارة
بما ينعكس عليه من اضواء بسيط البحر واشعته كانت حصتهم من توابع
الحرارة في الفرح والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة
وقد نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد الجريدية من الاقليم الثالث لتوفر
الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف والتلول
واعتبر ذلك ايضا باهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجريدية وقريبا
منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم
لا يدخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ماكلهم من اسواقهم ولما كانت
فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف
ترى اهلها مطرقين اطراق الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل
منهم ليدخر اقوات سنين من حبوب الحنطة ويباكر الاسواق لشراء قوته
ليومه مخافة ان يرزأ شيئا من مدخره وتتبع ذلك في الاقاليم والبلدان
تجد في الاخلاق اثرا من كيفيات الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض
المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب
فيهم وحاول تعليله فلم يأت فيه بشيء اكثر من انه نقل عن جالينوس
ويعقوب ابن اسحق الكندي ان ذلك لضعف ادمغتهم وما نشا عنه
من ضعف عقولهم وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء

الريف ما قارب الماء من ارض العرب ق

المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشا عن ذلك من الاثار في ابدان البشر واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد لها الخصب ولا كل
سكانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجد لاهله خصب العيش من الحبوب
والادم والحنطة والفواكه لزكاء المنابت واعتدال الطينة ووفور
العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرعا ولا عشبا بالجملة فسكانها
في شظف من العيش مثل اهل الحجاز واليمن ومثل الملثمين من صنهاجة
الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان
هؤلاء يفقدون الحبوب والادم جملة وانما اغذيتهم واقواتهم
الالبان واللحوم ومثل العرب الجائلين في القفار فانهم وان كانوا ياخذون
الحبوب والادم من التلول الا ان ذلك في الاحايين وتحت ربقة من حاميتها
وعلى الاقلال لقلة وجدهم فلا يتوصلون منه الا الى سد الخلة ودونها
فضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان
وتعوضهم من الحنطة احسن معاض وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين
للحبوب والادم من اهل القفار احسن حالا في جسومهم واخلاقهم
من اهل التلول المتنعمين في العيش فالوانهم اصفى وابدانهم انقى
واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم اثقب
في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثيرا
ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين الملثمين واهل التلول يعرف
ذلك من خبره والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها
تولد في الجسم فضلات ردية ينشا عنها بعد اقطاره في غير نسبة وكثرة
الاخلاط الفاسدة العفنة ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال
من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات على الاذهان والافكار بما
يصعد الى الدماغ من ابخرتها الردية فتجيء البلادة والغفلة والانحراف
عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجدب من
الغزال والمها والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من
حيوان التلول والارياف والمراعي الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا
في صفاء اديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضائها وحدة

مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير والحمار والبقر هو
الحمار والبقر والبون بينهما ما رايت وما ذاك الا لاجل ان الخصب
في التلول فعل في ابدان هذه من الفضلات الرديه والاخلاط الفاسدة
ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها واشكالها
ما شاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فانا نجد اهل الاقاليم المخصبة
العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا
بالبلادة في اذهانهم والخشونة في اجسامهم وهذا شان البربر المنغمسين
في الادم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير او
الذرة مثل المصامدة منهم واهل السوس وغمارة فتجد هولاء احسن
حالا في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين
في الادم والبر مع اهل الاندلس المفقود بارضهم السمن جملة وغالب عيشهم
الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول
التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل الضواحي من المغرب بالجملة مع اهل
الحضر والامصار فان اهل الامصار وان كانوا مكثرين مثلهم من
الادم ومخصبين في العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ
والتلطيف بما يخلطون معها فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها
وعامة ماكلهم لحمان الضان والدجاج ولا يغبطون السمن من بين
الادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخف ما تؤديه
الى اجسامهم من الفضلات الرديه فلذلك تجد جسوم اهل الامصار الطف
من جسوم اهل الباديه المخشنين في العيش وكذلك تجد المتعودين
للجوع من اهل البادية فانهم لا فضلات في جسومهم غليظة ولا لطيفة
واعلم ان اثر هذا الخصب في البدن ليظهر حتى في حال الدين والعبادة
فتجد المتقشفين من اهل البادية والحاضرة ممن ياخذ نفسه بالجوع
والتجافي عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة من اهل الترف
والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في المدن والامصار لما يعمها من
القساوة والغفلة المتصلة بالاكثار من اللحمان والادم ولباب البر
ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من اهل

من اهل البوادي وكذلك نجد حال اهل المدينة الواحدة في ذلك تختلف
باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك نجد هولاء المخصبين العيش
المنغمسين في طيباته لا من اهل البادية ولا من اهل الحاضرة والامصار
اذا نزلت بهم السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر
من غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما بلغنا لا مثل
العرب اهل القفر والصحراء ولا مثل اهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم
التمر ولا مثل اهل افريقيه لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت
واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هولاء وان اخذتهم
السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك ولا يكثر فيهم الهلاك
بالجوع بل ولا يندر والسبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين
للادم والسمن خصوصا تكتسب معاهم من ذلك رطوبة فوق رطوبتها الاصلية
المزاجية حتى يجاوز حدها فاذا خولف بها العادة بقلة الاقوات و
فقدان الادم واستعمال الخشن غير المالوف من الغذاء اسرع الى المعا
اليبس والانكماش وهو عضو ضعيف في الغايه ولهذا عد في المقاتل
فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه بسرعة فالهالكون في المجاعات انما
قتلهم الشبع المعتاد السابق لا الجوع اللاحق واما المتعودون للعيمة
وترك الادم والسمن فلا تزال رطوبتهم الاصليه واقفة عند حدها
من غير زيادة وهي صالحة على جميع الاغذيه الطبيعيه فلا يقع في معاهم
بتبدل الاغذيه يبس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي
يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة الادم في الماكل واصل هذا كله ان تعلم
ان الاغذية وائتلافها او تركها انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذاء
ولايمه تناوله كان له مالوفا وصار الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج
عن غرض الغذاء بالجملة كالسموم واليتوع وما افرط في الانحراف فاما
ما وجد فيه التغذي والملايمة فيصير غذاء مالوفا بالعادة فاذا اخذ
الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضا من الحنطة حتى صار له
ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من
غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام

العيمة شهوة اللبن وعامة العرب تركه بغير لبن ق

كما ينقل عن أهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئا صار من جبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعة لها وما يتوهمه الاطباء من ان الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ ينحسم المعا ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك بتدريج ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدا في الرياضة بالتدريج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصالا واكثر وحضر اشياخنا في دولة السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امراتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا انفسهما عن الاكل جملة منذ سنين وشاع امرهما ووقع اختبارهما فصح شانهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتا ورأينا كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المعزى يلتقم ثديها في بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاءه واستدام ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكرون ذلك واعلم ان الجوع اصلح للبدن من اكثار الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثرا في الاجسام والعقول في صفائها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك باثار الاغذية التي تحصل عنها في الجسوم فقد رأينا المتغذين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثمان تنشا اجيالهم كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل الحاضرة وكذا المتغذون بالبان الابل ولحومها ايضا مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الاثقال الموجود للابل وتنشا امعاؤهم ايضا على نسبة امعاء الابل في الصحة والغلظ فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحنظل قبل طبخه والدرياس والقربيون ولا ينال

ولا ينال امعاءهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل الحضر الرقيقة امعاؤهم بما نشأت عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة و شاهده اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحضن فيجيء دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثير فاذا رأينا هذه الاثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان للجوع ايضا اثارا في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة المخلة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا

اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه اليهم من المعارف ويظهره على السنتهم من الخوارق الاخبار بوقوع الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله تعالى عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصته وضرورته الصدق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع غطيط كانها غشي او اغماء في رأي العين وليست منهما في شيء انما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوي من الكلام فيتفهمه او تتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تنجلي عنه تلك

للحال وقد وعى ما القى عليه قال صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سيل
عن الوحي احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد
وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول ويدركه
اثناء ذلك من الشدة والغط ما لا يعبر عنه فهي الحديث كان مما يعالج من
التنزيل شدة وقالت عايشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون
الانبياء بالجنون ويقولون له رئي او تابع من الجن وانما لبس عليهم
بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ومن يضلل الله فما له من هاد
ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والزكاء
ومجانبة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى العصمة وكانه
مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكانها منافية
لجبلته وفي الصحيح انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء
الكعبة فجعلها في ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر
بازاره ودعي الى مجتمع لوليمة وفيها عرس ولعب فاصابه غشي النوم
الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيا من شانهم بل نزهه الله عن ذلك بجبلته
حتى انه ليتنزه عن المطعومات المستكرهة فقد كان صلى الله تعالى
عليه وسلم لا يقرب البصل ولا الثوم فقيل له في ذلك فقال اني اناجي
من لا تناجون وانظر لما اخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خديجة بحال
الوحي اول ما فجئه واردات اختباره فقالت له اجعلني بينك وبين
ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان
ومعناه انه لا يقرب النساء وكذا سالته عن احب الثياب اليه ان ياتيه
فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك يعني ان الخضرة والبياض
من الوان الخير والملكة والسواد من الوان الشر والشياطين وامثال ذلك
ومن علاماتهم ايضا دعاؤهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة
والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم
بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاجا في امره الى دليل خارج عن حاله وخلقه

وخلقه وفي الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
يدعوه الى الاسلام احضر من وجد ببلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم
عن حاله وكان فيما سال ان قال بم يامركم فقال ابو سفيان بالصلاة و
الزكاة والصلة والعفاف الى اخر ما سال واجابه فقال ان يكن ما
يقول حقا انه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي اشار
اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين
والعبادة دليلا على صحة النبوة ولم يحتج الى معجزة فدل على ان ذلك
من علامات النبوة ومن علاماتهم ايضا ان يكونوا ذوي حسب في قومهم
وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه وفي رواية اخرى
في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين وفي مسائلة هرقل لابي
سفين كما هو في الصحيح قال كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب
فقال هرقل والرسل تبعث في احساب قومها ومعناه ان تكون له عصبية
وشوكة تمنعه من اذى الكفار حتى يبلغ رسالات ربه ويتم مراد الله من اكمال
دينه وملته ومن علاماتهم ايضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم
وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت لذلك معجزة وليست من جنس مقدور
العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية وقوعها ودلالتها
على تصديق الانبياء خلاف فالمتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار
قايلون بانها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند
المعتزلة صادرة عنهم الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي
فيها عند الجميع الا التحدي بها باذن الله وهو ان يستدل بها النبي قبل
وقوعها على صدقه في مدعاه فتتنزل منزلة القول الصريح من الله بانه
صادق وتكون دلالتها على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة مجموع الخارق
والتحدي ولذلك كان التحدي جزءا منها وعبارة المتكلمين صفة نفسها
وهو واحد لانه معنى الذاتي عندهم والتحدي هو الفارق بينها وبين الكرامة
والسحر اذ لا حاجة فيهما الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقا
وان وقع التحدي في الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة فانما هي على
الولاية وهي غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وغيره وقوع الخوارق

كرامة فرارا من الالتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد اريناك
المغايرة بينهما وانه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا لبس على ان
ان النقل عن الاستاذ ليس صريحا وربما حمل على انكار ان تقع خوارق
الانبياء لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه واما المعتزلة
فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من افعال العباد
وافعالهم معتادة فلا خارق واما وقوعها على يد الكاذب تلبيسا
فهو محال اما عند الاشعريه فلان صفة نفس المعجزة التصديق و
الهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة
والقول والتصديق كذبا واستحالت الحقايق وانقلبت صفات النفس
وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا واما عند المعتزلة فلان
وقوع الدليل شبهة والهدايه ضلالة قبيح فلا يقع من الله واما الحكماء
فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم
في الايجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الشروط
والاسباب الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب بالذات الفاعل بالذات
لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور
هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم
مجبول على التصريف في الاكوان متى توجه اليها واستجمع لها بما جعل
الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان التحدي او لم يكن وهو
شاهد بصدقه من حيث دلالته على تصرف النبي في الاكوان الذي
هو من خواص النفس النبوية لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق
فلذلك لا تكون دلالتها عندهم قطعية كما هو عند المتكلمين ولا يكون
التحدي جزءا من المعجزة ولم يصح فارقا لها عن السحر والكرامة وفارقها
عندهم عن السحر ان النبي مجبول على فعل الخير مصروف عن افعال الشر
فلا يلم الشر بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها شر وفي
مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كصعود
السماء والنفوذ في الاجسام الكثيفة واحياء الموتى وتكليم الملائكة
والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل والحديث

والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر عن تصريف الانبياء
ويأتي النبي بمثل خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك
المتصوفه فيما كتبوه في طريقتهم ونقلوه عن مواجدهم واذا تقرر ذلك
فاعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القران الكريم المنزل
على نبينا صلوات الله عليه لان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي
الذي يتلقاه النبي وتاتي به المعجزة شاهدة وهذا ظاهر والقران هو
بنفسه الوحي المدعى وهو الخارق المعجز فدلالته في عينه ولا يفتقر الى
دليل اجنبي عنه كسائر الخوارق مع الوحي فهو اوضح دلالة لاتحاد الدليل
والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء
الا واوتي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا
اوحي الي فانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة يشير الى ان المعجزة
متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي
كان المصدق لها اكثر لوضوحها فكثر المصدق المومن وهو التابع والامة
والله تعالى اعلم **ولنذكر الان تفسير حقيقة النبوة** على ما شرحه
كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شان العرافين
وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول اعلم ارشدنا الله واياك انا نشاهد
هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام
وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض
الموجودات الى بعض لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وابدا
من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني واولا عالم العناصر المشاهد كيف
تدرج صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلا بعضها
ببعض وكل واحد منها مستعد ان يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا
ويستحيل بعض الاوقات والصاعد منها الطف مما قبله الى ان ينتهي
الى عالم الافلاك وهي الطف من الكل وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض
على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يهتدي بعضهم
الى معرفة مقاديرها واوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات
التي لها هذه الاثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدا من المعادن

[illegible]

وبيان ذلك انه قد علم ان القرآن من بين الكتب الالهية
انما تلقاه نبينا عليه السلام متلوا كما هو بكلماته وتراكيبه
بخلاف التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية
فان الانبياء يتلقونها في حال الوحي معاني ويعبرون
عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم
ولذلك لم يكن فيها اعجاز وانما يختص الاعجاز بالقرآن
[illegible]
صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه [illegible]
[illegible] قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرانه [illegible]
[illegible] نزلنا الذكر وانا له لحافظون [illegible]
[illegible]

ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج اخر افق المعادن
متصل باول افق النبات مثل الحشائش وما لا بزر له واخر افق النبات
مثل النخل والكرم متصل باول افق الحيوان كالحلزون والصدف
لم توجد لهما الا قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان
اخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب لان يصير اول افق من الذي
بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدريج التكوين
الى الانسان صاحب الفكر والروية يرتفع اليه من عالم القردة الذي
استجمع فيه الكيس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل
وكان ذلك في اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انا نجد
في العوالم على اختلافها اثارا متنوعة ففي عالم الحس اثار من حركة الافلاك
والعناصر وفي عالم التكوين اثار من حركات النمو والادراك تشهد كلها
بان لها موثرا [مباينا] للاجسام فهو روحاني ومتصل بالمكونات لوجود اتصال
هذه العوالم في وجودها وذلك هو النفس المدركة والمحركة ولا بد فوقها
من موجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضا ويكون
ذواته ادراكا صرفا وتعقلا محضا وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان
يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل
من جنس الملائكة وقتا من الاوقات وفي لمحة من اللمحات وذلك بعد ان
تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق
الذي بعدها شان الموجودات المترتبة كما قدمناه فلها في الاتصال
جهتا العلو والسفل وهي متصلة بالبدن من اسفل منها ومكتسبة
به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل
ومتصلة من جهة الاعلى منها بافق الملائكة ومكتسبة به المدارك
العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود في تعقلاتهم من غير ذواتهم
زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود باتصال ذواته [ذواتهم]
وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان
واثارها ظاهرة في البدن فكانه وجميع اجزائه مجتمعة ومتفرقة الات
للنفس ولقواها اما الفاعلة فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام

والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا واما المدركة وان
كانت قوى الادراك مترتبة ومرتقية الى القوة العليا منها وهي
المفكرة التي يعبرون عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهر بالاته من
البصر والسمع وسائرها ترتقي الى الباطن واوله الحس المشترك وهو
قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيرها في حالة
واحدة وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم
عليها في الوقت الواحد ثم يوديه الحس المشترك الى الخيال وهو قوة
تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجردا عن المواد الخارجة فقط
والة هاتين القوتين في تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدمه
للاولى وموخره للثانية ثم يرتقي الخيال الى الوهمية والحافظة
فالوهمية لادراك المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد
وصداقة عمرو ورحمة الاب وافتراس الذيب والحافظة لايداع
المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالخزانة تحفظها الى
وقت الحاجة اليها والة هاتين القوتين في تصرفهما البطن الموخر
من الدماغ اوله للاولى وموخره للاخرى ثم ترتقي جميعها الى قوة
الفكر والته البطن الاوسط من الدماغ وهو القوة التي تقع بها
حركة الروية والتوجه نحو التعقل فتحرك النفس بها دائما بما ركب
فيها من النزوع الى ذلك التخلص من درك القوة والاستعداد الذي
للبشرية وتخرج الى الفعل في تعقلها متشبهة بالملأ الاعلى الروحاني
وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير الالات الجسمانية
فهي متحركة دائما ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالكلية من البشرية
وروحانيتها الى الملائكة من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله
بلغ وسعد فيها من الجبلة والفطرة الاولى في ذلك والنفوس البشرية في
ذلك على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك
الروحاني فيقنع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية
وتركيب المعاني من الحافظة والوهمية على قوانين محصورة وترتيب
خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي

للفكر فى البدن وكلها خيالى منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدائه ينتهى
الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو
فى الاغلب نطاق الادراك البشرى الجسمانى واليه تنتهى مدارك
العلماء وفيه ترسخ اقدامهم وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية
نحو التعقل الروحانى والادراك الذى لا يفتقر الى آلات البدن بما جعل
فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التى هى
نطاق الادراك الاول البشرى وتسرح فى فضاء المشاهدات الباطنه
وهى وجدان كلها لا نطاق لها من مبديها ولا من منتهاها وهذه مدارك
الاولياء اهل العلوم اللدنيه والمعارف الربانيه وهى الحاصلة بعد
الموت لاهل السعادة فى البرزخ وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية
جملة جسمانيتها وروحانيتها الى الملكية من الافق الاعلى ليصير فى لمحة
من اللمحات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملأ الاعلى فى افقهم و
سماع الكلام النفسانى والخطاب الالهى فى تلك اللمحة وهولاء هم الانبياء
صلوات الله عليهم اجمعين جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية فى تلك
اللمحة وهى حالة الوحى فطرة فطرهم عليها وجبلة صورهم فيها ونزههم
عن موانع البدن وعوايقه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب فى
غرايزهم من العصمة والاستقامه التى يحاذون بها تلك الوجهه وركز
فى طباعهم رغبة فى العبادة تكشف بتلك الوجهه فهم يتوجهون الى
ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاوا بتلك الفطرة التى
فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم
وتلقوا فى ذلك الملأ الاعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشريه
منزلا فى قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة بسماع دوى كانه رمز من
الكلام يأخذ منه المعنى الذى القى اليه فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه
وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذى يلقى اليه رجلا فيكلمه ويعى ما
يقوله والتلقى من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما القى
عليه كله كانه فى لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس فى
زمان بل كلها تقع جميعا فتظهر كانها سريعة ولذلك سميت وحيا

وحيا لان الوحى فى اللغة الاسراع واعلم ان الاولى وهى حالة الدوى
هى رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققوه والثانيه وهى حالة تمثل
الملك رجلا يخاطب هى رتبة الانبياء المرسلين ولهذا كانت اكمل من
الاولى وهذا معنى الحديث الذى فسر فيه النبى عليه الصلوة والسلام
الوحى لما ساله الحرث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحى فقال احيانا
يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال
واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول وانما كانت الاولى
اشد لانها مبداء الخروج فى ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر
بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع
وصعب ما سواه وعندما يتكرر الوحى ويكثر التلقى يسهل ذلك الاتصال
فعندما يعرج الى المدارك البشريه يأتى على جميعها وخصوصا الاوضح
منها وهو ادراك البصر وفى العبارة عن الوحى فى الاولى بصيغة الماضى
وفى الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهى ان الكلام جاء
مجىء التمثيل لحالتى الوحى فمثلت الحالة الاولى بالدوى هو فى المتعارف
غير كلام واخبر ان الفهم والوعى يتبعه غب انقضائه فناسب عند تصوير
انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعى بالماضى المطابق للانقضاء
والانقطاع ومثل الملك فى الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام
يساوقه الوعى فناسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد واعلم
ان فى حالة الوحى كلها على الجملة صعوبة وشدة قد اشار اليها القرآن
قال تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا وقالت عائشة كان [مما يعالج] من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولذلك ما كان يحدث عنه فى
تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحى
كما قررناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكيه وتلقى كلام النفس
فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها
الى ذلك الافق الاخر وهذا هو معنى الغط الذى عبر به فى مبدا الوحى
فى قوله فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارى

وكذا ثانية وثالثة كما فى الحديث وقد يفضى الاعتياد فيه بالتدريج شيئا
فشيئا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن
وسوره واياته حين كان بمكة اقصر منها وهو بالمدينه وانظر الى ما نقل
فى نزول سورة براءة فى غزوة تبوك وانها انزلت كلها او اكثرها عليه
وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار
المفصل فى وقت وينزل الباقى فى حين اخر وكذلك كان اخر ما نزل
عليه بالمدينه اية الدين وهى ما هى فى الطول بعد ان كانت الايات تنزل
بمكة مثل ايات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والعلق
وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكى والمدنى من السور
والايات والله المرشد الى الصواب هذا محصل امر النبوة واما الكهانه
فهى ايضا من خواص النفس الانسانيه وذلك انه قد تقدم لنا فى جميع
ما مر ان للنفس الانسانيه استعدادا للانسلاخ عن البشريه الى
الروحانيه التى فوقها وانه تحصل من ذلك لمحة للبشر فى صنف
الانبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب
ولا استعانة بشى من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال
البدنيه كلاما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشريه
الى الملكيه بالفطرة فى لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان
هذا الاستعداد موجودا فى الطبيعة البشريه فيعطى التقسيم العقلى
ان هنا صنفا اخر من البشر مفطورا على ان يتحرك قوته العقليه
حركتها الفكريه بالارادة عندما يبعثها النزوع لذلك وهى ناقصة
عنه بالجبله فيكون لها بالجبله عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث
بامور جزئية محسوسه او متخيله كالاجسام الشفافه وعظام
الحيوان وسجع الكلام وما سنح من طير او حيوان يستديم ذلك
الاحساس او التخيل مستعينا به فى ذلك الانسلاخ الذى يقصده
ويكون كالمشيع له وهذه القوة التى فيهم مبداء لذلك الادراك
هى الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور
عن الكمال كان ادراكها فى الجزئيات اكثر من الكليات وتكون متشبثة

الكهانة

ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان
الضد عن ضده الكامل لان عدم
الاستعانة فى ذلك الادراك ضد
الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذن
اعطى تقسيم الوجدان هنا صنفا
اخر من البشر

متشبثة بها غافلة عن الكليات ولذلك ما تكون المتخيلة فيهم
فى غاية القوة لانها الة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذا تاما فى نوم او
يقظه ويكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المتخيله وتكون لها
كالمراة ينظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال فى ادراك المعقولات
لان وحيه من وحى الشياطين وارفع احوال هذا الصنف ان يستعين
بالكلام الذى فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ويقوى
بعض الشى على ذلك الاتصال الناقص فيهجس فى قلبه عن تلك
الحركة والذى يشيعها من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه فربما
صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتمم نقصه بامر اجنبى عن ذاته
المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا
ويكون غير موثوق به وربما يفزع الى الظنون والتخمينات حرصا على
الظفر بالادراك بزعمه وتمويها على السائلين واصحاب هذا السجع
هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع سائر اصنافهم وقد قال
صلى الله تعالى عليه وسلم فى مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع
مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقال لابن صياد حين ساله عن كشف
حاله بالاختبار كيف ياتيك هذا الامر قال ياتينى صادق وكاذب
قال خلط عليك الامر يعنى ان النبوة خاصيتها الصدق فلا يعتريها
الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبى بالملاء الاعلى من غير مشيع ولا
استعانة باجنبى والكهانه لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة
بالتصورات الاجنبية وكانت داخلة فى ادراكه والتبست بالادراك
الذى توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع
ان يكون نبوة وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معين
السجع اخف من سائر المعينات من المرئيات والمسموعات ويدل خفة
المعين على قرب ذلك الاتصال والبعد والادراك فيه عن العجز بعض
الشئ وقد زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن
النبوة بما وقع من شان رجم الشياطين بالشهب بين يدى البعثة وان
ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع فى القران والكهان انما يتعرفون

اخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من
ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم
كما قررناه وايضا فالاية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من
اخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وايضا
فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد
ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها
تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس لان
النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل نور او يذهب وقد زعم
بعض الحكماء انها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل
نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي تقتضيه وفي
تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع
عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي تقتضيه ناقصة
وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع
الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن اما واحدا او متعددا فاذا تم
ذلك الوضع تم وجود النبي بكماله وانقضت الاوضاع الدالة على
مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شي بعد وهذا بناء على ان بعض
الوضع الفلكي يقتضي بعض اثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما
يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض اجزائها فلا يقتضي
شيا لا انه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قالوه ثم ان هولاء الكهان
اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته
لان لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر النوم ومعقولية
تلك النسبة موجودة للكاهن باشد مما للنايم ولا يصدهم عن ذلك
ويوقعهم في التكذيب الا وسواس المطامع بانها نبوة لهم فيقعون
في العناد كما وقع لامية ابن ابي الصلت فانه كان يطمع ان يكون
نبيا وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان
وانقطعت تلك الاماني امنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي
وقارب بن الاسود وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الاثار

الشاهدة

حقيقة الرؤيا

الشاهدة بحسن الايمان واما الرؤيا فحقيقتها مطالعة النفس
الناطقة في ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فانها عند
ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل
كما هو شان الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تتجرد
عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع ذلك لمحة بسبب
النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تتشوف اليه من الامور المستقبلة
وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جلي فانه
بالمحاكات والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من اجل هذه المحاكات
الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغنى فيه عن المحاكات فلا يحتاج
الى تعبير لخلوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللمحة
للنفس انها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه
حتى تصير ذاتها تعقلا محضا ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ
ذاتا روحانية مدركة بغير شي من الالات البدنية الا ان نوعها
في الروحانيات دون نوع الملائكة اهل الافق الاعلى الذين لم يستكملوا
ذواتهم بشي من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها
ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم
واما الذي للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية
المحضة التي هي اعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكررا
في حالات الوحي وهو عندما يعرج على المدارك البدنية ويقع فيه
ما يقع من الادراك شبيها بحال النوم شبها بينا وان كان حال النوم
ادون منه بكثير فلاجل هذا الشبه عبر الشارع عن الرؤيا بانها جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلثة واربعين وفي
رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات وانما المراد
الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه
وهو للتكثير عند العرب واما ما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة
واربعين من ان الوحي كان في مبدئه بالرؤيا ستة اشهر وهي نصف
سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلثة وعشرون سنة فنصف

السنة منها جزء من ستة واربعين جزءا فكلام بعيد عن التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطي نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا يعطي نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك ما ذكرناه اولا علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم صلوات الله عليهم ثم ان هذا الاستعداد البعيد وان كان عاما في البشر فمعه عوايق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل من اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جبلي لهم فيتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تتشوف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان منه لمحة يكون فيها الظفر بالمقصود ولذلك ما جعلها الشارع من من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له واما سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف مركزه في التجويف الايسر من القلب على ما في كتب التشريح لجالينوس وغيره وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطي الحس والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ فيعتدل من برده ويتم افعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك وتفعل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به بما اقتضته حكمة التكوين في ان اللطيف لا يؤثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محلا لآثار الذات المباينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطته وقد كنا قدمنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو بالحواس الخمس وادراك في الباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها من ذواتها الروحانية

الروحانيات التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوهن والفشل بما يدركها من التعب والكلال وتغشى الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانخناس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب الحرارة الغريزية اعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشيعة مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انخنس الروح عن الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية واكثر ما يكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريبا ثم تنزلها الى الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس الخمس وربما التفتت النفس لفتة الى ذاتها الروحانية مع منازعة القوى الباطنة فتدرك بادراكها الروحاني لانها مفطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت متعقلة في ذاتها حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي المحتاجة الى التعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل ان تدرك من تلك اللمحة ما تدركه هي اضغاث احلام وفي الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الرؤيا ثلث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلي من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك واضغاث الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسببها ويشيعها من النوم وهي خواص النفس الانسانية موجودة في البشر على العموم ولا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الاناسي فقد رأى في نومه ما صدق له في يقظته مرارا غير واحدة

وحصل له على القطع ان النفس مدركة للغيب في النوم ولابد واذا جاز
ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة
وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق **فصل** ووقوع ما يقع
من ذلك للبشر غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون
النفس مستشرفة للشيء فيقع لها تلك اللمحة في النوم لا انها تقصد
الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات
ذكر اسماء تذكر عند النوم فيكون عنها الرؤيا فيما يتشوف اليه ويسمونها
الحالومة وذكر منها مسلمة في كتاب الغاية حالومة سماها حالومة
الطباع التام وهي ان يقال عند النوم بعد فراغ السر وصحة التوجه — حالومة الطباع
هذه الكلمات الاعجمية وهي تماغس بعدان يسواد وغداس نوفنا غادس
ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسئل عنه في النوم وحكى ان رجلا
فعل ذلك بعد رياضة ليال في ماكله وذكره فتمثل له شخص يقول له
انا طباعك التام فسئل واخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي
انا بهذه الاسماء مراءي عجيبة واطلعت بها على امور كنت اتشوف
اليها من احوالي وليس ذلك بدليل على ان القصد الى الرؤيا يحدثها
وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فاذا
قوي الاستعداد كان اقرب لحصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل
من الاستعداد ما احب ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة
على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من
امثاله والله الحكيم الخبير **فصل** ثم انا نجد في النوع الانساني اشخاصا
يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز فيها
صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون
عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى
فطرتهم التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين
في الاجسام الشفافة كالمرايا وطساس الماء والناظرين في قلوب
الحيوان واكبادها وعظامها واهل الزجر في الطير والسباع واهل
الطرق بالحصا والحبوب من الحنطة والنوا وهذه كلها موجودة في

في عالم الانسان لا يسع احدا جحدها ولا انكارها وكذا المجانين تلقى
على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت
لاول موته ونومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضة من المتصوفة
لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة ونحن الان نتكلم على
هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم ناتي عليها واحدة
واحدة الى اخرها ونقدم على ذلك **مقدمة** في ان النفس الانسانية
كيف تستعد لادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك
انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما
ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا
امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه
النفس التي بها يتم وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد
اولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم
يتم نشوءها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعودها بورود
مدركاته المحسوسة عليها وما تنتزع هي من تلك الادراكات من المعاني
الكلية فتتعقل الصور مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل
صورة بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهيولى والصور متعاقبة
عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولهذا نجد الصبي في اول نشوه
لا يقتدر على الادراك الذي لها من ذاتها لا في نوم ولا بكشف ولا
بغيرهما وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل
لم تتم بعد بل لم يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تمت ذاتها بالفعل
حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك بالات الجسم
تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة
وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وشواغلها لان الحواس
ابدا جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الادراك الجسماني
وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما
بالخاصية التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة
لبعض البشر مثل الكهانة والطرق او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية

فيلتفت حينئذ الى الذوات التى فوقها من الملأ الاعلى لما بين افقها
وافقهم من الاتصال فى الوجود كما قررناه قبل وتلك الذوات روحانية
وهى ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقايقها
كما مر فيتجلى فيها شى من تلك الصور وتقتبس منها علما وربما دفعت
تلك الصور المدركة الى الخيال فتصرفه فى القوالب المعتادة ثم
تراجع الحس بما ادركت اما مجردا او فى قوالبه فتخبر به هذا هو شرح
استعداد النفس لهذا الادراك الغيبى ولنرجع الى ما وعدنا به من بيان
اصنافه فاما الناظرون فى الاجسام الشفافة من المرايا والطساس
والمياه وقلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى
فكلهم من قبيل الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه فى اصل خلقتهم
لان الكاهن لا يحتاج فى رفع حجاب الحس الى كبير معاناة وهولاء يعانونه
بانحصار المدارك الحسية كلها فى نوع واحد منها واشرفها البصر
فيعكف به على المرئى البسيط حتى يبدو له مدركه الذى يخبر عنه
وربما يظن ان مشاهدة هولاء لما يرونه هو فى سطح المرأة وليس كذلك
بل لا يزالون ينظرون فى سطح المرأة الى ان تغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم
وبين المرأة الى ان تغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين المرأة حجاب
كانه غمام يتمثل فيه صور هى مداركهم فتشير اليهم بالمقصود فيما
يتوجهون الى معرفته من نفى او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه
واما المرأة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه فى تلك الحال
وانما ينشأ لهم فيها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفسانى ليس
من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسانى للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين فى قلوب الحيوان واكبادها وللناظرين فى الماء
والطساس وامثال ذلك يعرض للناظرين فى قلوب الحيوان واكبادها
وللناظرين فى الماء والطساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من هولاء
من يشغل الحس بالبخور فقط ثم بالعزايم للاستعداد ثم يخبر عما ادرك
ويزعمون انهم يرون الصور متشخصة فى الهواء تحكى لهم احوال ما
يتوجهون الى ادراكه بالمثال والاشارة وغيبة هولاء عن الحس
اخف من الاولين والعالم ابو الغرايب واما الزجر فهو ما يحدث من
من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طاير او حيوان والفكر
فيه بعد مغيبه وهى قوة فى النفس تبعث على الحدس والفكر فيما زجر فيه
من مرئى او مسموع وتكون قوته المخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها فى البحث
مستعينا بما رأه او سمعه فيوديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة
المخيلة فى النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس المرئى
فى يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا واما المجانين
فنفوسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد امزجتهم غالبا
وضعف الروح الحيوانى فيها فتكون نفسه غير مستغرقة بالحواس
ولا منغمسة بما شغلها فى نفسها من الم النقص ومرضه وربما زاحمها
على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تتشبث به وتضعف
هذه عن ممانعتها فيكون عنه التخبط فاذا حصل له التخبط
اما لفساد مزاجه من فساد النفس فى ذاتها او لمزاحمة من النفوس
الشيطانية فى تعلقه غاب عن حسه جملة فادرك لمحة من عالم
نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال وربما نطق
على لسانه فى تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هولاء كلهم
مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس
الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك
يجئ الكذب فى هذه المدارك واما العرافون فهم المتعلقون بهذا
الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذى
يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه
من مبادى ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب
وليس منه على الحقيقة هذا تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها
المسعودى فى مروج الذهب فما صادف تحقيقا ولا اصابه ويظهر
من كلام الرجل انه كان بعيدا عن الرسوخ فى المعارف فينقل ما سمع
من اهله ومن غير اهله وهذه الادراكات التى ذكرناها موجودة
كلها فى نوع البشر فقد كان العرب يفزعون الى الكهان فى تعرف
الحوادث ويتنافرون اليهم فى الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها

في الجاهلية

من ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم
شق من انمار بن نزار وسطيح من مازن بن غسان وكان يدرج كما
يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما
عنهما تاويلهما رؤيا ربيعة بن نصر وما اخبراه به من ملك
الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في
قريش وكذا رؤيا الموبذان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها
كسرى عبد المسيح فاخبره بشان النبوة وخراب ملك فارس وهذه
كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم
في اشعارهم فقال "فقلت لعراف اليمامة داوني" "فانك ان داويتني
لطبيب" وقال آخر "جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان
هما شفياني" "فقالا شفاك الله والله ما لنا بما حملت منك الضلوع
يدان" وعراف اليمامة هو رياح بن عجلة وعراف نجد الابلق الاسدي
ومن هذه المدارك الغيبية ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة اليقظة
والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشوف اليه بما يعطيه
غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادي النوم عند مفارقة
اليقظه وذهاب الاختيار في الكلام فيتكلم كانه مجبول على النطق و
غايته ان يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة
رؤسهم واوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة
الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل
عواقب امورهم في انفسهم فاعلموهم بما يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية
في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه اربعين
يوما يغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون
راسه فيخرج من ذلك الدهن وحين يجف عليه الهواء يجيب عن كل شيء يسال
عنه من عواقب الامور الخاصه والعامه وهذا فعل من مناكير افعال
السحرة لكن تفهم منه عجايب العالم الانساني ومن الناس من يحاول لحصول
هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالمجاهدة موتا صناعيا باماتة
جميع القوى البدنية ثم محو آثارها التي تلونت بها النفس وذلك

شق وسطيح

عراف نجد وعراف يمامة

حكاية غريبة

وذلك يحصل بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل
الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها
فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت منه ما يقع بعد الموت
وتطلع النفس على المغيبات ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية يرتاضون
بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرف في العوالم واكثر هؤلاء
في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا وخصوصا ويسمون هنالك الجوكية
ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة
واما المتصوفة فرياضتهم دينية وعرية من هذه المقاصد المذمومة
وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكلية لتحصل اذواق
العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجوع التغذية
بالذكر فبها تتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على
الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا اعريت عن الذكر كانت شيطانية
وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما
هو بالعرض ولا يكون مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك
كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لقصد التصرف والاطلاع على
الغيب واخسر بها صفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من
آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود
لا لشيء سواه وان حصل اثناء ذلك ما يحصل فبالعرض وغير مقصود
لهم وكثير منهم يفر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته
لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب
والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة
وليس شيء من ذلك بنكير في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ
ابو اسحق الاسفرايني وابو محمد بن ابي زيد المالكي في آخرين فرارا من
التباس المعجزة بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة
بالتحدي فهو كاف وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة
من ذلك وقايع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر يا سارية الجبل

ابلا والهدهد

وهو سارية بن زنيم كان قايدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق
ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانهزام وكان
بقربه جبل يتحيز اليه فرفع لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة
فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية بمكانه ورأى شخصه هنالك
والقصة معروفة ووقع مثله ايضا لابي بكر في وصيته عايشة ابنته رضي الله
عنهما في شان ما نحلها من اوسق التمر من حديقته ثم نبهها على جداده
لتحوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هما اخواك واختاك
فقالت انما هي اسما فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت خارجه اراها
جارية فكانت جارية وقع في الموطا في باب ما لا يجوز من النحل ومثل
هذه الوقايع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين واهل الاقتداء الا
ان المتصوفة يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا تبقى للمريد حالة بحضرة
النبي حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء الى المدينة النبوية لزيارة
القبر الشريف سلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا
الهداية ويرشدنا الى الحق **فصل** ومن هؤلاء المتصوفة المريدين
قوم بهاليل معتوهون اشبه شيء بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك
قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من
احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين ويقع لهم
من الاخبار عن المغيبات عجايب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم
في ذلك ويأتون منه بالعجايب وربما ينكر الفقهاء على انهم على شيء
من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل
الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يوتيه من يشاء ولا يتوقف
حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية
ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم
لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم
العقل الذي يناط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهي
علوم ضرورية للانسان يشتد بها نظره ويعرف احوال معاشه
واستقامة منزله وكانه اذا ميز احوال معاشه لم يبق له عذر في قبول

قبول التكاليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد
لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل
التكليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف
اصطفاء الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف واذا صح ذلك
فاعلم انه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم
الناطقة ويلتحقون بالبهايم ولك في تمييزهم علامات منها ان هؤلاء
البهاليل تجدهم وجهة ما لا يخلون عنها اصلا من ذكر وعبادة لكن
على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم
وجهة اصلا ومنها انهم يخلقون على البله من اول نشوهم والمجانين
يعرض لهم الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا
عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها
كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن
لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى
بنا الكلام اليه والله المرشد الى الصواب **فصل** وقد يزعم بعض
الناس ان هنا مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون
القايلون بالدلالات النجومية ومقتضى اوضاعها في الفلك واثارها
في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى
من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء
انما هي ظنون حدسية وتخمينات مبنية على التأثير النجومي وحصول
المزاج منه للهواء مع مزيد حدس يقف به الناظر على تفصيله في
الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك
في محله ان شاء الله تعالى وهو لو ثبت فغايته حدس وتخمين وليس مما
ذكرناه في شيء **ومن هؤلاء** قوم من العامة استنبطوا لاستخراج الغيب
وتعرف الكاينات صناعة سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي
يضعون فيها عملهم ومحصول هذه الصناعة انهم صيروا من النقط
اشكالا ذات اربع مراتب يختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية
واستوايها فيهما فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجا

او افراد فاشكالان وان كان الفرد فيها في مرتبة واحدة فقط فاربعة
اشكال وان كان الفرد في مرتبتين فستة اشكال وان كان في ثلث
مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا ميزوها كلها باسمائها
ونوعوها الى سعود ونحوس شان الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتا
طبيعية بزعمهم وكانها البروج الاثني عشر التي للفلك والاوتاد
الاربعة وجعلوا لكل شكل بيتا وحظوظا ودلالة على صنف من عالم
العناصر يختص به واستنبطوا من ذلك فنا حاذوا به فن النجامة
ونوع قضاياه الا ان احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية
كما زعم بطليموس وهذه انما مستندها اوضاع تحكمية واهواء اتفاقية
ولا دليل يقوم على شيء منها ويزعمون ان اصل ذلك من النبوات القديمة
في العالم وربما نسبوها الى دانيال او ادريس صلوات الله عليهما شان
الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيتها ويحتجون بقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان نبي يخط فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث
دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تحصيل لديه
لان معنى الحديث كان نبي يخط فياتيه الوحي عند ذلك الخط ولا
استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فمن وافق خطه
ذلك النبي فهو ذاك اي فهو صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي
لذلك النبي الذي كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط واما
اذا اخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا وهذا
معنى الحديث والله اعلم فاذا ارادوا استخراج مغيب بزعمهم عمدوا
الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط سطورا على عدد المراتب
الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات فتجيء ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط
ازواجا ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان او فردا في مرتبته على
الترتيب فتجيء اربعة اشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون
منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها
من الشكل الذي بازائه وما يجتمع منهما من زوج او فرد فتكون ثمانية
اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتهما باعتبار

باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد
فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك
تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتهما ثم من هذا الشكل الخامس عشر
مع الشكل الاول شكلا يكون اخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله
بما اقتضته اشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول
والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا
وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التواليف واشتهر
فيها الاعلام من المتقدمين والمتاخرين وهي كما رايت تحكم وهوى
والتحقيق الذي ينبغي ان يكون نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة
البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المفطورين على الرجوع
عن عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسمي المنجمون هذا الصنف كلهم
بالزهريين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في اصل
مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر
فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط
والعظام او غيرها اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات
لحظة فهو من باب الطرق بالحصا والنظر في قلوب الحيوانات وغيرها
مما اسلفناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة المغيب بهذه الصناعة
فهذر من القول والعمل والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه الفطرة
التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي انهم عند توجههم الى تعرف
الكائنات يعتريهم خروج من حالاتهم الطبيعية كالتثاؤب والتمطط
ومبادي الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف
وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب
في شيء وانما هو ساع في تنفيق كذبه **فصل** ومنهم طوائف يضعون
قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك
النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تاثيرات النجوم كما زعمه بطليموس
ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها
كالمصايد لاهل العقول المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره

المصنفون وولع به الخواص فمن تلك القوانين الحساب الذى يسمونه
حساب النيم وهو مذكور فى اخر كتاب السياسيه المنسوب لارسطو
يعرف به الغالب من المغلوب فى المتحاربين من الملوك وهو ان تحسب
الحروف التى فى اسم احدهما بحساب الجمل المصطلح عليه فى حروف ابجد
من الواحد الى الالف احاد او عشرات ومئين والوفا فاذا حسبت
الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الاخر كذلك ثم اطرح كل
واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية هذا ثم
انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كانا مختلفين
فى الكمية وكانا معًا زوجين او فردين فصاحب الاقل منهما هو
الغالب وان كان احدهما زوجًا والاخر فردًا فصاحب الاكثر هو
الغالب وان كانا معًا فردين فالطالب هو الغالب ونقل هنالك
بيتين فى هذا العمل اشتهرا بين الناس وهما شعر

أرى الزوج والافراد يسمو أقلها ... واكثرها عند التخالف غالب
ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوى ... وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما بقى من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا
عندهم فى طرح تسعة وذلك بان يجمعوا الحروف الدالة على الواحد
فى المراتب الاربع وهى ا الدالة على الواحد وى الدالة على العشرة
وهى واحد فى مرتبة العشرات وق الدالة على المائة لانها واحد
فى مرتبة المئين وغ الدالة على الالف وهى واحد فى مرتبة الالاف
وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هى اخر
حروف ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها
كلمة رباعيه وهى ايقغ ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين فى
المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الالاف منها لانها كانت اخر
حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين فى ذلك ثلثة حروف وهى
ب الدالة على الاثنين فى الاحاد وك الدالة على اثنين فى العشرات
وهو عشرون ور الدالة على اثنين فى المئين وهى مائتان وصيروها
كلمة واحدة ثلاثيه على نسق المراتب وهى بكر ثم فعلوا كذلك فى

حساب الغالب والمغلوب

وان كانا متساويين فى الكميه وهما معا زوجان فالمطلوب هو الغالب صح

فى الحروف الدالة على ثلثة فنشأت عنها كلمة جلش وكذلك الى
اخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الاحاد وهى ايقغ بكر
جلش دمت هنث وسخ زعذ حفظ طصض مرتبة على توالى العدد
ولكل كلمة منها عددها الذى هى فى مرتبته فالواحد لكلمة ايقغ
والاثنان لكلمة بكر والثلثة لكلمة جلش وكذلك الى التاسعة التى
هى طصض فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل
حرف منه فى اى كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم
يجمعون الاعداد الذى ياخذونها بدلًا من حروف الاسم فان كانت
زايدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها والا اخذوه كما هو ثم يفعلون
كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين كما قدمناه والسر فى
هذا القانون بين وذلك ان الباقى فى كل عقد من عقود الاعداد بطرح
تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة
فصارت اعداد العقود كلها كانها احاد فلا فرق بين الاثنين او العشرين
او المائتين او الالفين وكلها اثنان وكذلك الثلثة والثلثون والثلثمائة
والثلثة الاف كلها ثلثة فوضعت الاعداد على التوالى دالة على اعداد
العقود لا غير وجعلت الحروف الداله على اصناف العقود فى كل كلمة
من الاحاد والعشرات والمئين والالوف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها
نائبا عن كل حرف فيها سواء دل على الاحاد او العشرات او المئين او الالوف
فيوخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف ويجمع كلها الى اخرها كما قلناه هذا
هو العمل المتداول بين الناس فيها منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه
من شيوخنا يرى ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية
كتواليها ويفعلون بها فى الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالاخرى سواء
وهى هذه أرب يسقك جزلط مدوص هف تحذن عش خع
ثضظ تسع كلمات على توالى العدد فيها الثلاثى والرباعى والثنائى
وليست جارية على اصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ
المغرب فى هذه المعارف من النجامة والسيميا واسرار الحروف وهو ابو العباس
ابن البنا ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات فى طرح حساب النيم اصح

من العمل بكلمات أيّ تقع فالله اعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب
غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذى وجد فيه حساب
النيم غير معزو الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة
عن التحقيق والبرهان يشهد بذلك فتصفحه ان كنت من اهل الرسوخ
ومن هذه القوانين الصناعيه لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزايرجه
المسماة زايرجة العالم المعزوة الى ابى العباس السبتى من اعلام المتصوفة
بالمغرب كان فى اخر المائة السادسة بمراكش ولعهد يعقوب المنصور من ملوك
الموحدين وهى غريبة العمل صنيعة وكثير من الخواص يولعون بافادة الغيب
منها بعملها المعروف الملغوز فيحرصون لذلك على حل رمزه وكشف غامضه
وصورتها التى يقع العمل عندهم فيها دايرة عظيمة فى داخلها دواير متوازيه
منها للافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات ولغير ذلك من اصناف
الكاينات والعلوم وكل دايرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما
العناصر او غيرهما وخطوط كل قسم مارّة الى المركز ويسمونها الاوتار
وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فمنها برشوم الزمام التى هى
اشكال الاعداد عند اهل الدواوين والحسبان بالمغرب لهذا العهد
ومنها برشوم الغبار المتعارفة وفى داخل الزايرجة وبين الدواير
اسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظهر الدواير جدول متكثر البيوت
المتقاطعة طولا وعرضا يشتمل على خمسة وخمسين بيتا فى العرض ومائة
واحدى وثلثين فى الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد
واخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد
فى اوضاعها ولا القسمة التى عينت البيوت العامرة من الخالية وحفافى
الزايرجة ابيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة يتضمن صورة
العمل فى استخراج المطلوب من تلك الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز فى عدم
الوضوح والجلاء وفى بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض
اكابر اهل الحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اهل اشبيليه
كان فى الدولة اللمتونيه ونص البيت سُؤال عَظِيمُ الخَلْقِ حُزْتَ فصُنْ
اذَنْ غَرائِبَ شَكٍّ ضَبْطُهُ الجِدُّ مَثَلا وهو البيت المتداول عندهم فى العمل
فى العمل لاستخراج الجواب من السؤال فى هذه الزايرجة وغيرها فاذا ارادوا
استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه
حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا
الى الزايرجة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من اوله مارا الى المركز
ثم الى المحيط الدايرة قبالة الطالع فياخذون جميع الحروف المكتوبة عليه
من اوله الى اخره والاعداد المرشومة بينها ويصيرونها حروفا بحساب
الجمل وقد ينقلون احادها الى العشرات وعشراتها الى المئين وبالعكس فيهما
كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون
الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف
والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط ويفعلون بالاعداد
ما فعلوه بالاولى ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف
البيت الذى هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب
المتقدم الذكر ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع فى
اس البرج واسه عندهم هو بعد البرج عن اخر المراتب عكس ما عليه الاس
عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول المراتب ثم يضربونه
فى عدد اخر يسمونه الاس الاكبر والدور الاصلى ويدخلون بما يجتمع لهم
من ذلك فى بيوت الجدول على قوانين معروفة واعمال مذكورة وادوار
معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون اخرى ويقابلون بما
معهم من حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما
معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد معلومة يسمونها الادوار
ويخرجون فى كل دور الحرف الذى ينتهى عنده الدور ويعاودون ذلك
بعدد الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج اخرها حروف متقطعة
وتؤلف على التوالى فتصير كلمات منظومة فى بيت واحد على وزن
البيت الذى يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب
المتقدم حسبما نذكر ذلك كله فى فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه
الزايرجه وقد راينا كثيرا من الخواص يتهافتون على استخراج الغيب منها
بتلك الاعمال ويحسبون ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال

فى توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لانه
قدم لك ان الغيب لا يدرك بامر صناعى البتة وانما المطابقة التى فيها
بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق فى الخطاب حتى يكون
الجواب مستقيما او موافقا للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة فى تكسير
الحروف المجتمعة من السؤال والاوتار والدخول فى الجدول بالاعداد
المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف من الجدول بذلك
واطراح اخرى ومعاودة ذلك فى الادوار المعدودة ومقابلة ذلك
كله بحروف البيت على التوالى غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء
على تناسب بين هذه الاشياء فيقع له معرفة المجهول منها فالتناسب
بين الاشياء هو سر الحصول على المجهول من المعلوم الحاصل للنفس
وطريق حصوله سيما من اهل الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس
وزيادة فى الفكر وقد مر تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا المعنى
ينسبون هذه الزايرجه فى الغالب لاهل الرياضة فهذه منسوبة
للسبتى ووقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله ولعمرى انها من
الاعمال الغريبة والمعايات العجيبة والجواب الذى يخرج منها فالسر فى خروجه
منظوما فى ما يظهر لى انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا يكون النظم
على عروضه ورويه ويدل عليه انا وجدنا اعمالا اخرى فى مثل ذلك اسقطوا
المقابلة فيه بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك
فى موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل
ونفوذه الى المطلوب فينكر صحتها ويحسب انها من التخيلات والايهامات
وان صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذى ينظمه كما يريد بين اثناء
حروف السؤال والاوتار ويفعل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون
ثم يجىء بالبيت ويوهم ان العمل جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسبان
توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات
والمعلومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شان
كل مدرك ان ينكر ما ليس فى طوقه ادراكه ويكفينا فى رد ذلك مشاهدة
العمل بهذه الصناعة والحدس القطعى بانها جاءت بعمل مطرد وقانون

وقانون صحيح ولا مرية فيه عند من يباشر ذلك ممن له مزيد ذكاء
وحدس واذا كان كثير من المعاياة فى العدد الذى هو اوضح الواضحات
يعسر على الفهم ادراكه لبعد النسبة فيه وخفائها فما ظنك بمثل هذا
مع خفاء النسبة فيه وغرابتها فلنذكر مسئلة من المعايات يتضح لك
بها شىء مما ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل
بازاء كل درهم ثلثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التى اخذت واشتر بها
طايرا ثم اشتر بالدراهم كلها طيورا بسعر ذلك الطاير فكم الطيور المشتراة
فجوابه ان تقول هى تسعة لانك تعلم ان فلوس الدرهم اربعة وعشرون
وان الثلاثة ثمنها وان عدة اثمان الواحد ثمانية فكانك جمعت الثمن
من كل درهم الى الثمن الاخر فكان كله ثمن طاير فهى ثمانية طيور عدة اثمان
الواحد وتزيد على الثمانية طايرا اخر وهو المشترى بالفلوس الماخوذة
اولا وعلى سعره اشتريت بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف
خرج لك الجواب المضمر بسر التناسب الذى بين اعداد المسئلة والوهم
اول ما يلقى اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذى لا يمكن
معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذى يخرج مجهولها من معلومها
وهذا انما هو فى الواقعات الحاصلة فى الوجود او العلم واما الكاينات
المستقبلة اذا لم يعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لنا خبر صادق
عنه فهو غيب لا يمكن معرفته فاذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة
فى هذه الزايرجه كلها انما هى فى استخراج الفاظ الجواب من الفاظ السؤال
لانها كما رايته استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على
ترتيب اخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون
بعض فمن عرف ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين
والجواب يدل فى مقام اخر من حيث موضوع الفاظه وتراكيبه على وقوع احد طرفى
السؤال من نفى او اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة
الكلام لما فى الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه
الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استاثر الله
بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

الفصل الثانى من الكتاب الاول فى العمران البدوى والامم الوحشيه والقبايل وما يعرض

فى ذلك من الاحوال وفيه اصول وتمهيدات **فصل** فى ان اجيال البدو والحضر طبيعيه **اعلم** ان اختلاف الاجيال فى احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتدا بما هو ضرورى منه وبسيط قبل الحاجى والكمالى فمنهم من ينتحل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الشاء والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها وهولاء القايمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد الى البدو لانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هولاء بالبدو امرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم فى حاجات معاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفء انما هو بالمقدار الذى يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هولاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا فى الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتانق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر ثم تزيد احوال الرفه والرغد فتجى عوايد الترف البالغة مبالغها فى التانق فى علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة فى انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالاة البيوت والصروح واحكام وضعها فى تنجيدها والانتهاء بالصنايع فى الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويغالون فى صرحها والمبالغة فى تنجيدها ويختلفون فى استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس او فراش او انية او ماعون وهولاء هم الحضر ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هولاء من ينتحل فى معاشه الصنايع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انمى وارفه من اهل البدو لان احوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد تبين ان اجيال البدو والحضر طبيعيه لابد منها كما قلناه **فصل فى ان جيل العرب فى الخليقه طبيعى** قد قدمنا فى الفصل قبله ان اهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعى من الفلح والقيام على الانعام وانهم مقتصرون على الضرورى فى الاقوات والملابس والمساكن وساير الاحوال والعوايد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجى او كمالى فيتخذون البيوت من الشعر والوبر او الشجر او من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكن لا ما وراءه وقد ياوون الى الغيران والكهوف واما اقواتهم فيتناولون بها بيسير العلاج او بغير علاج البته الا ما مسته النار فمن كان معاشه منهم فى الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به اولى من الظعن وهولاء سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه فى السايمة مثل الغنم والبقر فهم ظواعن فى الاغلب لارتياد المسارح والمياه لحيوانهم اذ التقلب فى الارض اصلح بها ويسمون شاويه ومعناه القايمون على الشاء والبقر ولا يبعدون فى القفر لفقدان المسارح الطيبة به وهولاء مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبه **واما** من كان معاشهم فى الابل فهو اكثر ظعنا وابعد فى القفر مجالا لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا تستغنى به الابل فى قوام حياتها عن مراعى الشجر بالقفر وورود مياهه المالحة والتقلب فصل الشتا فى نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوائه وطلبا لمفاحص النتاج فى رماله اذ الابل اصعب الحيوان فصالا ومخاضا واحوجها فى ذلك الى الدفء فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما زادتهم الحاميه عن التلول ايضا فاوغلوا فى القفار نفرة عن النصفة منهم والجزاء لعدوانهم وكانوا لذلك اشد الناس توحشا وتنزلوا

وضعف البعير اسرع كما ضعف في

من اهل الحواضر منزله الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوانات
العجم وهولاء هم العرب وفي معناهم ظواعن البربر وزناتة بالمغرب والاكراد
والتركمان والترك بالمشرق الا ان العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم
مختصون بالقيام على الابل فقط وهولاء يقومون عليها وعلى الشاء
والبقر معها فقد تبين لك ان جيل العرب طبيعي لابد منه في العمران والله
الخلاق العليم **فصـــل في ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه
وان البادية اصل العمران والامصار ومددٌ لها** قد ذكرنا ان البدو هم
المقتصرون على الضروري في احوالهم العاجزون عمّا فوقه وان
الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في احوالهم وعوايدهم ولا شك
ان الضروري اقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه وكان الضروري
اصل والكمالي فرع ناشئ عنه فالبدو اصل للمدن والحضر سابق عليهما
لان اول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الى الترف والكمال الا
اذا كان الضروري حاصلا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا
نجد التمدن غاية للبدوي يجري اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه فيها ومتى حصل
على الرياش الذي يحصل به احوال الترف وعوايده عاج الى الدعة
وامكن نفسه من قياد المدينه وهكذا شان القبايل المبتدية كلهم
والحضري لا يتشوف الى احوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير
عن احوال اهل مدينته ومما يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدم
عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل
البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه وانهم ايسروا فسكنوا
المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على ان
احوال الحضارة ثانيه عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهمه
ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فرب
حي اعظم من حي وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة
اكثر عمرانا من مدينة فقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود
المدن والامصار واصل لها كما ان وجود المدن والامصار من عوايد
الترف والدعه التي هو متاخر عن عوايد الضرورة المعاشية م

المعاشية **فصـــل في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر**
وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئةً لقبول
ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلى الله تعالى عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وبقدر
ما يسبق اليها من احد الخلقين تبعد عن الاخر وتصعب عليها اكتسابه
فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوايد الخير وحصلت لها ملكته
بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه
ايضا عوايده واهل الحضر لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوايد
الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت
انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق
الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم
مذاهب الحشمة في احوالهم فنجد الكثير منهم يُقذِعونَ في اقوال الفحشاء
في مجالسهم وبين كبرايهم واهل محارمهم لا يصدهم عنه وازع الحشمه
لما اخذتهم به عوايد السوء في التظاهر بالفواحش قولا وعملا واهل
البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا انه في المقدار الضروري
لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها نعوايدهم
في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات
الخلق بالنسبة الى اهل الحضر اقل بكثير فهم اقرب الى الفطرة الاولى و
ابعد عمّا ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوايد المذمومة
وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد توضح فيما
بعد ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر
والبعد عن الخير فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل
الحضر والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في حديث
البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه خرج الى سكنى
البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت
اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ثت دة

حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على امره ويحرسونه
ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان اهل مكة يمسهم من عصبية
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم
من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب
وهو سكنى البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم
ولا تردهم على اعقابهم معناه ان توفقهم لملازمة المدينة وعدم
التحول عنها فلا يرجعون عن هجرتهم التي ابتدءوا بها وهو من باب
الرجوع على العقب في السعي على وجه من الوجوه وقيل ان ذلك كان
خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلة المسلمين
واما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصمة
من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح قيل سقط انشاؤها عمن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها
عمن اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة
ساقطة لان الصحابة افترقوا من يومئذ في الآفاق وانتشروا
ولم يبق الا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج لسلمة حين
سكن البادية ارتددت على عقبيك تعربت نعى عليه في ترك السكنى
بالمدينة بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله
ولا تردهم على اعقابهم وبقوله تعربت الى انه صار من الاعراب الذين
لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما الزمه من الامرين وان النبي
صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة
خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعى عليه ترك السكنى بالمدينة
فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه
لاذن النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل فما اثره به واختصه
الا لمعنى علمه فيه وعلى كل تقدير فليس فيه دليل على مذمة البدو
الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كان كما علمت لمظاهرة
النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي

على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله اعلم

فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضر

والسبب في ذلك ان اهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة
وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم
وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم
واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم لا تهيجهم
هيعة ولا ينفر لهم صيد فهم غارون آمنون قد القوا السلاح وتوالت
على ذلك منهم الاجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم
عيال على ابي مثواهم حتى صار ذلك خلقا لهم يتنزل منزلة الطبيعة واهل
البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية
وانتباذهم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن انفسهم لا يكلونها
الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون
عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع الا غرارا في المجالس وعلى
الرحال وفوق الاقتاب ويتوجسون للنبآت والهيعات ويتفردون
في القفر والبيداء مدلين ببأسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس
خلقا والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داع او استنفرهم صارخ
واهل الحضر مهما خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السفر عيال
عليهم لا يملكون معهم شيئا من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان
حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب
ذلك ما شرحناه واصله ان الانسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته
ومزاجه فالذي الفه من الاحوال حتى صار له خلقا وملكة وعادة
تنزل منزلة الطبيعة والجبلة واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيرا
صحيحا والله يخلق ما يشاء

فصل في ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم

وذلك انه ليس كل احد
مالكا امر نفسه اذ الرؤساء والامراء المالكون لامر الناس قليل بالنسبة
الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت
الملكة رفيقة وعادلة لا يعاني منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها

الهيعة والهائعة الصوت تفزع منه وتخافه من عدو فارس

مدلين بما في انفسهم من شجاعة اوجبن واثقين بعدم الوازع حتى
صار لهم الادلال جبلة لا يعرفون سواها واما اذا كانت الملكة
واحكامها بالقهر والسطو فتكسر حينئذ من سورة باسهم وتذهب
المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كما نبينه
وقد نهى عمر سعدا رضي الله عنهما عن مثلها لما اخذ زهرة بن حوية
سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة وسبعين الفا من الذهب وكان
اتبع الجالنوس يوم القادسية فقتله واخذ سلبه فانتزعه منه
سعد وقال الا انتظرت في اتباعه اذني وكتب الى عمر يستاذنه فكتب
اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك ما بقي من
حربك فتكسر قرنه وتفسد قلبه وامضى له عمر سلبه واما اذا كانت
الاحكام بالعقاب فمذهبة للباس بالكلية لان وقوع العقاب به
ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التي تكسر من سورة باسه بلا شك
واما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبي
اثرت في ذلك بعض الشيء لمرباه على المخافة والانقياد فلا يكون
مدلا بباسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد ممن تاخذه
الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها من لدن مرباهم
في التاديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك
من باسهم كثيرا ولا يكادون يدافعون عن انفسهم عادية بوجه من
الوجوه وهذا شان طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ
والائمة الممارسين للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبة
فتفهم هذه الاحوال وذهابها بالمنعة والباس ولا تستنكرن ذلك
بما وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم ينقص
ذلك من باسهم بل كانوا اشد الناس باسا لان الشارع صلوات الله عليه
لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيهم من انفسهم لما تلا عليهم
من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعي ولا تاديب تعليمي انما هي
احكام الدين وادابه المتلقاة نقلا ياخذون انفسهم بها بما رسخ فيهم من عقائد
الايمان والتصديق فلم تزل سورة باسهم مستحكمة كما كانت ولم تخدشها

اظفار التاديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه
الشرع لا ادبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه
ويقينا بان الشارع اعلم بمصالح العباد ولما تناقص الدين في الناس
واخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ
بالتعليم والتاديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد للاحكام
نقصت بذلك سورة الباس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية
والتعليمية مفسدة للباس لان الوازع فيها اجنبي واما الشرعية فغير
مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية
والتعليمية مما يؤثر في اهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم بمعاناتها
في وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام
السلطان والتعليم والاداب ولهذا قال ابو محمد بن ابي زيد في كتابه
في احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من
الصبيان في التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن شريح القاضي واحتج له
بما وقع في حديث بدء الوحي من شان الغط وانه كان ثلاث مرات وهو
ضعيف ولا يصلح شان الغط ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف
والله الحكيم الخبير

فصل في ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية

اعلم ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر
كما قال الله تعالى وهديناه النجدين وقال فالهمها فجورها وتقواها
والشر اقرب الخلال اليه اذا اهمل في مرعى عوائده ولم يهذبه الاقتداء
بالدين وعلى ذلك الجم الغفير الا من وفقه الله ومن اخلاق البشر فيهم
الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت
يده الى اخذه الا ان يصده وازع كما قال
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
فاما المدن والامصار فعدوان
بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدي من
تحتهم من الكافة ان يمتد بعضهم على بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة
القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما
العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة

او الغرة ليلا او العجز عن المقاومة نهارا ويدفعه زياد الحامية
من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة واما احياء البدو
فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبراؤهم بما وقر في نفوس الكافة لهم
من الوقار والتجلة واما حللهم فانما يذود عنها من خارج حامية
للحي من انجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا تصدق
دفاعهم وذيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم
بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم اذ نعرة كل احد على نسبه
وعصبيته اهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة
على ذوي ارحامهم وقرباهم موجود في الطباع البشرية وبها يكون التعاضد
والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن
عن اخوة يوسف حين قالوا لابيه لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا
لخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبية له
واما المتفردون في انسابهم فقل ان يصيب احدا منهم نعرة على
صاحبه فاذا اظلم الجو بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي
النجاة بنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقدرون
من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طعمة لمن يلتهمهم
من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج الى المدافعة
والحماية فمثله يتبين لك في كل امر يحمل الناس عليه من نبوة او
اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال
عليه لما في طباع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية
كما ذكرناه انفا فاتخذه اماما تقتدي به فيما نورده عليك من بعد
والله الموفق **فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام
بالنسب او ما في معناه** وذلك ان صلة الرحم طبيعي في البشر
الا في الاقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى واهل الارحام
ان ينالهم ضيم او يصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه غضاضة
من ظلم قريبه او العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب
والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب الواصل
الواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الالتحام والاتحاد
كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا
بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسي بعضها ويبقى منه شهرة فتحمل على
النصرة لذوي نسبه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاضة التي
يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا
الباب الولاء والحلف اذ نعرة كل احد على اهل ولائه وحلفه
للانفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها او قريبها او نسيبها
بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل
لحمة النسب او قريبا منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب
انما فايدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع
المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمي
لا حقيقة له ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام فاذا كان
ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعرة كما قلناه واذا
واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت
فايدته وصار الشغل به مجانا ومن اعمال اللهو المنهي عنه ومن هذا
الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب
اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فايدة الوهم فيه
عن النفس وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينئذ فيه
والله اعلم **فصل في ان الصريح من النسب انما يوجد
للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم**
وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن
حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان
معاشهم من القيام على الابل ونتاجها ورعايتها والابل تدعوهم
الى التوحش في القفر لرعيها من شجره ونتاجها في رماله كما تقدم والقفر
مكان الشظف والسغب فصار لهم الفا وعادة وربيت فيها اجيالهم
حتى تمكنت خلقا وجبلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم

في حالهم ولا يانس بهم احد من الاجيال بل لو وجد واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانه وثقيف وبنى اسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعه لما كانوا اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدوا عن ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيها شوب واما العرب الذين كانوا بالتلول في معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وغسان وطي وقضاعه واياد فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سيل احدهم عن اصله قال من قرية كذا هذا الى ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصبة فكثر الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن ذلك لاطراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زايدة على النسب يتميزون بها عند امرايهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبيه فاطرحت ثم تلاشت القبايل ودثرت فدثرت العصبيه بدثورها وبقي ذلك في البدوة كما كان والله وارث الارض ومن عليها

فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب اخر بنزوع اليهم او حلف او ولاء او لفرار من قومه بجناية اصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات وساير الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب فكانه وجد لانه لا معنى

لا معنى لكونه من هؤلاء او من هؤلاء الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكانه التحم بهم ثم انه قد ينسى النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم به فيخفى على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم باخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم وانظر خلاف الناس في نسب المنذر وغيرهم تتبين شيا من ذلك ومنه شان بجيلة في عرفجة بن هرثمة لما ولاه عمر عليهم فسالوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا نزيف اي دخيل ولصيق وطلبوا ان يولي عليهم جريرا فساله عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل من الازد اصبت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفجة ببجيله ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشايجه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسي بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

الاعفاء له

بوشايجه له

فصل في ان الرياسة على اهل العصبيه لا تكون في غير نسبهم

وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبيه كما قدمناه فلا بد في الرياسة على القوم ان تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل عصبيه منهم اذا احست بغلب عصبيه الرئيس لهم اقروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبيه فيهم بالنسب انما هو ملصق زنيف وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة وان فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسي عهده الاول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد يتعين له الغلب بالعصبيه فالاولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ فكيف تنوقلت عنه وهو على حال الالتصاق والرياسة لا بد وان تكون موروثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبيه وقد يتشوف كثير من الرؤساء على القبايل

والعصايب الى انساب يلهجون بها اما لخصوصية فضيلة كانت في اهل
ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك
النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون
فيه انفسهم من القدح في رياستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير
في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما تدعيه زناتة جملة انهم من العرب
ومنه ادعاء اولاد رياب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احدى
شعوب زغبة انهم من بني سليم ثم الشريد منهم لحق جدهم ببني عامر
نجارا يصنع الحرجان واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى غلب عليهم
ويسمونه الحجازي ومن ذلك ادعاء بني عبد القوي ابن العباس
من توجين انهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة في هذا
النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية ابي عبد القوي ولم
يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم
على دعوة العلويين اعدايهم من الادارسه والعبيديين فكيف
يسقط العباسي الى شيعة احد من العلويين وكذلك ما يدعيه
ابنا زيان ملوك بني عبد الواد انهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا
الى ما اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم
الزناتي ايت القاسم اي بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو
القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا
فغايه القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف
تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم
القاسم فانه كثير الدوران في الادارسه فتوهموا ان قاسمهم من ذلك
النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان
بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من الانساب
وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم
ويشتهر حتى يبعد عن الرد ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان مؤثل
سلطانهم انه لما قيل له ذلك انكره وقال بلغته الزناتية ما معناه
اما الدنيا والملك فنلناه بسيوفنا لا بهذا النسب واما نفعه في

راس حر

تحريج كلمة غريب تجعل فيه المونث كذا او القاموس وكان الحرجان جمعه

في الاخرة فمردود الى الله واعرض عن المتقرب اليه ومن هذا الباب
ما يدعيه بنو سعد شيوخ بني يزيد من زغبة انهم من ولد ابي بكر الصديق
وبنو سلامة شيوخ بني يدللتن من توجين انهم من سليم وكذا الذواودة
شيوخ رياح انهم من اعقاب البرامكة وكذلك بنو مهنا امراء طي يدعون
فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك كثير ورياستهم في قومهم
مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل يتعين ان يكونوا من صريح
ذلك النسب واقوى عصبياته فاعتبره واجتنب المغالط فيه ولا
تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلويه فان المهدي
لم يكن من منبت الرياسه في هرغة قومه وانما راس عليهم بعد اشتهاره
بالعلم والدين ودخول قبايل المصامده في دعوته وكان مع ذلك
من اهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

بالمشرق

فصل في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبيه وتكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد
الرجل في ابايه اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب
اليه تجلة في اهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم
بخلالهم والناس في نشوهم وتناسلهم معادن قال صلى الله تعالى
عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام
اذا فقهوا فمعنى الحسب راجع الى الانساب وقد بينا ان ثمرة الانساب
وفايدتها انما هي العصبية للنعرة والتناصر فحيث تكون العصبية
مرهوبة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي تكون فايدة النسب
اوضح وثمرتها اقوى وتعديد الاشراف من الاباء زايد في فايدتها
فيكون الحسب والشرف اصيلا في اهل العصبيه لوجود ثمرة النسب
وتتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبيه لانه سرها
ولا يكون للمنفردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهموه
فزخرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في اهل الامصار وجدت
معناه ان الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة اهل مع

بنوعلية

مع الركون الى مافيه ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبيه
التى هى ثمرة النسب وتعديد الاباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت
بالمجاز بعلاقة مافيه من تعديد الاباء المتعاقبين على طريقة واحدة
من الخير ومسالكه وليس حسبا بالحقيقة وعلى الاطلاق وقد
يكون للبيت شرف اول بالعصبيه والخلال ثم ينسلخون منه لذهابها
بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى فى نفوسهم وسواس ذلك
الحسب يعدون به انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصائب وليسوا
منها فى شىء لذهاب العصبيه جملة وكثير من اهل الامصار الناشئين
فى بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون بذلك واكثر ما رسخ
الوسواس فى ذلك لبنى اسرائيل فانه كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم
بالمنبت اولا لما تعدد فى سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم
عليه السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبيه
ثانيا وما اتاهم الله بها من الملك الذى وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك
اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء فى الارض
وانفردوا بالاستعباد والكفر الافا من السنين ثم ما زال هذا الوسواس
مصاحبا لهم فتجدهم يقولون هذا هارونى هذا من نسل يوشع هذا
من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبيه ورسوخ
الذل فيهم منذ احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار غيرهم
المنقطعين فى انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان وقد
غلط ابو الوليد بن رشد فى هذا لما ذكر الحسب فى كتاب الخطابه من تلخيص
كتب المعلم الاول فقال والحسب هو ان يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة
ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعرى ما الذى ينفعه قدم نزلهم بالمدينة
ان لم تكن له عصابة يرهب بها جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه
فكانه اطلق الحسب على تعديد الاباء فقط مع ان الخطابة انما هى استمالة
من تؤثر استمالته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له البتة
فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل
الامصار من الحضر بهذه المثابة الا ان ابن رشد ربى فى جيل وبلد

وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها فبقى فى امر البيت و
الحسب على الامر المشهور من تعديد الاباء على الاطلاق ولم يراجع
فيه حقيقة العصبية وسرها فى الخليقة والله بكل شىء عليم

فصل فى ان البيت والشرف للموالى واهل العصبية انما هو بمواليهم لا بانسابهم

الاصطناع نسخه

وذلك انا قدمنا الان ان الشرف بالاصالة
والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما
من غير نسبهم او استرقوا العبدى والموالى والتحموا بهم كما قلناه ضرب
معهم اولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم فى تلك العصبية ولبسوا
جلدتها كانها عصبيتهم وحصل لهم من الانتظام فى العصبية مساهمة
فى نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى
رق او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته بنافع له فى تلك
العصبية اذ هى مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب
سرها عند التحامه بهذا النسب الاخر وفقدانه اهل عصبيتها فيصير
من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الاباء فى هذه العصبية
كان له بينهم شرف وبيت على نسبته فى ولايته واصطناعهم لا يتجاوزه
الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شان الموالى فى الدول
والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ فى ولاء الدولة وخدمتها
وتعدد الاباء فى ولايتها الا ترى الى موالى الاتراك فى دولة بنى العباس
والى بنى برمك من قبلهم وبنى نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف
وبنوا المجد والاصالة بالرسوخ فى ولاء الدولة وكان جعفر بن
يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد
وقومه لا بالانتساب فى الفرس وكذا موالى كل دولة وخدمها انما يكون
لهم البيت والحسب بالرسوخ فى ولائها والاصالة فى اصطناعها و
يضمحل نسبه الاقدم ان كان من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به فى
اصالته ومجده وانما المعتبر نسبة ولايه واصطناعه اذ فيه سر
العصبية التى بها البيت والشرف فكان شرفه مشتق من شرف مواليه
وبيته من بنائهم فلم ينفعه نسب الولادة وانما بنا مجده نسب الولاء

بياتهم لـ

فى الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربيه وقد تكون نسبه الاول
فى لحمة عصبية ودولة فاذا ذهبت وصار ولاؤه واصطناعه فى اخرى
لم ينفعه الاول لذهاب عصبيته وانتفع بالثانى لوجودها وهذا حال
بنى برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت فى الفرس من سدنة بيوت
النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بنى العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما
كان شرفهم من حيث ولائهم فى الدوله واصطناعهم وما سوى هذا
فوهم توسوس به النفوس الجامحة ولا حقيقه له والوجود شاهد بما
قلناه واكرمكم عند الله اتقاكم **فصل فى ان نهاية الحسب فى العقب
الواحد اربعة آباء** اعلم ان العالم العنصرى بما فيه كاين فاسد لا من
ذواته ولا من احواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات
الانسان وغيره كاينه فاسدة بالمعاينه وكذلك ما يعرض لها من الاحوال
وخصوصا الانسانيه فالعلوم تنشا ثم تدرس وكذلك الصنايع و
امثالها والحسب من العوارض التى تعرض للآدميين فهو كاين فاسده
لا محالة وليس يوجد لاحد من اهل الخليقه شرف متصل فى ابائه
من لدن ادم اليه الا ما كان من ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
كرامة به وحياطة على السر فيه واول كل شرف خارجية كما قيل وهى
الخروج عن الرياسه والشرف الى الضعة والابتذال وعدم الحسب
ومعناه ان كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شان كل محدث
ثم ان نهايته فى اربعه اباء من عقبه وذلك ان بانى المجد عالم بما عاناه
فى بنايه ومحافظ على الخلال التى هى اسباب كونه وبقايه وابنه من بعده
مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر فى ذلك
تقصير السامع بالشئ عن المعانى له ثم اذا جاء الثالث كان حظه
الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثانى تقصير المقلد عن المجتهد
ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء
مجدهم واحتقرها وتوهم ان ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف
وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشاة بمجرد انتسابهم وليس بعصابة
ولا بخلال لما يرى من التجله بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها

حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فيربا بنفسه عن
اهل عصبيته ويرى الفضل عليهم وثوقا بما ربى فيه من استتباعهم
وجهلا بما اوجب ذلك الاستتباع من الخلال التى منها التواضع لهم
والاخذ بمجامع قلوبهم فيحقرهم لذلك فينتقضون عليه ويحتقرونه
ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروعه فى غير ذلك
العقب للاذعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله
فتنمو فروع هذا وتذوى فروع الاول وتنهدم بناء بيته [بناءه] هذا فى
الملوك وهكذا فى بيوت القبايل والامراء واهل العصبيه اجمع ثم
فى بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشات بيوت اخرى من ذلك
النسب ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز
واشتراط الاربعة فى الاحساب انما هو فى الغالب والا فقد يدثر البيت
من دون الاربعه ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس
والسادس الا انه فى انحطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل
الاجيال الاربعه بان ومباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن
وقد اعتبرت الاربعه فى نهاية الحسب فى باب المدح والثناء [قال صلى الله عليه وسلم] انما الكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اشارة الى
انه بلغ الغاية من المجد وفى التوراة ما معناه انا الله ربك طايق
غيور مطالب بذنوب الاباء للبنين على الثوالث وعلى الروابع وهو
يدل على ان الاربعه الاعقاب غاية فى الانتساب والحسب ومن
كتاب الاغانى فى اخبار عويف القوافى ان كسرى قال للنعمان هل
فى العرب قبيله تشرف على قبيله قال نعم قال باى شى قال من كانت له
ثلثه اباء متوالية روساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من
قبيلته وطلب ذلك فلم يجده الا فى الحذيفه بن بدر الفزارى وهم
بيت قيس وال حاجب بن زراره بيت تميم وال ذى الجدين بيت
شيبان وال الاشعث بن قيس من كنده فجمع هولاء الرهط ومن تبعهم
من عشايرهم واقعد لهم الحكام العدول فقام حذيفه بن بدر ثم
الاشعث بن قيس لقرابته من النعمان ثم بسطام بن قيس من شيبان

ثم حاجب ابن زراره ثم قيس بن عاصم وخطبوا ونثروا فقال
كسرى كلهم سيد يصلح لموضعه وكانت هذه البيوتات هي المذكورة
بالشرف في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني الحرث بن كعب بيت
اليمن وهذا كله يدل على ان الاربعة آباء نهاية في الحسب والله اعلم

فصل في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة
لاجرم كان هذا الجيل الوحشي اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر
على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد
تختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياف
وتبنكوا النعيم والفوا عوايد الخصب في المعاش والنعيم نقص من
شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداوتهم واعتبر ذلك
في الحيوان العجم بدواجن الظباء والبقر الوحشية والحمر اذا زال
توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها في
الانتهاض والشدة حتى في مشيها وحسن اديمها وكذلك الادمي المتوحش
اذا انس والف وسببه ان تكون السجايا والطبايع انما هو عن المالوفات
والعوايد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن
كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى
التغلب على سواه اذا تقاربا في العدد وتكافا في القوة والعصابة
وانظر في ذلك شان مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين
الى الملك والنعيم ومع ربيعه الموطنين ارياف العراق ونعيمه
لما بقي مضر في بداوتهم وتقدمهم الاخرون الى خصب العيش
وغضارة النعيم كيف ارهفت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم
على ما في ايديهم وانتزعوه منهم وهكذا حال بني طي وبني عامر بن
صعصعه وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تاخروا في باديتهم
عن ساير قبايل مضر واليمن ولم يلتبسوا بشيء من دنياهم كيف امسكت
حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلقها مذاهب الترف حتى
صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حي من العرب يلي نعيما وعيشا

وعيشا خصيبا دون الحي الاخر فان الحي المتبدي يكون اغلب له واقدر
عليه اذا تكافا في القوة والعدد سنة الله في خلقه

فصل في ان الغاية التي تجري اليها العصبيه هي الملك

وذلك لانا قدمنا
ان العصبيه بها تكون الحمايه والمدافعه والمطالبة وكل امر يجتمع
عليه وقدمنا ان الادميين بالطبيعه الانسانيه يحتاجون في كل
اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا
عليهم بتلك العصبيه والا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب
هو الملك وهو امر زايد على الرياسه لان الرياسه انما هي سودد وصاحبها متبوع
وليس له عليهم قهر في احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم
بالقهر وصاحب العصبيه اذا بلغ الى رتبة السودد والاتباع ووجد
السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم
اقتدارها عليه الا بالعصبيه التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي
نهاية للعصبية كما رايت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات
مفترقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبيه اقوى من جميعها
تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كانها عصبيه
واحدة كبرى والا وقع الافتراق المفضي الى الاختلاف والتنازع
ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ثم اذا حصل
التغلب بتلك العصبيه على قومها طلبت بطبعها التغلب على اهل
عصبيه اخرى بعيدة عنها فان كافاتها او مانعتها كانوا اقتالا وانظارا
ولكل واحدة منهما التغلب على حوزتها وقومها شان القبايل والامم
المفترقه في العالم وان غلبتها واستتبعتها التحمت بها ايضا وزادتها
قوة في التغلب الى قوتها وطلبت غايه من التغلب والتحكم اعلى من
الغايه الاولى وابعد وهكذا دايما حتى تكافي بقوتها قوة الدوله
فان ادركت الدوله في هرمها ولم يكن لها ممانع من اولياء الدوله
اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار
الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدوله
انما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل العصبات انتظمتها

الدوله فى اولتايها تستظهر بها على ما يعن من مقاصدها وذلك
ملك اخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك فى دولة بنى العباس
ولصنهاجه وزناته مع كتامه ولبنى حمدان مع ملوك الشيعه من
العلويه والعباسيه فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبيه وانها
اذا بلغت الى غايتها حصل للقبيل الملك اما بالاستبداد او بالمظاهرة
على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وان عاقها عن بلوغ الغاية
عوائق كما نبينه وقفت فى مقامها الى ان يقضى الله بامره **فصل**
فى ان من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل فى النعيم
وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت
على النعمه بمقداره وشاركت اهل النعم والخصب فى نعمتهم وخصبهم
وضربت معهم فى ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظهار
الدوله فى انتزاع امرها ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها
والقنوع بما يسوغون من نعمها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم
امالهم الى شئ من منازع الملك ولا اسبابه انما همهم النعيم والكسب
وخصب العيش والسكون فى ظل الدوله الى الدعة والراحة والاخذ
بمذاهب الملك فى المبانى والملابس والاستكثار من ذلك والتأنق
فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو اليه من توابع
ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون
فيما اتاهم الله من البسط وتنشأ بنوهم واعقابهم فى مثل ذلك من الترفع
عن خدمة انفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر
الامور الضروريه فى العصبيه حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجيه
فتنقص عصبيتهم وبسالتهم فى الاجيال بعدهم بتعاقبها الى
ان ينقرض العصبيه فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم
يكون اشرافهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف و
والغرق فى النعيم كاسر من سورة العصبية التى بها التغلب واذا
انقرضت العصبيه قصر القبيل عن المدافعه والحمايه فضلا عن
المطالبة والتهمتهم الامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق

عوائق الملك والله يؤتى ملكه من يشاء **فصل فى ان من عوائق**
الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد لسواهم وسبب ذلك ان
المذلة والانقياد كاسران بسورة العصبيه وشدتها فان انقيادهم
ومذلتهم دليل على فقدانها فما رئموا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة
ومن عجز عن المدافعة فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة
واعتبر ذلك فى بنى اسرائيل لما دعاهم موسى الى ملك الشام واخبرهم
بان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوما
جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها اى يخرجهم الله منها بضرب من
قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك ياموسى ولما عزم عليهم لجوا
وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا وما ذلك
الا لما انسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه
الاية وما يؤثر فى تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد
وما رئموا من الذل للقبط احقابا حتى ذهبت العصبيه منهم جملة
مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام
لهم وان العمالقه الذين كانوا باريحا فريستهم بحكم من الله قدره لهم
فقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلا على ما علموا من انفسهم من العجز عن
المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما اخبرهم به
نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهو انهم تاهوا
فى قفر من الارض ما بين الشام ومصر اربعين سنة لم يأووا فيها
لعمران ولا نزلوا مصرا كما قصه القران لغلظة العمالقه بالشام
والقبط بمصر عليهم ولعجزهم عن مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق
الاية ومفهومها ان حكمة ذلك التيه مقصوده وهى فناء الجيل الذين خرجوا
من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به وافسدوا من عصبيتهم
حتى نشأ فى ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر
ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبية اخرى اقتدروا بها
على المطالبة والتغلب ويظهر لك بذلك ان الاربعين سنة اقل
ما ياتى فيها فناء جيل ونشأة جيل اخر سبحان الحكيم العليم وفى هذا

اوضح دليل على شان العصبيه وانها التى تكون بها المدافعه والمقاومه والحمايه والمطالبه وان من فقدها عجز عن جميع ذلك **ويلتحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شان المغارم والضرايب** فان القبيل الغارمين ما أعطوا اليد لذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لان في المغارم والضرايب ضيمًا ومذلة لا تحتملها النفوس الابية الا اذا استهونته عن القتل والتلف وان عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعه والحماية ومن كانت عصبيته لا تدفع عنه الضيم فكيف بالمقاومة او المطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة عايقه كما قدمناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في شان الحرث لما راى سكة المحراث في دور بعض الانصار فقال ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للذلة هذا الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعه بسبب ملكة القهر فاذا رايت القبيل بالمغارم في ربقه من الذل فلا تطمعن لها بملك اخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زناتة بالمغرب كانوا شاوية يودون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر في هذا ما قاله شهربراز ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما اطل عليه وسال شهربراز امانة على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصغوي معكم فبارك الله لنا ولكم ومرحبا بكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف **فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميده وبالعكس** لما كان الملك طبيعيا للانسان لما فيه من طبيعه الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقه العاقلة لان الشر انما جاءه من قبل القوى الحيوانيه التي فيه واما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب والملك والسياسه انما كان له من حيث هو انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن

في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من المغرم فسئل عن ذلك فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فاخلف

فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذ الخير هو المناسب للسياسه وقد ذكرنا ان المجد له اصل يبنى عليه وتتحقق حقيقته وهو العصبيه والعشير وفرع يتمم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفروعها ومتمماتها وهي الخلال لان وجوده دون متمماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء او ظهوره عريانا بين الناس واذا كان وجود العصبيه فقط من غير انتحال الخلال الحميده نقصًا في اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهايه لكل حسب وايضا فالسياسه والملك هي كفالة للخلق وخلافه لله في العباد في الاحكام واحكام الله في خلقه وعباده انما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرايع واحكام الشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدره سبحانه وقدرته فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبيه الكفيله بالقدرة واونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله في خلقه فقد تهيأ للخلافه في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحيه لذلك وهذا البرهان اوثق من الاول واصح مبنى فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا في اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفا بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عندما يحددون لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرايع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدر والمكر والخديعه

ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت
لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم او على
العموم وانه خير ساقه الله اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس
ذلك سدًى فيهم ولا وجد عبثًا منهم والملك انسب الخيرات
والمراتب لعصبيتهم فعلمنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه
اليهم وبالعكس من ذلك اذا تاذن الله بانقراض الملك من امة
حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذايل وسلوك طرقها
نتفقد الفضايل السياسيه منهم جمله ولا تزال في انتقاص الى ان
يخرج الملك من ايديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيا عليهم في
سلب ما كان الله قد اتاهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
القول فدمرناها تدميرا وَاستقرِئْ ذلك وتتبعه في الامم السالفة
تجد كثيرًا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار واعلم
ان من خلال الكمال الذي يتنافس فيها القبايل اولو العصبيه
وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشراف
واهل الاحساب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم
وذلك ان اكرام القبايل واهل العصبيات والعشاير لمن يناهضهم
في الشرف ويجاذبهم حبل العشير والعصبيه ويشاركهم في اتساع
الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قوم
المكرم او التماس مثلها منه واما امثال هؤلاء ممن ليس له عصبية
تتقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شان كرامتهم ويتمحض القصد
فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسه
بالكليه لان اكرام اقتاله وامثاله ضروري في السياسه الخاصه
بين قبيله ونظرايه واكرام الطاريين من اهل الفضايل والخصوصيات
كمال في السياسة العامه والصالحون للدين والعلماء للحاجة اليهم
في اقامة مراسم الشريعه والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بهم والغرباء
من مكارم الاخلاق ومن الترغيب ببعض الوجوه وانزال الناس منازلهم

منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل
عصبيته انتماؤهم للسياسه العامة وهي الملك وان الله قد تاذن
بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا فان اول ما يذهب من القبيل
اهل الملك اذا تاذن الله بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف
من الخلق فاذا رايته قد ذهب من امته من الامم فاعلم ان الفضايل
قد اخذت في الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم واذا اراد الله
بقوم سوءًا فلا مرد له **فصل في انه اذا كانت الامة وحشية**
كان ملكها اوسع وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه
واستعباد الطوايف بقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم
يتنزلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء
مثل العرب وزناته ومن في معناهم من الاكراد والتركمان واهل اللثام
من صنهاجة وايضا فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون
منه ولا بلد يجنحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء
فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يقفون
عند حدود افقهم بل يطفرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون
على الامم النائية وانظر ما يحكى في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما بويع
وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على
النجعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك اين الطراء المهاجرون عن
موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها
فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا
بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعه وحمير كيف كانوا يخطون
من اليمن الى المغرب مرة والى العراق والهند اخرى ولم يكن ذلك
لغير العرب من الامم وكذا حال الملثمين بالمغرب لما نزعوا الى الملك
طفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السودان الى الاقليم
الرابع والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطه وهذا شان هذه
الامم الوحشيه فلذلك تكون دولهم اوسع نطاقا وابعد من مراكزها نهاية
والله مقدر الليل والنهار **فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض**

زناتة بالكسر قبيلة بالمغرب منهم [illegible] الزناتي المنجم [illegible] قاموس
صنهاجة [illegible]

الشعوب من امة فلابد من عوده الى شعب اخر منها ما دامت لهم
العصبيه والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة
الغلب والاذعان لهم من ساير الامم سواهم فيتعين منهم المباشرون
للامر الحاملون لسرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم لما هم عليه من
الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاحمة وللغيرة التي تجدع انوف كثير
من المتطاولين للرتبه فاذا تعين اولئك القايمون بالدوله انغمسوا
في النعيم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك
الجيل وانفقوهم في وجوه الدوله ومذاهبها وبقي الذين بعدوا عن
الامر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدوله التي شاركوها بنسبهم
وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين
الايام واباد غضراءهم الهرم وطبختهم الدوله واكل الدهر عليهم
وشرب بما ارهف النعيم من حدهم واشتفت غريزة الترف من ماءهم
وبلغوا غايتهم من طبيعه التمدن الانساني والتغلب السياسي شعر
كدود القز ينسج ثم يفنى بمركز نسجه في الانعكاس ٭ كانت حينئذ
عصبية الاخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوظة
وشارتهم في الغلب معلومة فتسمو امالهم الى الملك الذي كانوا
ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم وترتفع المنازعة
لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر ويصير اليهم وكذا يتفق فيهم
مع من بقي ايضا منتبذا عنه من عشاير امتهم فلا يزال الملك ملجا في الامة
الى ان تنكسر سورة العصبيه منها او تفنى ساير عشايرها سنة الله
في الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما وقع في الامم
لما انقرض ملك عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم
اخوانهم العمالقه ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم
التبابعة من حمير ايضا ومن بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدوله
لمضر وكذلك الفرس انقرض امر الكينيه فملك من بعدهم الساسانيه حتى
ياذن الله بانقراضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض امرهم
وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض امر مغراوة

مغراوة وكتامة الملوك الاول منهم رجع الى صنهاجه ثم الملثمين من
بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناته وهكذا سنة الله في
عباده وخلقه واصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوته
في الاجيال والملك يخلقه الترف ويذهبه كما سنذكره بعد فاذا
انقرضت دوله فانما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركه
لعصبيتهم التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع
العصبيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية
بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم
تبديل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته
فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي ياذن الله بقيامه بذلك
التبديل كما وقع لمضر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من
ايدي اهل العالم بعد ان كانوا مكبوحين عنه احقابا

فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وساير احواله وعوايده

والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد
الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بما وقر عندها
من تعظيمه او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي
انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل
اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو
الاقتداء او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية
ولا قوة باس وانما هو بما انتحلته من العوايد والمذاهب تغالط
ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع الى الاول ولذلك ترى المغلوب
يتشبه ابدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها
واشكالها بل وفي ساير احواله وانظر ذلك في الابناء مع الاباء
كيف تجدهم متشبهين بهم دايما وما ذاك الا لاعتقادهم الكمال
فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زي
الحاميه وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه
اذا كانت امه تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا

التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع امم الجلالقة
فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوايدهم
واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى
لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه علامة الاستيلاء
والامر لله وتامل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من
بابه اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد
الكمال فيه اقتداء الابناء بابائهم والمتعلمين بمعلميهم والله العليم
الحليم **فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملكة غيرها
اسرع اليها الفناء** والسبب فيه والله اعلم ما يحصل من التكاسل
اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة
عليهم فيقصر الامل ويضعف والتناسل والاعتماد انما هو
عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية
فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال
وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم
وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم
بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة
لكل اكل وسوا كانوا حصلوا على غايتهم من الملك او لم يحصلوا
وفيه والله اعلم سر اخر وهو ان الانسان رئيس بطبعه بمقتضى
الاستخلاف الذي جعل له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح
عن غاية عزه تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبده وهذا موجود
في اخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة
وانها لا تسافد اذا كانت في ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل
المملوك امره عليه في تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الفناء
والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت قد ملات
العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب بقي منهم كثير واكثر
من الكثير يقال ان سعدا احصى من وراء المداين فكانوا مائة الف
وسبعة وثلثين الفا منهم سبعة وثلثون الفا رب بيت ولما

تحصلوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا ودثروا
كان لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم
فملكة الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب
على امره وصار آلة لغيره ولهذا فانما يذعن للرق في الغالب امم
السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من الحيوانات العجم
كما قلناه او من يرجو في انتظامه في ربقة الرق حصول رتبة او افادة
مال او عز كما يقع للترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والافرنجة
بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يانفون
من الرق لما يؤملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله
اعلم **فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط** وذلك انهم
بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا
عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالقفر
ولا يذهبون الى المزاحفة والمحاربة الا اذا دافعوا بذلك عن انفسهم
فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون
له والقبايل الممتنعة عليهم باوعار الجبال بنجاة من عيثهم وفسادهم
لانهم لا يتسنمون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون
الخطر واما البسايط متى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف
الدولة فهي نهب لهم وطعمة لاكلهم يرددون عليها الغارة والنهب
والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم
يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض
عمرانهم والله قادر على خلقه **فصل في ان العرب اذا تغلبوا
على الاوطان اسرع اليها الخراب** والسبب في ذلك انهم امة
وحشية باستحكام عوايد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم
خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة
الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران
ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب
وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا

حاجتهم اليه لنصبه اثافى للقدور فينقلونه من المبانى ويخربونها
عليه ويعدونه لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعمدوا به
خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليها
لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذى هو اصل
العمران هذا فى حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما فى
ايدى الناس وان رزقهم فى ظلال رماحهم وليس عندهم فى
اخذ اموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال
او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك
بطلت السياسة فى حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم
يكلفون على اهل الاعمال من الصنائع والحرف اعمالهم لا يرون لها
قيمة ولا قسطا من الاجر والثمن والاعمال كما سنذكره هى اصل
المكاسب وحقيقتها واذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت
الامال فى المكاسب وانقبضت الايدى عن العمل وابذعر الساكن وفسد
العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفاسد
ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما ياخذونه من اموال الناس نهبا او مغرما
فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعده من تسديد
احوالهم والنظر فى مصالحهم وقهر بعضهم عن اغراض المفاسد وربما
فرضوا العقوبات فى الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية
والاستكثار منها كما هو شانهم وذلك ليس بمغن فى دفع المفاسد وزجر
المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم فى جانب
حصول الغرض فتبقى الرعايا فى ملكتهم كانها فوضى دون حكم
والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود
الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم
الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم متنافسون فى
الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه
او كبير عشيرته الا فى الاقل وعلى كره من اجل الحيا فيتعدد الحكام
منهم والامراء وتختلف الايدى على الرعية فى الجباية والاحكام فيفسد

فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابى الوافد على عبد الملك لما ساله
عن الحجاج واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال
تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من
لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه واقفر ساكنه وبدلت الارض
فيه غير الارض فاليمن قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وعراق العرب
كذلك قد خرب عمرانه الذى كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك
وافريقية والمغرب لما اجاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة
الخامسة وتمرسوا بها لثلثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت
بسائطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمرانا
يشهد بذلك اثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى
والمداشر والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل فى ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة
او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة والسبب فى ذلك انهم لخلق
التوحش الذى فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة
وبعد الهمة والمنافسة فى الرياسة فقلما تجتمع اهواؤهم فاذا كان الدين
بالنبوات او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة
منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب
للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبى
او الولى الذى يبعثهم على القيام بامر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق
وياخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لاظهار الحق تم اجتماعهم وحصل لهم
التغلب والملك وهم مع ذلك اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة
طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق
التوحش القريب المعاناة المتهيئ لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى
وبعده عما ينطبع فى النفس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل مولود
يولد على الفطرة كما ورد فى الحديث وقد تقدم

فصل فى ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك والسبب فى ذلك انهم اكثر بداوة من سائر
الامم وابعد مجالا فى القفر واغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتيادهم

الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد
بعضهم لبعض لايلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم
غالبا للعصبية التى بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم
وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شان عصبيته فيكون فيها هلاكه
وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضى ان يكون السايس
وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسته وايضا فمن طبيعتهم كما قدمناه
اخذ ما فى ايدى الناس خاصة والتجافى عما سوى ذلك من الاحكام بينهم
ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم
الانتفاع باخذ ما فى ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام بينهم
وربما جعلوا العقوبات على المفاسد فى الاموال حرصا على تكثير
الجبايات وتحصيل الفوايد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون
باعثا بحسب الاغراض الباعثة على المفاسد واستهانته ما يعطى
من ماله فى جانب غرضه فتنموا المفاسد بذلك ويقع تخريب العمران
فتبقى تلك الامة كانها فوضى مستطيلة ايدى بعضها على بعض
فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شان الفوضى كما قدمناه فبعدت
طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها
بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية تمحو ذلك منهم
وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم
عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم فى الملة لما شيد لهم
الدين امر السياسة بالشريعة واحكامها المراعية لمصالح العمران
ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم
كان رستم اذا راى المسلمين يجتمعون للصلوة يقول اكل عمر كبدى
يعلم الكلاب الاداب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن
الدولة اجيال نبذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم
وجهلوا شان عصبيتهم مع اهل الدولة ولبعدهم عن الانقياد
واعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انه
للخلفاء وهم من جيلهم ولما ذهب امر الخلافة وامحى رسمها انقطع

انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليه العجم دونهم واقاموا
بادية فى قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم
انه كان لهم ملك فى القديم وما كان لاحد من الامم فى الخليقة ما كان
لاجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة
شاهدة بذلك ثم دولة مضر فى الاسلام بنى امية وبنى العباس لكن بعد
عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد
يحصل لهم فى بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما فى المغرب
لهذا العهد فلا يكون ماله وغايته الا تخريب ما يستولون عليه من العمران
كما قدمناه والله خير الوارثين **فصل فى ان البوادى من القبايل
والعصايب مغلوبون لاهل الامصار** قد تقدم لنا ان عمران
البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية
فى العمران ليس كلها موجودا لاهل البدو وانما يوجد لديهم فى مواطنهم
امور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنايع فلا توجد لديهم
بالكلية من نجار وخياط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات
معاشهم فى الفلح وغيره وكذا الدنانير والدراهم مفقودة لديهم وانما
بايديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان او فضلاته البانا واوبارا
واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير
والدراهم الا ان حاجتهم الى الامصار فى الضرورى وحاجة اهل الامصار
اليهم فى الحاجى والكمالى فهم محتاجون الى الامصار فى الضرورى
بطبيعة وجودهم فما داموا فى البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء
على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ويتصرفون فى مصالحهم
وطاعتهم متى دعوهم الى ذلك وطالبوهم به فان كان فى المصر ملك
كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن فى المصر ملك
فلا بد فيه من رياسة ونوع استبداد من بعض اهله على الباقين
والا انتقض عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعى
فى مصالحه اما طوعا ببذل المال لهم ثم يبيح لهم ما يحتاجون اليه من
الضروريات فى مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته

على ذلك ولو بالتضريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب
به الباقين فيضطر الاخرين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد
عمرانهم وربما لا تسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات اخرى
لان كل الجهات معمور بالبدو الذين غلبوا عليها
ومنعوها من غيرهم فلا يجد هولاء ملجا الا طاعة
المصر فهم بالضرورة مغلوبون لاهل
الامصار والله القاهر فوق
عباده

م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول والملك والخلافة والمراتب السلطانيه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل في ان الملك والدول العامه انما يحصل بالقبيل والعصبية والشوكة

وذلك انه قد قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما يكون
بالعصبية لما فيها من النعرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم
دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات
الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانيه فيقع فيه التنافس
غالبا وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة
وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشي منها لا يقع الا بالعصبية
كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له
لانهم نسوا عهد تمهيد الدولة منذ اولها وطال امد مرباهم في الحضارة
وتعاقبهم فيها جيلا بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة
انما يدركون اصحاب الدولة قد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم و
الاستغنا عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر
من اوله وما لقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس
في نسيان هذه العصبية واثرها لطول الامد واستغنايهم في الغالب
عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصايب والله قادر على
ما يشاء

فصل في انه اذا استقرت الدوله وتمهدت فقد تستغني عن العصبية

والسبب في ذلك ان الدولة العامه
في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب
للغرابة وان الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة
في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدوله وتوارثوه واحدا بعد اخر
في اعقاب كثيرين ودول متعاقبه نسيت النفوس شان الاولية واستحكمت
لاهل ذلك النصاب صبغة الرياسه ورسخ في العقايد دين الانقياد لهم

والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم قتالهم على العقايد الايمانيه
فلم يحتاجوا حينئذ فى امرهم الى كبير عصابه بل كان طاعتها كتاب
من الله لا تبدل ولا يعلم خلافه ولا مر ما يوضع الكلام فى الامامه
اخر الكلام على العقايد الايمانيه كانه من جمله عقودها ويكون
استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما بالموالى
والمصطنعين الذين نشؤا فى ظل العصبيه وعزها واما بالعصايب
الخارجين عن نسبها الداخلين فى ولايتها ومثل هذا وقع لبنى العباس
فان عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه
الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالى من العجم والبربر
والترك والديلم والسلجوقيه وغيرهم ثم تغلب العجم والاولياء
على النواحى وتقلص ظل الدوله فلم يكن يعدو اعمال بغداد
حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصار الخلايف فى حكمهم ثم
انقرض امرهم وملك السلجوقيه من بعدهم فصاروا فى حكمهم ثم
انقرض امرهم وزحف التطر اخرا فقتلوا الخليفه ومحوا رسم
الدوله وكذا صنهاجه بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المايه
الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم الدوله متقلصة الظل بالمهديه
وبجايه والقلعه وساير ثغور افريقيه وربما انتزى بتلك الثغور
من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك
مسلم لهم حتى ياذن الله بانقراض الدولة وجا الموحدون بقوة
قوية من العصبيه فى المصامدة فمحوا اثارهم وكذا دوله بنى اميه
بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوايف
على امرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدوله
وانتزى كل واحد منهم على ما كان فى ولايته وشمخ بانفه وبلغهم
شان العجم مع الدولة العباسيه فتلقبوا بالقاب الملك ولبسوا
شارته وامنوا ممن ينقض ذلك عليهم او يغيره لان الاندلس ليست
بدار عصايب ولا قبايل كما سنذكره واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف
مما يزهدنى فى ارض اندلس اسماء معتصم فيها ومعتضد القاب مملكة

نظم

مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صورة الاسد فاستظهروا
على امرهم بالموالى والمصطنعين والطراء على الاندلس من قبايل
البربر وزناته وغيرهم اقتداء بالدولة فى اخر امرها فى الاستظهار
بهم حين ضعفت عصبيه العرب واستبد ابن ابى عامر على الدوله
فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد فيها بجانب من الاندلس
وحظ كبير من الملك على نسبة الدوله التى اقتسموها ولم يزالوا
فى سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبيه
القويه من لمتونه فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم ومحوا
اثارهم ولم يقدروا على مدافعتهم لفقدان العصبيه لديهم فبهذه
العصبيه يكون تمهيد الدوله وحمايتها من اولها وقد ظن الطرطوشى
ان حامية الدول بالاطلاق هم الجند اهل العطاء المفروض مع الاهلة
ذكر ذلك فى كتابه الذى سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول
تاسيس الدول العامه فى اولها وانما هو مخصوص بالدول الاخيرة
بعد التمهيد واستقرار الملك فى النصاب واستحكام الصبغة
لاهله فالرجل انما ادرك الدوله عند هرمها وخلق جدتها ورجوعها
الى الاستظهار بالموالى والصنايع المستخدمين من وراثهم بالاجر
على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوايف وذلك عند اختلال
دوله بنى اميه وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير
بقطره وكان فى ايالة المستعين ابن هود وابنه المظفر اهل
سرقسطة ولم يكن بقى لهم من امر العصبيه شى لاستيلاء الترف
على العرب منذ ثلثمايه من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا
مستبدا بالملك عن عشايره قد استحكمت له صبغة الاستبداد
منذ عهد الدوله وبقيه العصبيه فهو لذلك لا ينازع فيه
ويستعين على امره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطرطوشى
القول فى ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدول وانه
لا يتم الا لاهل العصبيه فتفطن انت له وافهم سر الله فيه والله
يؤتى ملكه من يشاء

طرطوشى

فصــــل فی انه قد یحدث لبعض اهل النصاب الملکی دوله تستغنی عن العصبیه وذلك انه اذا کان لعصبیة غلب کبیر علی الامم والاجیال وفی نفوس القایمین بامره من اهل القاصیه اذعان لهم وانقیاد فاذا نزع الیهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملکه ومنبت عزه اشتملوا علیه وقاموا بامره وظاهروه علی شانه وعنوا بتمهید دولته یرجون استقراره فی نصابه وتناوله الامر من ید اعیاصه ولا یطمعون فی مشارکته فی شیء من سلطانه تسلیمًا لعصبیته وانقیاد الما استحکم له ولقومه من صبغه الغلب فی العالم وعقیدة ایمانیة استقرت فی الاذعان لهم فلو راموها معه اودونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا کما وقع للادارسة بالمغرب الاقصی والعبیدیین بافریقیة ومصر لما انتبذ الطالبیون من المشرق الی القاصیة وابتعدوا عن محل الخلافه وسموا الی طلبها من ایدی آل العباس بعد ان استحکمت الصبغه لبنی عبد مناف لبنی امیه اولا ثم لبنی هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصیه من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم البرابرة مرة بعد اخری فاوربه ومغیلة للادارسة وکتامة وصنهاجه وهوارة للعبیدیین فشیدوا دولتهم ومهدوا بعصایبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسیین المغرب کله ثم افریقیه ولم یزل ظل الدوله یتقلص وظل العبیدیین یمتد الی ان ملکوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم فی الممالك الاسلامیه شق الابلمة وهولاء البرابرة القایمون بالدوله مع ذلك کله مسلمون للعبیدیین امرهم مذعنون لملکهم وانما کانوا یتنافسون فی الرتبة عندهم خاصه تسلیما لما حصل من صبغة الملك لبنی هاشم ولما استحکم من الغلب لقریش ومضر علی سایر الامم فلم یزل الملك فی اعقابهم الی انقراض دولة العرب باسرها والله یحکم لا معقب لحکمه فصـــل فی ان الدول العامه الاستیلا العظیمه الملك اصلها الدین اما من نبوة او دعوة حق وذلك لان الملك انما یحصل بالتغلب والغلب انما یکون بالعصبیه واتفاق الاهواء علی المطالبة وجمع القلوب وتالیفها انما یکون

یکون بمعونة من الله فی اقامة دینه قال تعالی لو انفقت ما فی الارض جمیعًا ما الفت بین قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الی اهواء الباطل والمیل الی الدنیا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الی الحق ورفضت الدنیا والباطل واقبلت علی الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحصل التعاون والتعاضد واتسع نطاق الکلمة لذلك فعظمت الدولة کما نبین لك بعد ان شاء الله

فصل فی ان الدعوة الدینیه تزید الدوله فی اصلها قوة علی قوة العصبیه التی کانت لها من عددها والسبب فی ذلك کما قدمناه ان الصبغه الدینیه تذهب بالتنافس والتحاسد الذی فی اهل العصبیة وتفرد الوجهه الی الحق فاذا حصل لهم الاستبصار فی امرهم لم یقف لهم شی لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عند جمیعهم وهم مستمیتون علیه واهل الدوله التی هم طالبوها وان کانوا اضعافهم فاغراضهم متباینة بالباطل وتخاذلهم لتقیه الموت حاصل فلا یقاومونهم وان کانوا اکثر منهم بل یغلبون علیهم ویعاجلهم الفناء بما فیهم من الترف والذل کما قدمناه وهذا کما وقع للعرب صدر الاسلام فی الفتوحات فکانت جیوش المسلمین بالقادسیه والیرموك بضعا وثلثین الفا فی کل معسکر وجموع فارس مایة وعشرین الفا بالقادسیة وجموع هرقل علی ما قاله الواقدی اربع مایة الف فلم یقف للعرب احد من الجانبین وهزموهم وغلبوهم علی ما بایدیهم واعتبر ذلك ایضا فی دولة لمتونة ودولة الموحدین فقد کان بالمغرب من القبایل کثیر ممن یقاومهم فی العدد والعصبیة او یشف علیهم الا ان الاجتماع الدینی ضاعف قوة عصبیتهم بالاستبصار والاستماتة کما قلناه فلم یقف لهم شیء واعتبر ذلك اذا حالت صبغه الدین وفسدت کیف ینتقض الامر ویصیر الغلب علی نسبه العصبیه وحدها دون زیاده الدین فتغلب الدوله من کان تحت یدها من العصایب المکافیة لها او الزایده القوة علیها الذین غلبتهم بمضاعفه الدین لقوتها ولو کانوا اکثر عصبیة منها او اشد بداوة واعتبر هذا فی الموحدین مع زناته لما کان زناتة ابدا من المصامده واشد توحشا وکان للمصامدة الدعوة

الدينية باتباع المهدى فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم
بها فغلبوا على زناته اولا واستتبعوهم وان كانوا من حيث العصبية
والبداوه اشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت
عليهم زناته من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه منهم والله
غالب على امره

فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم

وهذا لما قدمناه من ان كل امر يحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية
وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه واذا
كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بخرق العوايد فما ظنك بغيرهم
ان لا تخرق له العاده في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن
قسي شيخ المتصوفة وصاحب كتاب خلع النعلين في التصوف ثار
بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرابطين قبيل دعوة المهدي
فاستتب له الامر قليلا لشغل لمتونه بما دهمهم من امر الموحدين
ولم يكن هناك عصايب ولا قبايل يدفعونه عن شانه فلم يلبث حين
استولى الموحدون على المغرب ان اذعن ودخل في طاعتهم وبايعهم
من معقله بحصن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم
بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب
احوال الثوار القايمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا
من المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على
اهل الجور من الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهى عنه والامر بالمعروف
رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتلبسون بهم من الغوغا
والدهماء ويعرضون بانفسهم في ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون
في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك
عليهم انما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله تعالى عليه وسلم
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم
بناها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبايل و
العشاير كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء في دعوتهم الى الله بالعصاير

لا يدهم م

بالعصايب والعشاير وهم المؤيدون من الله لو شاء بالكون كله لكنه
انما اجرى الامور على مستقر العاده والله حكيم عليم فاذا ذهب احد
من الناس هذا المذهب وكان فيه محقا قصر به الانفراد عن العصبية
فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب الرياسة
فاجدر ان تعوقه العوايق وتنقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا
برضاه واعانته والاخلاص والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم
ولا يرتاب فيه ذو بصيرة واول من ابتدا هذه النزعة في الملة
ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وابطا المامون
بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد لعلى بن موسى الرضى من ال الحسين
فكشف بنو العباس وجه النكير عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة
المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن المهدي فوقع الهرج ببغداد
وانطلقت ايدى الذعرة بها من الشطار والحربية على اهل العافية
والصون وقطعوا السبيل وامتلات ايديهم من نهاب الناس
وباعوها علانية في الاسواق واستعدى اهلها الحكام فلم يعدوهم
فتوافر اهل الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام
ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوش ودعا الناس الى الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الزعارة وغلبهم واطلق
يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل اخر من سواد اهل
بغداد يعرف بسهل بن سلامه الانصاري ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفا
في عنقه ودعا الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعمل بكتاب الله
وسنة نبيه فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم
فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل
من اخاف المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار وقال له خالد
الدريوش انا لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكنى اقاتل كل من
خالف الكتاب والسنة كائنا من كان وذلك سنه احدى ومائتين
وجهز ابراهيم بن المهدي اليه العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريعا
وذهب ونجا بذماء نفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين

ياخذون انفسهم باقامة الحق ولايعرفون مايحتاجون اليه فى
اقامته من العصبيه ولايشعرون بمغبّة امرهم ومآل احوالهم والذى
يحتاج اليه فى امر هؤلاء اما المداواة ان كانوا من اهل الجنون واما التنكيل
بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجاً واما اذاعة السخريا منهم وعدهم
فى جملة الصفاعين وقد ينتسب بعضهم الى الفاطمى المنتظر اما بانه هو او
داع له وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمى ولاما هو واكثر المنتحلين لمثل هذا
تجدهم موسوسين او مجانين او ملبّسين يطلبون بمثل هذه الدعوى
رياسة امتلأت بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشئ من اسبابها
العادية فيحسبون ان هذا من الاسباب البالغة بهم الى ما يؤملونه
من ذلك ولا يحتسبون ماينالهم من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما
يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد كان لاول هذه
المائة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التويزرى عمد الى مسجد
ماسه بساحل البحر هنالك وزعم انه الفاطمى المنتظر تلبيساً على العامة
هنالك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره وان من ذلك المسجد
يكون اصل دعوته فتهافتت عليه طوايف من عامة البربر تهافت
الفراش ثم خشى رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدس اليه كبير المصامدة
يومئذ عمر السكسيوى من قتله فى فراشه وكذلك خرج فى غمارة لاول
هذه المائة ايضاً رجل يعرف بالعبّاس وادعى مثل هذه الدعوى و
اتبع نعيقه الارذلون من سفهاء تلك القبايل وغمارهم وزحف
الى بادس من امصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوماً من ظهور
دعوته ومضى فى الهالكين الاولين وامثال ذلك كثير والغلط فيه
من الغفلة عن اعتبار العصبيه فى مثلها واما ان كان التلبيس فاحرى
ان لايتم له امر وان يبوء باثمه وذلك جزاء الظالمين

فصل فى ان كل دولة لها حصة من الممالك والاوطان لاتزيد عليها والسبب فى ذلك ان عصابة الدولة وقومها القائمين
بها الممهدين لها لابد من توزيعهم حصصاً على الممالك والثغور
التى تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء احكام

احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت العصائب
كلهم على الثغور والممالك فلابد من نفاد عددهم وقد بلغت الممالك
حينئذ الى حد يكون ثغراً للدولة وتخماً لوطنها ونطاقاً لمركز ملكها فان
تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على مابيدها بقى دون حامية وكان
موضعاً لانتهاز الفرصة من العدو المجاور ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما كانت العصابة موفورة
ولم ينفد عددها فى توزيع الحصص على الثغور والنواحى بقى فى الدولة
قوة على تناول ماوراء الغاية حتى تنفسح نطاقها الى غايته والعلة
الطبيعية فى ذلك ان قوة العصبيه هى من سائر القوى الطبيعيه وكل
قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشانها ذلك فى فعلها والدولة فى
مركزها اشد مما تكون فى الطرف والنطاق واذا انتهت الى النطاق
الذى هو الغاية عجزت وقصرت عما وراءه شان الاشعة والانوار اذا
انبعثت من المراكز والدواير المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم
اذا ادركها الهرم والضعف فانما ياخذ فى التناقص من جهة الاطراف
ولايزال المركز محفوظاً الى ان يتاذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ
يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها
بقاء الاطراف والنطاق بل تضمحل لوقتها فان المركز كالقلب الذى
ينبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف
وانظر هذا فى الدولة الفارسية كان مركزها المداين فلما غلب المسلمون
على المداين انقرض امر فارس اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقى بيده من اطراف
ممالكه وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كانت
مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون على الشام تحيزوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من ايديهم
فلم يزل ملكهم متصلاً بها الى ان يأذن الله بانقراضه وانظر ايضاً
شان العرب اول الاسلام لما كانت عصابتهم موفورة كيف غلبوا على ما
جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ماوراءه
من السند والحبشة وافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا
حصصاً على الممالك والثغور ونزلوا حاميه ونفد عددهم فى تلك

التوزيعات اقصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام
ولم يتجاوز تلك الحدود ومنها تراجعت الدوله حتى تاذن الله
بانقراضها وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبه
القايمين بها فى القلة والكثرة وعند نفاد عددهم بالتوزيع تنقطع
لهم الفتح والاستيلاد سنة الله فى خلقه فصل فى ان عظم
الدوله واتساع نطاقها وطول امدها على نسبه القايمين بها فى
القلة والكثرة والسبب فى ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل
العصبيه هم الحاميه الذين ينزلون بممالك الدوله واقطارها
ويقسمون عليها فما كان من الدول العامه قبيلها واهل عصابتها
اكثر كانت اقوى واكثر ممالك واوطانا وكان ملكها اوسع لذلك واعتبر
ذلك بالدوله الاسلاميه لما الف الله كلمة العرب على الاسلام وكان
عدد المسلمين فى غزوة تبوك اخر غزوات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
مايه الف وعشرة الاف من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى
من اسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما فى ايدى الامم
من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزر فاستبيح حمى فارس والروم اهل
الدولتين العظيمتين فى العالم لعهدهم والترك بالمشرق والافرنجه
والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس
الاقصى ومن اليمن الى الترك باقصى الشمال واستولوا على الاقاليم
السبعة ثم انظر بعد ذلك الى دولة صنهاجه والموحدين مع العبيديين
قبلهم لما كان قبيل كتامه القايمين بدوله العبيديين اكثر من صنهاجه
ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فملكوا افريقيه والمغرب والشام
ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دوله زناته لما كان عددهم اقل
من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد
المصامدة منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد
لزناته بنى مرين وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مرين لاول ملكهم اكثر
من بنى عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع نطاقا وكان لهم عليهم
الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد بنى مرين لاول ملكهم كانوا ثلثه

ثلثه الاف وان عدد بنى عبد الواد كانوا الفا الا ان الدوله بالرفه
وكثرة التابع كثرت من اعدادهم وعلى هذه النسبه فى اعداد المتغلبين
لاول الملك يكون اتساع الدوله وقوتها واما طول امدها ايضا
فعلى تلك النسبه لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول
انما هو بالعصبيه فاذا كانت العصبيه قوية كان المزاج تابعا لها
وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هى بكثرة العدد ووفوره كما قلنا
والسبب الصحيح فى ذلك ان النقص انما يبدا فى الدولة من الاطراف فاذا
كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص
يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص
كل واحد منها بنقص وزمانه فيكون امدها طويلا وانظر ذلك فى
دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها اطول الدول لا بنو العباس
اهل المركز ولا بنو اميه المستبدون بالاندلس ولم ينتقض امر جميعهم الا بعد
الاربع ميه من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من ماتين
وثمانين سنة ودولة صنهاجه دونهم من لدن تقليد معد المعز
امر افريقيه لبلكين بن زيرى سنة ثمان وخمسين وثلثماية الى حين
استيلاء الموحدين على القلعه وبجايه سنه سبع وخمسين وخمسمايه ودولة
الموحدين لهذا العهد تناهز ماتين وسبعين سنه وهكذا نسبت الدوله
فى اعمارها على نسب القايمين بها سنة الله التى قد خلت فى عباده

فصل فى ان الاوطان الكثيرة القبايل
والعصايب قل ان تستحكم فيها دولة

والسبب فى ذلك اختلاف الاراء والاهواء وان وراء كل راى منها وهوى
عصبيه تمانع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها فى
كل وقت وان كانت ذات عصبيه لان كل عصبيه ممن تحت يدها تظن
فى نفسها منعه وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقيه والمغرب منذ
اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر اهل
قبايل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول الذى كان لابن ابى سرح
عليهم وعلى الفرنجه شيا وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد

اخرى وعظم الاثخان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم
عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بدين الخوارج مرات عديدة قال
ابن ابي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنا عشر مرة ولم تستقر كلمة الاسلام
فيهم الا لعهد موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر رضي الله عنه ان
افريقية مفرقة لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصايب
والقبايل الحامل لهم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق
لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها من فارس
والروم والكافة دهما اهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون
على الامر وانتزعوه من ايديهم لم يبق ممانع ولا مشاق والبربر قبايلهم
بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم باديه واهل عصايب وعشاير
وكلما هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف
والردة فطال امر العرب في تمهيد الدوله بوطن افريقية والمغرب
وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني اسرائيل كان فيه من قبايل فلسطين
وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم والادمن والعمالقة
والكريكش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة
وتنوعا في العصبية فصعب على بني اسرائيل تمهيد دولتهم ورسوخ امرهم
واضطرب عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم
فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موطد ساير
ايامهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم اخر امرهم عند الجلاء والله
غالب على امره وبعكس هذا ايضا الاوطان الخلوة من العصبيات يسهل
تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وازعا لقلة الهرج والانتقاض ولا تحتاج
الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشان في مصر والشام لهذا العهد
اذ هي خلو من القبايل والعصبيات كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه
فملك مصر في غاية الدعة والرسوخ لقلة الخوارج واهل العصبيات
انما هو سلطان ورعيه ودولتها قايمة بملوك الترك وعصايبهم
يغلبون على الامر واحدا بعد واحد وينتقل الامر فيهم من منبت الى منبت
والخلافة مسماه للعباسي من اعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شان الاندلس

الاندلس لهذا العهد فان عصبيا ابن الاحمر سلطانها لم يكن لاول عهد
دولتهم بقوية ولا كانت لها كثرة انما كانوا اهل بيت من بيوت العرب
اهل الدوله الامويه بقوا من ذلك القل وذلك ان اهل الاندلس لما
انقرضت الدوله العربيه منهم وملكهم البربر من لمتونه والموحدين
سيموا ملكتهم وثقلت وطاتها عليهم فاشربت القلوب بغضاهم
ونكراهم وامكن الموحدون السادة في اخر الدوله كثيرا من الحصون
للطاغيه في سبيل الاستظهار به على شانهم من تملك الحضرة مراكش
فاجتمع من كان بقي من اهل العصبية القديمة معادن من بيوت العرب
تجافى بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشي ورسخوا في
الجند مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مردنيش وامثالهم فقام ابن هود
بالامر ودعا بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل الناس على الخروج
على الموحدين فنبذوا اليهم العهد واخرجوهم واستقل ابن هود
بالامر بالاندلس ثم سما ابن الاحمر للامر وخالف ابن هود في دعوته فدعا
هو لابن ابي حفص صاحب افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناوله
بعصابة قليلة من قرابته كانوا يسمون الرؤساء ولم يحتج لاكثر
منها لقلة العصايب بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظهر
بعد ذلك على الطاغية بمن يجيز اليه البحر من اعياص زناتة فصاروا
معه عصبة على المثاغرة والرباط ثم سمى لصاحب المغرب من ملوك زناتة
امل في الاستيلاء على الاندلس فصار اولئك الاعياص عصابة ابن
الاحمر على الامتناع منه الى ان تاثل امره ورسخ والفته النفوس
وعجز الناس عن مطالبته واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظن
انه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدوه بعصابة الا انها
قليلة وعلى قدر الحاجة فان وطن الاندلس لقلة العصايب والقبايل
فيه يغني عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين
فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد وذلك ان الملك
كما قدمناه انما هو بالعصبية والعصبية متالفة من عصبيات كثيرة
تكون واحدة منها اقوى من الاخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها

حتى تصيرها جميعا فى ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على
الناس والدول وسره ان العصبيه العامه للقبيل هى مثل المزاج للمتكون
والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين فى موضعه ان العناصر اذا
اجتمعت متكافيه فلا يقع منها مزاج اصلا بل لابد ان يكون واحد منها
غالبا على الاخر وبغلبته عليها يقع الامتزاج وكذا تلك العصبيات
لابد ان تكون واحدة منها هى الغالبة على الكل حتى تجمعها وتولفها
وتصيرها عصبيه واحدة شاملة بجميع العصايب وهى موجوده فى
ضمنها وتلك العصبيه الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة
فيهم ولابد ان يكون واحد منهم رييسا لهم غالبا عليهم فيتعين
رييسا للعصبيات كلها لغلب منبته لجميعها واذا تعين له ذلك
ومن الطبيعه الحيوانيه خلق الكبر والانفه فيانف حينيذ من
المساهمه والمشاركة فى استتباعهم والتحكم فيهم ويجي خلق التاله ويجي
الذى فى طباع البشر مع ما تقتضيه السياسه من انفراد الحكم لفساد
الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فتجدع حينيذ
انوف العصبيات ويكبح شكايمهم عن ان يسموا الى مشاركته فى التحكم
ويقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم
فى الامر ناقة ولا جملا فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن
مساهمته فيه وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدوله وقد لا يتم
الا للثانى او الثالث على قدر ممانعة العصبيات وقوتها الا انه
امر لا بد منه فى الدول سنة الله فى عباده **فصل فى ان من طبيعه**
الملك الترف وذلك ان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدى اهل
الملك قبلها كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوايدهم ويتجاوزون ضرورات
العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى
اتباع من قبلهم فى عوايدهم واحوالهم وتصير لتلك النوافل عوايد
ضروريه فى تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقه الاحوال فى المطاعم
والملابس والفرش والانية ويتفاخرون فى ذلك ويفاخرون فيه
غيرهم من الامم فى اكل الطيب ولبس الانيق وركوب الفاره ويناغى

ويناغى خلفهم فى ذلك سلفهم الى اخر الدوله وعلى قدر ملكهم يكون
حظهم من ذلك وترفهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التى للدوله
ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها سنة الله فى خلقه **فصل**
فى ان من طبيعه الملك الدعه والسكون وذلك ان الامة
لا يحصل لها الملك الا بالمطالبه وللمطالبة غايتها الغلب والملك
واذا حصلت الغاية انقضى السعى اليها عجبت لسعى الدهر بينى وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب
التى كانوا يتكلفونها فى طلبه واثروا الراحة والسكون والدعة
ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المبانى والمساكن والملابس فيبنون
القصور ويجرون المياة ويغرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا
ويوثرون الراحة على المتاعب ويتانقون فى احوال الملابس والمطاعم
والانية والفرش ما استطاعوا ويالفون ذلك ويورثونه من بعدهم
من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى ان ياذن الله بامره
فصل فى انه اذا استحكمت طبيعه الملك من الانفراد بالمجد
وحصول الترف والدعه اقبلت الدوله على الهرم وبيانه من وجوه
الاول انها تقتضى الانفراد بالمجد كما قلناه ومهما كان المجد مشتركا
بين العصابة وكان سعيهم له واحدا كانت هممهم فى التغلب على
الغير والذب عن الحوزة اسوة فى طموحها وقوة شكايمها ومرماهم
الى العز جميع فهم يستطيبون الموت فى بناء مجدهم ويوثرون الهلكة
على فساده واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصبيتهم وكبح من اعنتهم
واستاثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغزو وفشل ريحهم ورثموا
المذلة والاستعباد ثم ربى الجيل الثانى على ذلك يحسبون ما ينالهم
من العطا اجرا من السلطان لهم على الحمايه والمعونة لا يجرى فى
عقولهم سواه وقل ان يستاجر احد نفسه على الموت فيصير ذلك
وهنا فى الدولة وخضدا من الشوكة وتقبل به على مناحى الضعف
والهرم لفساد العصبية بذهاب الباس من اهلها الوجه الثانى ان
طبيعه الملك تقتضى الترف كما قدمناه فتكثر عوايدهم وتزيد نفقاتهم

على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والمترف
يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك في اجيالهم المتاخرة الى ان يقصر
العطاء كله عن الترف وعوايده وتمسهم الحاجة ويطالبهم
ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها
فيوقعون بهم العقوبات وينزعون ما في ايدي الكثير منهم يستاثرون
به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنايع دولتهم فيضعفون هم
لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم و
ايضاً اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم
ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة
في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عللهم والجباية مقدارها
معلوم ولا يزيد ولا ينقص وان زادت بما يستحدث من المكوس
فيصير مقدارها بعد الزيادة محدوداً فاذا وزعت الجباية على
الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم
وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل زيادة
الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك
وينقص عدد الحاميه وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى
اقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر
عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديها من العصايب
والقبايل وياذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليقته
وايضاً فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من الوان الشر
والسفسفة وعوايدها كما ياتي في فصل الحضاره فتذهب منهم
خلال الخير التي كانت علامه على الملك ودليلا عليه ويتصفون
بما يناقضها من خلال الشر فتكون علامة على الادبار والانقراض
بما جعل الله من ذلك في خليقته وياخذ الدولة مبادي العطب و
تتضعضع احوالها وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى عليها
الوجه الثالث ان طبيعه الملك يقتضي الدعه كما ذكرناه واذا اتخذوا
الدعة والراحه مالفا وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجبلة شان

شأن العوايد كلها وايلافها فتربا اجيالهم الحادثة في غضارة العيش
ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون عوايد
البداوة التي كان بها الملك من شدة الباس وتعود الافتراس و
ركوب البيداء وهداية القفر فلا تفرق بينهم وبين السوقة من الحضر
الا في الثقافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب باسهم وتخضد
شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم
لا يزالون يتلونون بعوايد الترف والحضاره والسكون والدعة ورقة
الحاشية في جميع احوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن
البداوه والخشونة وينسلخون عنها شيا فشيا وينسون خلق البسالة
التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى
ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدول التي اخبارها في الصحف لديك تجد
ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبه وربما يحدث في الدولة اذا
طرقها هذا الهرم بالترف والراحة ان يتخير صاحب الدولة انصارا وشيعا
من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكونون اصبر على
الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجوع والشظف ويكون ذلك
دواء للدولة من الهرم الذي عساه يطرقها حتى ياذن الله فيها بامره
وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالي من
الترك فيتخير ملوكهم من اولئك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا
وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر على الشظف من ابناء المماليك
الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك
في دولة الموحدين بافريقيه فان صاحبها كثيرا ما يتخذ اجناده
من زناته والعرب ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين للترف
فتستجد الدوله بذلك عمرا اخر سالما من الهرم والله وارث الارض
ومن عليها **فصل في ان الدول لها اعمار طبيعيه كما للاشخاص**
اعلم ان العمر الطبيعي للاشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمون مائة وعشرون
سنه وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب
القرانات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرانات

مايه تامه وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلة
القرانات عند الناظرين فيها واعمار اهل هذه الملة ما بين الستين
الى السبعين كما فى الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعى الذى هو مائة
وعشرون الا فى الصور النادره وعلى الاوضاع الغريبة من
الفلك كما وقع فى شان نوح عليه السلام وقليل من قوم عاد وثمود
واما اعمار الدول ايضا وان كان يختلف بحسب القرانات
الا ان الدوله فى الغالب لا تعدو اعمار ثلثة اجيال والجيل
هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذى هو انتهاء
النمو والنشو الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين
سنه ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه
فى حكمة التيه الذى وقع لبنى اسرائيل وان المقصود بالاربعين
فيه فناء الجيل الاحياء ونشاة جيل اخر لم يعهد والذل ولا عرفوه
تدل على اعتبار الاربعين فى عمر الجيل التى هى عمر الشخص الواحد وانما
قلنا ان عمر الدوله فى الغالب لا يعدو ثلثه اجيال لان الجيل الاول
لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش
والبساله والافتراس والاشتراك فى المجد فلا تزال بذلك سورة
العصبية محفوظه فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس
لهم مغلوبون والجيل الثانى تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة
الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك
فى المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعى فيه ومن عز
الاستطاله الى ذل الاستكانه فتنكسر سورة العصبية بعض
الشى وتونس منهم المهانه والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما
ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم
وسعيهم الى المجد ومراميهم فى المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك
ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من
مراجعة الاحوال التى كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم
واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كان لم

لم يكن ويفقدون حلاوة العز حلاوة الغزو والعصبية بما هم فيه
من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غايته تبنكوه من النعيم وغضارة
العيش فيصيرون عيالا على الدوله ومن جملة النساء والولدان
المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية
والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس فى الشارة والزى وركوب
الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم فى الاكثر اجبن من النسوان
على ظهورها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب
الدوله حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى
ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتاذن الله بانقراضهم
فتذهب الدولة بما حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم
الدوله وتخلفها ولذلك كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مر فى
ان المجد والحسب انما هو فى اربعة اباء وقد اتيناك فيه ببرهان
طبيعى ظاهر مبنى على ما مهدناه قبل من المقدمات فتامله فلن تعدو تعدو
وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلثه
اعمارها مائة وعشرون سنه على ما مر ولا تعدو الدول فى الغالب
هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان
المطالب فيكون الهرم حاصلا مستوليا والطالب لم يحضرها ولو قد
جاء الطالب لما وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وهذا العمر للدوله بمثابة عمر الشخص من التزيد
الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس
فى المشهور ان عمر الدوله مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ
منه قانونا يصحح لك عدد الاباء فى عمود النسب الذى تريده من
قبل معرفة السنين الماضيه اذا كنت قد استربت فى عددهم وكانت
السنون الماضيه منذ اولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من
السنين ثلاثة من الاباء فان نفدت على هذا القياس مع نفاد عددهم
فهو صحيح وان نقصت عنه بجيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد فى
عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد

السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك والله مقدر الليل والنهار

فصل في انتقال الدوله من البداوه الى الحضاره

اعلم ان هذه الاطوار طبيعيه للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصبيه وما يتبعها من شدة الباس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدوله من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفه واتساع الاحوال والحضاره انما هي تفنن في الترف واحكام الصنايع المستعمله في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والانية وساير عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنايع في استجادته والتانق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا ويتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم باحوال الترف وما تتلون به من العوايد فصار طور الحضاره للملك يتبع طور البداوه ضرورة لضرورة تبعيه الرفه للملك واهل الدول ابدا يقلدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب ياخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابناءهم ولم يكونوا لذلك العهد في شيء من الحضاره فقد حكي انه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقاعا وعثروا على الكافور في خزاين كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحا وامثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك والقومه عليه افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في احواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والانيه والغناء وسائر الماعون والخرثي وكذا احوالهم في ايام المباهات والولايم وليالي الاعراس فاتوا من ذلك وراء الغايه وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهما في اعراس المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاه في

المرقق: الخبز الرقيق

التخرثي: ... البيت

خطبتها الى داره بفم الصلح وركب اليها في السفين وما انفق في املاكها وما نحلها المامون وانفق في عرسها تقف من ذلك على العجب فمنه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذي حضره حاشيه المامون فنثر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك مكتوبة على الرقاع بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اداه اليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقه الثانيه بدر الدنانير في كل بدرة عشرة الاف وفرق على الطبقه الثالثه بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المامون بداره اضعاف ذلك ومنه ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد شموع العنبر في كل واحدة مايه من وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشا كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللا بالدر والياقوت وقال المامون حين راه قاتل الله ابا نواس كانه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب واعد بدار الطبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مايه واربعين بغلا مدة عام كامل ثلث مرات في كل يوم وفني الحطب لليلتين واوقدوا الجريد يصبون عليه الزيت واوعز الى النواتيه باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصر الملك بمدينه المامون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله وكذلك عرس المامون ابن ذي النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من البداوة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان اسبابه والقايمين على صنايعه في غضاضتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج اولم في اختتان بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسئله عن ولايم الفرس وقال اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال له نعم ايها الامير شهدت بعض مرازبة كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعا احضر فيه صحاف الذهب على اخونه الفضه اربعا على كل واحد ويحمله اربع وصايف ويجلس عليه اربعة من الناس فاذا طعموا

الحراقات: سفن بالبصرة

المرزبة كمرحلة رياسة الفرس وهو مرزبانهم بضم الزاي جمعه مرازبة

اتبعوا اربعتهم المايده بصحافها ووصايفها فقال الحجاج يا غلام
انحر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك
كانت ومن هذا الباب اعطية بنى اميه وجوايزهم فانما كان اكثرها
الابل اخذا بمذاهب العرب وبداوتهم ثم كانت الجوايز فى دوله بنى
العباس والعبيديين ومن بعدهم ما علمت من احمال المال وتخوت الثياب
واعداد الخيل بمراكبها وهكذا كان شان كتامه مع الاغالبه بافريقيه
وبنى طغج بمصر وشان لمتونه مع ملوك الطوايف بالاندلس والموحدين
كذلك وشان زناته مع الموحدين وهلم جرا تنتقل الحضارة من الدول
السالفه الى الدول الخالفه فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى اميه
وبنى العباس وانتقلت حضارة بنى اميه بالاندلس الى ملوك المغرب
من الموحدين وزناته لهذا العهد وانتقلت حضارة بنى العباس الى
الديلم ثم الى الترك السلجوقيه ثم الى الترك المماليك بمصر والتتار
بالعراقين وعلى قدر عظم الدوله يكون شانها فى الحضارة اذ امور
الحضارة من توابع الترف والترف من توابع الثروه والنعمه والثروه
والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه اهل الدوله فعلى
نسبه الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه وتامله تجده صحيحا
فى العمران والله وارث الارض ومن عليها **فصل فى ان الترف**
يزيد الدوله فى اولها قوة الى قوتها والسبب فى ذلك ان القبيل
اذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعموميه فكثرت
العصابه واستكثروا ايضا من الموالى والصنايع وربيت اجيالهم
فى جو ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة
الى قوتهم بسبب كثرة العصايب حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب
الجيل الاول والثانى واخذت الدوله فى الهرم لم يستقل اولئك
الصنايع والموالى بانفسهم فى تاسيس الدوله وتمهيد ملكها لانهم
ليس لهم من الامر شى انما كانوا عيالا على اهلها ومعونة لها فاذا
ذهب الاصل لم تستقل الفروع بالرسوخ فتذهب وتتلاشى ولا تبقى
الدوله على حالها من القوة واعتبر هذا بما وقع فى الدولة العربية

موالى بنى ايوب

العربية فى الاسلام كان عدد العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة
مايه وخمسين الفا او ما يقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ الترف
مبالغه فى الدوله وتوفر نموهم بتوفر النعمه واستكثر الخلفا من الموالى
والصنايع بلغ ذلك العدد الى اضعافه يقال ان المعتصم نازل عمورية
لما افتتحها فى تسع مايه الف ولا يبعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا
اذا اعتبرت حاميتهم فى الثغور الدانيه والقاصيه شرقا وغربا
الى الجند الحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال
المسعودى احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة ايام المامون
للانفاق عليهم فكانوا ثلثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ
هذا العدد لاقل من مايتى سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم
الذى حصل للدوله وربى فيه اجيالهم والا فعدد العرب لاول
الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم **فصل**
فى اطوار الدوله واختلاف احوالها وبداوه اهلها باختلاف
الاطوار اعلم ان الدولة تنتقل فى اطوار مختلفه وحالات
متجددة ويكتسب القايمون بها فى كل طور خلقا من احوال ذلك
الطور لا يكون مثله فى الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج
الحال الذى هو فيه وحالات الدوله واطوارها لا تعدو فى الغالب
خمسة الاول طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع والممانع والاستيلا
على الملك وانتزاعه من ايدى الدوله السالفه قبلها فيكون
صاحب الدوله فى هذا الطور اسوة قومه فى اكتساب المجد وجبايه
المال والمدافعه عن الحوزة والحمايه لا ينفرد دونهم بشى لان ذلك
هو مقتضى العصبيه التى وقع بها الغلب وهى لم تزل بعد بحالها
الطور الثانى طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك
وكبحهم عن التطاول للمساهمه والمشاركة ويكون صاحب الدوله
فى هذا الطور معنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنايع
والاستكثار من ذلك لجدع انوف اهل عصبيته وعشيرته المقاسمين
له فى نسبه الضاربين فى الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر

ويصدهم عن موارده ويردهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويفرد اهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر او اشد لان الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب ولا يظاهره على مدافعتهم الا الاقل من الاباعد فيركب صعبا من الامر الطور الثالث طور الفراغ والدعه لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الاثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها وتشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمه والامصار المتسعة والهياكل المرتفعه واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه القبايل وبث المعروف في اهله هذا مع التوسعة على صنايعه وحاشيته في احوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وادرار ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر ذلك عليهم في ملابسهم وزيهم وشكتهم ايام الزينة فيباهي بهم الدول المسالمه ويرهب الدول المحاربه وهذا الطور اخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدولة لانهم في هذه الاطوار مستقلون بارايهم بانون لعزهم موضحون الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور القنوع والمسالمة ويكون صاحب الدوله في هذا قانعا بما بنى اولوه سلما لانظاره من الملوك واقتاله مقلدا للماضين من سلفه فيتبع اثارهم حذو النعل بالنعل ويقتفي طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخروج عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفا لما جمع اولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه واصطناع اخدان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيمات الامور التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما ياتون ويذرون منها مستفسدا لكبار الاولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغنوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضيعا من جنده بما انفق اعطياتهم في

في شهواته وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقده فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسون وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برء الى ان تنقرض كما نبينه في الاحوال التي نسردها والله خير الوارثين

فصل في ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها

والسبب في ذلك ان الاثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت اولا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك مباني الدولة وهياكلها كلها العظيمه فانما تكون على نسبه قوة الدولة في اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة الممالك والرعايا كان الفعلة كثيرين جدا وحشروا من افاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القران عنها وانظر بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه اعتزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاءد عنه وشرع فيه ثم ادركه العجز وقصة استشارته يحيى بن خالد في شانه معروفة فانظر كيف تقتدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبنا في السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبه والقنطرة التي على واديها وكذلك بنا الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنه في القناة الراكبه عليها واثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الاثار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف واعلم ان تلك الافعال للاقدمين انما كانت بالهندام وباجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما يتوهمه العامه ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا في اطرافها واقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل والاثار ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين في ذلك اخبارا عريقة في الكذب من اغربها ما يحكون عن عوج بن عناق رجل من العمالقة الذين قاتلهم

بنو اسرائيل بالشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر
ويشويه في الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال
الكواكب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها
ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان الضوء فيما قرب من الارض اكثر
لانعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا تجاوزت مطارح الاشعة المنعكسة فلا حر هنالك
بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحب وانما الشمس في نفسها لا حارة
ولا باردة انما هو جسم بسيط مضيء لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق
هو فيما ذكروه من العمالقة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة لبني
اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال بني اسرائيل وجثمانهم لذلك العهد
قريبة من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان خربت
وجددت لم تزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون
التفاوت بين عوج وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار غلطهم
في هذا انهم استعظموا اثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع
والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الاثار العظيمة فصرفوه
الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس الامر كذلك وقد
زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة مزعما لا مستند له الا التحكم
وهو ان الطبيعة التي هي جبلة للاجسام لما برا الله الخلق كانت في تمام
الكرة ونهاية القوة والكمال فكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال
تلك الطبيعة فان طروء الموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية
فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اوليته شانه
تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل تناقص لنقصان المادة الى ان
بلغ هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال
وانقراض العالم وهذا راي لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له
علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد مساكن الاولين وابوابهم
وطرقهم فيما احدثوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن كديار
ثمود المنحوتة في الصلد من الصخر بيوتا صغارا وابوابها ضيقة وقد

[illegible]

وقد اشار صلى الله تعالى عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى عن استعمال
مياههم وطرح ما عجن به واهريق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر
والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه ومن اثار الدول
ايضا حالها في الاعراس والولائم كما ذكرناه في وليمة بوران وصنيع
الحجاج وابن ذي النون وقد مر ذلك كله ومن اثارها ايضا عطايا
الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على
الهرم فان الهمم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبهم
للناس والهمم لا تزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر ذلك
بجوائز ابن ذي يزن لوفد قريش كيف اعطاهم من ارطال الذهب والفضة
والاعبد والوصائف عشرا عشرا ومن كرش العنبر واحدة واضعف
ذلك بعشرة امثاله لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة
تحت استبداد فارس وانما حمله على ذلك همة نفسه بما كان لقومه
التبابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في العراقين والهند
والمغرب وكان الصنهاجيون بافريقية ايضا اذا اجازوا الوفد من امراء
زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال احمالا والكسا تخوتا مملوءة
والحملان جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة
وكذلك كان عطاء البرامكة وجوائزهم ونفقاتهم وكانوا اذا اكسبوا
معدما فانما هو الملك والولاية والنعمة اخر الدهر لا العطاء الذي
يستنفده يوم او بعض يوم واخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي
كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش
العبيديين لما ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بالف حمل من
المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن
عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايام المامون من جميع
النواحي نقلته من كتاب جراب الدولة غلات السواد سبعة وعشرون
الف الف درهم مرتين وسبع مائة الف درهم وثمانون الف درهم ابواب
المال بالسواد اربعة عشر الف الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم

والحملان القضيم يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة ق

قف

جراب م
مكررة م

ومن الحلل النجرانيه مايتا حله ومن طين الختم مائتان واربعون رطلا
كسكر احد عشر الف الف درهم مرتين وستمايه الف درهم كور دجله
عشرون الف الف درهم مرتين وثمانمايه الف درهم حلوان اربعة الاف
الف درهم مرتين وثمان مايه الف درهم الاهواز خمسه وعشرون الف درهم
مرة ومن السكر ثلثون الف رطل فارس سبعه وعشرون الف الف درهم
ومن ما الورد ثلثون الف قارورة ومن الزبيب الاسود عشرون الف
رطل كرمان اربعه الاف الف درهم مرتين ومايتا الف درهم ومن المتاع
اليماني خمس مايه ثوب ومن التمر عشرون الف رطل ومن الكمون الف رطل
مكران اربع مايه الف درهم السند ومايليه عشرون الف الف
درهم مرتين وخمس مايه الف درهم ومن العود الهندى مايه وخمسون
رطلا سجستان اربعه الاف الف مرتين ومن الثياب المعينه ثلثمايه ثوب
ومن الفانيذ عشرون الف رطل خراسان ثمانيه وعشرون الف الف
مرتين ومن نقر الفضه الفا نقرة ومن البراذين اربعة الاف ومن الرقيق
الف راس ومن المتاع سبعه وعشرون الف ثوب ومن الاهليلج ثلاثة
الاف رطل جرجان اثنا عشر الف الف درهم مرتين ومن الابريسم الف شقه قومس
الف الف درهم مرتين وخمس مايه الف ومن نقر الفضه الف طبرستان
والرويان ونهاوند ستة الاف الف درهم مرتين وثلثمايه الف ومن
الفرش الطبرى ستمايه قطعه ومن الاكسيه مائتان ومن الثياب
خمس مايه ثوب ومن المناديل ثلثمايه ومن الجامات ثلثمايه الرى
اثنا عشر الف الف درهم مرتين ومن العسل عشرون الف رطل همدان احد
عشر الف الف درهم مرتين وثمان مايه الف درهم ومن رب الرمانين
الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل مابين البصره والكوفه
عشرة الاف الف درهم وسبع مايه الف درهم ماسبذان والريان اربعة
الاف الف درهم مرتين شهرزور ستة الاف الف درهم مرتين الموصل
وما اليها اربعه وعشرون الف الف درهم مرتين ومن العسل الابيض
عشرون الف رطل اذربيجان اربعة الاف الف درهم مرتين الجزيرة وما
يليها من الفرات اربعه وثلثون الف الف درهم مرتين الكرخ ثلثمايه الف

الفانيذ ضرب من الحلوا معرب بانيذ

الف درهم كيلان خمسة الاف درهم مرتين ومن الرقيق الف راس ومن
العسل اثنا عشر الف زق ومن البزاة عشرة ومن الاكسيه عشرون ارمينيه
ثلثة عشر الف الف درهم مرتين ومن البسط المحفورة عشرون ومن الرقم
خمس مايه وثمانون رطلا ومن المالح السورماهى عشرة الاف رطل ومن
الطريخ عشرة الاف رطل ومن البغال مائتان ومن البزاة ثلثون قنسرين
اربع مايه الف دينار ومن الزبيب الف حمل دمشق اربع مايه الف دينار
وعشرون الف دينار الاردن ستة وتسعون الف دينار فلسطين
ثلثمايه دينار وعشرة الاف دينار ومن الزبيب ثلثمايه الف رطل مصر
الفا الف دينار مرتين وتسع مايه الف دينار وعشرون الف دينار برقه
الف الف درهم مرتين افريقيه ثلثه عشر الف الف درهم مرتين ومن البسط
مايه وعشرون اليمن ثلثمايه الف دينار وسبعون الف دينار سوى
المتاع الحجاز ثلثمايه الف دينار انتهى واما الاندلس فالذى ذكره الثقات
من مورخيها ان الناصر عبد الرحمن خلف في بيوت امواله خمسة الاف
الف الف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطير خمس مايه
الف قنطار ورايت في بعض تواريخ الرشيد ان المحمول الى بيت المال
في ايامه سبعة الاف قنطار وخمس مايه قنطار في كل سنة فاعتبر
ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك
ولا في عصرك شي من امثاله فتضيق حوصلتك عن تلقط الممكنات
فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفه
بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود والعمران
متفاوتة ومن ادرك منها رتبه سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك
كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى اميه
والعبيديين وقايسنا الصحيح من ذلك والذى لا نشك فيه بالذى
نشاهده من هذه الدول التى هى اقل بالنسبه اليها وجدنا بينها بونا
وهو لما بينها من التفاوت في اصل قوتها وعمران ممالكها فالاثار كلها
جاريه على نسبه الاصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك
عنها اذ كثير من هذه الاحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق

بالمستفيض والمتواتر وفيها المعاين والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ من الاحوال المنقوله مراتب الدول في قوتها او ضعفها وضخامتها او صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة وذلك انه ورد على المغرب لعهد السلطان ابي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجه يعرف بابن بطوطه كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطه القضاء بمذهب المالكيه في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شان رحلته وما راى من العجايب بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دوله صاحب الهند وياتي من احواله بما يستغربه السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وامثال هذه الحكايات فتناجى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت ايامئذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشان واريته انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول بما انك لم تره فتكون كابن الوزير الناشي بالسجن وذلك ان وزيرا اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المحبس فلما ادرك وعقل سال عن اللحمان التي كان يتغذى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له ابوه بشياتها ونعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول اين الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في حكاية غريبة

محبسه الا الفار فيحسبها كلها ابناء جنس للفارة وهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزياده عند قصد الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزا بين طبيعه الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شي فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاذا نظرنا اصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم من نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه و قل رب زدني علما

فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبيته بالموالي والمصطنعين

اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم عصابته وظهراؤه على شانه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقلد اعمال مملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم اعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائر مهماته هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه بالراح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدايه واحتاج في مدافعتهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى اولياء اخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون اقرب اليه من سائرهم واخص به قربا واصطناعا واولى ايثارا وجاها لما انهم يستميتون دونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي الفوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمه والايثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه ويكون خالصة له دون قومه من القاب المملكة لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ موذن باهتضام الدوله وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد العصبيه التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة ا بل ٢

حينيذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون
به الدواير ويعود وبال ذلك على الدوله ولا يطمع في برءها من ذلك
الداء لانه مامضى يتاكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك
في دوله بني اميه كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم
برجال العرب مثل عمر بن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن زياد بن
ابي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفره وخالد بن عبد الله
القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال ابن ابي برده بن ابي
موسى الاشعري ونصر بن سيار وامثالهم من رجالات العرب وكذا صدر
من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضا برجالات العرب فلما
صارت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات
صارت الوزارة للعجم والصنايع من البرامكه وبني سهل بن نوبخت
وبني طاهر ثم بني بويه وموالي الترك مثل بغا ووصيف واتامش وباكبال
وابن طولون وابنايهم وغير هولاء من موالي العجم فتصير الدولة لغير
من مهدها والعز لغير من اجتلبه سنه الله في عباده

فصل في احوال الموالي والمصطنعين في الدولة

اعلم ان المصطنعين في الدولة يتفاوتون في الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم
في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبيه من
المدافعه والمغالبه انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقربى
والتخاذل في الاجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطه بالرق
او بالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانما
هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة والمرافقة
وطول الممارسة والصحبة بالمربا والرضاع وساير احوال الموت والحياة
واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا مشاهد
بين الناس واعتبر مثله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع
ومن اصطنعه نسبه خاصه من الوصله تتنزل هذه المنزلة وتوكد
اللحمة وان لم يكن نسب فثمرات النسب موجود فاذا كانت الولاية بين
القبيل وبين اوليايهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقها اوشج وعقايدها

وعقايدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة
في حالهم فلا يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيتنزلون منهم
منزلة ذوي قرباهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوهم بعد الملك كانت
مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى ولاهل القرابه عن اهل الولاية
والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسه والملك من تميز الرتب
وتفاوتها فتتميز حالاتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام
بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع
قبل الملك الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يبعد اهله عن
الدولة بطول الزمن ويخفى شان تلك اللحمة ويظن بها في الاكثر النسب
فيقوى حال العصبيه واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوي في معرفته
الاكثر فتتبين اللحمة وتتميز عن النسب فيضعف العصبيه بالنسبة الى
الولاية التي كانت قبل الدوله واعتبر ذلك في الدول والرياسات
تجد فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه
تجده اشد التحاما به واقرب قرابه اليه ويتنزل منه منزله ابنائه
واخوانه وذوي رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك او الرياسة
لمصطنعه لا يكون له من القرابه واللحمة ما للاولين وهذا مشاهد
في العيان حتى ان الدوله في اخر امرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم
ولا يبني لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد باوليتهم
ومشارفة الدولة على الانقراض فيكونون منحطين في مهاوي الضعة
وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن اوليايها
الاقدمين وصنايعها الاولين ما يعتريهم في انفسهم من العزة على صاحب
الدوله وقلة الخضوع له ونظره بما ينظره به قبيله واهل نسبه لتاكد
اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربا والاتصال باباييه وسلف
قومه والانتظام مع كبراء اهل بيته فيحصل لهم بذلك داله عليه و
اعتزاز فينافرهم بسببها صاحب الدوله ويعدل عنهم الى استعمال سواهم
ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد
ويبقون على حالهم من الخارجيه وهكذا شان الدولة في اواخرها

واكثر ما يطلق اسم الصنايع والاولياء على الاولين واما هولاء المحدثون
فخدم واعوان والله ولي المومنين **فصل فيما يعرض في الدول من**
حجر السلطان والاستبداد عليه اذا استقر الملك في نصاب معين
ومنبت واحد من القبيل القايمين بالدوله وانفردوا به ودفعوا
ساير القبيل عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيح فربما
حصل التغلب على المنصب من وزرائهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر
ولاية صبي صغيرا ومضعف من اهل المنبت يترشح للولاية بعهد ابيه
او بترشيح ذويه وخوله ويونس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به
كافله من وزراء ابيه او حاشيته ومواليه او قبيله ويوري بحفظ
امره عليه حتى يونس منه الاستبداد عليه ويجعل ذلك ذريعة للملك
فيحجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله
ويسيمه في مراعيها متى امكنه وينسيه النظر في الامور السلطانيه
حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك
انما هو جلوس السرير واعطا الصفقه وخطاب التهويل والقعود
مع النساء خلف الحجاب وان الحل والعقد والامر والنهي ومباشرة
الاحوال الملوكية وتفقدها من النظر في الجيش والمال والثغور
انما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى ان تستحكم له صبغة الرياسة و
الاستبداد ويتحول الملك اليه ويوثره به عشيرته وابناءه من بعده كما
وقع لبني بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالمشرق وللمنصور بن
ابي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب لشانه فيحاول على الخروج
من ربقة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على يد
المتغلب عليه اما بقتل او برفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر
الاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها
ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف
ونشاة ابناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولية والفوا
اخلاق الدايات والاظآر وربوا عليها فلا ينزعون الى رياسة ولا
يعرفون استبدادا من تغلب انما همهم في القنوع بالابهة في اللذات وانواع

والتفنن
بالابهة ثم

وانواع الترف وهذا التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد
عشير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري
كما قدمناه وهذان مرضان لا برء للدولة منهما الا في الاقل النادر والله
يوتي ملكه من يشاء **فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه**
في اللقب الخاص بالملك وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه
مذ اول الدوله بعصبيه قومه وعصبيته التي استتبعتهم حتى استحكمت له
ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقيه وبها انحفظ رسم
الدوله وبقاؤها وهذا المتغلب وان كان صاحب عصبيه من قبيل
الملك وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول باستبداده
انتزاع الملك ظاهرا وانما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل
والعقد والابرام والنقض يوهم فيها اهل الدولة بذلك انه متصرف عن سلطانه
منفذ في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك و
شاراته والقابه جهده ويبعد نفسه عن التهمة بذلك وان حصل
له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه
السلطان واولوه على انفسهم من القبيل مذ اول الدولة ومغالط
عنه بالنيابة ولو تعرض لشيء من ذلك لنفسه غلبه عليه اهل
العصبيه وقبيل الملك وحاولوا الاستيثار والانفراد به دونه لانه
لم تستحكم له صبغة في ذلك تحملهم على التسليم له والانقياد فيهلك
لاول وهلة وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر
حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يقنع بما قنع
به ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم التابعة فطلب
من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنقم ذلك عليه بنو مروان
وسائر قريش وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر
وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العامريين وهلاك المؤيد
خليفتهم واستبدل منه بسواه من اعياص الدولة الى اخرها واختلت
مراسم ملكهم والله خير الوارثين **فصل في حقيقة الملك واصنافه**
الملك منصب طبيعي للانسان لانا قد بينا ان البشر لا يمكن حياتهم

فعصبتك
الملك والموالي والصنايع اهل
منك وجبة في عصبيتك
صح

ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم
واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعامله واقتضاء الحاجات
ومد كل احد منهم يده الى حاجته ياخذها لما في الطبيعة الحيوانية
من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمانعه الاخر عنها بمقتضى
الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع
المفضي الى المقاتلة وهي تودي الى الهرج وسفك الدماء واذهاب
النفوس المفضي ذلك الى انقطاع النوع وهو مما خصه البارى سبحانه
بالمحافظة فاستحال بقاوهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض
واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى
الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من العصبية
لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبية
وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه نحوه الطلبات ويحتاج
الى المدافعات ولا يتم شي من ذلك الا بالعصبيات كما مر والعصبيات
متفاوته وكل عصبية فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها
وليس الملك لكل عصبية وانما الملك في الحقيقة لمن يستعبد الرعية
ويجبي الاموال ويبعث البعوث ويحمي الثغور ولا يكون فوق يده
يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به
عصبيته عن بعضها مثل حماية الثغور او جباية الاموال او بعث
البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك
البربر في دولة الاغالبة بالقيروان ولملوك العجم صدر الدولة
العباسية ومن قصرت به عصبيته ايضا عن الاستعلاء على
جميع العصبيات والضرب على سائر الايدي وكان فوقه حكم غيره
فهو ايضا ملك ناقص لم يتم حقيقته وهولاء مثل امراء النواحي
ورؤسا الجهات الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد
هذا في الدول المتسعة النطاق اعني يوجد ملوك على قومهم
في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة جميعهم مثل صنهاجة
مع العبيديين وزناته مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل

ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل امراء البربر وملوكهم
الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوايف من الفرس مع الاسكندر
وقومه اليونانيين وكثير من هولاء فاعتبره تجده والله القاهر فوق عباده

فصل في ان ارهاف الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

اعلم ان مصلحة الرعيه في السلطان ليست في ذاته وجسمه من
حسن شكله او ملاحة وجهه او عظم جثمانه او اتساع علمه
او جودة خطه او ثقوب ذهنه انما مصلحتهم فيه من حيث
اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافيه
وهي نسبه بين منتسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعيه
القايم بامورهم عليهم فالسلطان من له رعيه والرعيه من لها
سلطان والصفة التي له من حيث اضافته اليهم هي التي تسمى
الملكة وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من
الجودة حصل المقصود من السلطان على اتم الوجوه فانها ان كانت
جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة متعسفة
كان ذلك ضررا عليهم وهلاكا لهم ويعود حسن الملكة الى الرفق
فان الملك اذا كان قاهرا باطشا بالعقوبات منقبا عن عورات
الناس وتعديد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب
والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصايرهم واخلاقهم وربما
خذلوه في مواطن الحرب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات
وربما اجمعوا قتله كذلك فتفسد الدولة او تخرب السياج وان دام
امره عليهم وقهره فسدت العصبية بما قلناه اولا ففسد السياج
من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم
استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة
اعدائه فاستقام الامر من كل جانب واما توابع حسن الملكة فهي النعمة
عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك واما
النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر في معاشهم
وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه قلما تكون ملكة

الآرهاف تنگ کردن وتیز کردن شمشیر وجز آن ۱۲

ما ينظر

الرفق فيمن يكون يقظا شديد الذكاء من الناس واكثر ما يوجد
الرفق فى الغفل والمتغفل واقل ما فى اليقظ انه يكلف الرعيه
فوق طوقهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه على عواقب
الامور فى مباديها بالمعيته فيهلكون لذلك قال صلى الله تعالى
عليه وسلم سيروا على سير اضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع
فى الحاكم قلة الافراط فى الذكاء ومأخذه من قصة زياد بن ابى سفيان
لما عزله عمر عن العراق وقال لم عزلتنى يا امير المومنين العجز ام خيانه
فقال عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكن كرهت ان احمل فضل
عقلك على الناس فأخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاء
والكيس مثل زياد بن ابى سفيان وعمرو بن العاص لما يتبع ذلك
من التعسف وسوء الملكة وحمل الوجود على ما ليس فى طبيعته
كما يأتى فى اخر هذا الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا ان
الكيس والذكاء عيب فى صاحب السياسة لانه افراط فى الفكر كما ان
البلادة افراط فى الجمود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانيه
والمحمود هو التوسط كما فى الكرم مع التبذير والبخل وكما فى الشجاعه
مع الهوج والجبن وغير ذلك من الصفات الانسانيه ولهذا يوصف
الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطن
وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء فصل فى معنى الخلافة والامامة
لما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضرورى للبشر ومقتضاه
التغلب والقهر اللذان هما من اثار الغضب الحيوانيه وكانت
احكام صاحبه فى الغالب جايرة عن الحق مجحفة بمن تحت يده من
الخلق فى احوال دنياهم لحمله اياهم فى الغالب على ما ليس فى طوقهم
من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف
والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجئ العصبية المفضية
الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع فى ذلك الى قوانين سياسية مفروضة
يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس
وغيرهم من الامم واذا اخلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب

لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله فى الذين خلوا من قبل
فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة
وبصايرها كانت سياسة عقليه واذا كانت مفروضة من الله
بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة فى الحيوة الدنيا
والاخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث
وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله يقول افحسبتم انما خلقناكم عبثا
فالمقصود بهم انما هو دينهم المفضى بهم الى السعادة فى اخرتهم
صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض فجاءت الشرايع بحملهم
على ذلك فى جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الملك الذى
هو طبيعى للاجتماع الانسانى فاجرته على منهج الدين ليكون الكل
محفوظا بنظر الشرع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال
القوة الغضبية فى مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو فى
مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسه واحكامها
فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور اخرتهم
واعمال البشر كلها عايدة عليهم فى معادهم من ملك او غيره قال صلى
الله تعالى عليه وسلم انما هى اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع
على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ومقصود الشارع
بالناس صلاح اخرتهم فوجب بمقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام
الشرعيه فى احوال دنياهم واخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة
وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك
معنى الخلافة وان الملك الطبيعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض
والشهوة والسياسى هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب
المصالح الدنيويه ودفع المضار والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى
النظر الشرعى فى مصالحهم الاخرويه والدنيويه الراجعة اليها اذ احوال
الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الاخرة فهى فى الحقيقة
خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك

واعتبره فيما نعدده عليك من بعد والله الحكيم العليم

فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعه في حفظ الدين وسياسه الدنيا به ويسمى خلافه وامامه والقايم به خليفه واماما فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة في اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفه فلكونه يخلف النبي في امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فاجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفه وقوله جعلكم خلايف في الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الاية ليس عليه وقد نهى ابو بكر عنه لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفه رسول الله ولان الاستخلاف انما هو في حق الغايب واما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه من الشرع باجماع الصحابه والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وان الاجماع الذي وقع فانما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظ الحكماء في وجوب النبوات في البشر وقد نبهنا على فساده وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في امم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه الدعوة او نقول يكفي في رفع التنازع معرفة

مطلب مهم

معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم العقل فادعاؤهم ان ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء اهل الشوكة او بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شذ بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب راسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزله وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند هؤلاء انما هو امضاء احكام الشرع فاذا تواطات الامة على العدل وتنفيذ احكام الله لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالاجماع والذي حملهم على هذا المذهب انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطاله والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما راوا الشريعة ممتليه بذم ذلك والنعي على اهله ومرغبة في رفضه واعلم ان الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم المفاسد الناشية عنه من القهر والظلم والتمتع باللذات ولا شك في ان هذه مفاسد محظورة وهي من توابعه كما اثنى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه واوجب بازايها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذا انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكليه لدعاية الضرورة اليهما وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله عليهما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغنيكم شيا فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعه وذلك لا يحصل الا بالعصبيه والشوكه والعصبية مقتضيه بطبعها الملك فيحصل الملك ولو لم ينصب امام وهو عين ما فررتم عنه واذا تقرر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعا طاعته لقوله اطيعوا الله

واطيعوا الرسول واولى الامر منكم واما شروط هذا المنصب فهى اربعة
العلم والعداله والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يوثر فى
الراى والعمل واختلف فى شرط خامس وهو النسب القرشى فاما
اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما
بها ومالم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يكفى من العلم الا ان يكون
مجتهدا لان التقليد نقص والامامه تستدعى الكمال فى الاوصاف
والاحوال واما العدالة فلانه منصب دينى ينظر فى سائر المناصب
التى هى شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف فى انتفاء العدالة
فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفى انتفائها
بالبدع الاعتقاديه خلاف واما الكفايه فهو ان يكون جريا على اقامة
الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا
بالعصبيه واحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك
ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير
المصالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون
والعمى والصمم والخرس وما يوثر فقده من الاعضاء فى العمل كفقد
اليدين والرجلين والانثيين فتشترط السلامه منها كلها لتاثير
ذلك فى تمام عمله وقيامه بما جعل الله اليه وان كان انما يشين
فى المنظر فقط كفقد احد هذه الاعضاء فيشترط السلامه منه
شرط كمال ويلحق بفقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب
يلحق بهذه فى اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز
عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء
بعض اعوانه من غير عصيان ولا مشاقة فينتقل النظر فى حال
هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسه
جاز اقراره والا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك
ويدفع علته حتى ينفذ فعل الخليفة واما النسب القرشى فلاجماع
الصحابه يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على الانصار لما
هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله

بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الائمة من قريش وبان النبى صلى الله
عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيئكم ولو كانت
الامارة فيكم لم تكن الوصيه بكم فحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم منا
امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت
ايضا فى الصحيح لا يزال هذا الامر فى هذا الحى من قريش وامثال هذه
الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم
من الترف والنعيم وبما انفقتهم الدوله فى سائر اقطار الارض عجزوا
لذلك عن حمل الخلافه وتغلبت عليهم الاعاجم وصار الحل والعقد
لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفى اشتراط القرشيه
وعولوا على ظواهر فى ذلك مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمعوا
واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى ذو زبيبة وهذا لا تقوم به
حجة فى ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والفرض للمبالغة فى ايجاب
السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى ابى حذيفة حيا لوليته
او لما داخلتنى فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب
الصحابى ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية الولاء حاصلة
لسالم من قريش وهى الفايدة فى اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر
الخلافه وراى شروطها كانها مفقوده فى ظنه عدل الى سالم
لتوفر شروط الخلافه عنده فيه حتى من الولاء المفيد للعصبية
كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذ الفايده فى
النسب انما هى العصبيه وهى حاصله من الولاء وكان ذلك حرصا
من عمر على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تلحقه به لائمة ولا
عليه فيه عهدة ومن القايلين بنفى اشتراط القرشيه القاضى ابو بكر
الباقلانى لما ادرك عليه عصبيه قريش من التلاشى والاضمحلال و
واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فاسقط شرط القرشيه وان كان
موافقا لراى الخوارج لما راى عليه حال الخلفاء لعهده وبقى الجمهور على
القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشى ولو كان عاجزا عن القيام
بامور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التى بها يقوى على امره

لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبيه فقد ذهب الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفايه تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الان في حكمه اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعيه كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم نقتصر فيه على التبرك بوصله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما هو في المشهود وان كانت تلك الوصلة موجوده والتبرك بها حاصلا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعيه كما علمت فلا بد اذا من مصلحة في اشتراط النسب هي المقصوده في مشروعيته واذا سبرنا وقسمنا لم نجدها الا اعتبار العصبيه التي تكون بها الحمايه والمطالبه ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها وينتظم حبل الالفه فيها وذلك ان قريشا كانوا انف مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب يعرفون لهم ذلك ويستكينون لغلبهم فلو قد جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبايل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكرة فتفترق الجماعه وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحمايه بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبيه القوية ليكون ابلغ في انتظام الملة واتفاق الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطيت جنودهم قاصيه البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب

اوالفتنة السيد هنا

العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك من احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشيه انما هو لرفع التنازع بما كان لهم من العصبيه والغلب وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشيه وهي وجود العصبية فاشترطنا في القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولي عصبيه قوية غالبه على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحمايه ولا يعم ذلك في الاقطار والافاق كما كان في القرشيه اذ الدعوة الاسلاميه التي كانت لهم عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما تخص لهذا العهد كل قطر بمن يكون له فيه العصبيه الغالبه واذا نظرت سر الله في الخلافه لم يعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفه نايبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر من لا قدرة له عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب في شان النساء وانهن في كثير من الاحكام الشرعيه جعلن تبعا للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شي وكان الرجال قوامون عليهن اللهم الا في العبادات التي كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر امة او جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفا للامر الوجودي والله اعلم

فصل في مذاهب الشيعه في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامه ليست من المصالح العامه التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القايم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما

يبعد

مذهب الشيعة في الامامة

من الكبائر والصغائر وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات
الله عليه بنصوص ينقلونها ويأولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها
جهابذة السنه ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في
طريقه او بعيد عن تأويلاتهم الفاسده وتنقسم هذه النصوص عندهم
الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم
تطرد هذه الولايه الا في علي ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مومن
ومؤمنه ومنها قوله اقضاكم علي ولا معنى للامامة الا القضا باحكام الله
وهو المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم من الله بقوله اطيعوا الله و
اطيعوا الرسول واولي الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكما
في قضية الامامة يوم السقيفه دون غيره ومنها قوله من يبايعني
على روحه وهو وصيي وولي هذا الامر من بعدي فلم يبايعه الا علي
ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة
براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم اوحي اليه
ليبلغه رجل منك او من قومك فبعث عليا ليكون القاري المبلغ
قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احدا على
علي واما ابو بكر وعمر فقد قدم عليهما في غزاتين اسامة ابن زيد مرة
وعمرو بن العاص اخرى وهذه كلها عندهم ادلة تشاهد بتعيين علي
للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم
ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيينه وتشخيصه وكذلك
تنتقل منه الى من بعده وهولاء هم الامامية ويتبرؤون من الشيخين
حين لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون
في امامتهما ولا يلتفت الى نقل القدح فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا
وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الادلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف
لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه
وهولاء هم الزيدية ولا يتبرؤون من الشيخين ولا يغمصون في امامتهما
مع قولهم بان عليا افضل منهما لكنهم يجوزون امامة المفضول مع
وجود الافضل ثم اختلف هولاء الشيعة في ساق الخلافة بعد علي

علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد
على ما نذكر بعد وهولاء يسمون الامامية نسبة الى مقالتهم باشتراط
معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل مذهبهم ومنهم من ساقها
في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة ويشترط ان يكون الامام
منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهولاء هم
الزيديه نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين
السبط وقد كان يناظر اخاه محمدا الباقر على اشتراط الخروج في
الامام فيلزمه الباقر بان لا يكون ابوهما زين العابدين اماما لانه
لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه مذاهب المعتزلة
واخذه اياها عن واصل بن عطا ولما ناظر الامامية زيدا في امامة
الشيخين ورأوه يقول بامامتهما ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه
من الايمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه
السبطين على اختلافهم في ذلك الى اخيهما محمد بن الحنفيه ثم الى ولده
وهم الكيسانيه نسبة الى كيسان مولاه وبين هذه الطوايف اختلافات
تركناها اختصارا ومنهم طوايف يسمون الغلاة تجاوزوا حدود العقل
والايمان في القول بالاهية هولاء الايمة اما على انه بشر اتصف بصفات
الالوهيه او ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق
مذاهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله
عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط محمد بن الحنيفيه
المختار ابن ابي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح بلعنه والبراءة منه
وكذلك فعل جعفر الصادق بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول
ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام اخر
ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هولاء الغلاة من
من يقف عند واحد من الايمه لا يتجاوزه الى غيره بحسب من تعين
لذلك عندهم وهولاء هم الواقفيه فبعضهم يقول هو حي لم يمت الا
انه غايب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقضية الخضر عليه السلام وقيل
مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق

سوطه وقالوا مثله في محمد ابن الحنفيه وانه في جبل رضوى من ارض
الحجاز قال شاعرهم كُثَيّر

الا ان الايمة من قريش ولاة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبطٌ سبط ايمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنا عشرية منهم يزعمون
ان الثاني عشر من ائمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري ويلقبونه المهدي
دخل في سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك
وهو يخرج اخر الزمان فيملا الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث
الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الان ينتظرونه ويسمونه
المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلوة المغرب بباب هذا
السرداب وقد قربوا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى
تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الامر الى الليلة القابلة وهم
على ذلك لهذا العهد وبعض هولاء الواقفيه يقولون ان الامام الذي
مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن
الكريم من قصة اهل الكهف والذي مر على قرية وقتيل بني اسرائيل
حين ضرب بعظام البقرة التي امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق
التي وقعت على طريق الاعجاز فلا يصح الاستشهاد بها في غير موضعها
وكان من هولاء السيد الحميري ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته واودى فقم يا صاح نبك على الشباب
فليس بعائد ما فات منه الى احد الى يوم الاياب
الى يوم يؤوب الناس فيه الى دنياهم قبل الحساب
ادين بان ذلك دين حق وما انا في النشور بذي ارتياب
كذاك الله اخبر عن اناس حيوا من بعد درس في التراب

وقد كانا موته هولاء ايمة الشيعه فانهم لا يقولون بها ويبطلون
احتجاجاتهم عليها فاما الكيسانيه فساقوا الامامة من بعد
محمد بن الحنفيه الى ابنه ابي هاشم وهولاء هم الهاشميه ثم افترقوا
فمنهم من ساقها بعده الى اخيه علي ثم الى ابنه الحسن بن علي واخرون زعموا
ان ابا هاشم لما مات بارض من السراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد بن
علي بن عبد الله ابن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام
واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله ابن الحارثية الملقب بالسفاح
واوصى هو الى اخيه عبد الله ابي جعفر الملقب بالمنصور وانتقلت
في ولده بالنص والعهد واحدا بعد واحد الى اخرهم وهذا مذهب
الهاشميه القايمين بدولة بني العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان
ابن كثير وابو سلمه الخلال وغيرهم من شيعة العباسيه وربما يعضدون
ذلك بان حقهم في هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا عند الوفاة
وهو اولى بالوراثه بعصبية العمومة واما الزيديه فساقوا الامامة
على مذهبهم فيها وانها باختيار ايمة الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة
علي ثم ابنه الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه
زيد ابن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفه داعيا الى الامامة
فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيديه بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى
خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن
بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكيه فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي
وجاءته عساكر المنصور فقتل وعهد بالامر الى اخيه ابراهيم
فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور
عساكره او قواده فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق
قد اخبرهم بذلك كله وهي معدوده في كراماته وذهب اخرون
منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكيه هو محمد بن القسم
بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي فخرج محمد بن القسم
بالطالقان فقبض عليه وسيق الى المعتصم فحبسه ومات في
محبسه وقال اخرون من الزيديه ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه

سقطت في احوال المهدي عند من يزعم الغيبة

ثم ابنه صح

عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا
الامامة في عقبه واليه انتسب دعي الزنج كما نذكره في اخبارهم وقال
اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن عبد الله اخوه ادريس الذي
فر الى المغرب ومات هنالك وقام بامره ابنه ادريس بن ادريس و
اختط مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا
كما نذكره في اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم
الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل
بن الحسن بن زيد ابن الحسن السبط واخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه
الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن
بن علي بن الحسن ابن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي وكانت لبنيه
في طبرستان دولة وتوصل الديلم من سببهم الى الملك والاستبداد
على الخلفاء ببغداد كما نذكر في اخبارهم واما الامامية فساقوا الامامة
من علي رضي الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه الله عنه
علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق
ومن هنا افترقوا فرقتين ففرقة ساقوها الى ولده اسمعيل ويعرفونه
بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه موسى الكاظم
وهم الاثناعشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الايمة وقولهم بغيبته
الى اخر الزمن كما مر فاما الاسماعيلية فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص
من ابيه جعفر وفائدة النص عندهم وان كان قد مات قبل ابيه انما هي
بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا
ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو اول الايمة المستورين
لان الامام عندهم قد لا تكون له شوكة فيستتر وتكون دعاته ظاهرين
اقامة للحجة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعوته قالوا وبعد
محمد المكتوم ابنه جعفر المصدق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو اخر
المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدي الذي ظهر داعيته ابو عبد الله
الشيعي في كتامة وتتابع الناس على دعوته ثم اخرجه من معتقله
بسجلماسه وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر

مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هولاء الاسماعيلية نسبة الى القول
بامامة اسمعيل ويسمون ايضا الباطنية نسبة الى قولهم بالامام
الباطن اي المستور ويسمون ايضا الملحدة لما في ضمن مقالاتهم من
الالحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن
بن محمد الصباح في اخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق
ولم تزل دعوته قايمة فيها الى ان توزعها الهلاك بين ملوك الترك
بمصر وملوك الططر بالعراق فانقرضت ومقالة هذا الصباح
في دعوته مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني واما الاثنا
عشرية وربما خصوا باسم الامامية عند المتاخرين منهم فقالوا بامامة
موسى الكاظم بن جعفر لوفاة اخيه الاكبر اسمعيل الامام في حياة
ابيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد
اليه المامون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه علي
الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر الذي قدمنا
ذكره وفي كل واحد من هذه المقالات الشيعة اختلاف كثير الا ان هذه
اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتب الملل
والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما ففيها بيان ذلك والله ع
يضل من يشاء ويهدي من يشاء **فصل في انقلاب الخلافة الى الملك**
اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبية ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة
الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل وان الشرايع والديانات وكل امر
يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبية اذ المطالبة لا تتم الا بها
كما قدمناه فالعصبية ضرورية للملة وبوجودها يتم امر الله منها
وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا الشارع
ذم العصبية وندب الى اطراحها وتركها فقال ان الله اذهب عنكم
عبية الجاهلية وفخرها بالاباء انتم بنو ادم وادم من تراب وقال
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ووجدناه ايضا قد ذم الملك واهله
ونعى على اهله احوالهم من الاستمتاع بالخلاق والاسراف في غير القصد ف
والتنكب عن صراط الله وانما حض على الالفة في الدين وحذر من الخلاف

والفرقه واعلم ان الدنيا واحوالها كلها عند الشارع مطية للآخرة
ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه
من افعال البشر او يندب الى تركه اهماله بالكلية او اقتلاعه من اصله
وتعطيل القوى التى نشا عليها بالكلية انما قصده تصريفها فى
اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحد
الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد
نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لفقد منه
الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله به وانما يذم الغضب
للشيطان والاغراض الذميمة فاذا كان الغضب فى الله ولله كان ممدوحا
وهو من شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ليس
المراد ابطالها بالكليه فان بطلت شهوته كان نقصا فى حقه وانما
المراد تصريفها فيما ابيح له باشتماله على المصالح ليكون الانسان
عبدا متصرفا طوع الاوامر الالهيه وكذا العصبية حيث ذمها الشرع
وقال لن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم مراده حيث تكون العصبية الباطل
واحواله كما كانت فى الجاهلية وان لا يكون لاحد فخر بها او حق على احد
لان ذلك مجان من افعال العقلاء وغير نافع فى الاخرة التى هى دار القرار
فاما اذا كانت العصبية فى الحق واقامة امر الله فهو امر مطلوب
ولو بطل لبطلت الشرايع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية كما قلناه من
قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر
الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لما فيه من التغلب
بالباطل وتصريف الادميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان
الملك مخلصا فى غلبه للناس انه لله ويحملهم على عبادة الله وجهاد
عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله عليه
رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لما علم من نفسه انه بمعزل
عن الباطل فى النبوة والملك ولما لقى معويه عمر بن الخطاب عند

عند قدومه الى الشام فى ابهة الملك وزيه من العديد والعدة استنكر
ذلك وقال اكسروية يا معويه فقال يا امير المومنين انا فى ثغر تجاه العدو
وبنا الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطيه
لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد
رفض الملك من اصله لم يقنعه هذا الجواب فى تلك الكسروية وانتحالها
بل كان يحرض على خروجه منها بالجمله وانما اراد عمر بالكسروية ما كان
عليه اهل فارس فى ملكهم من ارتكاب الباطل والبغى وسلوك سبله
والغفلة عن الله واجابه معويه بان القصد بذلك ليس كسروية
فارس وباطلهم وانما قصد بها وجه الله فسكت وهكذا كان
شان الصحابة فى رفض الملك واحواله ونسيان عوايده حذرا من
التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف
ابا بكر على الصلوة اذ هى اهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهى
حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجر للملك ذكر لما انه مظنة
للباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء
الله متبعا سنن صاحبه وقاتل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام
ثم عهد الى عمر فاتبع اثره وقاتل الامم فغلبهم واذن للعرب فى انتزاع ما
بايديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوه منهم ثم صارت
الى عثمان ثم الى على والكل متبرءون من الملك منكبون عن طرقه واكد
ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبداوة العرب فقد
كانوا ابعد الامم عن زينة الدنيا وترفها لا من حيث دينهم الذى يدعوهم
الى الزهد فى النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من
خشونة العيش وشظفه الذى الفوه فلم تكن امة من الامم اسغب
عيشا من مضر لما كانوا بالحجاز فى ارض غير ذى زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين
من الارياف وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن
فلم يكونوا يتطاولون الى خصبها ولقد كانوا كثيرا ما يأكلون العقارب
والخنافس ويفخرون باكل العلهز وهو وبر الابل يمهونه بالحجارة فى
الدم ويطبخونه وقريبا من هذا كانت حال قريش فى مطاعمهم ومساكنهم

الارياف جمع ريف وهى ارض فيها زرع

العلهز بالكسر القراد الضخم وطعام كان يتخذ من الدم ووبر البعير فى سنى المجاعة

حتى اذا اجتمعت عصبيه العرب على الدين بما اكرم الله به من نبوة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم زحفوا الى امم فارس والروم وطلبوا ما كتب
الله لهم من الارض بوعد الصدق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم
فزخرت بحار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض
الغزوات ثلثين الفا من الذهب او نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا يأخذه
الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرقع ثوبه بالجلد وكان
علي يقول يا صفراء ويا بيضاء غري غيري وكان ابو موسى يتجافى عن اكل
الدجاج لانه لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخيل
مفقودة عندهم بالجملة وانما ياكلون الحنطة بنخالها ومكاسبهم مع
هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم قال المسعودي في ايام عثمان
اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة
الف دينار والف الف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين و
غيرهما مائتا الف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد
من متروك الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف
امة وكانت غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية السراة
اكثر من ذلك وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف الف فرس وله الف
بعير وعشرة الاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربعة
وثمانين الفا وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر
بالفؤوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة الف دينار وبنى الزبير
داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بنى طلحة
داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبناها بالجص والاجر والساج وبنى
سعد بن ابي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها واوسع فضاءها
وجعل على اعلاها شرفات وبنى المقداد داره بالمدينة وجعلها مجصصة
الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منية خمسين الف دينار وعقارا
وغير ذلك ما قيمته بثلثمائة الف درهم انتهى كلام المسعودي فكانت مكاسب
القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعيا عليهم في دينهم اذ هي اموال حلال
لانها غنائم وفيوء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف انما كانوا على قصد في

احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح وان كان الاستكثار من الدنيا
مذموما فانما يرجع الى ما اشرنا اليه من الاسراف والخروج به عن القصد
واذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك
الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الاخرة فلما تدرجت
البداوة والغضاضة الى نهايتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى
العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم
حكم الرفه والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا
مطلب مهم
خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق ولما وقعت الفتنة بين
علي ومعوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد
ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي او لايثار باطل او لاستشعار حقد
كما يتوهمه او ينزع اليه ملحد وانما اختلف اجتهادهم في الحق وخالف
كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب
عليا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل انما قصد الحق واخطا
والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد
بالمجد واستئثار الواحد به ولم يكن لمعوية ان يدفع ذلك عن نفسه
وقومه فهو امر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعر به بنو امية
ومن لم يكن على طريقة معوية في اقتفاء الحق من اتباعهم فاعصوصبوا
عليه واستماتوا دونه ولو قد حملهم معوية على غير تلك الطريقة و
خالفهم في الانفراد بالامر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتاليفها
اهم عليه من امر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول
اذا راى القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لي من الامر شيء لوليته الخلافة ولو
اراد ان يعهد اليه لكنه كان يخشى من بني امية اهل الحل والعقد لما
ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كله انما
حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل و
فرضنا ان الواحد انفرد به وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه
لم يكن في ذلك نكير عليه وقد انفرد سليمان صلوات الله عليه وابوه
داود بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به وكانوا

ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معوية الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كان بنو امية لم يرضوا تسليم الامر لمن سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحا لا يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاش لله لمعوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب اهل البطالة والبغي انما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو اهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتدا وما علم السلف من احوالهم فقد احتج ملك في الموطا بعمل عبد الملك واما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين وفضله معروف ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزع الى طريقة الخلفا الاربعة والصحابة جهده ولم يهمل ثم جا خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري الملك فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك مما دعا الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية منهم وولي رجالها الامر فكانوا من العدالة بمكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جا بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بنيهم فاعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا فتأذن الله بحربهم وانتزاع الامر من ايدي العرب جملة وامكن سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن تأمل سير هولاء الخلفا والملوك و اختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى المسعودي مثله في احوال بني امية عن ابي جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكروا بني امية فقال اما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي بما صنع واما سليمان فهمته بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل القوم هشام قال فلم يزل بنو امية ضابطين لما مهد لهم

من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسنمهم معالي الامور ورفضهم ادانيها حتى افضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجه وامنا لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبسهم الذل ونفى عنهم النعمة ثم استحضر عبد الله بن مروان فقص عليهم خبره مع ملك النوبة لما دخل ارضه فارا ايام بني العباس قال اقمت مليا ثم اتاني ملكهم فقعد على التراب وقد بسطت لي فرش ذات قيمة فقلت ما منعك من من القعود على ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترا على ذلك عبيدنا واتباعنا قال فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا واتباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا فاطرق ينكت بيده في الارض ويقول عبيدنا واتباعنا واعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع راسه الي وقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله واتيتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم الذل بذنوبكم ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان يحل عليكم العذاب وانتم ببلدي فينالني معكم وانما الضيافة ثلث فتزود ما احتجت اليه وارتحل فتعجب المنصور واطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيها من نفسه وهو الدين وكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة فهذا عثمان لما حصر في الدار وجاءه الحسن والحسين وعبد الله ابن عمر وابن جعفر وامثالهم يريدون المدافعة عنه فابى ومنع من سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظا للالفة التي بها حفظ الكلمة ولو ادى الى هلاكه وهذا علي اشار عليه المغيرة لاول ولايته باستبقا الزبير ومعوية وطلحة

على اعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك
ماشاء من امره وكان ذلك من سياسة الملك فابى فرارا من الغش الذى
ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيره من الغد فقال اشرت عليك بالامس
بما اشرت ثم عدت الى نظرى فعلمت انه ليس من الحق والنصيحه
وان الحق فيما رايته انت فقال على لا والله بل اعلم انك نصحتنى بالامس
وغششتنى اليوم ولكن منعنى مما اشرت به رايدة الحق وهكذا كانت
احوالهم فى اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن نرقع دنيانا بتمزيق
ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع فقد رايت كيف صار الامر الى الملك
وبقيت معانى الخلافه من تحرى الدين ومذاهبه والجرى على منهاج
الحق ولم يظهر التغير الا فى الوازع الذى كان دينا ثم انقلب عصبية
وسيفا وهكذا كان الامر لعهد معويه ومروان وابنه عبد الملك
والصدر الاول من خلفاء بنى العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت
معانى الخلافه ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا بحتا وجرت طبيعه
التغلب الى غايتها واستعملت فى اغراضها من القهر والتحكم فى الشهوات
والملاذ وهكذا كان الامر لخلف بنى عبد الملك ولمن جاء بعد المعتصم
والمتوكل من بنى العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبية العرب
والخلافة والملك فى الطورين ملتبس بعضها ببعض ثم ذهب رسم
الخلافه واثرها بذهاب عصبيه العرب وفناء جيلهم وتلاشى احوالهم
وبقى الامر ملكا بحتا كما كان الشان فى ملوك العجم بالمشرق يدينون
بطاعه الخليفه تبركا والملك بجميع القابه ومناحيه لهم وليس للخليفه
منه شى وكذلك فعل ملوك زناته بالمغرب مثل صنهاجه مع العبيديين
ومغراوه وبنى يفرن ايضا مع خلفاء بنى اميه بالاندلس والعبيديين بالقيروان
فقد تبين ان الخلافه قد وجدت بدون الملك اولا ثم التبست معانيهما
واختلطت ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبيته من عصبيه الخلافه
والله مقدر الليل والنهار **فصل فى معنى البيعة** اعلم ان البيعة معنى البيعة
هى العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد اميره على انه يسلم له النظر
فى امر نفسه وامور المسلمين لا ينازعه فى شى من ذلك ويطيعه فيما

يكلفه به من الامر على المنشط والمكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا
عهده جعلوا ايديهم فى يده تاكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع و
المشترى فسمى بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالايدى
هذا مدلولها فى عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد بالحديث فى بيعه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما
ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه ايمان البيعه لان الخلفاء
كانوا يستحلفون على هذا العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك
فسمى هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اغلب ولهذا
لما افتى مالك رضى الله عنه بسقوط يمين الاكراه انكرها الولاة عليه
وراوها قادحة فى ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضى
الله عنه واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهى تحية الملوك
الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم
البيعة التى هى العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع فى التحية
والتزام الاداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صار
حقيقة عرفيه واستغنى بها عن مصافحه ايدى الناس التى هى الحقيقه
فى الاصل لما فى المصافحة لكل احد من التنزل والابتذال المنافيين للرياسة
وصون المنصب الملوكى الا فى الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك
فياخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيته فافهم
معنى البيعة فى العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لما يلزمه من حق
سلطانه وامامه ولا يكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من
ولاية العهد افعالك مع الملوك والله القوى العزيز **فصل فى ولاية العهد**
اعلم انا قد قدمنا الكلام فى الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة
وان حقيقتها النظر فى مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو وليهم و
الامين عليهم ينظر لهم ذلك فى حياته وتبع ذلك ان ينظر لهم
بعد مماته ويقيم لهم من يتولى امورهم كما كان يتولاها ويثقون
بنظره لهم فى ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع
الامة على جوازه وانعقاده اذا وقع بعهد ابو بكر الى عمر بمحضر من الصحابه

واجازوه واوجبوا على انفسهم به طاعة عمر رضي الله عنه عن جميعهم
وكذلك عهد عمر في الشورى الى ستة من بقية العشرة وجعل لهم ان
يختاروا للمسلمين ففوض ذلك بعضهم الى بعض حتى افضى لعبد
الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان
وعلى واثر عثمان بالبيعة على ذلك لموافقته اياه على لزوم الاقتداء
بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهاده فانعقد امر عثمان لذلك واوجبوا
طاعته والملأ من الصحابة حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره احد
فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته
والاجماع حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى ابيه
او ابنه لانه مامون على النظر لهم في حياته فاولى ان لا يحتمل فيها تبعة
بعد مماته خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد او لمن خصص
التهمة في الولد دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك لا سيما اذا
كانت هناك داعية تدعو اليه من ايثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفي
الظنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معويه لابنه يزيد وان كان
فعل معوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعا معويه الى
ايثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع
الناس عليه واتفاق اهوايهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ
من بني امية اذ بنو امية يومئذ لا يرضون سواه وهم عصابة قريش
واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فآثره لذلك دون غيره ممن يظن
انه اولى بها وعدل الى المفضول عن الفاضل حرصا على الاتفاق
واجتماع الاهواء الذي شانه اهم عند الشارع ولا يظن بمعوية غير
هذا فعدالته وصحابته مانعة مما سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة
لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن تاخذهم
تأخذهم في الحق هوادة وليس معويه ممن تاخذه العزة في قبول الحق — الهوادة اللين وما يرجى به الصلح والرخصة قاموس
فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر
انما هو محمول على تورعه عن الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا
كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور

للجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من
بعد معويه من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل
عبد الملك وسليمان من بني اميه والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد
من بني العباس وامثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لهم
ولا يعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة
في ذلك فشانهم غير شان اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث
طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا
الى من يرتضيه الدين فقط واثروه على غيره ووكلوا كل احد ممن يسمو
الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معويه فكانت العصبية
قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج
الى الوازع السلطاني والعصباني فلو عهد الى غير من ترتضيه
٣ العصابة لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة
الى الفرقة والاختلاف سأل رجل عليا رضي الله عنه ما بال الناس اختلفوا
عليك ولم يختلفوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين
على مثلي وانا اليوم وال على مثلك يشير الى الوازع الديني افلا ترى الى
المامون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف
انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي
النوآب — وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج
ما كاد ان يصطلم الامر حتى بادر المامون من خراسان الى بغداد وردهم
لمعاهده فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف
ما يحدث فيها من الامور والقبايل والعصبيات وتختلف باختلافها
المصالح ولكل منها حكم يخصه لطفا من الله تعالى بعباده واما ان يكون
القصد بالعهد حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية
اذ هو امر من الله يختص به من يشاء فينبغي ان تحسن النية فيه ما امكن
خوفا من العبث بالمناصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده
وعرض هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فالاول منها ما حدث
في يزيد من الفسق ايام خلافته فاياك ان تظن بمعويه رضي الله عنه انه

علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل قد كان يعذله ايام
حياته في سماع الغناء وينهاه عنه وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبهم
فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة
يومئذ في شانه فمنهم من راى الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك
كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في
في ذلك ومنهم من اباه لما فيه من اثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز
عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصبية بني امية وجمهور
اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية مضر اجمع فهي اعظم
من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك و
اقاموا على الدعاء بهدايته او الراحة منه وهذا كان شان جمهور
المسلمين والكل مجتهدون ولا نكير على احد من الفريقين فمقاصدهم
في البر وتحري الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والثاني هو
شان العهد من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما تدعيه الشيعة
من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة
النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس ليكتب
الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول
عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال ان اعهد فقد
عهد من هو خير مني يعني ابا بكر وان اترك فقد ترك من هو خير مني
يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة حاضرون يوافقون
له على ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول علي
للعباس رضي الله عنهما حين دعاه الى الدخول على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يسالانه عن شانهما في العهد فابى علي من ذلك وقال
انه ان منعنا منها فلا نطمع فيها اخر الدهر وهذا دليل على ان عليا
علم انه لم يوص ولا عهد لاحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي
كون الامامة من اركان الايمان كما يزعمون وليس كذلك وانما هي
من المصالح العامة المفوضة الى نظر الخلق ولو كانت من اركان
الايمان لكان شانها شان الصلاة ولكان يستخلف فيها كما استخلف

استخلف ابا بكر في الصلاة ولكان يشتهر كما اشتهر امر الصلاة واحتجاج
الصحابة على خلافة ابي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا على ان الوصية
به لم تقع ويدل ذلك ايضا على ان امر الامامة والعهد بها لم يكن مهما
كما هو اليوم وشان العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق في مجاري
العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لان الامر الدين والاسلام كان كله
بخوارق العادة من تاليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك
من اجل الاحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لنصرهم
وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة يتلى عليهم
فلم يحتج الى مراعاة العصبية لما شمل الناس من صبغة الانقياد والاذعان
وما يستفزهم من تتابع هذه المعجزات الخارقة والاحوال الالهية الواقعة
والملائكة المترددة التي وجموا لها ودهشوا من تتابعها وكان امر
الخلافة والملك والعصبية والعهد وسائر هذه الانواع مندرجا
في ذلك العباب كما وقع فلما انحسر ذلك المدد بذهاب المعجزات
ثم بفناء القرون التي شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا
قليلا وذهبت اثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر
العصبية ومجاري العوائد فيما ينشا عنها من المصالح والمفاسد و
اصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات الاكيدة كما زعموه
ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله
عليه وسلم غير مهمة ولم يعهد فيها ثم تدرجت الاهمية ازمان
الخلفاء بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية والجهاد
وشان الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا
عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية
والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن
الفرقة والتخاذل ومنشا الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة
واحكامها والامر الثالث شان الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة
والتابعين واعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشا عن

عن الاجتهاد فى الادلة الصحيحه والمدارك والمجتهدون اذا اختلفوا
عن الادلة فان قلنا ان الحق فى المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن
لم يصادفه فهو مخطى فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتمال
الاصابة ولا يتعين المخطى منهما والتاثيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا
ان الكل حق وكل مجتهد مصيب فاحرى بنفى الخطا والتاثيم وغاية الخلاف
الذى بين الصحابة والتابعين خلاف اجتهادى فى مسايل اجتهاديه دينية
وهذا حكمة والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هو واقعة على مع معويه
ومع الزبير وطلحة وعايشه وواقعة الحسين وواقعة ابن الزبير مع عبد
الملك فاما واقعة على فان الناس كانوا عند مقتل عثمان كانوا مفترقين
فى الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم
من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامه
ابن زيد والمغيرة بن شعبه وعبد الله بن سلام وقدامه بن مظعون وابى
سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان
بن ثابت ومسلمه بن مخلد وفضاله بن عبيد وامثالهم من كبار الصحابه
والذين كانوا فى الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان
وتركوا الامر فوضى حتى يكون شورى بين المسلمين فيمن يولونه وظنوا بعلى
هوادة فى السكوت عن نصر عثمان من قاتليه لا فى الممالاة عليه فحاش لله
من ذلك ولقد كان معويه اذا صرح بملامته انما يوجهها عليه فى سكوته
فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى على ان بيعته قد انعقدت ولزمت
لمن تأخر عنها فاجتمع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبى وموطن الصحابه
وارجأ الامر فى دم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من
ذلك ورأى الاخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد
بالافاق ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعه الا باتفاق اهل الحل والعقد
ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ
فوضى فيطالبون اولا بدم عثمان ثم يجتمعون على امام وذهب الى هذا معويه
وعمرو بن العاص وام المؤمنين عايشه والزبير وابنه عبد الله وطلحه
وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان ابن بشير ومعويه بن حديج ومن كان

قوم فوضى كسكرى متساوون لا رئيس لهم
او متفرقون او مختلط بعضهم ببعض
وامرهم فوضى منهم او كانوا مختلطين
يتصرف كل منهم فيما للآخر
قاموس

الارجاء التأخير

كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة على بالمدينه كما ذكرنا
الا ان اهل العصر الثانى من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها
للمسلمين اجمعين وتصويب رايه فيما ذهب اليه وتعيين الخطا فى جهة
معويه ومن كان على رايه وخصوصا طلحة والزبير لانتقاضهما على
على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التاثيم عن كل واحد من الفريقين كالشان
فى المجتهدين وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثانى على احد قولى اهل
العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضى الله عنه عن قتلى الجمل
وصفين فقال والذى نفسى بيده لا يموتن احد من هؤلاء وقلبه نقى
الا ادخله الله الجنة يشير الى الفريقين نقله الطبرى وغيره فلا يقعن
عندك ريب فى عدالة احد منهم ولا قدح فى شى من ذلك فهم من علمت و
اقوالهم وافعالهم انما هى عن المستندات وعدالتهم مفروغ منها عند اهل
السنة الا قولا للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم يلتفت اليه احد من اهل الحق
ولا عرج عليه واذا نظرت بعين التحقيق عذرت الناس اجمعين فى الاختلاف
فى شان عثمان واختلاف الصحابه من بعده وعلمت انها كانت فتنه ابتلى بها
الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا
الامصار على حدودهم بالبصره والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب
الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا هذبتهم سيره وادابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان
فيهم فى الجاهلية من الجفاء والعصبيه والتفاخر والبعد عن سكينة
الايمان واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا فى ملكه المهاجرين
والانصار من قريش وكنانه وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب
السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون
لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمه فارس والروم
مثل قبايل بكر بن وايل وعبد القيس بن ربيعه وقبايل كنده والازد من اليمن
وقبايل تميم وقيس من مضر وامثالهم فصاروا الى الغض من قريش والانفه
عليهم والتمريض فى طاعتهم والتعلل فى ذلك بالتظلم منهم والاستعداء عليهم
والطعن فيهم بالعجز عن السوية والعدول فى القسم عن التسويه وفشت

بينا نحن كذا اى بين اوقات كذا اشبعت فتحتها فحدثت
الف وبينا وبينما حروف الابتداء
والاصمعى يخفض بعد بينا وغيره
يرفع ما بعدها على الابتداء
والخبر قاموس

غض منه نقص و وضع من قدره

القالة بذلك وانتهت الى اهل المدينه وهم من علمت فاعظموه وابلغوه
عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمه
واسامه بن زيد وامثالهم فلم ينكروا على الامراء شيا ولا راوا عليهم طعنا
وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت الشناعات
تكثر والاشاعات تنمو ورمى الوليد بن عقبه وهو على الكوفة بشرب الخمر
وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل
الامصار يسألون عزل العمال وشكوا الى علي وعايشة والزبير وطلحه
وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك السنتهم بل وفد سعيد بن العاص
وهو على الكوفه فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولا ثم انتقل
الخلاف بين عثمان ومن معه من الصحابه بالمدينه ونقموا عليه امتناعه
من العزل فابا الا ان يكون عن جرحة ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من افعاله
وهو متمسك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمع قوم من الغوغا وجاؤا الى
المدينة يظهرون طلب النصفة من عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك
من قتله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر وقام معهم فى ذلك علي وعايشة
والزبير وطلحه وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رايهم
فيها وعزل لهم عامل مصر فانصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس
يزعمون انهم لقوه فى يد حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على
ذلك فقالوا امكنا من مروان فهو كاتبك فحلف مروان فقال عثمان
ليس فى الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم بيتوه على حين غفلة من الناس
وقتلوه وانفتح باب الفتنه فلكل من هولاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا
مهتمين بامر الدين ولا يضيعون شيا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا
الواقع واجتهدوا والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم
الا خيرا لما شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم واما الحسين
فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت شيعة اهل
البيت بالكوفة للحسين ان ياتيهم فيقوموا بامره فراى الحسين ان الخروج
على يزيد متعين من اجل فسقه لا سيما على من له القدرة على ذلك وظنها
من نفسه باهليته وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة واما

الغوغاء الكثير المختلط من الناس ق

واما الشوكة فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت فى قريش
وعصبيه قريش فى عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت فى بنى امية
تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نسى ذلك اول الاسلام
لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحى وتردد الملئكة لنصرة المسلمين
فاغفلوا امور عوايدهم وذهبت عصبيه الجاهليه ومنازعها ونسيت
ولم يبق الا العصبيه الطبيعيه فى الحمايه والدفاع ينتفع بها فى اقامة
الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا
انقطع امر النبوة والخوارق المهوله تراجع الحكم بعض الشى للعوايد فعادت
العصبيه كما كانت ولمن كانت واصبحت مضر اطوع لبنى اميه من سواهم
بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لك غلط الحسين الا انه فى امر دنياوى
لا يضيره الغلط فيه واما الحكم الشرعى فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه
وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عذله ابن عباس وابن الزبير وابن
الحنفيه اخوه وغيرهم فى مسيره الى الكوفة وعلموا غلطه فى ذلك فلم يرجع
عما هو بسبيله لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابه الذين كانوا بالحجاز
ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فراوا ان الخروج على يزيد
وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشا عنه من الهرج وسفك الدماء فاقصروا
عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا اثموه لانه مجتهد وهو
اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتاثيم هولاء لمخالفة
الحسين وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج
عليه وقد كان الحسين عليه السلام يستشهد بهم وهو يقاتل بكربلا على
فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وابا سعيد وانس بن مالك و
سهل بن سعد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض
لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه وكذلك
لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان
كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحد الشافعى والمالكى الحنفى على شرب النبيذ
واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هولاء وان كان خلافه
عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد واصحابه ولا تقولن ان يزيد وان كان

فاسقا ولم يجز هؤلاء الخروج عليه فافعاله عندهم نافذة صحيحة واعلم
انه انما ينفذ من افعال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة من شرطه
عندهم ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود فى مسئلتنا فلا يجوز قتال
الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هى من فعلاته المؤكدة لفسقه والحسين
فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد
على حق ايضا واجتهاد وقد غلط القاضى ابو بكر بن العربى المالكى فى هذا
فقال فى كتابه المسمى بالقواصم والعواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع
جده وهو غلط حمله عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل فى قتال
اهل الاراء واما ابن الزبير فانه راى فى خروجه ما راه الحسين وظن
كما ظن وغلطه فى امر الشوكة اعظم لان بنى اسد لا يقاومون بنى امية فى
جاهلية ولا اسلام والقول بتعيين الخطا فى جهة مخالفة كما كان فى جهة
معاوية مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لنا به ولم نجده هنا
واما يزيد فعين خطاه فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم
الناس عدالة وناهيك فى عدالته احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عباس
وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز مع ان الكثير من
الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل
الحل والعقد كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون
محمولون على الحق فى الظاهر وان لم يتعين فى جهة منهما والقتل الذى نزل
به بعد تقرير ما قررناه يجرى على قواعد الفقه وقوانينه مع انه شهيد مثاب
باعتبار قصده وتحريه الحق هذا هو الذى ينبغى ان يحمل عليه افعال السلف
من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح
فمن الذى يختص بالعدالة والنبى صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس
قرنى ثم الذين يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يفشو الكذب فجعل الخيرية وهى
العدالة مختصة بالعصر الاول والذى يليه فاياك ان تعود نفسك
او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب فى شىء مما وقع منهم
والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما
اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا الا فى سبيل جهاد او اظهار حق واعتقد مع

مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقتدى كل بمن
يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة
الله فى خلقه واكوانه

فصل فى الخطط الدينية الخلافية

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين
وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف فى الامرين اما فى الدين فبمقتضى
التكاليف الشرعية الذى هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها واما
سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم فى العمران البشرى وقد قدمنا
ان هذا العمران ضرورى للبشر وان رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد
ان اهملت وقدمنا ان الملك وسطوته كاف فى حصول هذه المصالح
نعم انما تكون اكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح
فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من
توابعها وقد ينفرد اذا كان فى غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة
ووظائف تابعة تتعين خططا وتتوزع على رجال الدولة وظائف
فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذى تكون يده عالية
عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه بسلطانه واما المنصب الخلافى
وان كان الملك يندرج تحته بهذا الاعتبار الذى ذكرناه فتصرفه
الدينى يختص بخطط ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلنذكر
الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الملوكية
السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية الصلاة والقضاء
والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى
التى هى الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها
متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها فى سائر احوال
الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ الشرع فيهما على العموم فاما امامة
الصلاة فهى ارفع هذه الخطط كلها وارفع من الملك بخصوصه المندرج
معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة فى شان ابى بكر
رضى الله عنه باستخلافه فى الصلاة على استخلافه فى السياسة فى قولهم ارتضاه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لدنيانا فلولا ان

ان الصلاة ارفع من السياسة لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان
ان المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشيه معدة
للصلوات المشهوده ولخرى دونها مختصة بقوم او محلة وليست
للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة فامرها راجع الى الخليفة او
الى من تفوض اليه من سلطان او وزير او قاض فينصب لها الامام في
الصلوات الخمس والجمعه والعيدين والخسوفين والاستسقا وتعيين
ذلك انما هو من طريقا الاولى والاستحسان ولئلا تفتات الرعايا
عليه بشي من النظر في المصالح العامه وقد يقول بالوجوب في ذلك
من يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبًا
واما المساجد المختصه بقوم او محلة فامرها راجع الى الجيران ولا
تحتاج الى نظر خليفه ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها
والمولى فيها معروفه في كتب الفقه ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانيه
للماوردى وغيره فلا نطول بذكره وقد كان الخلفاء الاولون لا يقلدونها
لغيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان
بالصلاة وترصدهم بذلك في اوقاتها يشهد لك ذلك بمباشرتهم لها
وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها احدا وكذا كان حال الدولة
الاموية من بعدهم استيثارا لها واستعظاما لرتبتها يحكى عن عبد الملك
انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابى الا عن ثلثه صاحب الطعام
فانه يفسد بالتاخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان
في تاخيره فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من
الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم استنابوا في
الصلاة وكانوا يستاثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامه
كالعيدين والجمعه اشادة وتنويها فعل ذلك كثير من خلفاء بنى العباس
والعبيد بين صدر دولتهم واما الفتيا فللخليفة تصفح اهل العلم
والتدريس ورد الفتيا الى من هو اهل لها واعانته على ذلك ومنع من
ليس باهل لها وزجره لانها من مصالح المسلمين في اديانهم فيجب عليه
مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيضل الناس وللمدرس الانتصاب

اختلفت استبد برايه
تاثرون

توجيها وجاه
ورفعه

الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت
من المساجد العظام التى للسلطان الولاية عليها والنظر في ايمتها كما
مر فلا بد من استيذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامه فلا يتوقف
ذلك على اذن على انه ينبغى ان يكون لكل احد من المفتيين والمدرسين
زاجر من نفسه يمنعه من التصدى لما ليس له باهل فيضل به المهتدى
ويزل به المسترشد وفي الاثر اجراكم على الفتوى اجراكم على جراثيم جهنم فللسلطان
فيهم لذلك من النظر ما توجبه المصلحة من اجازه او رد واما القضاء
فهو من الوظايف الداخله تحت الخلافه لانه منصب الفصل بين الناس
في الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام الشرعيه
المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظايف الخلافه ومندرجا
في عمومها القضاء في شى الى سواهم واول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر
رضى الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينه وولى شريحا بالبصره وولى
ابا موسى الاشعرى بالكوفه وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذى تدور
عليه احكام القضاء وهى مستوفاة فيه يقول فيه اما بعد فان القضاء
فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق
لا نفاذ له واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع
شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين
على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم
حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس فراجعت اليوم فيه عقلك
وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة
الحق خير من التمادى في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس
في كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه والامثال وقس الامور بنظايرها
واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امدا ينتهى اليه فان احضر بينته
اخذت له بحقه والا استحللت القضية عليه فان ذلك انفى للشك
واجلى للعما المسلمون عدول بعضهم في بعض الا مجلودا في حد او مجربا
عليه شهادة زور او ظنينا في ولاء او نسب فان الله سبحانه عفا
عن الايمان ودرا بالبينات واياك والقلق والضجر والتافف بالخصوم

كتاب عمر رضى الله عنه في احكام القضا

وابين نسخه

الفهم بها

انفى

الظنين المتهم
فان الله تولى منكم السراير نسخه

فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر
والسلام انتهى كتاب عمر وانما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم وان كان مما
يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشتغالها من الجهاد والفتوحات
وسد الثغور وحماية البيضه ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم
العنايه به فاستحقوا امر القضاء في الواقعات بين الناس واستخلفوا
فيه من يقوم به تخفيفا مع انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلدونه اهل
اهل عصبيتهم بالنسب والولاء ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في ذلك
واما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب الفقه وخصوصا
كتب الاحكام السلطانيه لان القاضي انما كان له في عصر الخلفاء الفصل
بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك امور اخرى على التدريج بحسب
اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاء
اخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفا بعض الحقوق العامه
للمسلمين بالنظر في اموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين
واهل السفه وفي وصايا المسلمين واوقافهم وتزويج الايامى عند فقد
الاوليا على راي من يراه والنظر في مصالح الطرقات والابنيه وتصفح
الشهود والامنا والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة
والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات
وظيفته وتوابع ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي
النظر في المظالم وهي وظيفه ممتزجة من سطوة السلطنه ونصفة
القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين و
تزجر المتعدي وكانه يمضي ما عجز القضاة او غيرهم عن امضايه ويكون
نظره في البينات والتقرير واعتماد الامارات والقراين وتاخير الحكم
الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود وذلك
اوسع من نظر القاضي وكان الخلفا الاولون يباشرونها بانفسهم الى ايام
المهتدي من بني العباس وربما كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل علي رضي الله
عنه مع قاضيه ابي ادريس الخولاني وكما فعله المامون ليحيى بن اكثم و
المعتصم لابن ابي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في

الصايفة غزوة الروم لانهم يغزون صيفا لمكان البرد والثلج شتاء

في عساكر الصوايف وكان يحيى بن اكثم يخرج ايام المامون بالصايفة الى
ارض الروم وكذا منذر بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بني اميه
بالاندلس وكانت توليه هذه الوظايف انما تكون للخلفاء او لمن يجعلون
ذلك له من وزير مفوض وسلطان متغلب وكان ايضا النظر في
الجرايم واقامة الحدود مختصا في الدوله العباسيه والامويه
بالاندلس والعبيدية بمصر والمغرب وراجعا الى صاحب الشرطة
وهي وظيفه اخرى دينية كانت من الوظايف الشرعيه في تلك
الدول يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة في
الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرايم ويقيم الحدود
الثابتة في محالها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التعزير والتاديب
في حق من لم ينته الى الجريمه ثم تنوسي شان هاتين الوظيفتين في الدول
التي تنوسي فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعا الى السلطان
كان له تفويض من الخليفه او لم يكن وانقسمت وظيفه الشرطه قسمين
منهما وظيفه التهمة على الجرايم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص
حيث يتعين ونصب ذلك في هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسه
دون مراجعة الاحكام الشرعيه ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطه
وبقي قسم التعازير واقامة الحدود الثابتة في الجرايم شرعا فجمع للقاضي
مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا
العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفه عن اهل عصبيّة الدوله
لان الامر لما كان خلافة دينيةً وهذه الخطة من مراسم الدين فكانوا لا
يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف والرق
او بالاصطناع ممن يوثق بكفايته وغنايه فيما يدفع اليه ولما انقرض شان
الخلافة وظهورها وصار الامر كله ملكا وسلطانا صارت هذه الخطط
الدينيه بعيدة عنه بعض الشي لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه
ثم خرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من امم الترك و
البربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم بمنحاها وعصبيتها
وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

منهم ولحكامه وشرايعه مخلتهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لايرون
ذلك انما يولونها جانبا من التعظيم لما دانوا بالملة فقط فصاروا
يقلدونها من غير عصابتهم ممن كان تاهل لها في دول الخلفاء السالفة
وكان اولئك المتاهلون بما اخذهم ترف الدول منذ مئين من السنين
قد نسوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم
ودعتهم وقلة الممانعة عن انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول
الملوكية من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين
في اهل الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز لفقد الاهلية بانسابهم
وماهم عليه من الحضارة فلحقهم من الاحتقار ما يلحق الحضر المنغمسين
في الترف والدعة البعداء عن عصبية الملك الذين هم عيال على الحامية
وصار اعتبارهم في الدولة من اجل قيامها بالملة واخذها باحكام
الشريعه لما انهم الحاملون للاحكام المفتون ولم يكن ايثارهم في الدوله
حينئذ اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمح من التجمل بمكانهم في مجالس الملك
لتعظيم الرتب الشرعيه ولم يكن لهم فيها من الحل والعقد شي وان حضروه
فحضور رسمي لا حقيقة وراءه اذ حقيقه الحل والعقد انما هو لاهل
القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حل ولا عقد لديه اللهم
اخذ الاحكام الشرعيه عنهم وتلقي الفتاوى منهم فنعم والله الموفق
وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوك
فيما فعلوه من اخراج القضاه والفقها عن الشورى مرجوح وقد قال
صلى الله تعالى عليه وسلم العلماء ورثه الانبياء فاعلم ان ذلك
ليس كما ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة
العمران والا كان بعيدا عن السياسه وطبيعة العمران في هولاء
لا تقتضي لهم بشي من ذلك لان الشورى والحل والعقد انما يكون
لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من
لا عصبية له ولا يملك من امر نفسه شيا ولا من حمايتها وانما هو
عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى واي معنى يدعو الى اعتباره
فيها اللهم شوراه فيما يعلمه من الاحكام فموجود في الاستفتاء خاصه

خاصه واما شوراه في السياسه فهو بعيد عنها لفقدانه العصبيه
والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الملوك
والامراء الشاهده لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينتسب اليه
باي جهة انتسب واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم العلما ورثة الانبيا
فاعلم ان الفقهاء لهذا العهد وما احتف به انما حملوا الشريعه اقوالا
في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضا في المعاملات ينصونها
على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكابرهم ولا يتصفون الا بالاقل
منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين
والورع من المسلمين حملوا الشريعه اتصافا بها وتحققا بمذاهبها فمن
حملها اتصافا وتحققا فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري — دون نقل
ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقه مثل فقها
التابعين والسلف والايمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجا على اثرهم
واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد احق بالوراثة من
الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث صفة والفقيه الذي
ليس بعابد لم يرث شيا انما هو صاحب اقوال ينصها علينا في كيفيات
العمل وهولاء اكثر فقها عصرنا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم **العدالة** وهي وظيفه دينيه تابعة للقضاء ومن موارد
تصريفه وحقيقة هذه الوظيفه القيام عن اذن القاضي بالشهادة
بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا
في السجلات تحفظ به حقوق واملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم — الناس
وشرط هذه الوظيفه الاتصاف بالعدالة الشرعيه والبراءة من الجرح
ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهه عبارتها وانتظام فصولها
ومن جهة احكام شروطها الشرعيه وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما
يتعلق بذلك من الفقه لاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران
على ذلك والممارسة اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف
القائمون به كانهم مختصون بالعدالة وليس كذلك انما العدالة من شروط
اختصاصهم بالوظيفه ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم

رعاية لشرط العدالة فيهم وان لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ
حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه واذا
تعين هولاء لهذه الوظيفه عمت الفايده بهم في تعديل من تخفا عدالته
على القضاه بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة
الى الفصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقه فيعولون غالبا في
الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في ساير الامصار دكاكين ومصاطب
يختصون بالجلوس فيها ليتعاهدهم اصحاب المعاملات للاشهاد
وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه
الوظيفه التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعيه التي هي اخت
الجرح وقد يتواردان ويفترقان والله اعلم **الحسبة والسكة**
اما الحسبه فهي وظيفه دينيه من باب الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر الذي هو فرض على القايم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه
اهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن
المنكرات ويعزر ويودب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامه
في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل
السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباني المتداعيه للسقوط
بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابله والضرب على
ايدي المعلمين بالمكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان
المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استعدا بل له النظر والحكم
فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له ايضا الحكم في الدعاوي
مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعايش وغيرها وفي المكاييل
والموازين وله ايضا حمل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما
ليس فيه سماع بينه ولا انفاذ حكم وكانها احكام ينزه عنها القضاه
لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفه ليقوم
بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في
كثير من الدول الاسلاميه مثل العبيديين بمصر والمغرب والامويين
بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يوليها باختياره ثم لما انفردت

جمع مصطفى

يولي فيها

انفردت وظيفه السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما في امور
السياسه فاندرجت في وظايف الملك وافردت بالولايه **واما**
السكه فهي النظر في النقود المتعامل بها بين المسلمين وحفظها
بما يداخلها من الغش او النقص ان كانت يتعامل بها عددا او ما يتعلق
بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامه السلطان
على تلك النقود بالاستجاده والخلوص ترسم تلك العلامه فيها من
خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصه به فيوضع على الدينار
بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترتسم فيه تلك النقوش
وتكون علامة على جودته بحسب الغايه التي وقف عندها السبك
والتخليص في متعارف اهل القطر ومذهب الدوله الحاكمة فان السبك
والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد
فاذا وقف اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها
وسموه اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم وينقدونها بمماثلته فان
نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفه
وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافه ولقد كانت تدخل
في عموم ولاية القضاء ثم افردت لهذا العهد بالولايه كما وقع في الحسبة
هذا اخر الكلام في الوظايف الخلافية وبقيت منها وظايف ذهبت
بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانيه فوظيفه الامارة
والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانيه نتكلم عليها في مكانها
بعد ووظيفه الجهاد بطلت ببطلانه الا في قليل من الدول
يمارسونه ويدرجون احكامه غالبا في السلطانيات وكذا
نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافه او الحق في بيت المال
قد بطلت لدثور الخلافه ورسومها وبالجمله فقد اندرجت رسوم
الخلافه ووظايفها في رسوم الملك والسياسه في سائر الدول
لهذا العهد والله مصرف الامور بحكمته **فصل في اللقب بامير
المومنين وانه من سمات الخلافه** وهو محدث منذ عهد الخلفاء
وذلك انه لما بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه كان الصحابة وساير

سكة

والدرهم

النقود بحث

المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بويع عمر بعهده اليه كانوا يدعونه
خليفة خليفة رسول الله وكانهم استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة
اضافاته وانه يتزيد فيما بعد دايما الى ان ينتهى الى الهجنة ويذهب
منه التمييز بتعدد المضافات وكثرتها فلا تعرف فكانوا يعدلون
عن هذا اللقب الى سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد
البعوث باسم الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة
ايضا يدعون سعد بن ابى وقاص امير المسلمين لامارته على جيش القادسية
وهو معظم المسلمين يومئذ واتفق ان دعا بعض الصحابة عمر رضى الله عنه
بامير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان
اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة
بن شعبة وقيل بريد جاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة
وهو يسال عن عمر ويقول اين امير المؤمنين فاستحسنها اصحابه وقالوا
اصبت والله اسمه انه امير المؤمنين حقا فدعوه به وذهب لقباله
فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سمة لا يشاركهم فيها احد سواهم
ساير دولة بنى امية ثم ان الشيعة خصوا عليا باسم الامام نعتا له
بالامامة التى هى اخت الخلافة وتعريضا بمذهبهم فى انه احق بامامة
الصلاة من ابى بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن
يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكان كلهم يسمى بالامام
ما داموا يدعون لهم فى الخفاء حتى اذا يستولون على الدولة يحولون
اللقب فيمن بعده الى امير المؤمنين كما فعله شيعة بنى العباس فانهم
ما زالوا يدعون ائمتهم بالامام الى ابراهيم الذى جهروا بالدعاء له و
عقدوا الرايات للحرب على امره فلما هلك دعى اخوه السفاح بامير
المؤمنين وكذا الرافضة بافريقيه ما زالوا يدعون الائمة من ولد اسمعيل
بالامام حتى انتهى الامر لعبد الله المهدى وكانوا ايضا يدعونه بالامام
ولابنه ابى القاسم من بعده فلما استوسق لهما الامر دعوا من بعدهما امير

امير المؤمنين وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام
وابنه ادريس الاصغر كذلك وهكذا شانهم وتوارث الخلفا هذا اللقب
بامير المؤمنين وجعلوه سمة لمن تملك الحجاز والشام والعراق المواطن التى
هى ديار العرب ومراكز الدولة واصل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنفوان
الدولة وبذخها لقب اخر للخلفا يتميز به بعضهم عن بعض لما فى امير المؤمنين
من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا لاسمائهم الاعلام
عن امتهانها فى السنة السوقة وصونا لها عن الابتذال فتلقبوا
بالسفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد الى اخر الدولة واقتفى
اثرهم فى ذلك العبيديون بافريقية ومصر وتجافى بنو امية عن ذلك
اما بالمشرق قبلهم فجريا على الغضاضة والسذاجة لان العروبية
ومنازعها لم تفارق حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة
واما بالاندلس فتقليدا لسلفهم مع ما علموه من انفسهم من القصور عن
بالقصور عن تملك الحجاز اصل العرب والملة والبعد عن دار الخلافة
التى هى مركز العصبية وانهم انما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك
بنى العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الاخر منهم وهو الناصر ابن الامير محمد بن
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر
ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيثهم فى الخلفاء بالعزل
والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفا
بالمشرق وافريقية وتسمى بامير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت
من بعد عادة ومذهبا لقن عنه ولم يكن لابائه وسلف قومه واستمر
الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبية العرب اجمع وذهب رسم الخلافة
وتغلب الموالى من العجم على بنى العباس والصنائع على العبيديين بالقاهرة و
صنهاجة على امر افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس
على امر بنى امية واقتسموه وافترق امر الاسلام فاختلفت مذاهب
الملوك بالمغرب والمشرق فى الاختصاص بالالقاب بعد ان تسموا جميعا
باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بالقاب
تشريفية يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة

ذلك م
الخلافة التى استاثر بها
بنو العباس ثم بالعجم

وعضد الدوله وركن الدوله ومعز الدوله ونصير الدوله ونظام
الملك وبها الملك وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديون
ايضًا يخصون بها امرا صنهاجه فلما استبدوا على الخلفا قنعوا بهذه
الالقاب وتجافوا عن القاب الخلافه ادبا وعدولًا عن سماتها المختصة بها
شان المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل ونزع المتاخرون من اعاجم
المشرقيين قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان
وتلاشت عصبيه الخلافة واضمحلت بالجملة الى انتحال القاب كانوا
يختصون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن ربقه الولاء و
الاصطناع بما اضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين
اسد الدين نور الدين واما ملوك الطوايف بالاندلس فاقتسموا القاب
الخلافه وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها
فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وامثالها كما قال ابن رشيق

مما يزهدني في ارض اندلس اسما معتمد فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

واما صنهاجه فاقتصروا على الالقاب التي كان خلفا العبيديين يلقبونهم
بها للتنويه مثل نصير الدوله وسيف الدولة ومعز الدوله واتصل
لهم ذلك لما ادالوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت
الشقه بينهم وبين الخلافه ونسوا عهدها فنسوا هذه الالقاب
واقتصروا على اسم السلطان وكذا شان ملوك مغراوه بالمغرب لم ينتحلوا
شيا من هذه الالقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوه و
الغضاضه ولما محي اسم الخلافه وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبايل
البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونه فملك العدوتين وكان من اهل الخير و
الاقتداء نزعت به همته الى الدخول في طاعة الخليفه تكميلا لمراسم
دينه فخاطب المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعته عبد الله
بن العربي وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيليه يطلبان توليته
اياه على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفه له على
المغرب واستشعار زيهم في لبوسه ورايته وخاطبه فيه بامير المسلين

(الالقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور زيادة الى حط)
(سمى عليهم ذلك م)
(باميرالمسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال انه كان دعى له حا)

المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافه لما كان عليه هو وقومه المرابطون
من انتحال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على اثرهم داعيا الى الحق
اخذا بمذاهب الاشعريه ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف
في ترك التاويل لظواهر الشريعة وما يوول اليه ذلك كما هو معروف من مذهب
الاشعريه وسمى اتباعه لذلك الموحدين تعريضا بذلك التكفير وكان يرى
راى اهل البيت في الامام المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده
هذا العالم فسمي بالامام اولا لما قلناه من مذهب الشيعه في القاب خلفائهم
واردف بالمعصوم اشاره الى مذهبه في عصمة الامام وتنزه عن امير المومنين
اخذا بمذهب المتقدمين من الشيعه ولما فيها من مشاركه الاغمار والولدان
من اعقاب اهل الخلافه يومئذ بالمشرق والمغرب ثم انتحل عبد المومن
ولي عهده اللقب بامير المومنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المومن
وال ابي حفص من بعدهم استيثارا به عن سواهم لما دعا اليه شيخهم المهدي
من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده كذلك دون كل احد
لانتفاء عصبيه قريش وتلاشيها فكان ذلك دابهم ولما انتقض الامر
بالمغرب وانتزعه زناتة ذهب اولهم مذاهب البداوة والسذاجه
واتباع لمتونه في انتحال اللقب بامير المسلمين ادبا مع رتبة الخلافه التي
كانوا على طاعتها لبني عبد المومن اولا ولبني ابي حفص من بعدهم ثم نزع
المتاخرون منهم الى اللقب بامير المومنين وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا
في منازع الملك وتتميما لمذاهبه وسماته والله غالب على امره

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانيه والكوهن عند اليهود

اعلم ان الملة لا بد من قايم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها
وشرايعها ويكون كالخليفه فيهم للنبي فيما جاءهم به من التكاليف
والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة السياسه فيه للاجتماع
البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر
وهو المسمى بالملك والملة الاسلاميه لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم
الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا او كرها اتحدت فيها الخلافه
والملك لتوجه الشوكة من القائمين بها اليهما جميعا واما ما سوى الملة

(عند اتباعه صح)
(بافريقيه م)
(صح قبله)

الاسلامية فلم يكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا في
المدافعة فقط فصار القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شي من سياسة
الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته
لهم العصبية بما فيها من الطلب للملك بالطبع كما قلناه لا لانهم مكلفون
بالتغلب على الامم كما في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم
في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله
عليهما نحو اربع ميه سنة لا يعتنون بشي من امر الملك انما همهم
اقامة دينهم فقط وكان القائم به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة
لموسى صلوات الله عليه يقيم لهم امر الصلوات والقربان ويشترطون
فيه ان يكون من ذرية هرون صلوات الله عليه لان ذلك كان له
ولبنيه بالوحي ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع
سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن اعظم رتبة
منهم في الدين وابعد عن شغب الاحكام واتصل ذلك فيهم الى ان
استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة للملك فغلبوا الكنعانيين
على الارض التي اورثهم الله اياها بيت المقدس وما جاورها كما بين
لهم على لسان موسى صلوات الله عليه فحاربتهم امم الفلسطين و
الكنعانيين والارمن وادوم وعمون ومواب ورياستهم في ذلك راجعة
الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحوا من اربع ميه سنة ولم يكن لهم صولة
الملك وضجر بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان اشمويل
من انبيائهم ان ياذن لهم في تمليك رجل عليهم فملك عليهم طالوت
وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلسطين ثم ملك بعده داود ثم
سليمان صلوات الله عليهما واستفحل ملكه وامتد الى الحجاز ثم الى اطراف
اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات
الله عليه بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت
احديهما بالجزيرة والموصل للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام
لبني يهوذا وبني يامين ثم غلبهم بختنصر ملك بابل على ما كان بايديهم
من الملك اولا الاسباط العشرة ثم ثانيا بني يهوذا بيت المقدس بعد

بعد اتصال ملكهم الف سنة وخرب مسجدهم وحرق توراتهم وامات
دينهم ونقلهم الى اصفهان وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك
الكينيين من الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا
المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم الاول للكهنوتية فقط والملك للفرس
لكهنوتية لا
ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكتهم ثم
فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم
عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم الكهنونية الذين كانوا فيهم من بني
خشمناي
خشمناي وقاتلوا يونان حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت
امرهم ثم زحفوا الى بيت المقدس وبها بنو هيرودس اصهار بني حشمناي
وبقية دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة واثخنوا في القتل
والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس واجلوهم عنها الى رومة وما وراءها
وهو الخراب الثاني للمسجد وتسميه اليهود بالجلوة الكبرى فلم يقم لهم
بعدها ملك لفقدان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن
بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن وكان المسيح صلوات
الله عليه لما جاءهم بما جاء به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة
وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء المعتوه واحياء الموتى و
اجتمع عليه كثير من الناس وامنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه وكانوا
اثني عشر وبعث منهم رسلا الى الافاق داعين الى ملته وذلك ايام
اوغسطش اول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود الذي
انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب
هيرودس ملكهم ملك القياصرة اوغسطش يغريه به فاذن لهم في
قتله ووقع ما تلاه القران من امره وافترق الحواريون شيعا ودخل اكثرهم
الى بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة
دار ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله
عليه في نسخ اربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى انجيله في بيت
المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطيني
وكتب لوقا منهم انجيله باللطيني لبعض اكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي

منهم بانجيله برومه وكتب بطرس انجيله باللطيني ونسبه الى مرقس
تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها
وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى صلوات الله عليه وبكلام الحواريين
وكلها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الحواريون (وغالبها نحو)
الرسل لذلك العهد برومية ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها
بيد اقليمنطش تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها و
العمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب
يوشع وكتاب القضاة وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين (وكتاب دعوث)
وكتاب المقابيين لابن كريون ثلثه وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة
هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان
خمسه ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن
شارخ وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه
المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتاب بولس اربع عشرة رساله
وكتاب اقليمنطش وفيه الاحكام وكتاب ابوغلمسيس وفيه رويا
يوحنا بن زبدى وكتب الفتاليقون سبع رسايل وثامنها الابركسيس
في قصص الرسل واختلفت حال القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة
وتعظيم اهلها ثم بتركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنفي الى ان
جاء قسطنطين واخذ بها فاستمروا عليها وكان صاحب هذا الدين
والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح
فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من امم النصرانية ويسمونه
الاسقف اي نايب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم
في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة
بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحواريين
وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون
خامس القياصرة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقس
الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده
حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجعل معه اثنى

عشر قسا على انه اذا مات البطرك يكون واحد من الاثنى عشر
مكانه ويختار من المؤمنين واحد مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة
الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا
بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثمائة وثمانية
عشر من اساقفتهم على رأي واحد في الدين فكتبوه وسموه الامانة
وصيروه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك القايم
بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقسة كما قرره حنانيا تلميذ
مرقس وابطل ذلك الراي وانما يقدم عن ملا واختيار من ايمة المؤمنين
ورؤسائهم فبقي الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في قواعد الدين وكانت
لهم مجتمعات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقي الامر فيها على
ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة
يدعون البطرك بالاب تعظيما له فصار الاقسة يدعون الاسقف
فيما غاب عن البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتبه الاسم في اعصار
متطاولة يقال اخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فارادوا ان يميزوا
البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الاباء و
ظهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جرجس ابن العميد في تاريخه
ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومه لانه كرسي
بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الان ثم اختلفت النصارى
في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوايف وفرقا
واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في
العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاث طوايف
هي فرقهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسطورية
ولم نر ان نسخم اوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجملة معروفة
وكلها كفر كما صرح به القران الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك الجدال
ولا استدلال انما هو الاسلام او الجزية او القتل ثم اختصت كل فرقة
منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم هو المسمى بالبابا على راي الملكية ورومة
للافرنجة وملكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على راي

اليعقوبيه وهو ساكن بين ظهرانيهم والحبشه يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفه ينوبون عنه فى اقامه دينهم هنالك ولختص اسم البابا ببطرك روميه لهذا العهد ولا يسمى اليعاقبه بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظه بباين موحدتين من اسفل والنطق بها مفخمه والثانيه مشدده ومن مذاهب البابا عند الافرنجه انه يحضهم على الانقياد لملك واحد يرجعون اليه فى اختلافهم و اجتماعهم تحرجا من افتراق الكلمة ويتحرى به العصبيه التى لا فوقها منهم لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الإنْبَرَظُور وحرفه الوسط بين الذال والظا المعجمتين ويباشره بوضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظه الانبرظور هذا ملخص ما اوردناه من شرح هاذين الاسمين اللذان هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء **فصل فى مراتب الملك والسلطان والقابها** اعلم ان السلطان فى نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيلا فلا بد له من الاستعانة بابنا جنسه واذا كان يستعين بهم فى ضرورة معاشه وسائر مونه فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم والى كف عدوان بعضهم على بعض فى انفسهم بامضاء الاحكام الوازعة فيهم وكف العدوان عليهم فى اموالهم حتى باصلاح سابلتهم والى حملهم على مصالحهم وما تعمهم به البلوى فى معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعايش والمكاييل والموازين حذرا من التطفيف والى النظر فى السكة بحفظ النقود التى يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يريده منهم من الانقياد له والرضى بمقاصده فيهم وانفراده بالمجد دونهم فيتحمل من ذلك فوق الغايه من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء لمعاناة نقل الجبال من اماكنها اهون على من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت باولى القربى من اهل النسب او التربيه او الاصطناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع فى ذلك من مجانسه خلقهم لخلقه فى الاستعانة قال تعالى

لفظة انبرطور

تعالى اجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى وهو اما ان يستعين فى ذلك بسيفه او بقلمه او برأيه ومعارفه او بحجابه عن الناس ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر فى مهماتهم او يدفع النظر فى الملك كله اليه ويعول على كفايته فى ذلك واضطلاعه به فلذلك قد توجد لرجل واحد وقد تفترق فى اشخاص وقد يتفرع كل واحد منها الى فروع كثيرة كالقلم يتفرع الى قلم الرسايل والمخاطبات و قلم الصكوك والاقطاعات والى قلم المحاسبة وهو صاحب الجباية والعطا وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطه و صاحب البريد وولاية الثغور ثم اعلم ان الوظايف السلطانيه فى هذه الملة الاسلاميه مندرجة تحت الخلافه لاشتمال منصب الخلافه على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعيه متعلقة بجميعها و موجودة لكل واحدة منها فى ساير وجوهها لعموم تعلق الحكم الشرعى بجميع افعال العباد فالفقيه ينظر فى مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استبدادا على الخلافة وهو معنى السلطان او تفويضا منها وهو معنى الوزارة عندهم كما يأتى وفى حدود نظره فى الاحكام والاموال وساير السياسات مطلقا او مقيدا وفى موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك من معانى الملك والسلطان وكذا فى ساير الوظايف التى تحت الملك والسلطان من وزارة او جباية او ولاية لابد للفقيه من النظر فى جميع ذلك لما قدمناه من انسحاب حكم الخلافه الشرعيه فى الملة الاسلاميه على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا فى وظايف الملك والسلطان ورتبته انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصها من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعيه مع انها مستوفاة فى كتب الاحكام السلطانيه مثل كتاب القاضى ابى الحسن الماوردى وغيره من اعلام الفقهاء فان اردت استيعابها فعليك بمطالعتها هنالك وانما تكلمنا فى الوظايف الخلافيه وافردناها لنميز بينها وبين الوظايف السلطانيه فقط لا لتحقق احكامها الشرعيه فليس من غرض كتابنا فانا انما نتكلم فى ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران فى الوجود الانسانى

والله الموفق الوزارة وهي ام الخطط السلطانيه والرتب الملوكيه
لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة ماخوذة اما من الموازرة
وهي المعاونه او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مفاعله اوزاره
واثقاله وهو راجع الى المعاونه المطلقة وقد كنا قدمنا في اول
الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة لحايا لانها
اما ان يكون في امور حمايه الكافه واسبابها من النظر في الجند والسلاح
والحروب وسائر امور الحمايه والمطالبه وصاحب هذا هو الوزير
المتعارف في الدول القديمه بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب واما
ان يكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه في المكان او في الزمان
وتنفيذه الاوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما
ان يكون في امور جبايته للمال وانفاقه وضبط ذلك من جميع
وجوهه ان يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجبايه
وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان يكون في مدافعة الناس
ذوي الحاجات عنه ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن مهمه وهذا راجع
لصاحب الباب الذي يحجبه فلا تعدو احواله هذه الاربعة بوجه
وكل خطه او رتبه من رتب الملك والسلطان فاليها ترجع الا ان
الارفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من
ذلك الصنف اذ هو يقتضي مباشرة السلطان دائما ومشاركته في كل
صنف من احوال ملكه واما ما كان خاصا ببعض الناس او ببعض
الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة ثغر او ولاية جباية خاصة
او النظر في امر خاص كحسبة الطعام او النظر في السكة فان هذه كلها
نظر في احوال خاصة فيكون صاحبها تبعا لاهل النظر العام وتكون
رتبته مرؤسة لاولائك وما زال الامر في الدول قبل الاسلام هكذا
حتى اذا جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت هذه الخطط كلها
بذهاب رسم الملك الا ما هو طبيعي من المعاونة بالرأي والمفاوضة
فيه فلم يمكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يشاور اصحابه ويفاوضهم في مهماته العامه والخاصه ويخص مع

مع ذلك ابا بكر بخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول
واحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير
يعرف بين المسلمين لذهاب رتب الملك بسذاجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر
وعلي وعثمان مع عمر واما حال الجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم
برتبه لان القوم كانوا عربا اميين لا يحسنون الكتابة ولا الحساب فكانوا
يستعملون في الحسبان اهل الكتاب او افرادا من موالي العجم ممن يجيده
وكان قليلا فيهم واما اشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لان الامية كانت
صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال المخاطبات وتنفيذ الامور لم يكن عندهم
لم يكن لهم
رتبة خاصة للامية التي فيهم والامانة العامة في كتمان القول
وتاديته ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين
وليست من السياسة الملكيه في شي وايضا فلم تكن الكتابة صناعة
فيستجاد للخليفة احسنها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم
بابلغ العبارات ولم يبق الا الخط فكان الخليفه يستنيب في كتابته
متى عن له من يحسنه واما مدافعة ذوي الحاجات عن ابوابهم فكان
محظورا بالشريعة فلم يفعلوه فلما انقلبت الخلافة الى الملك وجاءت
رسوم السلطان والقابه كان اول شي بدئ به في الدولة شان الباب
وسده دون الجمهور لما كانوا يخشون على انفسهم من اغتيال الخوارج و
غيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاويه وعمرو بن العاص وغيرهم مع ما في
فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا
من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب وقد جاء ان عبد الملك لما ولى
حاجبه قال له وليتك حجابة بابي الا عن ثلثه المؤذن للصلوة فانه
داعي الله وصاحب البريد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد
ثم استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في امور القبايل
والعصايب واستيلافهم واطلق عليه اسم الوزير وبقي امر الحسبان
في الموالي والذميين واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على اسرار
السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة
الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتابة لا من حيث اللسان

الذي هو الكلام اذ اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت
الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذا سائر دولة بني امية فكان
النظر للوزير عاما في احوال التفويض والمفاوضات وساير امور
الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض
العطايا الاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستفحل
الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شان الوزير وصار اليه النيابة
في انفاذ الحل والعقد وتعينت مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه
وخضعت الرقاب وجعل له النظر في ديوان الحسبان لما تحتاج اليه
خطته من قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه
واضيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل
لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد
عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع
والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم
وساير معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان
ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من
الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن
له لاستنكافه عن مثل ذلك ثم جا في الدولة العباسية شان الاستبداد
على السلطان وتعاور فيها استبداد الوزراء مرة والسلطان
اخرى وصار الوزير اذا استبد محتاجا الى استنابة الخليفة اياه لذلك
لتصح الاحكام الشرعية وتجري على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة
حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على نفسه
والى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر
الاستبداد وصار الامر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن
لاولئك المتغلبين ان ينتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة
الوزراء في اللقب لانهم خول لهم فتسموا بالامارة والسلطان وكان
المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او السلطان او ما يحليه به
الخليفة من القابه كما تراه في القابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها

يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشان عندهم الى اخر دولتهم
وفسد اللسان خلال ذلك كله فصار صناعة ينتحلها بعض الناس
فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولانهم عجم وليس تلك البلاغة
هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من ساير الطبقات واختصت به
به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب
والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك غالبة على اهل الرتب وامره
نافذ في الكل اما نيابة او استبدادا واستمر الامر على هذا ثم جاءت
دولة الترك اخرا بمصر فراوا الوزارة قد ابتذلت بترفع اولئك عنها
ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك معقب بنظر
الامير فصارت مرؤسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية
في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند
يسمى عندهم بالنايب لهذا العهد واختص اسم الوزير عندهم بالنظر
في الجباية واما دولة بني امية بالاندلس فابقوا اسم الوزير في
مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافا وافردوا لكل صنف
وزيرا فجعلوا لحسبان المال وزيرا وللترسل وزيرا وللنظر
في حوايج المتظلمين وزيرا وللنظر في احوال اهل الثغور وزيرا
وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون
امر السلطان هنالك كل فيما جعل له وافرد للتردد بينهم وبين
الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع
مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشان هذا الى
اخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على ساير الرتب حتى
صار ملوك الطوايف ينتحلون لقبها فاكبرهم يومئذ يسمى الحاجب
كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة بافريقية والقيروان وكان
للقائمين بها رسوخ في البداوة فاغفلوا امر هذه الخطط اولا وتنقيح
اسمائها حتى ادركت دولتهم الحضارة فصاروا الى تقليد الدولتين
قبلهم في وضع اسمائها كما تراه في اخبار دولتهم ولما جاءت دولة
الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامر اولا للبداوة ثم صارت الى انتحال

الاسماء والالقاب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين
وقلدوها في مذاهب السلطان واصاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان
في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في
تحيتهم وخطابهم والاداب التي يلزم لهم الكون بين يديه ورفعوا خطة
الحجابة عنه ماشاءوا ولم يزل الشان في ذلك الى هذا العهد واما في
دولة الترك بالمشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود
الاداب في اللقاء والتحية في مجلس السلطان والتقدم بالوفود بين
يديه يسمونه الدوادارا ويضيفون اليه استتباع كاتب السر و
اصحاب البرد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وفي الحضرة
وحالهم على ذلك لهذا العهد والله متولي الامور

الحجابة

قد قدمنا ان هذا اللقب كان مخصوصا في الدوله الامويه والعباسيه
بمن يحجب السلطان عن العامه ويغلق بابه دونهم او يفتحه لهم على
قدره وفي مواقيته وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤسة
لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس
والى هذا العهد فهي بمصر مرؤسة لصاحب الخطة العليا المسمى
بالنايب واما في دولة بني اميه بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب
السلطان عن الخاصه والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزرا
فمن دونهم وكانت في دولتهم رفيعه غاية كما تراه في اخبارهم كابن
حدير وغيره من حجابهم ثم لما جا الاستبداد على الدوله اختص المستبد
باسم الحجابه لشرفها فكان المنصور بن ابي عامر وابناه كذلك ولما بدا
في مظاهر الملك واطواره جا من بعدهم من ملوك الطوايف فلم يتركوا
لقبها وكانوا يعدونه شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتحال
القاب الملك واسمائه لابد له من ذكر الحاجب وذي الوزارتين
يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابه على حجابة السلطان
عن العامة والخاصه وبذي الوزارتين على جمعه لخطتي السيف
ثم لم يكن في دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للبداوة التي كانت
فيهم وربما يوجد في دولة العبيديين بمصر عند استفحالها و

وحضارتها الا انه قليل ولما جاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها
الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب وتميز الخطط وتعيينها
بالاسماء الا اخرا فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير وكانوا اولا يخصون
بهذا الاسم الكاتب المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كابن
عطيه وعبد السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحسبان
والاشغال الماليه ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدوله
من الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا في دولتهم
يومئذ واما بنو ابي حفص بافريقيه فكانت الرياسة في دولتهم اولا
والتقدم لوزير الراي والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له
النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختص الحسبان
والديوان برتبه اخرى ويسمى متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق
في الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب على التفريط وكان
من شرطه ان يكون من الموحدين واختص عندهم القلم ايضا بمن يجيد الترسيل
ويوتمن على الاسرار لان الكتابه لم تكن من منتحل القوم ولا الترسيل بلسانهم
فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين
في داره الى قهرمان خاص بداره في احواله يجريها على قدرها وترتيبها
من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرها
وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية فخصوه
باسم الحاجب وربما اضافوا اليه كتابة العلامة على السجلات اذا اتفق
ان يحسن صناعة الكتابه وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك
وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس
وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له اخر الدوله السيف والحرب ثم الراي
والمشورة فصارت الخطة ارفع الرتب واوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد
والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك
حافده السلطان ابو العباس على نفسه واذهب اثار الحجر والاستبداد
باذهاب خطة الحجابه التي كانت سلما اليه وباشر اموره كلها بنفسه
من غير استعانة باحد والامر في ذلك لهذا العهد واما دول زناتة بالمغرب

المرتزقين له

واعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحسبان والرسايل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت من المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق واما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبه عندهم يسمى صاحبها بالمزوار ومعناه المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ اوامره وتصريف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك فالباب له واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكانها وزارة صغرى واما دولة بني عبد الواد فلا اثر عندهم لشيء من هذه الالقاب ولا تمييز الخطط لبداوة دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منفذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني ابي حفص وقد يجمعون له الحسبان والسجل كما كان فيها حملهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعتها وقائمين بدعوتها منذ اول امرهم واما اهل الاندلس لهذا العهد فالمخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان وساير الامور المالية يسمونه بالوكيل واما الوزير فكالوزير الا انه قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كما لغيرهم من الدول واما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من اهل الشوكة وهم الترك ينفذ الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق وللنايب التولية والعزل في بعض الوظايف على الاحيان ويقطع القليل من الارزاق ويبتها وتنفذ اوامره ومراسمه كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع اليهم واجبار من لا ينقاد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف اصنافها من خراج او مكس او جزية ثم

في تصريفها في الانفاقات السلطانية والجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل في ساير العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عوايدهم ان يكون هذا الوزير من صنف القبط القايمين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك او ابنايهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصرفها بحكمته لا اله الا هو

ديوان الاعمال والجبايات

هذه الوظيفة من الوظايف الضرورية للملك وهي القيام على اعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير ارزاقهم وصرف اعطياتهم في اباناتها والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارمة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحسبان لا يقوم به الا المهرة من اهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال والمباشرين لها ويقال ان اصل هذه التسمية ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون مع انفسهم كانهم يحادثون فقال ديوانه اي مجانين بلغة الفرس فسمي موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقيل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسبانات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية وسمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسايل ومكان جلوسهم بباب السلطان على ما ياتي بعد وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر في ساير هذه الاعمال وقد يفرد كل صنف منها بناظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسبان اعطياتهم او غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره اولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في اعطاف الملك وفنون التمهيد

اول من رتب الديوان في الاسلام

واول من وضع الديوان في الدوله الاسلاميه عمر رضي الله عنه
يقال بسبب مال اتى به ابو هريرة من البحرين استكثروه وتعبوا في قسمه
فسموا الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن
الوليد بالديوان وقال رايت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر
وقيل بل اشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان
فقال له ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف منهم اخل
بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فاثبت لهم ديوانا وسال عمر عن
اسم الديوان ففسر له ولما اجمع على ذلك امر عقيل بن ابي طالب و
مخرمه بن نوفل وجبير ابن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا
ديوان العساكر الاسلاميه على ترتيب الانساب مبتديا من قرابة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب
هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب
ان ذلك كان في المحرم سنه عشرين واما ديوان الخراج والجبايات
فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه من قبل ديوان العراق بالفارسيه
وديوان الشام بالروميه وكتاب الدواوين من اهل العهد من الفريقين
فلما جاء عبد الملك ابن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من
غضاضة البداوه الى رونق الحضاره ومن سذاجه الاميه الى حذق
الكتابه وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسبان فامر
عبد الملك سليمان بن سعد والي الاردن لعهده ان ينقل ديوان
الشام الى العربيه فاكمله لسنة من يوم ابتداه ووقف عليه سرجون
كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعه
فقد قطعها الله عنكم واما ديوان العراق فامر الحجاج كاتبه صالح
بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربيه والفارسيه ولقن ذلك
عن زاذان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن
بن الاشعث استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه وامره ان ينقل الديوان
من الفارسيه الى العربيه ففعل ورغم لذلك كتاب الفرس وكان
عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب ثم

ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني العباس مضافة الى من كان له
النظر فيه كما كان شان بني برمك وبني سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء
تلك الدوله فاما ما يتعلق بهذه الوظيفه من الاحكام الشرعيه مما
يختص بالجيش او بيت المال في الدخل والخرج او تمييز النواحي بالصلح
والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفه لمن تكون وشروط الناظر فيها
والكاتب وقوانين الحسبانات فامر راجع الى كتب الاحكام السلطانيه
وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وانما نتكلم فيها من
حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفه
جزء عظيم من الملك بل هي ثالثة اركانه لان الملك لا بد له من المال
والجند والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان
في امر السيف وامر القلم وامر المال فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رياسة
الملك وكذلك كان الامر في دولة بني اميه بالاندلس والطوايف بعدهم
واما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون من الموحدين مستقل
بالنظر في استخراج الاموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاه و
العمال فيها ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب
الاشغال وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها
ولما استبد بنو ابي حفص بافريقيه وكان شان الجاليه من الاندلس
فقدم عليهم اهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل في ذلك
بالاندلس مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطه المعروفين
ببني ابي الحسين فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا النظر لهم في الاشغال
كما كان لهم النظر بالاندلس وداولوا فيها بينهم وبين الموحدين
ثم استقل بها اهل الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم
لما استغلظ امر الحاجب ونفذ امره في كل شان من شون الدوله تعطل
هذا الرسم وصار صاحبه مرؤوسا للحاجب واصبح من جملة الجباة
وذهبت تلك الرياسه التي كانت له في الدوله واما في بني مرين لهذا
العهد فحسبان الخراج والعطا مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو
الذي يصحح الحسبانات كلها وترجع الى ديوانه ونظره معقب بنظر

السلطان او الوزير وخطه معتبر في صحة الحسبان في الخراج والعطا
هذه اصول الرتب والخطط السلطانيه وهي الرتب العاليه التي هي عامة
النظر ومباشرة السلطان واما هذه الرتبه في دولة الترك فمتنوعة
وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص
باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة للدوله وهو اعلى
مراتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عندهم يتنوع الى رتب كثيرة
لانفساح دولتهم وعظم سلطانهم واتساع الاموال والجبايات عن
ان يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه
فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف
لمولى من موالي السلطان واهل عصبيته وارباب السيوف في الدوله
يرجع نظر الوزير الى نظره ويجتهد جهده في متابعته ويسمى استاذ الدار عندهم
وهو احد الامراء الاكابر في الدوله من الجند وارباب السيوف وتتبع هذه
الخطة عندهم خطط اخرى كلها راجعة الى الاموال والحسبان مقصورة
النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لاموال السلطان
الخاصة به من اقطاعه او سهمانه من اموال الخراج وبلاد الجباية مما
ليس من اموال المسلمين العامة وهو تحت يد الامير استاذ الدار وان التي تنظر
كان الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه وناظر الخاص
ايضاً تحت يد الخازن لاموال السلطان من مماليكه المسمى خازندار
لاختصاص وظيفته بمال السلطان الخاص به هذا بيان هذه الخطه
في دولة الترك بالمشرق بعد ما قدمناه من امرها بالمغرب والله مصرف
الامور لا رب غيره **ديوان الرسايل والكتابه** هذه الوظيفه غير   ديوان الرسائل
ضروريه في الملك بطبيعته لاستغناء كثير من الدول عنها راسا
كما في الدول العريقه في البدو التي لم يأخذها تهذيب الحضاره ولا استحكام
الصنايع وانما اكد الحاجة اليها في الدوله الاسلاميه شان اللسان
العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكاتب يودي كنه الحاجه
بابلغ من العبارة اللسانيه في الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من اهل
نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وامراء الصحابة بالشام والعراق

والعراق لعظيم امانتهم وخلوص اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة
اختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعة وكان الكاتب يصدر
السجلات مطلقة ويكتب في اخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان
وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان او شارته يغمس في طين احمر مذاب   ليسولى
بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه والصاقه
ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب
فيها علامته اولا او اخرا على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد
تنزل هذه الخطه بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من اهل
المراتب في الدوله واستبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكاتب
ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته
المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع اخر الدوله الحفصيه
لما ارتفع شان الحجابه وصار امرها الى التفويض ثم الاستبداد صار
حكم العلامة التي كانت للكاتب ملغاً وصورتها ثابتة اتباعاً لما سلف
من امرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابته ذلك بخط يصنعه
ويتخير له من صيغ الانفاذ ما شاء فياتمر الكاتب له ويضع العلامة
المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدا
بامره قايما على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته ومن خطط
الكتابة التوقيع وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه
وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها
متلقاة من السلطان باوجز لفظ وابلغه فاما ان تصدر كذلك واما
ان يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصه ويحتاج
الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه وقد كان جعفر بن
يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة الى صاحبها
فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب
البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا
كان شان الدوله واعلم ان صاحب هذه الخطة لا بد ان يتخير من ارفع
طبقات الناس واهل المروة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة

ويسمى في مستقر الدولة العلية العثمانية بالموقع والموقع بكاتب الديوان او بالتذكرجي
٩
القصة بكسر الامر والتي تكتب عرض حال

فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاعد
احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعوا اليه عشرة الملوك من القيام على
الاداب والتخلق بالفضايل ومع ما يضطر اليه من الترسيل وتطبيق
مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول
مسندة الى ارباب السيوف لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة
العلوم لاجل سذاجة العصبيه فيختص السلطان اهل عصبيته بخطط
دولته وسائر رتبه فيقلد المال والسيف والكتابه منهم فاما رتب
السيف فتستغنى عن معاناة العلم واما المال والكتابة فيضطر الى ذلك
للبلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه الطبقة لما
دعت اليه الضرورة ويقلدونه الا انه تكون يد اخرى من اهل العصبية
غالبة على يده ويكون نظره منصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك
لهذا العهد بالمشرق فان رياسة الكتابة عندهم وان كانت لصاحب الانشاء
الا انه تحت يد امير من اهل عصبيه السلطان يعرف بالدويدار وتعويل
السلطان ووثوقه به واستنامته في غالب احواله اليه وتعويله
على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وغير ذلك من توابعها
واما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبه التي يلاحظها السلطان
في اختياره وانتقايه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها
عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب وهي هذه **اما بعد**

رسالة عبد الحميد الى الكتاب

حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم
فان الله عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين
ومن بعد الملوك المكرمين اصنافا وان كانوا في الحقيقة سواء وصرفهم في
صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معايشهم وابواب
ارزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروة والعلم
والرواية بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصايحكم
يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد
كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم
التي بها يبصرون والسنتهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها يبطشون

يبطشون فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا نزع عنكم ما
اضفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى
اجتماع خلال الخير المحموده وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم
ايها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب
يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره
ان يكون حليما في موضع الحلم فهيما في موضع الحكم ومقداما في موضع الاقدام
ومحجما في موضع الاحجام موثرا للعفاف والعدل والانصاف كتوما
للاسرار وفيا عند الشدايد عالما بما ياتي من النوازل يضع الامور
مواضعها والطوارق اماكنها قد نظر في كل فن من فنون العلوم فاحكمه
فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفى به يعرف بغريزة عقله وحسن
ادبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه
قبل صدوره فيعد لكل امر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته
فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الاداب وتفقهوا في الدين وابدؤا
بعلم كتاب الله عز وجل والفرايض ثم العربية فانها ثقاف السنتكم
ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا غريبها و
معانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم
على ما تسمو اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام
كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيها وسفساف
الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتكم
عن الدناءات واربؤا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل
الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة مجتلبة
من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي
هو اليق باهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم وان نبا الزمان
برجل منكم فاعطفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويثوب
اليه امره وان اقعد احدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه
وعظموه وشاوروه واستظهروا بفضل تجربته وقديم معرفته
وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه

احوط منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدة فلا يضيفها
الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه وليحذر
السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب
اسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا
صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه
ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته وكتمان
سره وتدبير امره ما هو جزاء لحقه ويصدق ذلك بفعاله عند الحاجة
اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من انفسكم
في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسراء
والضراء فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة
الشريفة واذا ولي الرجل منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله
امر فليراقب ربه عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا
وللمظلوم منصفا فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم
بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللاشراف مكرما وللفيء موفرا وللبلاد
عامرا وللرعية متالفا وعن اذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا
حليما وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقا واذا صحب احدكم
رجلا فليختبر خلايقه فاذا عرف حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه
من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف حيلة واجمل
وسيلة وقد علمتم ان سايس البهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التمس
معرفة اخلاقها فان كانت رموحا لم يهجها اذا ركبها وان كانت شبوبا
اتقاها من قبل يديها وان خاف منها شرودا توقاها من ناحية راسها
وان كانت حرونا قمع برفق هواها في طرقها فان استمرت عطفها يسيرا
فيسلس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلايل لمن ساس
الناس وعاملهم وخدمهم وداخلهم والكاتب بفضل ادبه وشريف
صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس ويناظره
ويفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم
اوده من سايس البهيمة التي لا تحير جوابا ولا تعرف صوابا ولا تفهم خطابا

العوام

رمحت الفرس كمنعه رفست برجلها / والرفت الرفس في العدو والشبوب / المحبس عثيرة والفرس تجوز برجلها ... فارس

خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها الا فارفقوا
رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر تامنوا باذن
الله ممن صحبتموه النبوة والاستثقال والجفوة ويصير منكم الى الموافقة و
تصيروا منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل
منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه
وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله
به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظة
لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد
في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء
عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان
اهلهما ولا سيما الكتاب وارباب الاداب وللامور اشباه وبعضها دليل
على بعض فاستدلوا على مؤتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم
اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها
عاقبة واعلموا ان للتدبير افة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه
عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي
من منطقه وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حججه فان
ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله
في صلة توفيقه ولبداته بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر
ببدنه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذي
برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن
تدبيره فقد تعرض بظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى
نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تامله غير خاف ولا يقل
احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته
ومصاحبه في خدمته فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى
بالعجب وراء ظهره وراى ان صاحبه اعقل منه واحمد في طريقته وعلى
كل واحد من الفريقين ان يعرف نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برايه
ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيره وحمد الله

يجاوزن نخ

تعقيبه ويعقبان

للتدبير نخ

وامداده نخ

فضل

واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وثمرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته اخره وتممته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبه والكتبه بما يتولى به من سبق علمه فيه وبركاته

الشرطة ويسمى صاحبها لهذا العهد بافريقيه الحاكم وفى دوله اهل الاندلس صاحب المدينه وفى دولة الترك الوالى وهى وظيفه مرؤسه لصاحب السيف فى الدوله وحكمه نافذ فى صاحبها بعض الاحيان وكان اصل وضعها فى الدولة العباسيه لمن يقيم احكام الجرايم فى حال استبرائها اولا ثم الحدود بعد استيفائها فان التهم التى تعرض فى الجرايم لا نظر للشرع الا فى استيفاء حدودها وللسياسة النظر فى استبراء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتفت به القراين لما توجبه المصلحة العامة فى ذلك فكان الذى يقوم بهذا الاستبراء وباستيفاء الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضى يسمى صاحب الشرطه وربما جعلوا اليه النظر فى الدماء والحدود باطلاق وافردوها من نظر القاضى ونزهوا هذه الرتبة وقلدوها كبار القواد وعظماء الخاصه من مواليهم فلم تكن عامه التنفيذ فى طبقات الناس انما كان حكمه على الدهماء واهل الريب والضرب على ايدى الدعار والفجرة ثم عظمت بناهتها فى دولة بنى اميه بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء وجعل له الحكم على ذوى المراتب السلطانية والضرب على ايديهم فى الظلامات وعلى ايدى اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامة ونصب لصاحب الكبرى كرسى بباب دار السلطان ورجل يتبوؤن المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا فى تصريفه وكانت ولايتها للاكابر من رجالات الدوله حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة واما فى دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه وان لم يجعلوها عامة وكان لا يليها الا رجالات الموحدين وكبراؤهم وان لم يكن له التحكم على اهل

فى اسعاده وارشاده فانّ ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله

نزهوا هذه الرتبة

اهل المراتب السلطانيه ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن ولاية رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما فى دولة بنى مرين لهذا العهد بالمغرب فولايتها فى بيوت من مواليهم واهل اصطناعهم وفى دولة الترك بالمشرق فى رجالات الترك او اعقاب اهل الدولة قبلهم من الكرد يتخيرونهم لها فى النظر بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء فى الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الدعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعه مع اقامة الحدود الشرعية والسياسيه كما تقتضيه رعاية المصالح العامة فى المدينة والله مقلب الليل والنهار

قيادة الاساطيل وهى من مراتب الدوله وخططها فى ملك المغرب وافريقيه ومرؤسة لصاحب السيف وتحت حكمه فى كثير من الاحوال ويسمى صاحبها فى عرفهم باسم الملند بتفخيم اللام منقولا من لغة الافرنجه فانه اسمها فى اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه الرتبه بملك افريقيه والمغرب لانهما جميعا على ضفة البحر الرومى من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبيه بلاد البربر كلهم من سبته الى الاسكندرية الى الشام وعلى عدوته الشماليه بلاد الافرنجه والاندلس والصقالبه والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومى والبحر الشامى نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من احواله ما لا تعانيه امة من امم البحار فقد كانت الروم والافرنجه والقوط بالعدوة الشماليه من هذا البحر الرومى وكانت اكثر حروبهم ومتاجرهم فى السفن فكانوا مهرة فى ركوبه والحرب فى اساطيله ولما اسف من اسف منهم الى ملك العدوة الجنوبيه مثل الروم الى افريقيه والقوط الى المغرب اجازوا فى الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من ايديهم امرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنه وسبيطله وجلولا ومرناق وشرشال وطنجه وكان صاحب قرطاجنه من قبلهم يحارب صاحب رومه ويبعث الاساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفافيه معروفة فى القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب

قيادة الاساطيل
بعنى قيادة سفن الحرب المسماة بالدولة العلية العثمانية والسلطنة السنية الخاقانية
بقپودانى دريا

اسف عليه كفرح غضب

عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص أن صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق
عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فاوعز حينيذ بمنع المسلمين
من ركوبه فلم يركبه احد من العرب الا من افتات على عمر في ركوبه ونال
من عقابه كما فعل بعرفجة ابن هرثمه الازدي سيد بجيلة لما اغزاه عمان
فبلغه فانكر عليه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم يزل الشان ذلك
حتى اذا كان لعهد معويه اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعواده
والسبب في ذلك ان العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته و
ركوبه والروم والافرنجه لممارستهم احواله ومرباهم في التقلب على
اعواده مرنوا عليه واحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك
للعرب وشمخ سلطانهم وصارت العجم خولا لهم وتحت ايديهم وتقرب كل
ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم
البحرية امما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصراء بها فشرهوا
الى الجهاد فيه وانشؤا السفن والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال
والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر واختصوا
بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى ضفته
مثل الشام وافريقيه والمغرب والاندلس واوعز الخليفه عبد الملك
الى حسان بن النعمان عامل افريقيه باتخاذ دار صناعة بتونس لانشاء
الالات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية ايام
زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتيا
وفتح قوصره ايضا في ايامه بعد ان كان معويه بن حديج اغزى صقليه
ايام معويه بن ابي سفين فلم يفتح الله على يده وفتحت على يد ابن الاغلب
وقايده اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افريقيه والاندلس
في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى بلادهما في سبيل الفتنة فتجوس
خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبد الرحمن
الناصر الى مايتي مركب او نحوها واسطول افريقيه كذلك مثله او قريبا منه
وكان قايد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس ومرفاها للحط والاقلاع
بجاية والمريه وكانت اساطيلها مجتمعة من ساير الممالك من كل بلد تتخذ

وعزاليه عكذا ان يفعل او يترك امر

افتات على السلطان اختلقه وبرايه استبد مترجما

صقلية بكسرات مشددة اسم جزيرة بالمغرب كذا في القاموس ولعلها الجزيرة المسماة اليوم بجيليا

رئيس السفينة ممنوع ادناه هو الشط والمرسا مرفاه ومرسى

تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قايد من النواتيه يدبر امر حربه
وسلاحه ومقاتلته ورايس يدبر امر جريه بالريح او بالمجاذيف وامر
ارسائه في مرفائه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل او غرض سلطاني
مهم عسكرت بمرفاها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وانجاد عساكره
ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات اهل مملكته يرجعون
كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر ايابهم بالفتح والغنيمة وكان
المسلمون لعهد الدولة الاسلاميه قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه
وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانيه قبل
باساطيلهم في شي من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح ساير ايامهم وكانت
لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنايم وملكوا ساير الجزاير المنقطعة
عن السواحل فيه مثل ميورقه ومنورقه ويابسه وسردانيه وصقليه
وقوصرة ومالطه واقريطش وقبرص وساير ممالك الروم والافرنج
وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤه يغزون اساطيلهم من المهدية جزيرة
جنوه فتنقلب بالظفر والغنيمة وافتتح مجاهد العامري صاحب دانيه
من ملوك الطوايف جزيره سردانيه في اساطيله سنه خمس واربع مايه و
ارتجعها النصرى لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على الاكثر
من لجة هذا البحر وسارت اساطيلهم فيه جايية وذاهبه والعساكر الاسلاميه
تجيز البحر في الاساطيل من صقليه الى البر الكبير المقابل لها من العدوة
الشماليه فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم كما وقع في ايام بني ابي
الحسين ملوك صقليه القايمين فيها بدعوة العبيديين وانحازت امم
النصرانيه باساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة
والصقالبيه وجزاير الرومانيه لا يعدونها واساطيل المسلمين قد ضربت
عليهم ضراء الاسد بفريسته وقد ملات الاكثر من بسيط هذا البحر
عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم تسبح للنصرانية فيه
الواح حتى اذا ادرك الدوله العبيديه والامويه الفشل والوهن
وطرقها الاعتلال مد النصارى ايديهم الى جزاير البحر الشرقية مثل صقليه
واقريطش ومالطة فملكوها ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة

وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور
بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليها كنيسة لمظهر دينهم
وعبادتهم وغلبوا بني خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا
عليهم الجزية ثم ملكوا المهدية مقر ملك العبيديين من يد اعقاب بلكين
بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر وضعف شان
الاساطيل في دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعتنوا بشي من امره لهذا
العهد بعد ان كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد
كما هو معروف في اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بافريقية
والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لذلك
العهد موفور الاساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به
كرة فكان قائد الاسطول به لعهد لمتونة بنو ميمون رؤسا جزيرة قادس
ومن ايديهم اخذها عبد المومن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم
الى المائة من بلاد العدوتين جميعا ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة
السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف
واعظم ما عهد وكان قائد اساطيلهم احمد الصقلي اصله من صدغيان
الموطنين بجزيرة جربة من سدويكش اسرة النصارى من سواحلها وربي
عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه ثم هلك وولي ابنه
فاسخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه فلحق بتونس ونزل على
السيد بها من بني عبد المومن واجاز الى مراكش فتلقاه الخليفة يوسف العسري
بن عبد المومن بالمبرة والكرامة واجزل له الصلة وقلده امر اساطيله
فجلا في جهاد امم النصرانية وكانت له اثار ومقامات مذكورة في دولة
الموحدين وانتهت اساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة
ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف
بن ايوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع ثغور الشام من يد الامم
النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تتابعت
اساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس
الذي كانوا قد استولوا عليه فامدوهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم الاساطيل

الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر
وتعدد اساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم
هنالك كما اشرنا اليه قبل فاوفد صلاح الدين على يعقوب المنصور
سلطان المغرب لعهده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ
من بيت بني منقذ ملوك شيزر وكان ملكها من ايديهم وابقاهم عليهم
في دولته فبعث عبد الكريم هذا منهم الى ملك المغرب طالبا مدد الاساطيل
لتحول في البحر بين اساطيل الكفرة وبين مرادهم من امداد النصرانية بثغور
الشام واصحبه كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيساني يقول
في افتتاحه فتح الله لحضرة سيدنا ابواب المناجح والميامن حسبما نقله
العماد الاصفهاني في كتاب الفتح القدسي فنقم عليهم المنصور تجافيهم
عن خطابه بامير المومنين واسرها في نفسه وحملهم على مناهج البر
والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك وفي هذا
اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب
الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام
لذلك العهد وما بعده بشان الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدول
ولما هلك يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت امم
الجلالقة على الاكثر من بلاد الاندلس والجوا المسلمين الى سيف البحر
وملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قويت ريحهم في بسيط
هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وتراجعت قوة
المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان ابي الحسن
ملك زناته بالمغرب فان اساطيله كانت عند مرامه الجهاد مثل
عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل
لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب و
انقطاع العوائد الاندلسية ورجع النصارى فيه الى ديدنهم المعروف
من الدربة فيه والمران عليه والبصر باحواله وغلب الامم في لجته
وعلى اعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الا قليلا من اهل البلاد
الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان او قوة

من الدول تستجيش لهم اعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض مسلكا دبقيت
الرتبة لهذا العهد في الدول المغربيه محفوظة والرسم في معاناه م
الاساطيل بالانشاء والركوب معهوداً لما عساه تدعوا اليه الحاجة
من الاغراض السلطانيه في البلاد البحريه والمسلمون يستهبون الريح
على الكفر واهله فمن المشتهرين المغرب عن كتب الحدثان انه
لابد للمسلمين من الكرة على النصرانيه وافتتاح ما وراء البحر من بلاد
الافرنجه وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدوله يستعين
بها على امره الا ان الحاجة الى السيف في اول الدوله ما دام اهلها
في تمهيد امرهم اشد من الحاجة الى القلم اذ القلم في تلك الحال خادم
فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك
في اخر الدوله حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل اهلها بما ينالهم
من الهرم الذي قدمناه فتحتاج الدوله الى الاستظهار بارباب السيوف
ويقوى الحاجة اليهم في حماية الدوله والمدافعة عنها كما كان
الشان اول الامر في تمهيدها فتكون للسيف مزية في الحالتين على القلم
ويكون ارباب السيف حينئذ اوسع جاها واكثر نعمة واسنى اقطاعا
واما في وسط الدوله فيستغني صاحبها بعض الشي عن السيف لانه
قد تمهد امره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات المال من الجباية والضبط
ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم
الحاجة وتكون السيوف مهملة في مضاجع غمودها الا اذا نابت نابية
او دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فيكون ارباب
الاقلام في هذه الحالة اوسع جاها واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة
واقرب من السلطان مجلسا واكثر اليه ترددا وفي خلواته نجيا لانه
حينئذ آلته التي يستظهر بها على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه
وتثقيف اطرافه والمباهاة باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل
السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن باطن السلطان حذرين على

انفسهم من بوادره وفي معنى ذلك ما كتب به ابو مسلم للمنصور حين
امره بالقدوم اما بعد فانه مما حفظناه من وصايا الفرس اخوف
ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهماء سنة الله في عباده

فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان
شارات واحوالا تقتضيها الابهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها
عن الرعيه والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلنذكر ما هو مشتهر
منها بمبلغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم

الآلة فمن شارات الملك
اتخاذ الالة من نشر الالوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق
والقرون وقد ذكر ارسطو في الكتاب المنسوب اليه في السياسة ان
السر في ذلك ارهاب العدو في الحرب فان الاصوات الهايلة لها تاثير
في النفوس بالروعة ولعمري انه امر وجداني في مواطن الحروب
يجده كل احد من نفسه وهذا السبب الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره
فهو صحيح ببعض الاعتبارات واما الحق في ذلك فهو ان النفس عند سماع
النغم والاصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح
نشوة يستسهل بها الصعب ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه و
هذا موجود حتى في الحيوانات العجم فانفعال الابل بالحداء والخيل بالصفير
والصريخ كما علمت ويزيد ذلك تاكيدا اذا كانت الاصوات متناسبة
كما في الغناء وانت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولاجل
ذلك يتخذ العجم في مواطن حروبهم الالات الموسيقاريه لا طبلا
ولا بوقا فيحدق المغنون بالسلطان في موكبه بالاتهم ويغنون فيحركون
نفوس الشجعان بطربهم الى الاستماتة ولقد راينا في حروب العرب
المنشد يتغنى امام الموكب بالشعر ويطرب فتجيش همم الابطال بما فيها
ويتسارعون الى مجال الحروب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناتة
من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائه
الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك
الغناء تاصوكانت واصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه
الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح والله اعلم

وما تكثير الرّايات وتلوينها واطالتها فالقصد به التهويل لا اكثر
وربما يحدث فى النفوس من التهويل زيادة فى الاقدام واحوال النفوس
وتلوّناتها غريبة والله الخلاق العليم ۹ ثم ان الملوك والدول
يختلفون فى اتخاذ هذه الشارات فمن مكثر ومقلل بحسب اتساع
الدوله وعظمها فاما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليقه
ولم تزل الامم تعقدها فى مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء واما قرع الطبول
والنفخ فى الابواق فكان المسلمون لاول الملّة متجافين عنه تنزّها
عن غلظة الملك ورفضا لاحواله واحتقارا لابهته التى ليست
من الحق فى شىء حتى اذا انقلبت الخلافة ملكا وتبجّحوا زهرة الدنيا
ونعيمها ولابسهم الموالى من الفرس والروم اهل الدول السالفة واروهم
ما كان اولئك ينتحلونه من مذاهب البذخ والترف فكان مما
استحسنوه اتخاذ الالة فاتخذوها واذنوا لعمالهم فى اتخاذها
تنويها بالملك واهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر او قايد
الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواءه ويخرج
الى بعثه او عمله من دار الخليفة او داره فى موكب من اصحاب الرايات
والالة فلا تميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة الالويه وقلتها
او بما اختص الخليفة من الالوان لرايته كالسواد فى رايات بنى العباس
فان راياتهم كانت سودا حزنا على شهدائهم من بنى هاشم ونعيا على بنى اميه
فى قتلهم ولذلك سموا المسوده ولما افترق امر الهاشميين وخرج
الطالبيون على العباسيين فى كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم
فى ذلك فاتخذوا الرايات بيضا وسموا المبيضة لذلك سائر
ايام العبيديين ومن خرج من الطالبيين فى ذلك العهد بالمشرق كالداعى
بطبرستان وداعى صعدة ومن دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم
كالقرامطه ولما نزع المامون عن لبس السواد وشعاره فى دولته
عدل الى لون الخضرة فجعل رايته خضرا واما الاستكثار منها فلا
ينتهى الى حد وقد كانت الة العبيديين لما خرج العزيز نزار الى فتح

فتح الشام خمس مائة من البنود وخمس مائة من الابواق واما ملوك
البربر بالمغرب من صنهاجه وغيرهم فلم يختصوا بلون واحد بل وشّوها
بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن
فيها لعمالهم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناته
فقصروا الالة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها على سواه
من عماله وجعلوها موكبا خاصا يتبع اثر السلطان فى مسيره يسمى الساقة
وهم فيه بين مكثر ومقلل باختلاف مذاهب الدول فى ذلك فمنهم
من يقتصر على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو فى دولة الموحدين
وبنى الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين كما هو عند زناتة
وقد بلغت ايام السلطان ابى الحسن فيما ادركناه مائة من الطبول ومائة
من البنود ملونة بالحرير ومنسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير ويأذنون
للولاة والعمال والقواد فى اتخاذ راية واحدة صغيرة بيضا من الكتان
وطبل صغير ايام الحرب لا يتجاوزون ذلك واما دولة الترك لهذا
العهد بالمشرق فيتخذون اولا راية واحدة عظيمة وفى راسها
حصلة كبيرة من الشعر ويسمونها الشاليش والجتر وهى شعار والجاليش م
السلطان عندهم ثم تتعدد الرايات ويسمونها السناجق واحدها
سنجق وهو الراية بلسانهم واما الطبول فيبالغون فى الاستكثار
منها ويسمونها الكوسات ويبيحون لكل امير او قايد عسكر ان يتخذ
من ذلك ما شاء الا الجتر فانه خاص بالسلطان واما الجلالقة لهذا
العهد من امم الافرنجه بالاندلس فاكثر شانهم اتخاذ الالويه القليلة
ذاهبة فى الجو صعدا ومعها قرع الاوتار من الطنابير ونفخ الغيطات
يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقه فى مواطن حروبهم هكذا يبلغنا
عنهم وعمن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين السرير واما السرير والمنبر
والتخت والكرسى وهو اعواد منصوبة او ارايك منضدة لجلوس
السلطان عليها مرتفعا عن اهل مجلسه ان يساويهم فى الصعيد
ولم يزل ذلك من سنن الملك قبل الاسلام وفى دول العجم وقد كانوا

يجلسون على اسرة الذهب وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليه
سرير من عاج مغشي بالذهب الا انه لا تاخذ به الدول الا بعد الاستفحال
والترف شان الابهة كلها كما قلناه واما في اول الدولة عند البداوة
فلا يتشوفون اليه واول من اتخذه في الاسلام معوية واستاذن
الناس فيه وقال لهم اني قد بدنت فاذنوا له فاتخذه واتبعه
الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الابهة ولقد كان عمرو بن
العاص بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب وياتيه المقوقس
الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شان الملوك
فيجلس عليه وهو امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم
من الذمة واطراحا لابهة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيديين
وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والمنابر والتخوت
ما عفا على الاكاسرة والقياصرة والله مقلب الليل والنهار **السكة** سكة
وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد
تنقش فيه صور او كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار او
الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان
يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد
اخرى وبعد تقدير اشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين يصطلح
عليه فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر اشخاصها يكون التعامل
بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك
ثم نقل الى اثرها وهو النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل
الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي
الوظيفة فصار علما عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية
للملك اذ بها يتميز الخالص من البهرج بين الناس في النقود عند
المعاملات ويتقون في سلامتها من الغش بختم السلطان عليها بتلك
النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل
تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهدها او تمثال حصن
او حيوان او مصنوع او غير ذلك ولم يزل هذا الشان عند العجم الى اخر

اخر امرهم ولما جاء الاسلام اغفل ذلك لسذاجة الدين وبداوة العرب
وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس و
دراهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون
بها بينهم الى ان تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة
عن ذلك وامر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وابو الزناد
فضرب الدراهم وتميز المغشوش من الخالص وذلك سنه اربع وسبعين
وقال المدايني سنه خمس وسبعين ثم امر بضربها في سائر النواحي سنه
ست وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق
ايام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها
ثم يوسف بن عمر بعده وقيل اول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب
بن الزبير بالعراق سنه سبعين بامر اخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب
عليها في احد الوجهين بركة وفي الاخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد
ذلك بسنه وكتب عليها بسم الله الحجاج وقدروا وزنها على ما كانت
استقرت ايام عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه اول الاسلام ستة دوانيق
والمثقال وزنه درهم وثلثة اسباع الدرهم فيكون عشرة دراهم بسبعة
مثاقيل وكان السبب في ذلك ان اوزان الدراهم ايام الفرس كانت
مختلفه وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر
ومنها عشرة فلما احتيج الى تقديره في الزكاة اخذ الوسط من الثلاثة و
ذلك اربعة عشر قيراطا فكان المثقال درهما وثلثة اسباع درهم
وقيل كان منها البغلي بثمانية دوانيق والطبري اربعة دوانيق والمغربي
ثمانية دوانق واليمني دانق فامر عمر ان ينظر الاغلب في التعامل فكان
البغلي والطبري وهما اثنا عشر دانقا وكان الدرهم ستة دوانق فان
زدت ثلثة اسباعه كان مثقالا واذا انقصت ثلثه اعشار المثقال كان
درهما فلما راى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجاريين
في معاملة المسلمين عن الغش عين مقدارها على هذا الذي استقر لعهد
عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد ونقش فيه كلمات لا صورا لان
العرب كان الكلام والبلاغة اقرب مناحيهم واظهرها مع ان الشرع ينهى

اول ضرب السكة في الاسلام سنة ٧٤

مقدار الدرهم والمثقال

ان الدراهم

ولنختم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان مقدارهما وذلك ان الدرهم والدينار مختلفا السكة في المقادير والموازين بالآفاق والامصار وساير الاعمال والشرع قد تعرض لذكرهما وعلق كثيرا من الاحكام بهما والزكاة والانكحة والحدود وغيرها فلا بد لهما عنده من حقيقة ومقدار معين في تقديره وارادته ويجري عليها احكامه دون غير الشرعي منها فاعلم ان الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبع مثاقيل من الذهب والاوقية منه اربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال من الذهب اثنان وسبعون حبة من الشعير الوسط فالدرهم الذي هو سبعة اعشاره خمسون حبة وخمسا حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على انواع اجودها الطبري وهو ثمانية دوانق والبغلي وهو اربعة دوانق فجعلوا الشرعي بينهما وهو ستة دوانق وكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك واجماع الناس بعده عليه كما ذكرناه ذكر ذلك الخطابي في كتاب معالم السنن والماوردي في كتاب الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتاخرين لما يلزم منه ان يكون الدرهم والدينار الشرعيان مجهولين في عصر الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية بهما في الزكاة والحدود والانكحة وغيرها كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومي المقدار في ذلك العصر لجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي المقدر في مقدارهما ووزنهما حتى استفحلت الدولة الاسلامية وعظمت احوالها ودعا الحال الى تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير وقارن ذلك ايام عبد الملك فشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية راسا حتى خلصت ونقشت عليها سكة وتلاشى وجودها فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ثم من بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلف في كل الاقطار والآفاق ورجع الناس الى تصور مقاديرها الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل افق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ان ابن حزم خالف ذلك وزعم انه اربعة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ورده المحققون وعدوه وهما وغلطا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا تمّ

عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين الناس في ايام الملة كلها وكان
الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في دواير
متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تهليلا وتحميدا وصلاة
على النبي واله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة هكذا ايام العباسيين
والعبيديين والامويين واما صنهاجة فلم يتخذوا سكة الا اخر الامر
اتخذها المنصور صاحب بجاية ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه ولما
جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخاذ سكة الدراهم
مربع الشكل وان يرسم في داير الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ
من احد الجانبين تهليلا وتحميدا ومن الجانب الاخر كتبا في السطور
باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم
على هذا الشكل لهذا العهد وقد كان المهدي فيما نقل ينعت قبل ظهوره
بصاحب الدرهم المربع نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله
المخبرون في ملاحمهم عن دولته واما اهل المشرق لهذا العهد فسكتهم
غير مقدرة وانما يتعاملون بالدنانير والدراهم وزنا بالصنجات المقدرة
بعدة منها ويطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة
واسم السلطان كما يفعله اهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم

الخاتم

واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظايف
الملوكية والختم على الرسايل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام
وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اراد ان يكتب الى قيصر فقيل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا ان يكون
مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله قال البخاري
جعل الثلاث كلمات في ثلثة اسطر وختم به وقال لا ينقش احد
مثله قال وتختم به ابو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في
بير اريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم لذلك
عثمان وتطير منه وصنع اخر على مثاله وفي كيفية نقش ذلك
الخاتم والختم به وجوه وذلك ان الخاتم يطلق على الالة التي تجعل
في الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت

كرامة عثمان

مطلب

ختمت الامر بلغت اخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين
وخاتم الامر ويطلق على السداد الذي يسد به الاواني والدنان و
يقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر
هذا بالنهاية والتمام قال لان اخر ما يجدونه في شرابهم ريح المسك
وليس المعنى عليه وانما هو من الختام الذي هو من السداد لان الخمر
يجعل لها في الدن سداد الطين او القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها
فبولغ في وصف خمر الجنة بان سدادها من المسك وهو اطيب عرفا
وذوقا من الطين والقار المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الخاتم
على هذه كلها صح اطلاقه على اثرها الناشي عنها وذلك ان الخاتم
اذا نقشت فيه كلمات او اشكال ثم غمس في مداف من طين او مداد ووضع
على صفح القرطاس بقي اثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به
على جسم لين كالشمع فانه تبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا
كانت كلمات وارتسمت فقد تقرا من الجهة اليسرى ان كان النقش
على الاستقامة من اليمنى وقد تقرا من اليمنى ان كان النقش من الجهة
اليسرى لان الختم يقلب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من
يمين او يسار فيحتمل ان يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد او الطين
ووضعه على الصفح فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى
النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كان الكتاب انما
يتم العمل به بهذه العلامة وهو من دونها ملغى ليس بتام وقد يكون
هذا الختم بالخط اخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح
او باسم السلطان او الامير او صاحب الكتاب من كان او شيء من نعوته
يكون ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه ويسمى ذلك في
المتعارف علامة ويسمى خاتما تشبيها له باثر الخاتم الاصبعي في النقش
ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم اي علامته وخطه
الذي ينفذ بهما احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة اي
علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد لما اراد ان يستوزر جعفرا
ويستبدل به من الفضل اخيه فقال لابيهما يحيى يا ابت اني اردت

ان يحول الخاتم من يميني الى شمال فكاله بالخاتم عن الوزارة لما كانت
العلامة على الرسايل والصكوك من وظايف الوزارة لعهدهم ويشهد
بصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبري ان معوية ارسل الى الحسن
عند مراودته اياه في الصلح صحيفه بيضا ختم على اسفلها وكتب
اليه ان اشترط في هذه الصحيفه التي ختمت على اسفلها ما شيت فهو
لك ومعنى الختم هنا علامة في اخر الصحيفة بخط او غيره ويطلق على
يختم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه ويجعل على موضع الحزم
من الكتاب اذا حزم وعلى المودعات وهو من السداد كما مر وهو في
الوجهين اثار الخاتم فيطلق عليه خاتم واول من احدث الختم على
الكتب اى العلامة معاوية لانه امر لعمرو بن الزبير عند زياد في الكوفه
بماية الف ففتح الكتاب وصيرت المائة مائتين ورفع زياد حسابه
فانكرها معويه وطلب بها عمرا وحبسه حتى قضاها عنه اخوه
عبد الله واتخذ معويه عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال
اخره وحزم الكتب ولم تكن تحزم اى جعل لها السداد وديوان الخاتم
عبارة عن الكتاب القايمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها
اما بالعلامة او بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هولاء
الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحزام للكتب يكون اما بدس
الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بلصق راس الصحيفة على ما تنطوي
عليه من الكتاب كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او
الالصاق علامة يومن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه فاهل
المغرب يجعلون على الدس قطعة من الشمع يختمون عليها بخاتم نقشت
فيه علامة كذلك فيرتسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول
القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش ايضا قد غمس في مداف
من الطين معد لذلك صبغه احمر فيرتسم ذلك النقش عليه وكان
هذا الطين معروفا في الدولة العباسيه بطين الختم وكان يجلب
من سيراف فيظهر انه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة
المكتوبة او النقش للسداد والحزم للكتب خاص بديوان الرسايل وكان

وكان ذلك للوزير في الدوله العباسية ثم اختلف العرف وصار
لمن اليه الترسيل وديوان الكتاب في الدول ثم صاروا في دول المغرب
يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيستجيدون
صوغه من الذهب ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج
والزمرد ويلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البرده والقضيب
في الدوله العباسيه والمظلة في الدوله العبيديه والله مصرف
الامور بحكمته

الطراز

ومن ابهة الملك والسلطان ومذاهب الدول
ان ترسم اسماوهم او علامات تختص بهم في طراز اثوابهم المعدة للباسهم من الحرير
او الديباج او الابريشم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحاما وسدا
بخيط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير
الذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم
فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التنويه بلابسها
من السلطان فمن دونه او التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه
انا قصد تشريفه بذلك او ولايته لوظيفة من وظايف دولته
وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك
واشكالهم او اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك
بكتب اسمائهم مع كلمات اخرى تجري مجرى الفال او السجلات وكان ذلك
في الدولتين من انبه الامور وافخم الاحوال وكانت الدور المعدة لنسج
اثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القايم على النظر فيها
يسمى صاحب الطراز ينظر في امر الصناع والالة والحاكة فيها واجراء ارزاقهم
وتسهيل الاتهم ومشارفة اعمالهم وكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم
وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني اميه بالاندلس و
الطوايف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم
من ملوك العجم بالمشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن
فيه بضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول بطلت هذه الوظيفه
والولاية عليها من اكثر الدول بالجملة ولما جاءت دولة الموحدين
بالمغرب بعد بني اميه اول المايه السادسة فلم ياخذوا بذلك اول

دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن امامهم
محمد بن تومرت المهدي وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت
هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم لآخر الدولة طرفا لم يكن
بتلك النباهة واما لهذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها
وشموخها رسما جليلا لقنوه من دولة ابن الاحمر معاصرهم بالاندلس
واتبع هو في ذلك دول الطوايف فاتى منه بلمحة شاهدة بالاثر واما
دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيه من الطرز تجر آخر
على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم
وليست من وظايف دولتهم وانما تنسج ما تطلبه الدولة من ذلك
عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويسمونه الزركش لفظة
اعجمية ويرسم اسم السلطان او الامير عليه ويعده الصناع لهم فيما يعدونه
للدولة من طرف الصناعة اللايقة بها والله مقدر الليل والنهار
وهو خير الوارثين **الفساطيط والسياج** اعلم ان من شارات
الملك وترفه اتخاذ الاخبية والفساطيط والفازات من ثياب
الكتان والصوف والقطن بجدل الكتان والقطن فيباهى بها في
الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة
في الثروة واليسار وانما يكون الامر في اول الدولة في بيوتهم التي جرت
عادتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين
من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف
ولم تزل العرب لذلك العهد بادين الا الاقل منهم فكانت اسفارهم لغزواتهم
وحروبهم بظعونهم وساير حللهم واحيايهم من الاهل والولد كما هو
شان العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحلل بعيدة ما بين
المنازل متفرقة الاحيا يغيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الاخرى
كشان العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقة تحشر الناس
على اثره ان يقيموا اذا ظعن ونقل انه استعمل لذلك الحجاج حين اشار به
روح بن زنباع وقصته في احراق فساطيط روح وخيامه لاول ولايته
حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن

الفازة مظلة بعمودين جمع الفازات

ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم
على الظعن الا من يامن بوادر السفهاء من احيايهم بما له من العصبية
الحايلة دون ذلك ولهذا اختصه عبد الملك بمثل هذه الرتبة ثقة
بغنائه فيها بعصبيته وصرامته فلما تفننت الدولة العربية
في مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والامصار وانتقلوا من
سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا
للسكنى في اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا مختلفة الاشكال
مقدرة الامثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويحتفلون فيها
بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير والقايد للعساكر على
فساطيطه وفازاته من بينهم سياجا من الكتان يسمى في المغرب باللسان
البربري الذي هو لسان اهله افراك بالكاف التي هي بين الكاف والقاف
ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره واما في المشرق
فيتخذه كل امير وان كان دون السلطان ثم جنحت الدعة بالنسا
والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخف لذلك ظهرهم وتقاربت
السياج بين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد
يحصره البصر في بسيطة زهرا انيقا لاختلاف الوانه واستمر الحال على
ذلك في مذاهب الدول في بذخها وترفها وكذا كانت دول الموحدين
وزناتة التي اظلتنا كان سفرهم اول امرهم في بيوت سكناهم قبل الملك
من الخيام والقياطين حتى اذا اخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى
القصور عادوا الى اتخاذ الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك
فوق ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير عرضة
للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة ولخفتهم
من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى
تحفظ آخر كما نذكره والله القوي العزيز **المقصورة للصلاة والدعاء
في الخطبة** وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي
ولم تعرف في غير دول الاسلام فاما البيت المقصورة لصلاة السلطان
فتتخذ سياجا على المحراب فتحوزه وما يليه فاول من اتخذه معوية بن

ابى سفين حين طعنه الخارجى والقصة معروفة وقيل اول من
اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه اليمانى ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما
وصارت سنة فى تميز السلطان عن الناس فى الصلاة وهى انما تحدث
عند حصول الترف فى الدول والاستفحال شان احوال الابهة
كلها ومازال الشان ذلك فى الدول الاسلاميه كلها وعند انخراق
افتراق الدولة العباسيه وتعدد الدول بالمشرق وكذا بالاندلس عند
انقراض الدولة الامويه وتعدد ملوك الطوايف واما بالمغرب فكان
بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم خلفا العبيديين ثم ولاتهم
على المغرب من صنهاجه بنو باديس بالقيروان وبنو حماد بالقلعة
ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحوا ذلك الرسم
على طريقة البداوة التى كانت شعارهم ولما استفحلت الدوله واخذت
بحظها من الترف وجاء يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه
المقصورة وبقيت من بعد سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا
الشان فى سائر الدول سنه الله فى عباده واما الدعاء على المنابر
فى الخطبة فكان الشان اولا عند الخلفا ولاية الصلاة بانفسهم
فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
والرضا عن اصحابه واول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص لما بنا جامعه
بمصر وكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغنى انك اتخذت منبرا ترقا به
على رقاب المسلمين اوما يكفيك ان تقوم قايما والمسلمون تحت عقبيك
فعزمت عليك لما كسرته فلما احدثت الابهة وحدث فى الخلفاء
المانع من الخطبة والصلوة واستنابوا فيهما فكان الخطيب يشيد
بذكر الخليفة على المنبر تنويها باسمه ودعاء له بما جعل الله مصلحة
العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة الاجابة ولما ثبت عن السلف
فى قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها فى السلطان واول
من دعا للخليفة فى الخطبة ابن عباس دعا لعلى رضى الله عنه
فى خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر عليا
الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وكان الخليفة يفرد بذلك

بذلك فلما جاء الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيرا
ما يشاركون الخليفة فى ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب
ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان
بالدعاء له على المنبر دون من سواه وحظر ان يشاركه فيه احد
او يسمو اليه وكثيرا ما يغفل الماهدون من اهل الدول هذا الرسم
عندما تكون الدوله فى اسلوب الغضاضة ومناحى البداوة فى التغافل
والخشونه ويقنعون بالدعاء على الابهام والاجمال لمن ولى امور
المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبه اذا كانت على هذا المنحى عباسية
يعنون بذلك ان الدعاء على الاجمال انما يتناول العباسى تقليدا
فى ذلك لما سلف من الامر ولا يحفلون بما وراء ذلك من تعيينه
والتصريح باسمه يحكى ان يغمراسن بن زيان ماهد دوله بنى عبد
الواد لما غلبه الامير ابو زكريا يحيى بن ابى حفص على تلمسان ثم بدا له
فى اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر
عمله فقال يغمراسن تلك اعوادهم يذكرون عليها من شاءوا وكذلك
يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بنى مرين حضره رسول المستنصر
الخليفة بتونس من بنى ابى حفص وثالث ملوكهم وتخلف بعض ايامه
عن شهود الجمعه فقيل له لم يحضر هذا الرسول لخلو الخطبة من ذكر سلطانه
فاذن فى الدعاء له وكان ذلك سببا لاخذهم بدعوته وهكذا شان
الدول فى بدايتها وتمكنها فى الغضاضه والبداوة فاذا انتبهت عيون
سياستهم ونظروا فى اعطاف ملكهم واستتموا شيات الحضاره ومعانى
البذخ والابهة انتحلوا جميع هذه السمات وتفننوا فيها وتجاروا
الى غايتها وانفوا من المشاركة فيها وجزعوا من افتقادها وخلو
دولتهم من اثارها والعالم بستان والله على كل شىء رقيب

فصل فى الحروب ومذاهب الناس فى ترتيبها

اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقه منذ
براها الله واصلها ارادة الانتقام بعض البشر من بعض ويتعصب
لكل منهما اهل عصبيته فاذا تذامروا لذلك وتواقفت الطايفتان

يغفلون

احداهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهي امر طبيعي
في البشر لا تخلوا عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر
اما غيرة ومنافسة واما عدوانا واما غضبا لله ولدينه واما
غضبا للملك وسعي في تمهيده فالاول اكثر ما يجري بين القبايل
المتجاورة والعشاير المتناظرة والثاني وهو العدوان اكثر ما يكون من
الامم الوحشية الساكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد
واشباههم لانهم جعلوا ارزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بايدي غيرهم
لانهم جعلوا غيرهم ومن دافعهم عن متاعه اذنوه بالحرب ولا بغية لهم
فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وانما همهم ونصب اعينهم غلب الناس
على ما في ايديهم والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد والرابع هو حروب
الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها فهذه اربعة اصناف
من الحروب الصنفان الاولان منها حروب بغي وفتنة والصنفان
الاخيران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين اهل الخليقة
منذ اول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفوفا ونوع بالكر والفر
فاما الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب اجيالهم واما
الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من اهل المغرب وقتال الزحف
اوثق واشد من قتال الكر والفر وذلك ان قتال الزحف ترتب فيه
الصفوف وتسوى كما تسوى القداح او صفوف الصلاة ويمشون
بصفوفهم الى العدو قدما فلذلك اثبت عند المصاع واصدق في
القتال وارهب للعدو لانه كالحايط الممتد والقصر المشيد لا يطمع
في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص اي يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث
المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومن هنا يظهر لك حكمة
ايجاب الثبات وتحريم التولي في الزحف فان المقصود بالصف
في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن ولى العدو ظهره فقد اخل
بالمصاف وباء باثم الهزيمة كانه جرها على المسلمين وامكن منهم
عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعديها الى الدين بخرق سياجه

سياجه فعد من الكباير ويظهر من هذه الادلة ان قتال الزحف اشد
عند الشارع واما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة
ما في قتال الزحف الا انهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا ثابتا
يلجون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد ثم
ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون
الجيوش والعساكر اقساما لانه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة و
حشروا من قاصية النواحي استدعى ذلك ان يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا
في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من تدافعهم
فيما بينهم لاجل النكراء والجهل بعضهم ببعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر
جموعا جموعا ويضمون المتعارفين بعضهم الى بعض ويرتبونها قريبا
من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورييس العساكر كلها من سلطان
او قايد في القلب ويسمون هذا الترتيب التعبيه وهو مذكور في اخبار
فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكرا
منفردا بصفوفه متميزا بقايده ورايته يسمونه المقدمة ثم عسكرا اخر
من ناحية اليمين يسمونه الميمنة ثم اخر
من ناحية الشمال يسمونه الميسرة ثم اخر من وراء العساكر يسمونه
الساقة ويقف الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربع ويسمون
موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر
او على مسافة بعيدة اكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها
او كيفما اعطاه حال العساكر في القلة والكثرة فحينئذ يكون الزحف
من بعد هذه التعبية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين
وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تتخلف عن رحله لبعد المدى
في التعبيه فاحتيج الى من يسوقها من خلفه وعين لذلك الحجاج
بن يوسف كما اشرنا اليه وكما هو معروف في اخباره وكان في الدولة
الاموية بالاندلس ايضا كثير منه وهو مجهول فيما لدينا لانا انما ادركنا
دولا قليلة العساكر لا ينتهي في مجال الحرب الى التناكر بل اكثر الجيوش من
الطايفتين معا يجمعهم لدينا حلة ومدينة ويعرف كل منهم قرنه ويناديه
في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغني عن تلك التعبية فصل

ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب ضرب المصاف وراء عساكرهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرهم وفرهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب واقرب الى الغلب وقد يفعله اهل الزحف ايضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم اهل الزحف يتخذون الفيلة في الحروب ويحملون عليها ابراجا من الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم في حومة الحرب كانها الحصون فيقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم وانظر ما وقع من ذلك في القادسية وان فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوها ونخسوها بالسيوف على خراطيمها فنفرت ونكصت على اعقابها الى مرابطها بالمداين فخف معسكر فارس لذلك وانهزموا في اليوم الرابع واما الروم وملوك القوط بالاندلس بل واكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في اركان السرير ويحدق به سياج اخر من الرماة والرجالة فيعظم هيكل السرير ويصير فئة للمقاتلة وملجأ للكر والفر وفعل ذلك الفرس ايام القادسية وكان رستم جالسا فيها على سرير نصبه لجلوسه حتى اختلت صفوف فارس وخالطه العرب في سريره ذلك فتحول عنه الى الفرات وقتل واما اهل الكر والفر من العرب واكثر الامم البدوية الرحالة فيصفون لذلك ابلهم والظهر الذي يحمل ظعائنهم فيكون فئة لهم ويسمونه المجبودة وليس امة من الامم الا وهي تفعل ذلك في حروبها وتراه اوثق من الجولة وآمن من الغرة والهزيمة وهو امر مشاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للاثقال والفساطيط يجعلونها ساقة من خلفهم ولا تغني غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للانهزام مستشعرة للفرار في المواقف وكان الحرب اول الاسلام كله زحفا وان كان العرب انما يعرفون الكر والفر لكن حملهم على ذلك اول

الاسلام امران احدهما ان عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقابلتهم بمثل قتالهم الثاني انهم كانوا مستميتين في جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف الى الاستماتة اقرب واول من ابطل الصف في الحرب وصار الى التعبية كراديس مروان بن الحكم في قتال الضحاك الخارجي والخيبري بعده قال الطبري لما ذكر قتل الخيبري فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري ويلقب ابا الذلفاء وقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وابطل الصف من يومئذ انتهى فتوسي قتال الزحف بابطال الصف ثم تنوسي الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك انها حينما كانت بدوية وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم في الاحياء فلما حصلوا على ترف الملك والفوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شان البادية والقفر نسوا لذلك عهد الابل والظعائن وصعب عليهم اتخاذها فخلفوا النساء في الاسفار وحملهم الملك والترف على اتخاذ الفساطيط والاخبية فاقتصروا على الظهر الحامل للاثقال والابنية وكان ذلك صفهم في الحرب ولا يغني كل الغناء لانه لا يدعو الى الاستماتة كما يدعو اليها الاهل والمال فيخف الصبر من اجل ذلك وتفرقهم الهيعات وتخرم صفوفهم فصل ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العسكر وتاكده في قتال الكر والفر صار ملوك المغرب يتخذون طوائف من الفرنج في جندهم واختصوا بذلك لان قتال اهل وطنهم كله بالكر والفر والسلطان يتاكد في حقه ضرب المصاف ليكون ردءا للمقاتلة امامه فلا بد وان يكون اهل ذلك الصف من قوم متعودين للثبات في الزحف والا اجفلوا على طريقة اهل الكر والفر فانهزم السلطان والعسكر باجفالهم فاحتاج الملوك بالمغرب ان يتخذوا من هذه الامة المعودة الثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتبون مصافهم المحدق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة باهل الكفر وانما استخفوا ذلك للضرورة التي اريناكها من تخوف الاجفال على مصاف السلطان والفرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال الزحف فكانوا اقوم

الكردوسة بالضم قطعة عظيمة من الخيل وكردس الخيل جعله كتيبة كتيبة
قاموس

الهيعة والهائعة الصوت تفزع منه وتخافه من عدو
قاموس

مما ينظر

بذلك من غيرهم مع ان الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب
مع امم العرب والبربر وقتالهم على الطاعة واما في الجهاد فلا يستعينون
بهم خشية من ممالاتهم على المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد
وقد ابدينا سببه والله بكل شيء عليم **فصل** وبلغنا عن امم الترك
لهذا العهد وقتالهم مناضلة بالسهام ان تعبية الحرب عندهم بالمصاف
وانهم يقسمون عسكرهم ثلثة صفوف يضربون صفا وراء صف ويترجلون
عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين ايديهم ثم يتناضلون جلوسا وكل
صف ردء للذي امامه ان يكبسهم العدو الى ان يتهيا النصر لاحدى
الطايفتين على الاخرى وهي تعبية محكمة غريبة **فصل** وكان من
مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقاربون
للزحف حذرا من معرة البيات والهجوم على المعسكر بالليل لما في ظلمته
ووحشته من مضاعفة الخوف فتلوذ الجيوش بالفرار وتجد النفوس
في الظلمة سترا من عاره فاذا تساووا في ذلك ارجف المعسكر ووقعت
الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا
ابنيتهم ويديرون الحفاير نطاقا عليهم من جميع جهاتهم حرصا ان يخالطهم
العدو بالبيات فيتخاذلوا وكان للدول في امثال هذا قوة وعليه اقتدار
باحتشاد الرجال وجمع الايدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا
عليه من وفور العمران وضخامة الملك فلما خرب العمران وتبعه
ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي هذا الشان جملة كانه
لم يكن والله خير القادرين **مطلب** وانظر في وصية علي رضي الله عنه و مطلب
تحريضه لاصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب ولم يكن احد
ابصر بها منه قال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا
الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن
الهام والتووا في اطراف الرماح فانه اصون للاسنة وغضوا الابصار
فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه اطرد
للفشل واولى بالوقار وراياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها ولا تجعلوها
الا بايدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر فان بعد الصبر ينزل

ينزل النصر وقال الاشتر يوميذ يحرض الازد عضوا على النواجذ من
الاضراس واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا شدة قوم موتورين
يثارون بابايهم واخوانهم حناقا على عدوهم قد وطنوا على الموت (حنقا نخ)
انفسهم كيلا يسبقوا بوتر ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد اشار
الى الكثير من ذلك ابو بكر الصيرفي شاعر لمتونة واهل الاندلس في
كلمة يمدح بها تاشفين ابن علي بن يوسف ويصف ثباته في حروب
شهدها ويذكره بامور الحرب في وصايا وتحذيرات تنبهك على معرفة
الكثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها الملا الذي يتقنع من منكم الملك الهمام الاروع
ومن الذي غدر العدو به دجى فانفض كل وهو لا يتضعضع
تمضي الفوارس والطعان يصدها عنه ويذمرها الوفاء فترجع
والليل من وضح الترايك انه صبح على هام الجيوش ملمع
انا فزعتم يا بني صنهاجة واليكم في الروع كان المفزع
وضددتم عن تاشفين وانه لعقابه لو شا فيكم موضع
انسان عين لم يصبه منكم جفن وقلب اسلمته الاضلع
ما انتم الا اسود خفية كل بكل كريهة مستطلع
يا تاشفين اقم لجيشك عذره بالليل والقدر الذي لا يدفع

ومنها في سياسة الحرب

اهديك من ادب السياسة ما به كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا انني ادرى بها لكنها ذكرى تحض المومنين وتنفع
البس من الحلق المضاعفة التي وصى بها صنع الصنايع تبع
والهندواني الرقيق فانه امضى على حد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابق عدة حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت محلة سيان تتبع ظافرا او تتبع
والواد لا تعبره وانزل عنده بين العدو وبين جيشك مقطع
واجعل مناجزة الجيوش عشية ووراك الصدق الذي هو امنع
واذا تضايقت الجيوش بمعرك ضنك فاطراف الرماح توسع

واصدمه اول مرة لا تكترث شيئا فاظهار النكول يضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة الصدق فيهم شيمة لا تقنع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفا لا راى لمكذوب فيما يصنع
قوله واصدمه اول وهلة لا تكترث البيت مخالف لما عليه الناس
في امر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفي لما ولاه حرب
فارس والعراق فقال له اسمع من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
واشركهم في الامر ولا تجيبن مسرعا حتى تتبين فانها الحرب ولا يصلح
لها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في
اخرى انه لن يمنعني ان اومر سليطا الا سرعته في الحرب وفي التسرع
في الحرب الا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها
الا المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد بان التثاقل في الحرب اولى من الخفوف
حتى يتبين حال تلك الحروب وذلك عكس ما قاله الصيرفي الا ان يريد
ان الصدم بعد البيان فله وجه والله اعلم **فصل** ولا وثوق في
الحرب بالظفر وان حصلت اسبابه من العدة والعديد وانما الظفر
فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك ان اسباب الغلب
في الاكثر مجتمعة من امور ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكمال الاسلحة
واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف وصدق القتال
وما جرى مجرى ذلك ومن امور خفية وهي اما من خداع البشر وحيلهم
في الارجاف والتشانيع الذي يقع بها التخذيل وفي التقدم الى الاماكن
المرتفعة ليكون الحرب من علو فيتوهم المنخفض لذلك ويتخاذل
وفي الكمون في الغياض ومطمئن الارض والتواري بالكدى عن
العدو حتى تبدو لهم العساكر دفعة وقد تورطوا فيتلفتون الى
النجاة وامثال ذلك واما ان يكون تلك الاسباب الخفية امورا سماوية
لا قدرة للبشر على اكتسابها تلقى في القلوب فيستولي الرهب عليهم
من اجلها فتختل مراكزهم وتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهزائم عن هذه
الاسباب الخفية لكثرة ما يعتمل كل واحد من الفريقين فيها حرصا
على الغلب فلا بد من وقوع التاثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك

المكيث كامير الرزين

لا وثوق في الحرب بالظفر

ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم الحرب خدعة ومن امثال العرب
رب حيلة انفع من قبيلة فقد تبين ان وقوع الغلب في الحروب غالبا
عن اسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى
البخت كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهم من وقوع الغلب عن الامور
السماوية كما شرحناه معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت بالرعب
مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين في حياته بالعدد القليل وغلب
المسلمين ايام بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه
بالقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولي على قلوبهم فينهزموا معجزة
لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان الرعب في القلوب سببا للهزائم
في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي عن العيون وقد ذكر الطرطوشي
ان من اسباب الغلب في الحروب ان تفضل عدة الفرسان المشاهير من
الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد
الجانبين فيه عشرة او عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر
ثمانية او ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب واعاد
في ذلك وابدا وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قدمنا وليس
بصحيح وانما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في
احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الاخر عصائب
متعددة والجانبان معا متقاربان في العدة فان الجانب الذي عصبيته
واحدة اقوى واغلب من الجانب الذي هو عصائب متعددة لان العصائب
اذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوحدان المتفرقين
الفاقدين العصبية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون
جانب الذي عصائبه متعددة لا تقاوم الجانب الذي عصبيته واحدة
لاجل ذلك فتفهمه واعلم انه اصح في الاعتبار مما ذهب اليه الطرطوشي
ولم يحمله على ذلك الا نسيان شان العصبية في جيله وبلده وانهم
انما يرون الدفاع والحماية والمطالبة الى الوحدان والجماعة الناشئة
عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك اول الكتاب
مع ان هذا وامثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل

اتفاق الجيشين فى العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها
فكيف نجعل ذلك سببا كفيلا بالغلب ونحن قد قررنا الان ان شيئا
منها لا يعارض الاسباب الخفية من الحيل والخدع ولا الامور السماويه
من الرعب والخذلان الالهى فاعلمه وتفهم احوال الكون والله مقدر
الليل والنهار فصل ويلحق بمعنى الغلب فى الحروب وان اسبابه
خفية وغير طبيعيه حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعها
فى احد من طبقات الناس من الملوك او العلماء او الصالحين او
المنتحلين للفضايل على العموم فكثير ممن اشتهر وبعد صيته وليس
هناك وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت
عنه الشهرة وهو احق بها واهلها وقد تصادف موضعها
وتكون طبقا على صاحبها والسبب فى ذلك ان الشهرة والصيت انما هى
بالاخبار والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل و
يدخلها التعصب والتشيع وتدخلها الاوهام ويدخلها الجهل بمطابقة
الحكايات للاحوال لخفايها بالتلبيس والتصنع او لجهل الناقل و
يدخلها التقرب لاصحاب التجلة والمراتب الدنيويه بالثناء والمدح
وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحب الثناء
والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا
فى الاكثر براغبين فى الفضايل ولا منافسين فى اهلها واين مطابقه
الحق مع هذه كلها فتحصل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون
غير مطابقة وكل ما حصل بسبب خفى فهو الذى يعبر عنه بالبخت
كما تقرر والله اعلم فصل فى الجبايه وسبب قلتها وكثرتها
نقصها ووفورها صح
اعلم ان الجبايه تكون اول الدوله قليلة الوزايع كثيرة الجملة واخر
الدوله تكون كثيرة الوزايع قليلة الجملة والسبب فى ذلك ان
الدولة ان كانت على سنن الدين فليس الا المغارم الشرعية من الصدقات
والخراج والجزيه وهى قليلة الوزايع لان مقدار الزكاة من المال قليل
كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع
المغارم الشرعية وهى حدود لا تتعدى وان كانت على سنن العصبية

العصبية والتغلب فلا بد من البداوة فى اولها كما تقدم والبداوة
تقتضى المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافى عن اموال الناس
والغفلة عن تحصيل ذلك الا فى النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة
الواحدة والوزيعة التى تجمع الاموال من مجموعها واذا قلت الوزايع
والوظايف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار ويتزايد
لحصول الاغتباط بقلة المغرم واذا كثر الاعتمار كثرت اعداد تلك
الوظايف والوزايع فكثرت الجباية التى هى جملتها فاذا استمرت الدولة
واتصلت وتعاقبت ملوكها واحدا بعد واحد واتصفوا بالكيس
وذهب سر البداوة والسذاجة وخلقها من الاغضاء والتجافى وجاء
الملك العضوض والحضارة الداعية الى الكيس وتخلق اهل الدولة
حينيذ بخلق التحذلق وتكثرت عوايدهم وحاجاتهم بسبب ما انغمسوا
فيه من النعيم والترف فيكثرون الوظايف والوزايع حينيذ على الرعايا
والاكرة والفلاحين وساير اهل المغارم ويزيدون فى كل وظيفة ووزيعة
مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية ويضعون المكوس على البياعات وفى
الابواب كما نذكر بعد ثم تتدرج الزيادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج
عوايد الدوله فى الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى تثقل
المغارم على الرعايا وتهضمهم وتصير عادة مفروضة لان تلك
الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر احد بمن زادها على التعيين
ولا من هو واضعها انما تثبت على الرعايا كانها عادة مفروضة ثم
تزيد الى الخروج عن حد الاعتدال فتذهب غبطة الرعايا فى الاعتمار
لذهاب الامل من نفوسهم بقلة النفع فيه اذا قابل بين نفقته و
مغارمه وبين ثمرته وفايدته فتنقبض كثير من الايدى عن الاعتمار
جملة فتنقص جملة الجبايه حينيذ بنقصان تلك الوزايع منها
وربما يزيدون فى مقدار تلك الوظايف اذا راوا ذلك النقص فى
الجبايه ويحسبونه جبرا لما نقص حتى تنتهى كل وظيفة ووزيعة
الى غاية ليس وراها نفع ولا فايدة لكثرة الانفاق حينيذ فى الاعتمار
وكثرة المغارم وعدم وفاء الفايدة المرجوة به فلا تزال الجملة فى نقص

ومقدار الوزايع والوظايف فى زيادة لما يعتقدونه من جبر
الجملة بها الى ان ينتقص العمران بذهاب الامال من الاعتمار ويعود
وبال ذلك على الدولة لان فايده الاعتمار عايدة اليها واذا فهمت
ذلك علمت ان اقوى الاسباب فى الاعتمار تقليل مقدار الوظايف
على المعتمرين ما امكن فبذلك تنشط النفوس اليه ولتيقنها
بادراك المنفعة فيه والله مالك الامور **فصل فى ضرب المكوس**
اواخر الدول اعلم ان الدول تكون فى اولها بدوية كما قلنا فتكون
لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوايده فيكون خرجها وانفاقها
قليلا فيكون فى الجبايه حينئذ وفاء بازيد منها بل يفضل منها كثير
من حاجاتها ثم لاتلبث ان تأخذ بدين الحضاره والترف وعوايدها
وتجرى على نهج الدول السالفة قبلها فيكثر لذلك خرج اهل
الدوله ويكثر خرج السلطان خصوصا كثرة بالغة بنفقته فى
خاصته وكثرة عطايه ولاتفى بذلك الجبايه فتحتاج الدوله الى الزياده
فى الجباية لما يحتاج اليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة
فيزيد فى مقدار الوظايف والوزايع اولا كما قلناه ثم يزيد الخرج و
الحاجات بالتدريج فى عوايد الترف وفى العطاء للحامية ويدرك
الدولةَ الهرمُ وتضعف عصابتها عن جباية الاموال من الاعمال والقاصية
فتقل الجبايه وتكثر العوايد ويكثر بكثرتها ارزاق الجند وعطاؤهم
فيستحدث صاحب الدولة انواعا من الجباية يضربها على البياعات
ويفرض لها قدرا معلوما على الاثمان فى الاسواق وعلى اعيان السلع
فى ابواب المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بما دعاه اليه ترف الناس
من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحاميه وربما يزيد بذلك فى
اواخر الدول زياده بالغة فتكسد الاسواق لفساد الامال ويوذن
ذلك باختلال العمران ويعود على الدوله ولايزال ذلك يتزايد
الى ان يضمحل وقد كان وقع منه بامصار المشرق فى اخريات الدولة
العباسيه والعبيديه كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج فى الموسم واسقط
صلاح الدين ابن ايوب تلك الرسوم جملة واعاض عنها بآثار الخير وكذلك

وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوايف حتى محا رسمه يوسف بن تاشفين
امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجريد بافريقيه لهذا العهد حين
استبد بها رؤساؤها والله لطيف بعباده **فصل فى ان التجارة**
من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجبايه اعلم ان الدولة
اذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوايد والنفقات
وقصر الحاصل من جبايتها عن الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت
الى مزيد المال والجبايه فتارة بوضع المكوس على بياعات الرعايا
واسواقهم كما قدمنا ذلك فى الفصل قبله وتارة بالزيادة فى القاب
المكوس ان كانت قد استحدثت من قبل وتارة بمقاسمة العمال والجباة
وامتكاك عظامهم لما يرون انهم قد حصلوا على طايل من اموال
الجباية لايظهره الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلح للسلطان
حرصا على تنمية الجباية لما يرون التجار والفلاحين يحصلون
على الفوايد والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على نسبة
رؤس الاموال فيأخذون فى اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله
وفى شراء البضايع والتعرض بها لحوالة الاسواق يحسبون ذلك من ادرار
الجباية وتكثير الفوايد وهو غلط عظيم وادخال للضرر على الرعايا من
وجوه متعددة فاولا مضايقة الفلاحين والتجار فى شراء الحيوان و
البضايع وتيسير اسباب ذلك فان الرعايا متكافئون فى اليسار او
متقاربون ومزاحمة بعضهم بعضا تنتهى الى غاية موجودهم او تقرب وانا
رافقهم السلطان فى ذلك وماله اعظم كثيرا منهم فلا يكاد احد
منهم يحصل على غرضه فى شىء من حاجاته ويدخل على النفوس
من ذلك غم ونكد ثم ان السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك اذا تعرض
له غضبا او بايسر ثمن اولا يجد من ينافسه فى شرائه فيبخس ثمنه على
بايعه ثم انا حصلت فوايد الفلاحة ومغلها كله من زرع او حرير
او عسل او سكر او غير ذلك من انواع الغلات وحصلت بضايع التجارة
من سائر الانواع فلا ينتظرون به حوالة الاسواق ولا نفاق البياعات
لما تدعوهم اليه تكاليف الدوله فيكلفون اهل تلك الاصناف من تاجر

تكة وامتكيه مصة جميعه
ماهرس

حايظره وبعتبر

او فلاح بشراء تلك البضايع ولا يرضون في اثمانها الا القيم وازيد فيستوعبون في ذلك ناض اموالهم وتبقى تلك البضايع بايديهم عروضا جامدة ويمكثون عطلا من الادارة التي فيها كسبهم ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شي من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بابخس ثمن وربما يتكرر ذلك على التاجر او الفلاح منهم بما يذهب براس ماله فيقعد عن سوقه ويتعدد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض امالهم عن السعي في ذلك جملة ويؤدي الى فساد الجبايه فان معظم الجبايه انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس ونمو الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحه وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجبايه جملة او دخلها النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجبايه وبين ما يحصل له من الارباح القليلة وجدها بالنسبة الى الجبايه اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له بحظ عظيم من الجبايه فيما يعانيه من شراء وبيع فانه من البعيد ان يوخذ منه فيه المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان مكسها كلها حاصلا من جملة الجبايه ثم فيه التعرض لفساد عمرانه واختلال الدوله بفساده ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تثمير اموالهم بالفلاحه والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها اتلاف احوالهم فافهم ذلك ولقد كان الفرس لا يملكون عليهم الا من اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الدين والفضل والادب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه بعد ذلك العدل وان لا يتخذ ضيعة فيضر بجيرانه ولا يتجر فيحب غلاء الاسعار في البضايع وان لا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة واعلم ان السلطان لا ينمي ماله ولا يدر موجوده الا الجباية وادرارها انما يكون بالعدل في اهل الاموال والنظر لهم فبذلك تنبسط امالهم وتنشرح صدورهم للاخذ في تثمير الاموال وتنميتها فتعظم منها جبايه السلطان واما غير ذلك من تجارة او فلح فانما هو مضرة عاجلة للرعايا وفساد

السلطان

وفساد للجباية ونقص للعمارة ولقد ينتهي الحال بهولاء المتحلين للتجارة والفلاحة من الامراء والمتغلبين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين الى بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤن ويبيعونها في وقتها لمن تحت ايديهم من الرعايا بما يفرضونه من الثمن وهذه اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعيه واختلال احوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف اعني التجار والفلاحين بما هي صناعته التي نشا عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال سريعا سيما مع ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها اجدر بنمو الاموال واسرع في تثميرها ولا يفهم مع ذلك ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغي للسلطان ان يحذر من هولاء ويعرض عن سعايتهم المضرة بجبايته وسلطانه والله يلهمنا رشدنا انفسنا وينفعنا بصالح اعمالنا لا رب غيره

فصل في ان ثروه السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدوله

والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدوله تتوزع على القبيل واهل العصبيه بمقدار غنائهم وعصبيتهم ولان الحاجة اليهم في تمهيد الدوله كما قلناه من قبل فريسهم في ذلك متجافى لهم عما يسمون اليه من الجباية معتاض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد عليهم فله عليهم عزة وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمانه من الجبايه الا الاقل من حاجته فنجد حاشيته لذلك واذياله من الوزراء والكتاب والموالي مملقين في الغالب وجاههم متقلص لانه من جاه مخدومهم ونطاقه قد ضاق بمن يزاحمه فيه من اهل عصبيته فاذا استفحلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدوله الاستبداد على قومه قبض ايديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين الناس في سهمانهم وتقل حظوظهم اذ ذاك لقلة غنائهم في الدوله بما انكبح من اعنتهم وصار الموالي والصنايع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجبايه او معظمها ويحتوي على الاموال ويحتجنها للنفقة في مهمات

ويعتز نخ

الاحوال فتكثر ثروته وتمتلى خزاينه ويتسع نطاق جاهه ويعتز
على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكاتب وحاجب
ومولى وشرطى ويتسع جاههم ويقتنون الاموال ويتاثلونها ثم
اذا اخذت الدولة فى الهرم بتلاشى العصبية وفنا القبيل المهدين
للدولة احتاج صاحب الامر حينيذ الى الاعوان والانصار لكثرة
الخوارج والمنازعين والثوار وتوهم الانتقاص فصار خراجه لظهرائه
واعوانه وهم ارباب السيوف واهل العصبيات وانفق خزاينه وحاصله
فى مهمات جبر الدولة وقلت مع ذلك الجبايه لما قدمناه من كثرة
العطاء والانفاق فيقل الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال
فيتقلص ظل النعمة والترف عن الخواص والحجاب والكتاب ويتقلص
الجاه عنهم ويضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب
الدولة الى المال وينفق ابناء البطانة والحاشيه ما تاثل اباوهم
من الاموال فى غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما
كان عليه اباوهم وسلفهم من المناصحة ويرى صاحب الدولة انه
احق بتلك الاموال الذى اكتسبت فى دولة سلفه وبجاههم فيصطلمها
وينتزعها منهم لنفسه شيا فشيا وواحدا بعد واحد على نسبة رتبهم
وتنكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها ورجالاتها
واهل الثروه والنعمه من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مبانى المجد
بعد ان يدعمه اهله ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدوله ٣
العباسيه فى بنى قحطبه وبنى برمك وبنى سهل وبنى طاهر وامثالهم
ثم فى الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها ايام الطوايف فى بنى شهيد
وبنى ابى عبده وبنى حدير وبنى برد وامثالهم وكذا فى الدول التى ادركناها
لعهدنا سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا فصل ولما يتوقعه
اهل الدول من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى
الفرار عن الرتب والتخلص عن ربقة السلطان بما حصل بايديهم
من مال الدولة الى قطر اخر ويرون انه اهنا لهم واسلم فى انفاقه وحصول
ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاوهام المفسدة لاحوالهم ودنياهم

ودنياهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير ممتنع فان
صاحب هذا الغرض ان كان هو الملك بنفسه فلا تمكنه الرقبة من
ذلك طرفة عين ولا اهل العصبية المزاحمون له بل فى ظهور ذلك منه
هدم ملكه وتلاف نفسه لمجارى العادة بذلك لان ربقة الملك
يعسر الخلاص منها سيما عند استفحال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض
فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق بالشر واما ان كان صاحب هذا
الغرض من بطانة السلطان وحاشيته واهل الرتب فى دولته فقل
ان يخلى بينه وبين ذلك اما اولا فلما يراه الملوك ان ذويهم وحاشيتهم
بل وسائر رعاياهم مماليك لهم مطلعون على ذات صدورهم فلا يسمحون
بحل ربقته من الخدمة ضنانة باسرارهم واحوالهم ان يطلع عليها احد
وغيرة من خدمته لسواهم ولقد كان بنو امية بالاندلس يمنعون اهل
دولتهم من السفر لفريضة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بايدى
بنى العباس فلم يحج سائر ايامهم احد من اهل دولتهم وما ابيح الحج لاهل
الدول من الاندلس الا بعد فراغ شان الاموية ورجوعها الى الطوايف
واما ثانيا فانهم وان سمحوا بحل ربقته فلا يسمحون بالتجافى عن ذلك
المال لما يرون انه جزء من مالهم كما كان ربه جزءا من دولتهم
اذ لم يكتسب الا بها وفى ظل جاهها فتحوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال
او ابقائه كما هو جزءا من الدولة ينتفعون به ثم اذا توهمنا انه خلص
بذلك المال الى قطر اخر وهو فى النادر الاقل فتمتد اليه اعين الملوك
بذلك القطر وينتزعونه بالارهاب والتخويف تعريضا او بالقهر
ظاهرا لما يرون انه مال الجباية والدول وانه مستحق للانفاق فى
المصالح واذا كانت عيونهم تمتد الى اهل الثروة واليسار المكتسبين
من وجوه المعاش كما ذكرنا فاحرى بها ان تمتد الى اموال الجباية والدول
التى تجد السبيل اليه بالشرع والعادة وانظر ما وقع لقاضى جبلة
الثاير بها على ابن عمار صاحب طرابلس لما غلبه الفرنج عليها ونجا الى
الى دمشق ثم الى بغداد وفيها السلطان بركيارق بن ملكشاه وذلك فيها
اخر المايه الخامسة فجاء اليه وزير السلطان واستقرض منه مالا له بال

ثم استصفوه جميعا وكان لا يعبر عنه كثرة ولقد حاول ابو يحيى زكريا
بن احمد اللحيانى تاسع او عاشر ملوك الحفصيين بافريقية الخروج عن
عهدة الملك واللحاق بمصر فرارا من طلب صاحب الثغور الغربيه
لما استجمع لغزو تونس فاستعمل اللحيانى الرحلة الى ثغر طرابلس
يورّى بتمهيده وركب السفين من هنالك وخلص الى الاسكندريه
بعد ان حمل جميع ما وجده فى بيت المال من الصامت والذخيره وباع
كل ما كان بخزائنهم من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب واحتمل
ذلك كله الى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاون سنه تسع
عشرة من المايه الثامنة فاكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص
ذخيرته شيئا فشيئا بالتعريض حتى حصل عليها ولم يبق معاش ابن
اللحيانى الا فى جرايته التى فرض له الى ان هلك فى سنه ثمان وعشرين
حسبما نذكره فى اخباره فهذا وامثاله من جملة الوسواس الذى
يعترى اهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما
يخلصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمونه من الحاجة
فغلط ووهم والذى حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف فى
وجدان المعاش لهم بالجرايات السلطانيه او بالجاه فى انتحال طرق
الكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن النفس راغبة
اذا غبتها واذا تردى الى قليل تقنع والله الرازق ذو القوة المتين

فصل فى ان نقص العطاء من السلطان نقص فى الجباية

والسبب فى ذلك ان الدولة والسلطان هى السوق الاعظم للعالم
ومنه مادة العمران فاذا احتجن السلطان الاموال والجبايات
او فقدت فلم يصرفها فى مصارفها قل حينيذ ما بايدى الحاشيه
وانقطع ايضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت
نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق
من سواهم فيقع الكساد حينيذ فى الاسواق وتضعف الارباح
فى المتاجر لقلة الاموال فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجبايه
انما تكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس

الناس للفوايد والارباح ووبال ذلك عايد على الدوله بالنقص
لقلة اموال السلطان حينيذ بقلة الخراج فان الدوله كما قلناه
هى السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصلها ومادتها فى الدخل
والخرج فاذا كسدت وقلت مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق
ان يلحقها مثل ذلك واشد منه وايضا فالمال انما هو متردد بين
الرعيه والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان
عنده فقدته الرعية سنة الله فى عباده **فصل فى ان
الظلم موذن بخراب العمران** اعلم ان العدوان على الناس
فى اموالهم ذاهب بامالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينيذ من
ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهبت امالهم فى
اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعى فى ذلك وعلى قدر
الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب
فان كان الاعتداء كثيرا وعاما فى جميع ابواب المعاش كان القعود عن
الكسب كذلك لذهابه بالامال جملة بدخوله من جميع ابوابها وان كان
الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران ووفوره
ونفاق اسواقه انما هو بالاعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب
ذاهبين وجايين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم
عن المكاسب كسدت اسواق العمران وانتقضت الاحوال وابذعر (تفرق)
الناس فى الافاق من غير تلك الايالة وفى طلب الرزق فيما خرج عن
نطاقها فخف ساكن القطر وخلت دياره وخربت امصاره واختل
باختلاله حال الدوله والسلطان لما انها صورة للعمران تفسد
بفساد مادتها ضرورة وانظر فى ذلك ما حكاه المسعودى فى اخبار
الفرس عن الموبذان صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما عرض
به للملك فى انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عايدته على الدولة
بضرب المثال فى ذلك على لسان البوم حين سمع الملك اصواتها وساله عن
فهم كلامها فقال ان بوما ذكرا يروم نكاح بوم انثى وانها شرطت عليه
عشرين قرية من الخراب فى ايام بهرام لتنوح فيها فقبل شرطها وقال

لها ان دامت ايام الملك اقطعتك الف قرية وهذا اسهل مرام فتنبه
الملك من غفلته وخلا بالموبذان وساله عن مراده فقال له ايها
الملك ان الملك لايتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف
تحت امره ونهيه ولاقوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال
ولاقوام للرجال الا بالمال ولاسبيل الى المال الا بالعماره ولاسبيل
للعماره الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب
وجعل له قيما وهو الملك وانك ايها الملك عمدت الى الضياع
فانتزعتها من اربابها وعمارها وهم ارباب الخراج ومن توخذ منهم
الاموال واقطعتها الحاشية والخدم واهل البطالة فتركوا العمارة
والنظر فى العواقب ومايصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم
من الملك ووقع الحيف على من بقى من ارباب الخراج وعمار الضياع
فانجلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم واووا الى ما بعد من الضياع
فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلكت
الجنود والرعيه وطمع فى ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم
بانقطاع المواد التى لاتستقيم دعايم الملك الا بها فلما سمع الملك
ذلك اقبل على النظر فى ملكه وانتزعت الضياع من ايدى الخاصه
وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا بالعماره
وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض واخصبت البلاد وكثرت
الاموال عند جباة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء و
شحنت الثغور واقبل الملك على مباشرة اموره بنفسه فحسنت
ايامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه الحكاية ان الظلم مخرب للعمران
وان عايدة الخراب فى العمران على الدوله بالفساد والانتقاض
ولاتنظر فى ذلك الى ان الاعتداء قد يوجد بالامصار العظيمه
من الدول التى بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء
من قبل المناسبة بين الاعتداء واحوال اهل المصر فلما كان المصر كبيرا
وعمرانه كثيرا واحواله متسعة بما لاينحصر كان وقوع النقص فيه
بالاعتداء والظلم يسيرا لان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفى بكثرة

بكثرة الاحوال واتساع الاعمال فى المصر لم يظهر اثره الا بعد حين وقد
تذهب تلك الدولة المعتدية من اصلها قبل خراب المصر وتجى الدولة
الاخرى فترقعه بجدتها وتجبر النقص الذى كان خفيا فيه فلا يكاد
يشعر به الا ان ذلك فى الاقل والمراد من هذا ان حصول النقص فى العمران
عن الظلم والعدوان امر واقع لابد منه لما قدمناه ووباله عايد
على الدول ولاتحسبن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد مالكه
من غير عوض ولاسبب كما هو فى المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من
اخذ ملك احد او غصبه فى عمله او طالبه بغير حق او فرض عليه حقا
لم يفرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون
عليها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة وغصاب
الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عايد على الدوله بخراب
العمران الذى هو مادتها لذهاب الامال من اهله واعلم ان هذه هى الحكمة المقصودة
للشارع فى تحريم الظلم وهو ماينشا عنه من فساد العمران وخرابه وذلك
موذن بانقطاع النوع البشرى وهى الحكمة العامة المراعاة للشرع
فى جميع مقاصده الضروريه الخمسة من حفظ الدين والنفس و
العقل والنسل والمال فلما كان الظلم كما رايت موذنا بانقطاع النوع
لما ادى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه
مهما وادلته من الكتاب والسنة كثيرة اكثر من ان ياخذها قانون الضبط
او الحصر ولو كان كل احد قادرا عليه لوضع بازايه من العقوبات الزاجرة
ما وضع بازا غيره من المفسدات للنوع التى يقدر كل احد على اقترافها
من الزنا والقتل والسكر الا ان الظلم لايقدر عليه الا من لايقدر عليه
لانه انما يقع من اهل القدرة والسلطان فبولغ فى ذمه وتكرير الوعيد
فيه عسى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه من نفسه وما ربك بظلام
للعبيد ولاتقولن ان العقوبة قد وضعت بازاء الحرابة فى الشرع
وهى من ظلم القادر لان المحارب زمن حرابته قادر فان الجواب عن ذلك
من طريقين احدهما ان نقول العقوبة التى وضعت فى ذلك انما هى
بازاء ما يقترفه من الجنايات فى نفس او مال على ماذهب اليه كثير

قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب عظيم

وذلك انما تكون بعد القدرة عليه والمطالبة بجناياته واما نفس
الحرابة فهي خلو من العقوبة الطريق الثاني ان نقول المحارب لا يوصف
بالقدرة لانا انما نعني بقدرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي
المؤذنة بالخراب واما قدرة المحارب فانما هي اخافة يجعلها ذريعة
لاخذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعا وسياسة فليست
من القدر المؤذنة بالخراب والله قادر على ما يشاء فصل
ومن اشد الظلامات واعظمها افسادا للعمران تكليف الاعمال وتسخير
الرعايا بغير حق وذلك ان الاعمال من قبيل المتمولات لما سنبين
في باب الرزق ان الكسب والرزق انما هو قيم اعمال اهل العمران فاذا
مساعيهم واعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم بل لا مكاسب لهم سواها
فان الرعية المعتملين في العمارة انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمالهم
ذلك فاذا كلفوا العمل في غير شانهم واتخذوا سخريا في غير معاشهم بطل
كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم فدخل عليهم الضرر
وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك
عليهم افسد امالهم في العمارة وقعدوا عن السعي فيها جملة فادى ذلك
الى انتقاض العمران وتخريبه والله يرزق من يشاء بغير حساب فصل
واعظم من ذلك في الظلم وافسد للعمران والدولة التسلط على اموال
الناس في شراء ما بين ايديهم بابخس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بارفع
الاثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع وربما تفرض عليهم
تلك الاثمان على التراخي والتاجيل فيتعللون في الخسارة التي
تلحقهم بما تحدثهم به المطامع من جبر ذلك بحوالة الاسواق في تلك
البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء ثم يطالبون بتلك الاثمان معجلة
فيضطرون الى بيعها بابخس الثمن وتعود خسارة ما بين الصفقتين
على رؤس اموالهم وقد يعم ذلك اصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين
من الافاق في البضائع وسائر السوقة واهل الدكاكين في المآكل
والفواكه واهل الصنائع فيما يتخذ من الالات والمواعين فتشمل
الخسارة سائر الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات وتجحف

العرض كالغرب التوقت

وتجحف برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا القعود عن الاسواق
لذهاب رؤس الاموال في جبرها بالارباح ويتثاقل الواردون من الافاق
لشراء البضائع وبيعها بسبب ذلك فتكسد الاسواق ويفسد معاش
الرعايا لان عامته من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل
معاشهم وتنقص جباية السلطان او تفسد لان معظمها من اواسط
الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويؤل
ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على
التدريج ولا يشعر به هذا فيما كان بامثال هذه الذرائع والاسباب الى
اخذ الاموال واما اخذها مجانا والعدوان على الناس في اموالهم وحرمهم
ودمائهم وابشارهم واعراضهم فهو يفضي الى الخلل والفساد دفعة
وتنتقض الدولة سريعا لما ينشا عنه من الهرج المفضي الى الانتقاض
ومن اجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع
والشراء وحظر اكل اموال الناس بالباطل سدا لابواب المفاسد المفضية
الى انتقاض العمران بالهرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك
كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال بما يعرض لهم
من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل
على القوانين المعتادة فيستحدثون القابا ووجوها يوسعون بها
الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج بسببه
يكثر والحاجة الى اموال الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يضيق
الى ان تمحي دايرتها ويذهب رسمها ويغلبها طالبها والله مقدر الامور
لا رب غيره فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم
عند الهرم اعلم ان الدول في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك
كما قدمناه لانها لا بد لها من العصبية التي بها يتم امرها ويحصل
استيلاؤها والبداوة هي شعار العصبية فالدولة ان كان قيامها
بالدين فهو بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط
فالبداوة التي بها يحصل الغلب بعيدة ايضا عن منازع الملك و
مذاهبه فاذا كانت الدولة في اول امرها بدوية كان صاحبها على حال

يختلف ويذهب بالفاقة
الفقرة
الوليجة الدخيلة وخاصتك من الرجال
او من تتخذه معتمدا عليه من اهلك

الغضاضة والبداوة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ
عزه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس
للحديث مع اوليائه فى خواص شؤونه لما يكثر حينئذ من غاشيته فيطلب
الانفراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن ببابه على من لا بد منه
من اوليائه واهل دولته ويتخذ حاجبا له عن الناس يقيمه ببابه
لهذه الوظيفة ثم اذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت
خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهى خلق غريبة مخصوصة يحتاج
مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم
بعض من يباشرهم فوقع فيما لا يرضيهم فسخطوه وصاروا الى حالة الانتقام
منه فانفرد بمعرفة هذه الاداب معهم الخواص من اوليائهم وحجبوا غير اولئك
الخاصة عن لقائهم فى كل وقت حفظا على انفسهم من معاينة ما يسخطهم
وعلى الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب اخر اخص من الحجاب
الاول يفضى اليهم منه خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من سواهم
والحجاب الثانى يفضى الى مجالس الاولياء ويحجب دونه من العامة فالحجاب من سواهم
الاول يكون فى اول الدولة كما ذكرنا كما حدث ايام معويه وعبد الملك
وخلفاء بنى اميه وكان القايم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب
جريا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بنى العباس
وحدث للدولة من الترف والعز ما هو معروف وكملت خلق الملك
على ما يجب فيها فدعى ذلك الى الحجاب الثانى وصار اسم الحاجب اخص
به وصار بباب الخلفاء داران للغاشية دار للخاصة ودار للعامه
كما هو مسطور فى اخبارهم ثم حدث فى الدول حجاب ثالث اخص من
الاولين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدوله وذلك ان اهل
الدولة وخواص الملك اذا نصبوا الابناء من الاعقاب وحاولوا
الاستبداد عليهم فاول ما يبدأ به ذلك المستبد ان يحجب عنه
بطانة ابيه وخواص اوليائه يوهمه ان فى مباشرتهم اياه خرق حجاب
الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك عنه لقاء الغير ويعوده
ملابسة اخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلاء

عليه فيكون هذا الحجاب من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع فى الغالب
الا اواخر الدول كما قدمناه فى الحجر ويكون دليلا على هرم الدوله ونفاد
قوتها وهو مما يخشاه اهل الدول على انفسهم لان القايمين بالدوله
يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدوله وذهاب الاستبداد
من اعقاب ملوكها لما ركب فى النفوس من محبة الاستبداد بالملك
وخصوصا مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومباديه والله غالب
على امره

فصل فى انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم ان اول
ما يقع من اثار الهرم فى الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما
يستفحل ويبلغ احوال الترف والنعيم الى غايتها ويستبد صاحب الدولة
بالمجد وينفرد به يانف حينئذ من المشاركة ويصير الى قطع اسبابها
ما استطاع باهلاك من استراب به من ذوى قرابته المرشحين لمنصبه
فربما ارتاب المساهمون له فى ذلك بانفسهم ونزعوا الى القاصية
واجتمع اليهم من يلحق بهم فى مثل حالهم من الاغترار والاسترابة و
يكون نطاق الدولة قد اخذ فى التضايق ورجع عن القاصية
فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال امره يعظم بتراجع نطاق
الدولة حتى يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك فى الدولة الاسلامية
العربية حين كان امرها عزيزا مجتمعا ونطاقها ممتدا فى الاتساع وعصبية
بنى عبد مناف واحدة غالبة على ساير مضر فلم ينبض عرق من الخلاف
ساير ايامهم الا ما كان من نزعة الخوارج المستميتين فى شان بدعتهم
لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لمزاحمتهم العصبية
القوية ثم لما خرج الامر من بنى امية واستقل بنو العباس بالامر وكانت
الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف وآذنت بالتقلص
عن القاصية نزع عبد الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام
فاستحدث بها ملكا واقتطعها عن دعوتهم وصير الدولة دولتين
ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج به وقام بامره وامر ابنه من بعده
البرابرة من اوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين
ثم ازدادت الدولة تقلصا فاضطرب الاغالبة فى الامتناع عليهم

عليهم ثم خرج الشيعة وقام بامرهم كتامة وصنهاجة واستولوا على
افريقيه والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الادارسة وقسموا
الدوله دولتين اخريين وصارت الدوله العربيه ثلاث دول دولة
بنى العباس بمركز العرب واصلهم ومادة الاسلام ودولة بنى اميه
المجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة العبيديين
بافريقيه ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدول الى ان كان انقراضها
متقاربا او جميعا وكذلك انقسمت دوله بنى العباس بدول اخرى
فكان بالقاصية بنو سامان فيما وراء النهر وخراسان والعلوية
فى الديلم وطبرستان وال ذلك الى استيلاء الديلم على فارس والعراقين
وعلى بغداد والخلفا ثم جاء السلجوقية فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم
ايضا بعد الاستفحال كما هو معروف فى اخبارهم وكذلك اعتبره فى دولة
صنهاجه بالمغرب وافريقيه لما بلغت الى غايتها ايام باديس بن المنصور
خرج عليه عمه حماد واقتطع ممالك الغرب لنفسه ما بين جبل اوراس
الى تلمسان وملويه واختط القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلها
واستولى على مركزهم اشير بجبل تيطرى واستحدث ملكا اخر قسيما للملك
الملك الباديس وبقى آل باديس بالقيروان وما اليها ولم يزل ذلك
الى ان انقرض امرهما جميعا وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار
بافريقية بنو ابى حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لاعقابهم بنواحيها
ثم لما استفحل امرهم واستولى على الغاية خرج بالممالك الغربية
من اعقابهم الامير ابو زكريا يحيى ابن السلطان ابى اسحق ابراهيم رابع
خلفائهم واستحدث ملكا ببجاية وقسنطينة وما اليها اورثه
بنيه وقسموا به الدولة قسمين ثم استولوا على كرسى الحضرة بتونس
ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهى
الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة فى غير اعياص الملك من قومه
كما وقع فى ملوك العجم بالمشرق وفى ملك صنهاجة بافريقيه فقد كان
لاخر دولتهم فى كل حصن من حصون افريقيه ثاير مستقل بامره
كما نذكره وكذا حال الجريد والزاب من افريقيه قبيل هذا العهد كما

فكان بالجزيرة والموصل بنو حمدان وبنو عقيل بعدهم وبمصر والشام بنو طولون وبنو طغج بعدهم صح

ميورقة ط

الطوائف بالاندلس وملوك صح

كما نذكره ايضا وهكذا شان كل دولة لابد وان يعرض فيها عوارض
الهرم بالترف والدعة وتقلص ظل الغلب فيقتسم اعياصها او من يغلب
من رجال دولتها الامر وتتعدد فيها الدول والله وارث الارض ومن
عليها **فصل فى ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع**
قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم واسبابه واحدا بعد واحد
وبينا انها تحدث للدولة بالطبع وانها كلها امور طبيعيه لها واذا كان
الهرم طبيعيا فى الدوله كان حدوثه بمثابة حدوث الامور الطبيعية
كما يحدث الهرم فى المزاج الحيوانى والهرم من الامراض المزمنة التى لا يمكن
دواؤها ولا ارتفاعها لما انه طبيعى والامور الطبيعيه لا تتبدل وقد
يتنبه كثير من اهل الدولة ممن له يقظة فى السياسة فيرى ما نزل بدولتهم
من عوارض الهرم واسبابه ويحسبه ممكن الارتفاع فياخذ نفسه بتلافى
الدولة واصلاح مزاجها من ذلك الهرم ويظن انه لحقها لتقصير من
قبله من اهل الدوله وغفلتهم وليس كذلك فانها امور طبيعيه
للدولة والعوايد هى المانعة له من تلافيها والعوايد تنزل منزلة طبيعة
اخرى فان من ادرك مثلا اباه واكبر اهل بيته يلبسون الحرير والديباج
ويتحلون بالذهب فى السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس فى المجالس
والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه فى ذلك الى الخشونة فى اللباس
والزى والاختلاط بالناس اذ العوايد حينئذ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه
ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس فى الخروج عن العوايد دفعة
وخشى عليه عايدة ذلك وعاقبته فى سلطانه وانظر شان الانبياء
فى انكار العوايد ومخالفتها لولا التاييد الالهى والنصر السماوى وربما
تكون العصبيه قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها من
النفوس فاذا ازيلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا
على الدولة بذهاب اوهام الابهة فتتدرع الدولة بتلك الابهة ما
امكنها حتى ينقضى الامر وربما تحدث عند اخر الدولة قوة توهم ان الهرم
قد ارتفع عنها ويومض ذبالها ايماضة الخمود كما يقع فى الذبال المشتعل
فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضة توهم انها اشتعال وهى انطفاء

فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر
فيه ولكل اجل كتاب

فصل في كيفية طروق الخلل للدول

اعلم ان مبنى الملك على اساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصبية
وهو المعبر عنه بالجند والثاني المال الذي هو قوام اولئك الجند
واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا طرق الدولة
طرقها من هذين الاساسين فلنذكر اولا طروق الخلل في الشوكة و
العصبية ثم نرجع الى طروقه في المال والجباية واعلم ان تمهيد الدولة
وتاسيسها كما قلناه انما يكون بالعصبية وانه لا بد من عصبية كبرى
جامعة للعصائب مستتبعة لها وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة به
من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت للدولة طبيعة الملك من الترف
وجدع انوف اهل العصبية كان اول ما يجدع انوف عشيره وذوي
قرباه المقاسمين له في اسم الملك فيشتد في جدع انوفهم بابلغ من
سواهم ويأخذهم الترف ايضا اكثر من سواهم لمكانهم من الملك والعز
والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخرا
الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر
فتنقلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة
وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقلون
وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم وهي العصبية الكبرى التي كانت
تجمع بها العصائب ويستتبعها فتنحل عروتها وتضعف شكيمتها ويستبدل
منها بالبطانة من موالي النعمة وصنائع الاحسان ويتخذ منهم عصبية الا انها
ليست مثل تلك في شدة الشكيمة لفقدان الرحم والقرابة منها وقد كنا
قدمنا ان شأن العصبية وقوتها انما هي بالقرابة والرحم لما جعل الله في ذلك
فينفرد صاحب الدولة عن العشير والانصار اهل النعرة الطبيعية و
يحس بذلك اهل العصائب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته
تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا
بعد واحد ويقلد الآخر من اهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون
قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا فيستولي عليهم الهلاك بالترف

بالترف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينسوا نعرتها
وسورتها ويصيروا اجراء على الحماية ويقلون لذلك فتقل الحامية
التي تنزل بالاطراف والثغور فيتجاسر الرعايا على نقض الدعوة في الاطراف
وتبادر الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى تلك الاطراف لما
يرجون حينئذ من حصول غرضهم بمتابعة اهل القاصية لهم وامنهم
من وصول الحامية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضايق
حتى تصير الخوارج في اقرب الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة
عند ذلك بدولتين او ثلاث على قدر قوتها في الاصل كما قلناه ويقوم
بامرها غير اهل عصبيتها لكن اذعانا لاهل عصبيتها ولغلبهم المعهود
واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت اولا الى الاندلس والهند
والصين وكان امر بني امية نافذا في جميع العرب بعصبية عبد مناف
حتى لقد امر سليمان ابن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى
بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد امره ثم تلاشت عصبية بني امية بما
اصابهم من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من اعنة بني هاشم
وقتلوا الطالبيين وشردوهم فانحلت عصبية بني عبد مناف وتلاشت
وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية مثل بني الاغلب بافريقية
واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب
وقام البربر بامرهم اذعانا للعصبية التي لهم وامنا ان يصلهم مقاتلة
او حامية للدولة فاذا خرج الدعاة آخرا فيتغلبون على الاطراف والقاصية
وتحصل لهم هنالك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك
متى زادت الدولة تقلصا الى ان تنتهي الى المركز وتضعف البطانة بعد
ذلك بما اخذ منها الترف فتهلك وتضمحل وتضعف الدولة المنقسمة
كلها وربما طال امدها بعد ذلك فتستغني عن العصبية بما حصل
لها من الصبغة في نفوس اهل ايالتها وهي صبغة الانقياد والتسليم
منذ السنين الطويلة التي لا يعقل احد من الاجيال مبداها ولا
اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فتستغني بذلك
عن قوة العصائب ويكفي صاحبها في تمهيد امرها الاجراء على الحماية

من جندى ومرتزق ويعضد ذلك ما وقر فى النفوس عامة من التسليم
فلا يكاد احد ان يتصور عصيانا او خروجا الا والجمهور منكرون
عليه مخالفون له فلا يقدر على التصدى لذلك ولو جهد جهده
وربما كانت الدوله فى هذا الحال اسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام
صبغه التسليم والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بالمخالفة ولا
يختلج فى ضميرها انحراف عن الطاعة فتكون اسلم من الهرج والانتقاض
الذى يحدث بالعصايب والعشاير ثم لا يزال امر الدوله كذلك
وهى تتلاشى فى ذاتها شان الحرارت الغريزيه فى البدن العادم للغذاء
الى ان تنتهى الى وقتها المقدور ولكل اجل كتاب ولكل دولة امد
والله مقدر الليل والنهار واما الخلل الذى يطرق من جهة المال
فاعلم ان الدوله فى اولها تكون بدوية كما مر فيكون لها خلق الرفق
بالرعايا والقصد فى النفقات والتعفف عن الاموال فتتجافا عن
الامعان فى الجبايه والتحذلق والكيس فى جمع المال وحسبان العمال
ولا داعية حينيذ الى الاسراف فى النفقة فلا تحتاج الدوله الى
كثير المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستفحل الملك ويدعو الى الترف
ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان واهل الدوله على
على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ويدعو ذلك الى الزياده فى
اعطياته الجند وارزاق اهل الدوله ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف
فى النفقات وينتشر ذلك فى الرعيه لان الناس على دين الدولة
وعوايدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على اثمان البياعات
فى الاسواق لادرار الجبايه لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم
بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وارزاق جنده
ثم تزيد عوايد الترف فلا تفى بها المكوس وتكون الدوله قد
استفحلت فى الاستطالة والقهر لمن تحت يدها من الرعايا فتمتد
ايديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او تعد
فى بعض الاحوال بشبهة او بغير شبهة ويكون الجند فى ذلك الطور
قد تجاسروا على الدولة بما لحقها من الفشل والهرم فى العصبية فيتوقع

فيتوقع ذلك منهم ويداوى بسكينه باقامة العطاء وكثرة الانفاق
فيهم ولا يجد عن ذلك وليجة وتكون جباة الاموال فى الدولة قد
عظمت ثروتهم فى هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وبما
اتسع لذلك من جاههم فتتوجه التهم اليهم باحتجان الاموال
من الجبايه وتفشو السعاية فيهم بعضهم من بعض للمنافسة والحسد
فتعمهم النكبات والمصادرات واحدا بعد واحد الى ان تذهب ثروتهم
وتتلاشى احوالهم ويفقد ما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا
اصطلمت نعمهم تجاوزتهم الدوله الى اهل الثروه من الرعايا سواهم
ويكون الوهن فى هذا الطور قد لحق الشوكة وضعفت عن الاستطالة
والقهر فتنصرف سياسة صاحب الدوله حينيذ الى مداواة الامور
ببذل المال ويراه انفع من السيف لقلة غنائه فتعظم حاجته الى الاموال
زيادة على النفقات وارزاق الجند ولا تغنى فيما يريد ويعظم الهرم
بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحى والدول فتنحل عراها فى كل طور
من هذه الى ان تفضى الى الهلاك وتتعرض لاستيلاء الطلاب فان
قصدها طالب انتزعها من ايدى القايمين بها والا بقيت وهى
تتلاشى الى ان تضمحل كالذبال فى السراج اذا فنى زيته وطفى والله مالك
الامور ومدبر الاكوان لا اله غيره **فصل فى حدوث الدول
وتجددها كيف يقع** اعلم ان نشاة الدول وبدايتها اذا اخذت الدولة
المستقرة فى الهرم والانتقاض يكون على نوعين اما بان تستبد ولاة
الاعمال فى الدولة بالقاصية عند ما يتقلص ظلها عنهم فيكون لكل واحد
منهم دولة يستجدها لقومه وملك يستقر فى نصابه ويرثه عنه ابناوه
او مواليه ويستفحل لهم الملك بالتدريج وربما يزدحمون على ذلك
الملك ويتقارعون عليه ويتنازعون فى الاستيثار به ويغلب منهم
من يكون له فضل قوة على صاحبه وينتزع ما فى يده وهذا كما وقع فى
دولة بنى العباس حين اخذت دولتهم فى الهرم وتقلص ظلها عن القاصية فاستبد
بنو سامان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام وابن طولون بمصر
وكما وقع فى الدولة الاموية بالاندلس وافترق ملكها فى الطوايف

الذين كانوا ولاتها في الاعمال وصارت دولا وملوكا اورثوها
من بعدهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم
مستقرون في رياستهم وملكهم وانما الدولة المستقرة عجزت عنهم
وتقلص ظلها والنوع الثاني بان يخرج على الدولة المستقرة خارج
ممن يجاورها من الامم اما بدعوة يحمل عليها الناس كما اشرنا اليه
او بان يكون كبير قوم اولي شوكة وعصبية استفحل امره فيهم فيسمو بهم
الى الملك عندما يحسون هرم الدولة المستقرة فيتعين هو وقومه للاستيلاء
عليها

فصل في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة

قد ذكرنا ان الدول
الحادثة نوعان نوع من عمال الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر
تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر لان قصاراهم
القنوع بما في ايديهم وهي نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة و
الخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها
فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال وتتصل الى ان
يقع لهم الاستيلاء بالمطاولة ولا يحصل لهم ظفر بالمناجزة في الغالب
والسبب في ذلك ان الظفر في الحروب انما يقع في الاكثر كما قدمناه
بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال
كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان
الخداع من انفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع به الظفر وفي الحديث
الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المالوفة طاعتها
ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب
الدولة المستجدة ويكسر من همم اتباعه واهل شوكته وان كان اهل
بطانته على بصيرة في طاعته وموازرته الا ان الاخرين الاكثر قد
داخلهم الفشل والكسل بتلك العقايد فيحصل بعض الفتور ولا يكاد
صاحب الدولة المستجدة يقاوم الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر
والمطاولة حتى يتبين هرم الدولة المستقرة فتضمحل تلك العقايد
من قومه وتتقوى هممهم على صدق المطالبة معه فيقع الظفر وايضا

هكذا وجدنا في نسخة بخط التقطري وفيها مخالفة بغيرها من النسخ كما ترى

نجا ابو المعوث عليه

فصل في ان الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمناجزة

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاة الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك ووافٍ به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تتكرر وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطاولة ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك ان الظفر في الحروب انما يقع غالبا كما قدمناه بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع من انفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المالوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكسر من همم اتباعه واهل شوكته وان كان الاقربون من بطانته على بصيرة في طاعته وموازرته الا ان الاخرين وهم الاكثر قد داخلهم الفشل والكسل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل الفتور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة لذلك يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاولة حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فتضمحل عقائد التسليم لها من قومه وتنبعث منهم الهمم لصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضا فالدولة المستقرة كثيرة الترف لما استحكم لهم من الملك وتوسعوا من النعم واللذات واختصوا به دون غيرهم من اموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول والسلاح وتعظم فيهم الابهة الملكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختيارا واضطرارا فيرهبون بذلك كله عدوهم واهل الدولة المستجدة بمعزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة واحوال الفقر والخصاصة التي يعتقد معها الاستعداد فيسبق الى قلوبهم اوهام الرعب لما يبلغهم من احوال الدولة المستقرة وكثرة استعدادها ويحجمون عن قتالهم من اجل ذلك فيضطر اميرهم الى المطاولة حتى تاخذ الدولة المستقرة ماخذها من الهرم ويستحكم الخلل فيها في العصبية والجباية فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عباده وايضا فاهل الدولة المستجدة كلهم مباينون لاهل الدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم مفاخرون لهم ومنابذون بما وقع من هذه المطالبة ويطمعون في الاستيلاء عليهم فتتمكن المباعدة بين اهل الدولتين سرا وجهرا ولا يصل الى اهل الدولة المستجدة خبر عن اهل الدولة المستقرة يصيبون منه غرة فيهم باطنا وظاهرا لانقطاع المواصلة المداخلة بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في احجام ويكولون عن المناجزة حتى ياذن الله بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور الخلل في جميع جهاتها واتضح لاهل الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى عنهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من اعمالها ونقصوه من اطرافها فتنبعث هممهم يدا واحدة للمناجزة ويذهب ما كان ينبت في عزائمهم من التوهمات وتنتهي المطاولة الى حدها ويقع الاستيلاء اخرا بالمناجزة واعتبر ذلك في دولة بني العباس عند ظهورها وبدايتها كيف اقام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنين او تزيد وحينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى امر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقين فمكثوا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصبهان وفارس ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون اقام داعيهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي بين كتامة من قبائل البربر عشر سنين وتزيد يطاول ابناء الاغالبة بافريقية حتى ظفر بهم واستولوا على المغرب كله ثم سموا الى ملك مصر فمكثوا ثلاثين سنة او نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ويجيء المدد لمدافعتهم برا وبحرا من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والفيوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طغج من اصولها واختط القاهرة فجاء خليفته بعد المعز لدين الله فنزلها لستين سنة او نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني سامان واجازوا من وراء النهر مكثوا نحوا من ثلاثين سنة يطاولون بني سبكتكين بخراسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد ايام من الدهر وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المفازة عام سبعة عشر وستمائة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد اربعين سنة وكذا اهل المغرب خرج به المرابطون من لمتونة على ملوكه من مغراوة فطاولوهم سنين حتى استولوا عليهم ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة فمكثوا نحوا من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيهم بمراكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فمكثوا يطاولونهم نحوا من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوها واعمالها من ملكهم ثم اقاموا في محاربتهم ثلاثين اخرى حتى استولوا على كرسيهم بمراكش حسبما ذلك كله مذكور في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطاولة سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تعترض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان الاستيلاء على فارس والروم لثلاث او اربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من غير مطاولة واعلم ان ذلك انما كان معجزة من معجزات نبينا صلوات الله وسلامه عليه سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبصارا بالايمان وما اوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة المعلومة في مطاولة الدول المستجدة للمستقرة واذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها

وايضاً فالدولة المستقرة كثيرة الترف بما استحكم لهم من الملك
فيكثر نعيمهم ارتباط الخيول واستجادة الاسلحة وعظم الابهة الملكية و
يفيض العطاء بينهم من ملوكهم اختياراً واضطراراً واهل الدولة المستجدة
بمعزل عن ذلك لما هم عليه من البداوة المكفيلة بالفقر والخصاصة
فيسبق الى قلوبهم اوهام الرعب بما يبلغهم من احوال اهل الدولة
المستقرة ويلحق هممهم الفشل من اجل ذلك فيعدل صاحب الدولة
المستجدة عن المناجزة ويضطر الى المطاولة حتى ياخذ لهم ماخذه
من الدولة المستقرة ويحيط الخلل بها من جميع جوانبها فيقع الاستيلاء
عليها سنة الله في خلقه وعباده وايضاً فان هذه الدولة المستجدة
كلهم مباينون لاهل الدولة المستقرة بجميع احوالهم وعوايدهم وانسابهم
وساير اعتباراتهم ثم منافرون لهم بحدوث هذه المطالبة ومنابذون
فلا يطلعون من اهل هذه الدولة على شيء ولا يصل اليهم خبر من اخبارها
يصيبون بغرة منها لانقطاع اسباب المداخلة بينهما فيمكثون السنين
العديدة في مطالبتها وهم في احجام ونكول عنها ساير اوقاتهم حتى ياذن
الله بزوال الدولة المستقرة ونفاد عمرها فيظهر ما كان مستوراً عن
اهل الدولة المستجدة من هرمها وتلاشيها وتنبعث هممهم جميعاً للمناجزة
ويذهب ما كان يفت في عزايمهم من التوهمات ويقع الاستيلاء واعتبر
ذلك في دولة بني العباس اولا عند ظهورها كيف اقام الشيعة بخر
اسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنين او تزيد
وحينئذ تم لهم الظفر وحصل الاستيلاء وكذا العلوية بطبرستان
والعبيديون بالمغرب اقام داعيتهم ابو عبد الله الشيعي بني كتامه
من قبايل البربر عشر سنين يطاول بني الاغلب ثم لما استولوا على افريقية
والمغرب وسموا الى ملك مصر مكثوا ثلثين سنة في طلبها يجهزون
اليها العساكر والاساطيل مرة بعد اخرى حينئذ حصل لهم الاستيلاء
وكذا الديلم اقاموا في طلب الملك سنين يطاولون حتى استولى
بنو بويه على بغداد وكذا السلجوقية بعدهم لما خرجوا من وراء النهر
مكثوا خمساً وعشرين او نحوها يطاولون ابن سبكتكين بخراسان حتى

وتعظم نعمهم

على الدولة الاموية

حتى ظفروا بهم و

او نحوها

ظفروا بها وبغداد بعدها واستولوا على الخليفه وكذا الططر يعني
خرجوا من المفازة اعوام سبعة عشر وستمائة فلم يستولوا على العراق
الا بعد حين من الدهر في ثلثين سنة او نحوها وما استولوا على
بغداد الا بعد اربعين سنه وكذا اهل المغرب خرج المرابطون
من لمتونة على مغراوة فطاولوهم سنين حتى ملكوا وخرج الموحدون
بدعوتهم على لمتونه فمكثوا نحوا من عشرين سنه يطاولونهم حتى
استولوا على كرسيهم بمراكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على
الموحدين فمكثوا في مطاولتهم ثلثين سنة او نحوها حتى استولوا على
فاس وثلثين اخرى حتى استولوا على كرسيهم بمراكش حسبما تراه في سائر
تواريخهم فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطاولة سنة
الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تحويلا ولا يقع في
نظرك اعتراض بما وقع لاهل الدولة الاسلاميه في الفتوحات
وكيف استولوا على فارس والروم بالمناجزة بعد ثلاث من وفاة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان ذلك انما كان معجزة من
معجزات نبينا صلوات الله عليه سرها استماتة المسلمين وما اوقع
الله من الرعب في قلوب عدوهم ولا يقع ذلك لاحد سواهم وانا تبين
بما قررناه لك ان المطاولة عادة مستقرة لا يحصل الاستيلاء بغيرها
تعلم ان المناجزة ان وقعت خارق لهذه العادة وتبين بذلك انها
من معجزات الملة الاسلاميه فصل في وفور العمران اواخر
الدوله وما يقع من كثرة الموتان والمجاعات اعلم انه قد تقرر لك فيما
سلف ان الدول في اول امرها لابد من الرفق في ملكتها والاعتدال
في ايالتها اما من الدين ان كان الدعوة دينيه او من المكارمة والمحاسنة
التي تقتضيها البداوة الطبيعيه للدول واذا كانت الملكة رفيقة
محسنة انبسطت امال الرعايا وانتشطوا للعمران واسبابه فتوفر
وكثر التناسل واذا كان ذلك كله بالتدريج فانما يظهر اثره بعد جيل
او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة على نهاية عمرها
الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقولن انه

قد مر لك ان اواخر الدول يكون فيها الاجحاف بالرعايا وسوء الملكة فذلك
صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجحاف وان حدث حينئذ وقلت الجبايات
فانما يظهر اثره في تناقص العمران بعد حين من اجل التدريج في الامور الطبيعيه
ثم ان المجاعات والموتان يكثر عند ذلك في اواخر الدول والسبب فيه
اما المجاعات فلقبض الناس ايديهم عن الفلح في الاكثر بسبب ما يقع في
اواخر الدول من العدوان في الاموال والجبايات او الفتن الواقعة — وفي الجبايات بالمكوس
من انتقاض الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدوله فيقل احتكار الزرع غالبا
وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة
فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف
ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبته الا ان الناس واثقون
في اقواتهم بالاحتكار فاذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات
فغلا الزرع وعجز عنه اولو الخصاصة فهلكوا وكان بعض السنوات
والاحتكار مفقود فشمل الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب
من كثرة المجاعات كما ذكرناه او كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر
الهرج والقتل او وقوع الوباء وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران
لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء
وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسري الفساد الى مزاجه
فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وامراضها
مخصوصة بالرئة وان كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن
به ويتضاعف فتكثر الحميات في الامزجة وتمرض الابدان وتهلك وسبب
كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره اخر الدولة — الفاسدة
بما كان في اوائلها من حسن الملكة ورفقها وعظم الحمايه وقلة المغرم
وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه في الحكمة ان تخلل الخلاء والقفر بين
العمران ضروري ليكون تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من
الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح ولهذا
ايضا فان الموتان يكون في المدن الموفورة العمران اكثر من غيرها بكثير
كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله يقدر ما يشاء فصل في ان العمران

البشري لابدّ له من سياسة ينتظم بها امره انه قد تقدم لنا
في غير موضع ان الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي
نتكلم فيه وانه لابد لهم في الاجتماع من وازع وحاكم يرجعون اليه و
حكمه فيهم تارة يكون مستندًا الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم
اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة
الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب
ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا
والاخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاته نجاة العباد في
الاخرة والثانية انما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسمعه من
السياسة المدنيه فليس من هذا الباب وانما معناه عند الحكما ما يجب
ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه
حتى يستغنوا عن الحكام راسًا ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما ينبغي
من ذلك بالمدينه الفاضلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة
المدنيه وليس مرادهم السياسه التي يحمل عليها اهل الاجتماع بالاحكام
للمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدينه الفاضلة عندهم
نادرة او بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير
ثم ان السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين احدهما
تراعا فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه
على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على وجه الحكمة وقد
اغنانا الله عنها في الملة ولعهد الخلافة لان احكام الشريعة مغنيه
عنها في المصالح العامه والخاصه والاداب واحكام الملك مندرجة
فيها الوجه الثاني ان تراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم
له الملك مع القهر والاستطاله وتكون المصالح العامه في هذه تبعًا
وهذه السياسه هي التي لساير الملوك في العالم من مسلم وكافر الا ان
ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب
جهدهم فقوانينها اذن مجتمعة من احكام شرعيه واداب خلقيه وقوانين
في الاجتماع طبيعيه واشياء من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية والاقتدا

المرعية

والاقتداء فيها بالشرع اولًا ثم بالحكماء في ادابهم والملوك في سيرهم ومن
احسن ما كتب في ذلك واوعبه كتاب طاهر ابن الحسين قايد المامون
لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المامون الرقه ومصر وما بينهما فكتب
اليه ابوه طاهر كتابه المشهور عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج
اليه في دولته وسلطانه من الاداب الدينيه والخلقيه والسياسات
الشرعيه والملوكيه وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى
عنه ملك ولا سوقه ونص الكتاب منقولًا من كتاب الطبري

كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فعليك بتقوى الله وحده
لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلة سخطه واحفظ رعيتك
في الليل والنهار والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما انت
صاير اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله
عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه واليم عذابه فان الله سبحانه
قد احسن اليك واوجب عليك الرافة بمن استرعاك امرهم من عباده
والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع
عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والامن لسبلهم وادخال الراحة
عليهم ومواخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك
عليه بما قدمت واخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك
عنه شاغل فانه راس امرك وملاك شانك واول ما يوفقك الله عز وجل به
لرشدك وليكن اول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعالك المواظبة على
ما افترض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس
قبلك وعلى سننها في اسباغ الوضوء وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل
في قراتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك
نيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها
فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالاخذ
بسنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمثابرة على خلايقه
واقتفاء اثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن
عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما انزل الله عز وجل

فى كتابه من امره ونهيه وحلاله وحرامه وايتمام ما جاءت به الاثار
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق لله عز وجل
عليك ولا تميلن عن العدل فيما احببت او كرهت لقريب من الناس او بعيد
وآثر الفقه واهله والدين وحملته وكتاب الله عز وجل والعاملين به
فان افضل ما يتزين به المرء الفقه فى دين الله والطلب له والحث عليه
والمعرفة بما يتقرب به منه الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله
والقايد اليه والآمر به والناهى عن المعاصى والموبقات كلها وبها مع
توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالا له ودركا للدرجات
العلى فى المعاد مع ما فى ظهوره للناس من التوقير لامرك والهيبة لسلطانك
والانسة بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد فى الامور كلها فليس
شىء ابين نفعا ولا احضر امنا ولا اجمع فضلا منه والقصد داعية الى
الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قايد الى السعادة وقوام
الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره فى دنياك كلها ولا تقصر
فى طلب الاخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد
ولا غاية للاستكثار فى البر والسعى له اذا كان يطلب به وجه الله
تعالى ومرضاته ومرافقة اولياء الله فى دار كرامته واعلم ان القصد
فى الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك
ومرتبتك ولا تستصلح امورك بافضل منه فأته واهتد به تتم
امورك وتزيد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك واحسن
ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه فى
الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن احدا من الناس فيما
توليه من عملك قبل ان تكشف امره فان ايقاع التهم بالبرآء والظنون
السيئة بهم مأثم فاجعل من شانك حسن الظن باصحابك واطرد عنك
سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم
ولا يجدن عدو الله الشيطان فى امرك مغمزا فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك
فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ما ينغص لذاذة عيشك واعلم
انك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به ما احببت كفايته من امورك

امورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة فى الامور كلها
ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرأفة برعيتك ان تستعمل المسئلة
والبحث عن امورك والمباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية والنظر
فيما يقيمها ويصلحها بل لتكن المباشرة لامور الاولياء والحياطة للرعية
والنظر فى حوائجهم وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم
للدين واحيا للسنة واخلص نيتك فى جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك
تفرد من يعلم انه مسئول عما صنع ومجزى بما احسن ومأخوذ بما اساء
فان الله عز وجل جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فاسلك
بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى واقم حدود الله تعالى
فى اصحاب الجرايم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون
فيه ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان فى تفريطك فى ذلك ما يفسد
عليك حسن ظنك واعزم على امرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب
البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروتك واذا عاهدت
عهدا فاوف به واذا وعدت الخير فانجزه واقبل الحسنة وادفع
بها واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول
الكذب والزور وابغض اهل النميمة فان اول فساد امورك فى عاجلها وآجلها
تقريب الكذوب والجرأة على الكذب لان الكذب رأس المآثم والزور و
النميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب
ولا يستقيم لطيعها امر واحبب اهل الصلاح والصدق واعز الاشراف
بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى
واعزاز امره والتمس فيه ثوابه والدار الاخرة واجتنب سوء الاهواء والجور
واصرف عنهما رأيك واظهر براءتك من ذلك لرعيتك وانعم بالعدل
سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى
واملك نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة
والطيش والغرور فيما انت بسبيله واياك ان تقول انا مسلط
افعل ما اشاء فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأى وقلة اليقين بالله
وحده لا شريك له واخلص لله النية فيه واليقين به واعلم ان الملك لله

يوتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن يجد تغيير النعمة وحلول النقمة
الى احد اسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط
لهم فى الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه واستطالوا بما اتاهم الله
عز وجل من فضله فدع عنك شره نفسك ولتكن ذخايرك وكنوزك
التى تدخر وتكنز البر والتقوى والعدل واستصلاح الرعية وعمارة
بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لملهوفهم واعلم
ان الاموال اذا كثرت وذخرت فى الخزاين لا تثمر واذا كانت فى اصلاح
الرعية واعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم نمت وزكت وصلحت
العامة وتزينت به الولاة وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة
فليكن كنز خزاينك تفريق الاموال فى عمارة الاسلام واهله ووفر منه على
اوليا امير المؤمنين قبلك حقوقهم واوف رعيتك من ذلك حصصهم
وتعهد ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت النعمة
عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك
وجمع اموال رعيتك وعملك اقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك
اسلس لطاعتك واطيب نفسا بكل ما اردت فاجهد نفسك فيما حددت
لك فى هذا الباب ولتعظم خشيتك فيه فانما يبقى من المال ما انفق فى سبيل الله
بحقه واعرف للشاكرين شكرهم واثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغرورها
هول الاخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث
البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه
قد اسبغ عليك نعمته فى الدنيا واظهر لديك فضله فاعتصم بالشكر
وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يثيب بقدر
شكر الشاكرين وسيرة المحسنين وقضى الحق فيما حمل من النعم والبس
من الكرامة ولا تحقرن ذنبا ولا تمالين حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا
تصلن كفورا ولا تداهنن عدوا ولا تصدقن نماما ولا تامنن غدارا
ولا توالين فاسقا ولا تتبعن غاويا ولا تحمدن مراءيا ولا تحقرن انسانا
ولا تردن سايلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن
موعدا ولا تزهون فخرا ولا تظهرن غضبا ولا تاتين بذخا ولا تمشين مرحا

مرحا ولا تركبن سفيها ولا تفرطن فى طلب الاخرة ولا تدفع الايام عتابا
ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه او محاباة ولا تطلبن ثواب الاخرة
بالدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن
اهل التجارب وذوى العقل والراى والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك
اهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم اكثر من نفعهم
وليس شى اسرع فسادا لما استقبلت فيه امر رعيتك من الشح واعلم
انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك
لم يستقم لك امرك الا قليلا فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف
عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفا لك من اوليايك بالافضال
عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشح واعلم انه اول ما عصى به
الانسان ربه وان العاصى بمنزلة خزى وهو قول الله عز وجل ومن
يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فسهل طريق الجود بالحق و
اجعل للمسلمين كلهم من فيئك حظا ونصيبا وايقن ان الجود من
افضل اعمال العباد فاعدده لنفسك خلقا وسهل طريق الجود بالحق
وارض به عملا ومذهبا وتفقد الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وادر
عليهم ارزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم ليذهب الله بذلك
فاقتهم فيقوى لك امرهم وتزيد به قلوبهم فى طاعتك وامرك خلوصا
وانشراحا وحسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على جنده
ورعيته ذا رحمة فى عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته
وبره وتوسعته فزايل مكروه احدى البابين باستشعار فضيلة
الباب الاخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى نجاحا وفلاحا
وصلاحا واعلم ان القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس به
شى من الامور لانه ميزان الله الذى تعتدل عليه احوال الناس فى الارض
وباقامة الفضل والعدل فى القضاء والعمل تصلح احوال الرعية
وتامن السبيل وينتصف المظلوم وياخذ الناس حقوقهم
وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية
والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرايع على مجاريها

بتحرّي الحق والعدل فى القضاء واشتدّ فى امر الله عز وجل وتورّع
عن النطف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد عن الضجر
والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك واشدد فى
منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ فى الحجة ولا تأخذك
فى احد من رعيتك محاباة ولا مجاملة ولا لومة لائم وتثبت وتأنّ
وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع
الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعنّ الى سفك دم فان الدماء
من الله عز وجل بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج
الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزًّا ورفعةً ولاهله
توسعةً ومنعةً ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معاهديهم
ذلًّا وصغارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم
فيه ولا ترفعن منه شيا عن شريف لشرفه ولا عن غنى لغناه ولا عن
كاتب لك ولا عن احد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق
الاحتمال ولا تكلفن امرًا فيه شطط واحمل الناس كلهم على مُرِّ الحق
فان ذلك اجمع لالفتهم والزم لرضى العامة واعلم انك جعلت بولايتك
خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى اهل عملك رعيتك لانك
راعيهم وقيمهم فخذ منهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه فى قوام امرهم
وصلاحهم وتقويم اودهم واستعمل عليهم ذوى الراى والتدبير
والتجربة والخبرة بالعلم والعمل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم
فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند
اليك ولا يشغلنك عنه شاغل ولا يصرفنك عنه صارف فانك
متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك
وحسن الاحدوثة فى عملك واحترزت به المحبة من رعيتك واعنت
على الصلاح فدرّت الخيرات ببلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر
الخصب فى كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك
على ارتياض جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك
وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى

نطف فلان قذفه بفجور

ونعم ما قيل الانسان من الشعر ... ورق الشجر فاذا مات فقد فات

فى امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس فى هذا ولا تقدم
عليه شيئا تجد مغبّة امرك ان شاء الله تعالى واجعل فى كل كورة
من عملك امينا يخبرك اخبار عمالك ويكتب اليك بسيرهم واعمالهم
حتى كانك مع كل عامل فى عمله معاين لاموره كلها واذا اردت
ان تأمرهم بامر فانظر فى عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة
والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فامضه
والا فتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته
فانه ربما نظر الرجل فى امر من امره وقد اتاه على ما يهوى فاغواه
ذلك واعجبه فان لم ينظر فى عواقبه اهلكه ونقض عليه امره
فاستعمل الحزم فى كل ما اردت وباشره بعد عون الله بالقوة واكثر
من استخارة ربك فى جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره
واكثر مباشرته بنفسك فان لغدٍ امورا وحوادث تلهيك عن عمل
يومك الذى اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا اخرت
عمله اجتمع عليك عمل يومين فيثقلك ذلك حتى تمرض منه واذا امضيت
لكل يوم عمله ارحت بدنك ونفسك واحكمت امور سلطانك وانظر
احرار الناس وذوى السن منهم ممن تستيقن صفا طويتهم وشهدت
مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم
واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة
فاحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسًّا وافرد نفسك
للنظر فى امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك
والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه اخفى مسئلة ووكل
بامثاله اهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم
اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوى الباساء
ويتاماهم واراملهم واجعل لهم ارزاقا من بيت المال اقتداء بامير
المؤمنين اعزه الله فى العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك
عيشهم ويرزقك به بركةً وزيادةً واجرِ للاضراء من بيت المال
وقدّم حملة القرآن منهم والحافظين لاكثره فى الجراية على غيرهم

تعجب اعتباره

وانصب لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم واطباء
يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف في
بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقوقهم وافضل امانيهم
لم يرضهم ذلك ولم تطب انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم
طمعا في نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما يبرم المتصفح لامور
الناس لكثرة ما يرد عليه ويشتغل ذهنه وفكره منها ما تناله به
مؤونة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن اموره في
العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقبل ما يقربه الى الله تعالى
ويلتمس رحمته فاكثر الاذن للناس عليك وابرز لهم وجهك وسكن لهم
حراسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم بشرك ولن لهم في المسئلة
والنطق واعطف بجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة
وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجر من غير تكدير ولا امتنان فان
العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى
من امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرياسة
في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بامر الله
سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة
دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز
وجل واعرف ما يجمع عمالك من الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما
ولا تنفق اسرافا واكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم
وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور ومعاليها
وليكن اكرم دخلائك عليك وخاصتك عليك من اذا راى عيبا
فيك فلا تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في سر واعلامك بما فيه
من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر
عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم
وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج
عمالك وامور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك
سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما

فما كان موافقا للحق والحزم فامضه واستخر الله عز وجل فيه وما
كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسئلة عنه ولا تمتن
على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من احد
الا الوفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضعن المعروف
الا على ذلك وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه والعمل به واستعن
بالله على جميع امورك واستخره فان الله عز وجل مع الصلاح واهله
وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضى
ولدينه نظاما ولاهله عزا وتمكينا وللذمة عدلا وصلاحا وانا
اسال الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك
والسلام وحدث الاخباريون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره
اعجب به الناس واتصل بالمامون ولما قرئ عليه قال ما ابقى ابو
الطيب يعني طاهرا شيئا من امر الدنيا والدين والتدبير والراي
والسياسة واصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة
الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه واوصى به ثم امر المامون
فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه
هذا احسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله يلهم من يشاء
من عباده **فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس
في شانه وكشف الغطاء عن ذلك** ان من المشهور بين الكافة
من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لا بد في اخر الزمان من ظهور
رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه
المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي و
يكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في
الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل
معه فيساعده على قتاله ويأتم بالمهدي في صلاته ويحتجون
في الباب باحاديث خرجها الايمة وتكلم فيها المنكرون لذلك
وربما عارضوها ببعض الاخبار وللمتصوفة المتاخرين في امر هذا
الفاطمي طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك

ولملكه

على الكشف الذى هو اصل طرايقهم ونحن الان نذكر هنا الاحاديث
الواردة فى هذا الباب وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم فى انكارهم
من المستند ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة وارايهم ليتبين لك الصحيح
من ذلك ان شاء الله فنقول ان جماعة من الايمة خرجوا احاديث
المهدى منهم الترمذى وابو داود والبزار وابن ماجه والحاكم و
الطبرانى وابو يعلى الموصلى واسندوها الى جماعة من الصحابة مثل
على وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وابى هريرة وانس
وابى سعيد الخدرى وام حبيبه وام سلمة وثوبان وقرة وابن اياس
وعلى الهلالى وعبد الله بن الحارث بن جزء باسانيد ربما تعرض لها
المنكرون كما نذكره الان لان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم
على التعديل فاذا وجدنا طعنا فى بعض رجال الاسناد بغفلة او سوء
حفظ وقلة ضبط او ضعف او سوء راى تطرق ذلك الى صحة الحديث
واوهن منه ولا تقولن ان مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال الصحيحين
فان الاجماع من المحدثين على صحة ما فيهما كما ذكره البخارى ومسلم
والاجماع ايضا قد اتصل فى الامة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما
وفى الاجماع اعظم حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابتهما
فى ذلك فقد نجد مجالا للكلام فى اسانيدها بما نقل عن ائمة الحديث
فى ذلك ولقد توغل ابو بكر بن ابى خيثمه على ما نقل السهيلى عنه فى
جمعه للاحاديث الواردة فى المهدى فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره
ابو بكر الاسكاف فى فوايد الاخبار مسندا الى ملك بن انس عن محمد بن
المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كذب
بالمهدى فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال فى طلوع الشمس
من مغربها مثل ذلك فيما احسب وحسبك بهذا غلوا والله اعلم
بصحة طريقه الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكاف عندهم متهم
وضاع واما الترمذى فخرج هو وابو داود بسندهما الى ابن مسعود
من طريق عاصم بن ابى النجود احد القراء السبعة عن زر بن حبيش
عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو لم يبق من

من الدنيا الا يوم قال زايدة لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه
رجل منى او من اهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى هذا لفظ
ابى داود وسكت عليه وقال فى رسالته المشهورة ان ما سكت عليه فى
كتابه فهو صالح ولفظ الترمذى لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب
رجل من اهل بيتى يواطئ اسمه اسمى وفى لفظ اخر حتى يلى رجل من اهل
بيتى وقال فى كليهما حديث حسن صحيح ورواه ايضا من طريق عاصم موقوفا
على ابى هريرة وقال الحاكم رواه الثورى وشعبة وزايدة وغيرهم من ائمة
المسلمين عن عاصم وقال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة
على ما اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من ائمة المسلمين
انتهى الا ان عاصما قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا صالحا قارئا
للقران خيرا ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه
فى تثبت الحديث وقال العجلى كان يختلف عليه فى زر وابى وايل يشير
بذلك الى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه
كان كثير الخطاء فى حديثه وقال يعقوب بن سفيان فى حديثه اضطراب
وقال عبد الرحمن بن ابى حاتم قلت لابى ان ابا زرعة يقول عاصم
ثقه فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه
عاصم سيئ الحفظ وقال ابو حاتم محله عندى الصدق صالح الحديث
ولم يكن بذاك الحافظ واختلف فيه قول النسائى وقال ابن خراش
فى حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلى لم يكن فيه الا سوء الحفظ و
قال الدارقطنى فى حفظه شئ وقال يحيى ابن القطان ما وجدت
رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردئ الحفظ وقال ايضا سمعت شعبة
يقول حدثنا عاصم بن ابى النجود وفى النفس ما فيها وقال الذهبى
ثبت فى القراءة وهو فى الحديث دون الثبت صدوق يهم وهو
حسن الحديث وان احتج احد بان الشيخين اخرجا له فانما اخرجا له
مقرونا بغيره لا اصلا والله اعلم وخرج ابو داود فى الباب عن على رضى
الله عنه من رواية قطر بن خليفه عن القاسم بن ابى بزة عن ابى
الطفيل عن على عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر

الايوم لبعث الله رجلا من اهل بيتي يملأها عدلا كما مليت جورا وفطر به
خليفه وان وثقه احمد ويحيى ابن القطان وابن معين والنسائي
وغيرهم الاان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشيع قليل وقال
ابن معين مرة ثقه شيعي وقال احمد بن عبد الله بن يونس كانمر على
قطر وهو مطروح لانكتب عنه وقال مرة كنت امر به وادعه مثل
الكلب وقال الدارقطني لايحتج به وقال ابو بكر بن عياش ماتركت
الرواية عنه الالسوء مذهبه وقال الجوزجاني زايغ غير ثقه انتهى
وخرج ابو داود بسند ايضا الى علي رضي الله عنه عن هرون ابن المغيرة
عن عمرو بن ابي قيس عن شعيب بن خالد عن ابي اسحاق السبيعي قال قال
علي ونظر الى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في
الخلق ولا يشبهه في الخلق ثم ذكر قصة يملأ الارض عدلا وقال هرون
حدثنا عمرو بن ابي قيس عن مطرف بن طريف عن ابي الحسن عن هلال
بن عمرو سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج رجل
من وراء النهر يقال له الحرث حراث على مقدمته رجل يقال له
منصور يوطئ او يمكن لال محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وجب على كل مومن نصره او قال اجابته سكت
عليه ابو داود وقال في موضع اخر في هرون هو من الشيعه وقال
السليماني فيه نظر وقال ابو داود في عمرو بن ابي قيس لا باس به وفي
حديثه خطا وقال الذهبي صدوق له اوهام واما ابو اسحق
السبيعي وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اختلط اخر
عمره وروايته عن علي منقطعه وكذا رواية ابي داود عن هرون
بن المغيرة ولما السند الثاني فابو الحسن فيه وهلال بن عمرو
مجهولان ولم يعرف ابو الحسن الامن روايه مطرف بن طريف عنه انتهى
وخرج ابو داود ايضا عن ام سلمه وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرك
من طريق علي بن نفيل عن سعيد ابن المسيب عن ام سلمة قالت سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمه

فاطمه لفظ ابي داود وسكت عليه ولفظ ابن ماجه المهدي من ولد
فاطمه ولفظ الحاكم سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يذكر
المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره
وقد ضعفه ابو جعفر العقيلي وقال لايتابع علي بن نفيل عليه ولا يعرف
الابه وخرج ابو داود ايضا عن ام سلمه من رواية صالح بن ابي الخليل
عن صاحب له عن ام سلمه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يكون
اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هاربا الى مكه
فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن
والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة
والمدينة فاذا راى الناس ذلك اتاه ابدال الشام وعصايب اهل العراق
فيبايعونه ثم ينشؤ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث اليهم بعثا
فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب
فيقسم المال في الناس ويعمل بسنت نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم ويلقي الاسلام
بجرانه الى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
قال ابو داود وقال بعضهم عن هشام تسع سنين وقال بعضهم سبع سنين
ثم رواه ابو داود من رواية ابي الخليل عن عبد الله بن الحرث عن ام سلمة
فتبين بذلك المبهم في الاسناد الاول ورجاله رجال الصحيحين لامطعن
فيهم ولا مغمز وقد يقال انه من رواية قتاده عن ابي الخليل وقتاده
مدلس وقد عنعنه والمدلس لايقبل من حديثه الاماصرح فيه بالسماع
مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي نعم ذكره ابو داود في ابوابه
وخرج ابو داود ايضا وتابعه الحاكم عن ابي سعيد الخدري من طريق عمران
عن قتادة عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف يملأ الارض
قسطا وعدلا كما مليت جورا وظلما يملك سبع سنين هذا لفظ ابي
داود وسكت عليه ولفظ الحاكم المهدي منا اهل البيت اشم الانف اقنى
اجلى يملأ الارض قسطا وعدلا كما مليت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط
يساره واصبعين من يمينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم

هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه انتهى وعمران القطان تكلم
في الاحتجاج به وانما اخرج له البخاري استشهادا لا اصلا وكان يحيى
القطان لا يحدث عنه وقال يحيى ابن معين ليس بالقوي وقال مرة
ليس بشيء وقال احمد بن حنبل ارجو ان يكون صالح الحديث وقال
يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القبلة وقال ارخارجيا
النسائي ضعيف وقال ابو عبيد الآجري سالت ابا داود عنه فقال
من اصحاب الحسن وما سمعت الا خيرا وسمعته ذكره مرة اخرى فقال
ضعيف افتى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى شديدة
فيها سفك الدماء وخرج الترمذي وابن ماجه والحاكم عن ابي سعيد
الخدري من طريق زيد العمي عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد
الخدري قال خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسالنا نبي الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال ان في امتي المهدي يخرج يعيش خمسا او سبعا
او تسعا زيد الشاك قال قلنا وما ذاك قال سنين قال فيجيء اليه الرجل
فيقول يا مهدي اعطني قال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله
لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه
عن ابي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظ ابن ماجه
والحاكم يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والا فتسع فتنعم فيه امتي
نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتي الارض اكلها ولا تدخر منهم شيئا والمال
يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ
انتهى وزيد العمي وان قال فيه الدارقطني واحمد بن حنبل ويحيى بن
معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى
الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به وقال
يحيى بن معين في رواية اخرى لا شيء وقال مرة يكتب حديثه وهو
ضعيف وقال الجوزجاني متماسك وقال ابو زرعة ليس بقوي واهي
الحديث ضعيف وقال ابو داود ليس بذاك وقد حدث عنه شعبة
وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما يرويه ومن يروي
عنهم ضعفاء على ان شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف

اضعف منه وقد يقال ان حديث الترمذي وقع تفسيرا لما رواه
مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى لا يعده عدا
عليه وسلم يكون في اخر امتي خليفة يحثي المال حثيا ومن طريق اخر
عنهما قال يكون في اخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده انتهى
واحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل يقوم على انه المراد بها
ورواه الحاكم ايضا من طريق عوف الاعرابي عن ابي الصديق الناجي عن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا ثم يخرج من اهل بيتي
من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه الحاكم هذا
حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق
سليمان بن عبيد عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج في اخر امتي المهدي يسقيه الله
الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطي المال صحاحا وتكثر الماشية و
تعظم الامة يعيش سبعا او ثمانيا يعني حججا وقال فيه حديث
صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد لم يخرج له احد من
الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم نر احدا تكلم فيه ثم
رواه الحاكم ايضا من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر
الوراق وابي هارون العبدي عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال تملأ الارض جورا وظلما
فيخرج رجل من عترتي فيملك سبعا او تسعا فيملأ الارض عدلا وقسطا
كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم
وانما جعله على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر
الوراق واما شيخه الآخر وهو ابو هارون العبدي فلم يخرج له وهو ضعيف
جدا متهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة في تضعيفه واما
الراوي له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى يلقب اسد السنة و
ان قال البخاري مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به ابو
داود والنسائي الا انه قال مرة اخرى ثقة لو لم يصنف كان خيرا له

وقال فيه ابو محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبرانى فى معجمه
الاوسط من رواية ابى الواصل عبد الحميد بن واصل عن ابى الصديق
الناجى عن الحسن بن يزيد السعدى احد بنى بهدله عن ابى سعيد
الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج
رجل من امتى يقوم بسنتى ينزل الله عز وجل له القطر من السماء
وتخرج له الارض من بركتها تملأ الارض منه قسطا وعدلا كما ملئت
جورا وظلما يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل ببيت المقدس
وقال فيه الطبرانى رواه جماعة عن ابى الصديق ولم يدخل احد
منهم بينه وبين ابى سعيد احدا الا ابا الواصل فانه رواه عن الحسن
بن يزيد عن ابى سعيد انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن ابى حاتم
ولم يعرفه باكثر مما فى هذا الاسناد من روايته عن ابى سعيد ورواية
ابى الصديق عنه وقال الذهبى فى الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن
حبان فى الثقات واما ابو الواصل الذى رواه عن ابى الصديق فلم
يخرج له احد من الستة وذكره ابن حبان فى الثقات فى الطبقة
الثانية وقال فيه يروى عن انس وروى عنه شعبة وعتاب بن بشير
وخرج ابن ماجة فى كتاب السنن له عن عبد الله بن مسعود من طريق
يزيد بن ابى زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل فتية من بنى هاشم فلما رآهم
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت
ما نزال نرى فى وجهك شيئا نكرهه فقال انا اهل بيت اختار الله
لنا الاخرة على الدنيا وان اهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا
وتطريدا حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون
الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا
يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من اهل بيتى فيملؤها قسطا كما ملؤها
جورا فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج انتهى وهذا
الحديث يعرف عند المحدثين بحديث الرايات ويزيد بن ابى زياد راويه
قال فيه شعبة كان رفاعا يعنى يرفع الاحاديث التى لا تعرف مرفوعة

وقال

مرفوعة وكان محمد بن فضيل كان من كبار ائمة الشيعة وقال احمد
بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذاك وقال يحيى
بن معين ضعيف وقال العجلى جائز الحديث وكان باخرة يلقن
وقال ابو زرعة لين يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم
ليس بالقوى وقال الجوزجانى سمعتهم يضعفون حديثه وقال
ابو داود لا اعلم احدا ترك حديثه وغيره احب الى منه وقال ابن
عدى هو من شيعة اهل الكوفه ومع ضعفه يكتب حديثه وروى
له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فالاكثرون على ضعفه وقد
صرح الائمه بتضعيف هذا الحديث الذى رواه عن ابراهيم عن علقمة
عن عبد الله وهو حديث الرايات فقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشئ
وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول
فى حديث يزيد عن ابراهيم فى الرايات لو حلف عندى خمسين يمينا قسامة
ما صدقته اهذا مذهب ابراهيم اهذا مذهب علقمه اهذا مذهب عبد الله
واورد العقيلى هذا الحديث فى الضعفاء وقال الذهبى ليس بصحيح وخرج
ابن ماجه عن على رضى الله عنه من رواية ياسين العجلى عن ابراهيم
بن محمد بن الحنفيه عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم المهدى منا اهل البيت يصلحه الله فى ليلة وياسين العجلى
وان قال فيه ابن معين ليس به باس فقد قال البخارى فيه نظر وهذه
اللفظه فى اصطلاحه قوية فى التضعيف جدا واورد ابن عدى
فى الكامل والذهبى فى الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال
هو معروف به وخرج الطبرانى فى معجمه الاوسط عن على رضى الله عنه
انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم امنا المهدى ام من غيرنا يا رسول
الله قال بل منا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقذون من الشرك
وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينه كما بنا الف بين قلوبهم
بعد عداوة الشرك قال على امؤمنون ام كافرون قال مفتون وكافر انتهى
وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه عمرو بن
جابر الحضرمى وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روى عن جابر

مناكير ويلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن
لهيعة كان شيخاً احمق ضعيف العقل وكان يقول علي في السحاب و
يجلس معنا فيبصر سحابة فيقول هذا علي قد مر في السحاب وخرج
الطبراني ايضاً عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال تكون في اخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما
يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا اشرارهم
فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل على اهل الشام سبب من السماء
فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج
خارج من اهل بيتي في ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر الفا
والمقلل يقول هم اثنا عشر الفا امارتهم امت امت يلقون سبع رايات
تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعاً ويرد الله
الى المسلمين الفتهم ونعمتهم وقاصيهم ورايهم انتهى وفيه عبد الله ودابتهم تسمن
بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في مستدركه فقال
صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي رواية ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس
الى الفتهم الى اخره وليس في طريقه ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر
وخرج الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه من رواية ابي الطفيل
عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فسأله رجل
عن المهدي فقال علي هيهات ثم عقد بيده سبعاً فقال ذاك يخرج
في اخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل فيجمع الله تعالى له قوما
قزعاً كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون الى
احد ولا يفرحون باحد دخل فيهم على عدة اصحاب بدر لم يسبقهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا
الاولون ولا يدركهم الاخرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا
معه النهر قال ابو الطفيل قال ابن الحنفية اتريده قلت نعم
قال فانه يخرج من بين هذين الاخشبين قلت لا جرم والله لا ادعهما الاخشبان جبلا مكة
حتى اموت فمات بها يعني بمكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط
الشيخين انتهى وانما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارا الدهني
ويونس بن ابي اسحق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو بن محمد العنقزي

العنقزي ولم يخرج له البخاري احتجاجاً بل استشهاداً مع ما ينضم الى
ذلك من تشيع عمار الدهني وهو وان وثقه احمد وابن معين وابو حاتم
والنسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سفيان ان بشر بن مروان
قطع عرقوبيه قلت في اي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن انس
بن مالك رضي الله عنه من رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي
بن زياد اليمامي عن عكرمة ابن عمار عن اسحق بن عبد الله عن انس قال
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب
سادة اهل الجنة انا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي
انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة وقد
ضعفه بعض ووثقه اخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل
الا ان يصرح بالسماع وعلي ابن زياد قال الذهبي في الميزان لا يدرى من
هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد
وان وثقه يعقوب بن شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به
باس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه رآه يفتي في مسائل ويخطئ
فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش خطاؤه فلا يحتج به وقال احمد
بن حنبل سعد بن عبد الحميد يدعي انه سمع عرض كتب مالك والناس
ينكرون عليه ذلك وهو هاهنا ببغداد لم يحج فكيف سمعها وجعله الذهبي
ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مستدركه من رواية
مجاهد عن ابن عباس موقوفاً عليه قال مجاهد قال لي عبد الله بن عباس
لو لم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث قال فقال
مجاهد فانه في ستر لا اذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا اهل
البيت اربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي
قال فقال له مجاهد فبين لي هؤلاء الاربعة فقال اما السفاح فربما
قتل انصاره وعفا عن عدوه واما المنذر اراه قال فانه يعطي المال
الكثير لا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه
يعطى النصر على عدوه الشطر مما كان يعطى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يرعب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرعب منه

عرض كتب مالك لعله

عدوه على مسيرة شهر واما المهدى الذى يملأ الارض عدلا كما مليت
جورا وتامن البهايم السباع وتلقى الارض افلاذ كبدها قال قلت
وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانه من الذهب والفضة انتهى وقال
الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل
بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه واسمعيل ضعيف وابوه ابراهيم وان
خرج له مسلم فالاكثرون على تضعيفه وخرج ابن ماجة عن ثوبان
قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتتل عند كنزكم ثلثة
كلهم ابن خليفة ثم لا تصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود
من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظه
فقال فاذا رايتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله
المهدى انتهى ورجاله رجال الصحيح الا ان فيه ابا قلابة الجرمى
وذكر الذهبى وغيره انه مدلس وفيه سفيان الثورى وهو مشهور
بالتدليس وكل واحد منهما عنعن ولم يصرح بالسماع فلا يقبل
وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعمى فى اخر عمره
فخلط وقال ابن عدى حدث باحاديث فى الفضايل ولم يوافقه عليها
احد ونسبوه الى التشيع انتهى وخرج ابن ماجة عن عبد الله بن الحرث
بن جزء الزبيدى من طريق ابن لهيعه عن ابى زرعة عمرو بن جابر الحضرمى
عن عبد الله بن الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى يعنى سلطانه قال الطبرانى تفرد
به ابن لهيعة وقد تقدم لنا فى حديث على الذى خرجه الطبرانى فى
معجمه الاوسط ان ابن لهيعه ضعيف وان شيخه عمرو بن جابر اضعف منه
وخرج البزار فى مسنده والطبرانى فى معجمه الاوسط واللفظ للطبرانى
عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يكون فى امتى المهدى
ان قصر فسبع والا فثمان والا فتسع يتنعم امتى فيها نعمة لم يتنعموا بمثلها
ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات والمال
كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدى اعطنى فيقول خذ قال الطبرانى و
البزار تفرد به محمد بن مروان العجلى زاد البزار ولا نعلم تابعه عليه احد

احد وهو وان وثقه ابو داود وابن حبان ايضا بما ذكره فى الثقات
وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به باس فقد اختلفوا فيه
وقال ابو زرعة ليس عندى بذاك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل رايت
محمد بن مروان العقيلى وحدث باحاديث وانا شاهد لم اكتبها تركتها
على عمد وكتب بعض اصحابنا عنه كانه ضعفه وخرج ابو يعلى الموصلى
فى مسنده عن ابى هريرة قال حدثنى خليلى ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم
قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل بيتى فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق قال قلت وكم يملك قال خمسا واثنتين قال قلت خمس واثنان صح قال
لا ادرى انتهى وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال فيه
ابو حاتم لا يحتج به وقد احتج به الشيخان ووثقه الناس ولم يلتفتوا
الى قول ابى حاتم لا يحتج به الا ان فيه مرجا بن رجا اليشكرى وهو مختلف
فيه قال ابو زرعة ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال ابو داود
ضعيف وقال مرة صالح وعلق له البخارى فى صحيحه حديثا واحدا غير ذكره مرة
وخرج ابو بكر البزار فى مسنده والطبرانى فى معجمه الكبير والاوسط
عن قرة ابن اياس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتملأن
الارض جورا وظلما فاذا مليت جورا وظلما بعث الله رجلا منى اسمه اسمى واسم
ابيه اسم ابى يملأها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء
شيئا من قطرها ولا الارض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا او ثمانيا او تسعا
يعنى سنين انتهى وفيه داود بن المحبر بن قحذم عن ابيه وهما ضعيفان
جدا وخرج الطبرانى فى معجمه الاوسط عن ام حبيبة قالت سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج ناس من قبل المشرق يريدون رجلا
عند البيت حتى اذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم فيلحق بهم من تخلف
فيصيبهم ما اصابهم قلت يا رسول الله كيف بمن كان اخرج مكرها قال
يصيبهم ما اصاب الناس ثم يبعث الله كل امرء على نيته انتهى وفيه
سلمة بن الابرش وهو ضعيف وفيه محمد بن اسحق وهو مدلس وقد عنعن
ولا يقبل الا ان يصرح بالسماع وخرج الطبرانى فى معجمه الاوسط عن ابن عمر
قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفر من المهاجرين والانصار
على بن ابى طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحى العباس ورجل

من الانصار فاغلظ الانصاري للعباس فاخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بيد العباس وبيد علي فقال سيخرج من صلب هذا حتى تملأ الارض جورًا
وظلمًا وسيخرج من صلب هذا حتى تملأ الارض قسطًا وعدلًا فاذا رايتم
ذلك فعليكم بالفتى التميمي فانه يُقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية
المهدي انتهى وفيه عبد الله بن عمر العمري وعبد الله بن لهيعة وهما
ضعيفان انتهى وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبيد الله
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب
الا جاش جانب حتى ينادي منادٍ من السماء ان اميركم فلان انتهى وفيه المثنى
ابن الصباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما
ذكروه في ابوابه وترجمته استيناسًا هذه جملة الاحاديث التي خرجها الائمة
في شان المهدي وخروجه في اخر الزمان وهي كما رايت ولم يخلص منها
على النقد الا القليل او الاقل منه وربما تمسك المنكرون لشانه بما رواه
محمد بن خالد الجندي عن ابان بن صالح بن ابي عياش عن الحسن البصري
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا مهدي
الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندي انه ثقة
وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف
عليه في اسناده فمرةً يروونه كما تقدم ونسب ذلك الى محمد بن ادريس
الشافعي ومرةً يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم مرسلا قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو
مجهول عن ابان بن ابي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب وقد
قيل ان معنى لا مهدي الا عيسى اي لا يتكلم في المهد الا عيسى يحاولون
بهذا التاويل رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع
بحديث جريج ومثله من الخوارق واما المتصوفة فلم يكن المتقدمون
منهم يخوضون في شيء من هذا وانما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما
يحصل عنها من نتائج المواجد والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة
من الشيعة في تفضيل علي رضي الله عنه والقول بامامته وادعاء الوصية

الوصية له بذلك من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتبري من
الشيخين كما ذكرناه في مذاهبهم ثم حدث فيهم من بعد ذلك القول
بالامام المعصوم وكثرت التواليف في مذاهبهم وجاء الاسماعيلية منهم
يدعون الوهية الامام بنوع الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات
من الائمة بنوع التناسخ او الحقيقة وآخرون ينتظرون مجيء من يقطع
بموته منهم وآخرون ينتظرون عود الامر في اهل البيت مستدلين على
ذلك بما قدمناه من احاديث المهدي وغيرها ثم حدث ايضًا عند المتاخرين
من المتصوفة الكلام في الكشف وفيما وراء حجاب الحس وظهر من كثير منهم
القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة
لقولهم بالوهية الائمة او حلول الاله فيهم وظهر منهم ايضًا القول
بالقطب والابدال وكانه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقباء
واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا
مستند طريقهم في لباس الخرقة ان عليا رضي الله عنه البسها الحسن البصري
واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عندهم بالجنيد
من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة
خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم اسوةٌ في طرق الدين وفي
تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية تفهم منها ومن غيرها
مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه فامتلأت كتب الاسماعيلية
من الرافضة وكتب المتاخرين من المتصوفين بمثل ذلك في الفاطمي وكان
بعضهم يمليه على بعض ويلقنه بعضهم عن بعض وكانه مبني على اصول
واهية من الفريقين وربما يستند بعضهم في ذلك الى كلام المنجمين
في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في
الباب الذي يلي هذا واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتاخرين في
شان الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب
خلع النعلين وعبد الحق ابن سبعين وابن ابي واطيل من تلميذه في شرحه
لكتاب خلع النعلين واكثر كلماتهم في شانه امثال والغاز وربما يصرحون
في الاقل او يصرح مفسرو كلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر

ابن ابى واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال
والعمى وانها تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود الملك
تجبرا وتكبرا وباطلا قالوا ولما كان فى المعهود من سنة الله رجوع
الامور الى ما كانت وجب ان يحيى امر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافتها
ثم يعقبها الدجل بمكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله كما كان
قبل النبوة يشيرون بهذا الى ما وقع بعد النبوة من الخلافة ثم بعدها
الملك وهى ثلاث مراتب فكذلك ايضا الولاية التى لهذا الفاطمى الذى
يحيى امر النبوة والحق ثم خلافة امره بعده ثم الدجل بعدها وهو
الباطل الذى كنى عنه بخروج الدجال فهى ثلاث مراتب على نسبة الثلث
مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة قالوا ولما كان امر الخلافة
لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذى لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه وجب
ان يكون الامامة فيمن هو اخص من قريش بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اما ظاهرا فكبنى عبد المطلب واما باطنا فمن كان من حقيقة الال
ومن اذا احضر لم يغب من هو اله وابن العربى الحاتمى سماه فى كتاب
عنقا مغرب من تاليفه خاتم الاولياء وكنى عنه بلبنة الفضة اشارة
الى حديث البخارى فى باب خاتم النبيين قال صلى الله تعالى عليه وسلم
مثلى فيمن قبلى من الانبياء كمثل رجل ابتنى بيتا واكمله حتى اذا لم يبق منه
الا موضع لبنة فانا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة
التى اكملت البنيان ومعناه النبى الذى حصلت له النبوة الكاملة
ويمثلون الولاية فى تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال
فيها خاتما للاولياء اى حائزا للمرتبة التى هى خاتمة الولاية كما كان خاتم
الانبياء حائزا للمرتبة التى فيها خاتمة النبوة ولما كنى الشارع عن تلك
الرتبة الخاتمة بلبنة البيت فى الحديث المذكور وهى على نسبة واحدة
فيهما فهى لبنة واحدة فى التمثيل ففى النبوة لبنة ذهب وفى الولاية
لبنة فضة للتفاوت بين الرتبتين كما بين الذهب والفضة فيجعلون
لبنة الذهب كناية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولبنة الفضة
كناية عن هذا الولى الفاطمى المنتظر ذلك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء

الاولياء وقال ابن العربى فيما نقل ابن ابى واطيل عنه وهذا الامام
المنتظر هو من اهل البيت من ولد فاطمة وظهوره يكون بعد مضى
خ ف ج من الهجرة ورسم حروفا ثلثة يريد عددها بحساب الجمل وهو
الخاء المعجمة بواحدة من فوق بستماية والفاء اخت القاف بثمانين والجيم
المعجمة بواحدة من اسفل بثلاثة وذلك ستماية وثلث وثمانون سنه
وهو فى اخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك
بعض المقلدين لهم على ان المراد بتلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده
وان خروجه يكون بعد العشر والسبع مايه وانه الامام الناجم
من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربى سنه ثلث
وثمانين وستماية فيكون عمره يوم خروجه ستا وعشرين سنة قال
وزعموا ان خروج الدجال يكون سنه ثلاث واربعين وسبع مايه
من اليوم المحمدى وابتداء اليوم المحمدى عندهم من يوم وفاة النبى صلى
الله عليه وسلم الى تمام الف سنه وقال ابن ابى واطيل فى شرحه كتاب
خلع النعلين الولى المنتظر القايم بامر الله المشار اليه بمحمد المهدى وخاتم
الاولياء وليس هو بنبى وانما هو ولى ابتعثه روحه وحبيبه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم العالم فى قومه كالنبى فى امته وقال علماء
امتى كانبياء بنى اسرائيل ولم تزل البشرى تتتابع من اول اليوم المحمدى
الى قبيل الخمسماية نصف اليوم وتاكدت وتضاعفت بتباشير المشايخ
بتقريب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا قال وذكر
الكندى ان هذا الولى هو الذى يصلى بالناس صلاة الظهر ويجدد
الاسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومه
فيفتحها ويسير الى المشرق فيفتحه ويفتح قسطنطنيه ويصير له ملك
الارض فيتقوى المسلمون ويعلو الاسلام ويظهر دين الحنيفية فان (فيتفرق)
من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه السلام ما بين
هذين وقت وقال الكندى ايضا الحروف العربية غير المعجمة يعنى المفتتح
بها سور القران جملة عددها بحساب الجمل سبع مايه وثلاثة واربعون
وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى فى وقت صلاة العصر فيصلح الدنيا وتمشى

الشاه مع الذيب ثم تبلغ ثم ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مايه وستون
عاما عدد الحروف المعجمة وهى ق ى ن دولة العدل منها اربعون عاما
قال ابن ابى واطيل وما ورد من قوله لامهدى الا عيسى فمعناه لامهدى
تساوى هدايته وقيل لايتكلم فى المهد الا عيسى وهذا مدفوع بحديث
جريج وغيره وقد جاء فى الصحيح انه قال لايزال هذا الامر قايما حتى
تقوم الساعة او يكون عليهم اثنى عشر خليفه يعنى قريشا وقد اعطى
الوجود ان منهم من كان فى اول الاسلام ومنهم من سيكون فى اخره وقال
الخلافة بعدى ثلثون او احدى وثلثون او ستة وثلثون وانقضا وهم
فى خلافة الحسن واول امر معاويه فيكون اول امر معاويه خلافة
اخذا باوايل الاسماء فهو سادس الخلفاء واما سابع الخلفاء فعمر بن
عبد العزيز ثم الباقون خمسة من اهل البيت من ذرية على يويده
قوله انك لذو قرنيها يريد الامة اى انك خليفة فى اولها وذريتك
فى اخرها وربما استدل بهذا الحديث القايلون بالرجعة فالاول
هو المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر
فلا قيصر بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله وقد
انفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى فى سبيل الله والذى يهلك قيصر
وينفق كنوزه فى سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطنيه
فنعم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى الله تعالى
عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر
وجاء ذكر اربعين وفى بعض الروايات سبعين فاما الاربعون فانها
مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقين من اهله القائمين بامره
من بعده على جميعهم السلم قال وذكر اصحاب النجوم والقرانات ان
مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة وخمسون عاما
فيكون الامر على هذا جاريا على الخلافة والعدل اربعين او سبعين
ثم تختلف الاحوال فيكون ملكا انتهى كلام ابن ابى واطيل وقال فى
موضع اخر نزول عيسى يكون فى وقت صلاة العصر من اليوم المحمدى حين

حين تمضى ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندى يعقوب ابن اسحق فى كتاب
الجفر الذى ذكر فيه القرانات انه اذا وصل القران الى الثور على راس
ضح بحرفى الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية وتسعين وستمائه
من الهجرة ينزل المسيح فيحكم فى الارض ماشاء الله قال وقد ورد فى الحديث
ان عيسى ينزل عند المنارة البيضا شرقى دمشق ينزل بين مهرودتين
يعنى حلتين مزعفرتين صفراوين ممصرتين واضعا كفيه على اجنحة
الملكين له لمة كانما اخرج من ديماس اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه
تحدر منه جمان كاللولو كثير خيلان الوجه وفى حديث اخر مربوع
الخلق والى البياض والحمرة وفى اخر انه يتزوج فى الغرب والغرب دلو
البادية يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر وفاته بعد اربعين
عاما وجاء ان عيسى يموت بالمدينه ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب
وجاء ان ابابكر وعمر يحشران من بين نبيين قال ابن ابى واطيل والشيعه
تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من ال بيت محمد وعليه حمل بعضهم حديث
لامهدى الا عيسى اى لايكون مهدى الا المهدى الذى نسبته الى الشريعة
المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية فى الاتباع وعدم النسخ
الى كلام من امثال هذا كثير يعينون فيه الوقت والرجل والمكان
فينقضى الزمان ولا اثر لشى من ذلك فيرجعون الى تجديد راى
اخر منتحل كما تراه من مفهومات لغويه واشيا تخييليه واحكام
نجوميه فى هذا انقضت اعمار الاول منهم والاخر واما المتصوفة
الذين عاصرناهم فاكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد لاحكام
الملة ومراسم الحق ويتحينون ظهوره لما قرب من عصرنا فبعضهم
يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعناه عن جماعة
اكبرهم ابو يعقوب البادسى كبير الاولياء بالمغرب كان فى اول المايه
الثامنه واخبرنى بذلك عنه حافده ابو زكريا يحيى عن ابيه ابى
محمد عبد الله عن ابيه الولى ابى يعقوب المذكور هذا اخر ما اطلعنا
عليه او بلغنا من كلام هولاء المتصوفه وما اورده اهل الحديث
من اخبار المهدى قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذى

نعم مسموع ضعفاء الشعرا الذين اوتحوه الشيعة بعد ان الوحدت افندين بالعصر المعنوى الا اسم المعظم

مطلب مهم

ينبغي ان يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين او الملك الا بوجود
شوكة او عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم امر الله
فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين الطبيعية التي اريناكها
هنالك وعصبية الفاطميين والطالبيين بل وقريش اجمع قد تلاشت
من جميع الافاق ووجد امم اخرون استعلت عصبيتهم على عصبية
قريش الا ما بقي بالحجاز في مكة والينبع والمدينة من الطالبيين بني حسن
وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها
وهم عصائب بدوية مفترقون في مواطنهم واماراتهم وارائهم
يبلغون الالاف من الكثرة فان صح ظهور هذا المهدي فلا وجه
لظهور دعوته الا بان يكون منهم ويولف الله بين قلوبهم في اتباعه
حتى تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها
واما غير هذا الوجه مثل ان يدعو الناس فاطمي منهم الى مثل ذلك
الامر في افق من افاق الارض من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبه
في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما اسلفناه من البراهين
الصحيحة فاما ما تدعيه العامة والاغمار من الدهماء ممن لا يرجع
في ذلك الى عقل يهديه ولا علم يفيده فيتحينون ذلك على غير نسبة
وفي غير مكان تقليدا لما اشتهر من ظهور رجل فاطمي ولا يعلمون
حقيقة الامر فيه كما بيناه واكثر ما يتحينونه في القاصية من الممالك
واطراف العمران مثل الزاب بافريقية والسوس من المغرب وتجد الكثير
من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة من ارض السوس
يتحينون هنالك لقاءه زعما منهم انه يظهر بذلك الرباط وانه
يبايع هنالك ولما كان ذلك الرباط بالقرب من الملثمين من كدالة
واعتقادهم انه منهم او قايمون بدعوته من غير ما استند له الا غرابة
تلك الامم وبعدهم عن يقين المعرفة باحوالها من كثرة او قلة او ضعف
او قوة ولبعد القاصية عن منال الدول وخروجها عن نطاقها
فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هنالك لخروجه عن ربقة الدول
ومنال الاحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا ولقد

ولقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة
يمنيه النفس تمامها وسواسا وحمقا وقتل كثير منهم اخبرني شيخنا
محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برباط ماسة لاول المائة الثامنة
وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف
يعرف بالتويزري نسبة الى تويزر مصغرا وادعى انه الفاطمي المنتظر
واتبعه الكثير من اهل السوس من ضناكة وكزوله وعظم امره وكاد
يستفحل وخافه رؤساء المصامدة على امرهم فدس عليه التكوري
من قتله بياتا وانحل امره وكذلك ظهر في غمارة في اخر المائة السابعة
وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمي واتبعه
الدهماء من غمارة ودخل مدينة بادس عنوة وحرق اسواقها وارتحل
الى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني
شيخنا المذكور بغريبة في مثل هذا وهو انه صحب في حجة من رباط
العباد وهو مدفن الشيخ ابي مدين في جبل تلمسان المطل عليها رجلا
من اهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعا معظما كثير التلميذ
والخادم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في اكثر
البلدان قال وتاكدت الصحبة بيننا في تلك الطريق فانكشف لي
امرهم وانهم انما جاءوا من موطنهم بكربلاء لطلب هذا الامر وانتحال
دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عاين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب
يومئذ منازل لتلمسان قال لاصحابه ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط
وليس هذا الوقت وقتا ويدل هذا القول من هذا الرجل على انه
مستبصر في ان الامر لا يتم الا بالعصبية المكافئة لاهل الوقت فلما علم
انه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وان عصبية بني مرين لذلك
العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى الحق واقصر
عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبية الفواطم وقريش
اجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب الا ان التعصب لشانه لم يتركه لهذا
القول والله يعلم وانتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور
القريبة وفي العرب من سكانه نزعة من الدعا الى الحق والقيام بالسنة

لاينتحلون فيها دعوة فاطمى ولاغيره وانما ينزع منهم فى بعض الاحايين
الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتنى بذلك ويكثر
تابعه واكثر ما يعنون باصلاح السابلة لما ان اكثر فساد الاعراب فيها
لما قدمناه من طبيعة معاشهم فيأخذون انفسهم فى تغيير المنكر
باصلاح السابلة ما استطاعوا الا ان الصبغة الدينية فيهم لا تستحكم
لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار
عن الغارة والنهب لا يعقلون فى توبتهم واقبالهم على مناحى الديانة
غير ذلك لانها المعصية التى كانوا عليها قبل التوبة ومنها توبتهم
فتجد تابع ذلك المنتحل للدعوة والقايم بزعمه بالسنة غير متعمقين
فى فروع الاقتداء والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والبغى وافساد
السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش باقصى جهدهم وشتان
بين طلب هذا الامر من صلاح الخلق وبين طلب الدنيا فاتفاقهما
ممتنع فلا تستحكم لهم صبغة فى الدين ولا يكمل لهم نزوع عن الباطل
على الجملة ولا يكثرون ويختلف حال صاحب الدعوة منهم فى استحكام
دينه وولايته فى نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل امرهم و
تلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من بنى كعب بن سليم
يسمى قاسم ابن مراين احمد فى المائة السابعة ثم من بعده لرجل اخر من
بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشد
دينا من الاول واقوم طريقة فى نفسه ومع ذلك فلم يستتب امر تابعه
لما ذكرناه حسبما ياتى ذكر ذلك فى موضعه عند ذكر قبايل سليم ورياح
ومن بعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون
فيه وينتحلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا لمن
بعدهم شى من امرهم سنة الله فى عباده

فصل فى حدثان الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر

مطلب

اعلم ان من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب امورهم
وعلم ما سيحدث لهم من حياة اوموت اوخير اوشر سيما الحوادث
العامة كعلم ما بقى من الدنيا اومعرفة مدد الدول وبقائها فانا نتطلع

فالتطلع الى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها ولذلك نجد الكثير
من الناس يتشوفون الى الوقوف على ذلك فى المنام والاخبار عن
الكهان فى قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد
نجد فى المدن صنفا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم
بحرص الناس عليه فينتصبون لهم فى الطرقات والدكاكين يتعرضون
لمن يسالهم عنه فيغدو عليهم ويروح نسوان المدينة وصبيانها
بل وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امورهم فى الكسب
والجاه والعشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط فى الرمل ويسمونه
المنجم وطرق بالحصا والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر فى المرايا و
المياه ويسمونه ضارب المندل وهو من المنكرات الفاشية فى الامصار
لما تقرر فى الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب الا من
اطلعه الله عليه من عنده فى نوم اوولاية واكثر ما يعتنى بذلك ويتطلع
اليه الملوك والامراء فى آماد دولتهم ولذلك انصرفت العناية من
اهل العلم اليه وكل امة من الامم فيوجد لهم الكلام من كاهن او منجم
اوولى فى مثل ذلك من ملك يرتقبونه اودولة يحدثون انفسهم
بها وما سيحدث لهم مع الامم من الحروب والملاحم ومدة بقاء الدولة
وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمايهم ويسمى مثل هذا الحدثان كان
فى العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم فى ذلك وقد اخبروا بما
سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق وسطيح فى تاويل رؤيا
ربيعة بن نصر من ملوك اليمن اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها
اليهم ثم ظهور الملة والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تاويل
سطيح لرؤيا الموبذان بعث اليه بها كسرى مع عبد المسيح واخبره بظهور
الدولة للعرب وكذا كان فى جيل البربر كهان وكان من اشهرهم موسى
بن صالح من بنى يفرن ويقال من غمرت وله كلمات حدثانية على طريقة
الشعر برطانتهم وفيها حدثان كثير ومعظمه فيما يكون لزناتة من
الملك والدولة بالمغرب وهى متداولة بين اهل الجيل وهم يزعمون
تارة انه ولى وتارة انه كاهن وقد يزعمون فى بعض مزاعمهم انه كان

يعتنى

حدثان الامر بالكسر اوله وابتداؤه
كحداثته ومن الدهر نوبه
وحوادثه

نبيا الان تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير فالله اعلم وقد يستند
الجيل في ذلك الى خبر الانبياء ان كانوا لعهدهم كما وقع لبني اسرائيل
فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عند ما يعنتونهم
في السؤال عنه واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع
الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدول واعمارها
على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام اثار منقولة عن
الصحابة وخصوصا مسلمة بني اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب
بن منبه وامثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر مأثورة وتأويلات
محتملة ووقع لجعفر الصادق وامثاله من اهل البيت كثير من ذلك
مستندهم فيه والله اعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذا
كان مثله لا ينكر من غيرهم من الاولياء في ذويهم واعقابهم وقد
قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس بمثل
هذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة
وحين عكف الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء
الى اللسان العربي فاكثر معتمدهم في ذلك كلام المنجمين في الملك و
الدول وسائر الامور العامة من القرانات وفي المواليد والمسائل
وسائر الامور الخاصة من الطوالع لها وهي شكل الفلك عند حدوثها
فلنذكر الان ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع الى كلام المنجمين
اما اهل الاثر فلهم في مدة الملة وبقاء الدنيا ما وقع في كتاب
السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضي ان مدة بقاء الدنيا
منذ الملة خمس مايه سنه ونقض ذلك بظهور كذبه ومستند
الطبري في ذلك انه نقل عن ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع
الاخرة ولم يذكر لذلك دليلا وسره والله اعلم تقدير الدنيا بايام
خلق السموات والارض وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيح انه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة
العصر الى غروب الشمس وقال بعثت انا والساعة كهاتين واشار

الكشف مستند جعفر

مدة بقاء الدنيا والملة فيما نقل من الاثر

واشار بالسبابة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر وغروب
الشمس وقال بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى
وقدر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين صيرورة ظل كل شيء
مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك فضل الوسطى على السبابة
فتكون هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها وهو خمسمائة سنة ويؤيده
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف
يوم فدل ذلك ان مدة الدنيا قبل الملة خمسة الاف وخمسمائة سنه
وعن وهب بن منبه انها خمسة الاف وستمائة اعني الماضي وعن كعب
ووهب ان مدة الدنيا كلها ستة الاف سنه ثم قال السهيلي وليس
في الحديثين ما يشهد لشيء مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فاما قوله
صلى الله عليه وسلم لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم
فلا يقتضي نفي الزيادة على النصف واما قوله بعثت انا والساعة
كهاتين فانما فيه الاشارة الى القرب وانه ليس بينه وبين الساعة
نبي غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين امد الملة من مدرك
اخر لو ساعده التحقيق وهو انه جمع الحروف المقطعة في اوائل السور
بعد حذف المكرر قال وهي اربعة عشر حرفا يجمعها قولك الم
يسطع نص حق كره فاخذ عددها بحساب الجمل فكان تسعمائة وثلثة
وثلثه تضاف الى المنقضي من الالف الاخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة
قال ولا يبعد ان يكون ذلك من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها
قلت وكونه لا يبعد لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه والذي حمل
السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب السير لابن اسحق في حديث
ابني اخطب من احبار اليهود وهو ابو ياسر واخوه حيي حين سمعا الم
من هذه الحروف المقطعة وتأولاها على بيان بهذا الحساب فبلغت
احدى وسبعين فاستقربا المدة وجاء حيي الى النبي صلى الله عليه وسلم
يسأله هل مع هذا غيره فقال المص ثم استزاد فقال الر ثم استزاد
فقال المر فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال
لقد لبس علينا امرك يا محمد حتى ما ندري اقليلا اعطيت ام كثيرا ثم

ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم لعله اعطى عددها كلها
بسبع مايه واربع سنين قال ابن اسحق فنزل قوله تعالى منه ايات
محكمات هن ام الكتاب الايات ولا يقوم من القصة دليل على تقدير
الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد ليست
طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسمونه
حساب الجمل نعم انه قديم مشهود وقدم الاصطلاح لا يصير حجة
وليس ابو ياسر واخوه حيي ممن يوخذ رايه في ذلك دليلا ولا من
علماء اليهود لانهم كانوا بادية بالحجاز غفلا من الصنايع والعلوم
حتى من علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقفون
امثال هذا الحساب كما يتلقفها العوام في كل ملة ولا ينهض للسهيلي
دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع في الملة حدثان دونها على الخصوص
مستند من الاثر اجمالي في حديث خرجه ابو داود عن حذيفة بن
اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهلي عن سعيد بن ابي مريم عن
عبد الله بن فروخ عن اسامة بن زيد الليثي عن ابن القبيصة بن ذويب
عن ابيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما ادري انسي اصحابي ام تناسوا
والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قايد فتنة
الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا
باسمه واسم ابيه واسم قبيلته وسكت عليه ابو داود وقد تقدم
انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابي فهو صالح وهذا الحديث
اذا كان صحيحا فهو مجمل ويفتقر في بيان اجماله وتعيين مبهماته الى اثار
اخرى يجود اسانيدها وقد وقع هذا الحديث في غير كتاب السنن على
غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال
قام فينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطيبا فما ترك شيئا
يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه اصحابه هولاء ولفظ البخاري ما ترك شيئا
الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري
قال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما صلاة العصر

بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة حتى اخبرنا به
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه انتهى وهذه الاحاديث كلها
محمولة على ما ثبت في الصحيح من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود
من الشارع صلوات الله عليه في امثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي
انفرد بها ابو داود في هذا الطريق شاذة منكرة مع ان الايمة اختلفوا في
رجاله فقال ابن ابي مريم في ابن فروخ احاديثه مناكير وقال البخاري تعرف
منه وتنكر وقال ابن عدي احاديثه غير محفوظة واسامة ابن زيد وان
خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فانما خرج له البخاري استشهادا
وضعفه يحيى ابن سعيد واحمد بن حنبل وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا
يحتج به وابن قبيصة بن ذويب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت
لابي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر وقد يستندون
في حدثان الدول على الخصوص الى كتاب الجفر ويزعمون ان فيه علم ذلك كله
من طريق الاثار او النجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك
ولا مستنده واعلم ان كتاب الجفر كان اصله ان هرون بن سعيد العجلي
وهو راس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم
ما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص وقع
ذلك لجعفر الصادق ونظرايه من رجالاتهم على طريق الكرامة و
الكشف الذي يقع لمثلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في
جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي وكتبه وسماه الجفر باسم
الجلد الذي كتب منه لان الجفر في اللغة هو الصغير وصار هذا
الاسم علما على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القران وما في
باطنه من المعاني غرايب مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تتصل
روايته ولا عرف عينه وانما تطاير منه شوارد من كلمات
لا يصحبها دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند
من نفسه او من رجال قومه فهم اهل الكرامات وقد صح عنه كان يحذر
بعض قرابته بوقايع تكون لهم فتصح كما يقول وقد حذر يحيى بن عمه
زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت

اصل كتاب الجفر

الجفر من اولاد الشاء ما عظم واستكرش او بلغ اربعة اشهر

تطاير منه شوارد خط

الكرامات تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً ودينًا واثارةً من النبوة و
عنايةٌ من الله بالاصل الكريم تشهد لفروعه الطيبه وقد ينقل بين
اهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى الجفر وفي اخبار دولة
العبيديين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقيق في لقاء ابي عبد الله
الشيعي لعبيد الله المهدي مع ابيه محمد الحبيب وما حدثاه به وكيف
بعثاه الى ابن حوشب داعيتهم باليمن فامره بالخروج الى المغرب وبث
الدعوة فيه عن علم لقنه ان دولتهم تتم هنالك وان عبيد الله لما بنى
المهدية بعد استفحال دولتهم بافريقية قال بنيتها ليعتصم بها الفواطم
ساعة من نهار واراهم موقف صاحب الحمار بساحتها وبلغ هذا الخبر حافده
اسمعيل المنصور فلما حاصره صاحب الحمار ابو يزيد بالمهدية كان
يسايل عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبر ببلوغه الى المكان الذي عين
جده عبيد الله فايقن بالظفر وبرز من البلد فهزمه واتبعه الى ناحية
الزاب فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عنهم كثيرة واما المنجمون

احوال القرانات

فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية اما في الامور العامه
مثل الملك والدول فمن القرانات وخصوصاً بين العلويين وذلك
ان العلويين زحل والمشترى يقترنان في كل عشرين سنه مرة ثم
يعود القران الى برج اخر في تلك المثلثه من التثليث الايمن ثم بعده
الى اخر كذلك الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة ثنتى عشرة مرة يستوفي
بروجها الثلثه في ستين سنه ثم يعود فيستوفيها في ستين اخرى ثم
يعود ثالثة ثم رابعة فيستوفي المثلثه في ثنتى عشرة مرة واربع عودات
في مايتين واربعين سنة ويكون انتقاله من كل برج على التثليث الايمن
وينتقل من المثلثه الى المثلثه التي تليها اعني الى البرج الذي يلي البرج
الاخير من القران الذي قبله في المثلثه وهذا القران الذي هو قران

القران الكبير

العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين
في درجة واحدة من الفلك الى ان يعود اليها بعد تسع مايه وستين

القران الاوسط

سنه مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة ثنتى عشرة

القران الاصغر

مرة وبعد مايتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى والصغير هو

هو اقتران العلويين في برج وبعد عشرين سنه يقترنان في برج اخر
على تثليثه الايمن وفي مثل درجة او دقايقه مثال ذلك اذا وقع
القران اول دقيقه من حمل وبعد عشرين يكون اول دقيقه من القوس
وبعد عشرين في الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير
ثم يعود الى اول الحمل بعد ستين سنه ويسمى دور القران وعود القران
وبعد مايتين واربعين ينتقل من النارية الى الترابيه لانها بعدها
وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائيه ثم المائيه ثم يرجع الى اول
الحمل في تسع مايه وستين سنةً وهو الكبير والقران الكبير يدل
على عظام الامور مثل تغيير الدول والملل وانتقال الملك من قوم الى
قوم والوسط على ظهور المتغلبين والطالبين للملك والصغير
على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن او عمرانها ويقع اثناء
هذه القرانات قران النحسين في برج السرطان في كل ثلثين سنه مرة
ويسمى الرابع وبرج السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط
المريخ فتعظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدما
وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء والقحط
ويدوم ذلك او ينتهي على قدر السعادة والنحوسة في وقت قرانهما
وعلى قدر تسيير الدليل فيه قال جراش بن احمد الحاسب في الكتاب الذي

مولد النبي كان عند قران العلويين

الفه لنظام الملك ورجوع المريخ في العقرب له اثر عظيم في الملة الاسلامية
لانه كان دليلها فان المولد النبوي كان عند قران العلويين ببرج
العقرب فلما رجع هنالك حدث تشويش على الخلفاء وكثر المرض في
اهل العلم والدين ونقصت احوالهم وربما انهدم بعض بيوت العبادة
وقد يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من بني اميه
والمتوكل من بني العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات
كانت في غاية الاحكام وذكر شاذان البلخي ان الملة ينتهي الى ثلثمايه
وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال ابو معشر يظهر بعد المايه
والخمسين منها اختلاف كثير ولم يصح ذلك وقال جراش رايت في كتب القدماء
ان المنجمين اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيهم وان دليلهم

الزهرة وكانت فى شرفها فبقى الملك فيهم اربعين سنة وقال ابو
معشر فى كتاب القرانات ان القسمة اذا انتهت الى التاسعة والعشرين
من الحوت وفيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج العقرب
وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبى وتكون
قوة ملكه ومدته على قدر ما بقى من درجات شرف الزهرة وهى احد عشر
درجا بتقريب من برج الحوت ومدة ذلك ستمائه وعشر سنين وكان
ظهور ابى مسلم عند انتقال الزهرة ووقوع القسمة اول الحمل وصاحب
الحد المشترى وقال يعقوب بن اسحق الكندى ان مدة الملة تنتهى
الى ستمائه وثلث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران
الملة فى ثمان وعشرين درجة وثلثين واربعين دقيقه من الحوت
والباقى احدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة ودقايقها ستون
فتكون ستمايه وثلثا وتسعين قال وهذا مدة الملة باتفاق الحكما
وتعضده الحروف الواقعة فى اوايل السور بحذف المكرر واعتباره
بحساب الجمل قلت وهذا هو الذى ذكره السهيلى والغالب ان الاول
هو مستند السهيلى فيما نقلنا عنه قال جراش وسيل هرمز فريد الحكيم
عن مدة ازدشير وولده ملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشترى
وكان فى شرفه فيعطى اطول السنين واجودها اربع مائه وسبعا
وعشرين سنه ثم تدبر الزهرة وتكون فى شرفها وهى دليل ان العرب
يملكون لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند
القران فى شرفها فدل انهم يملكون الف سنه وستين سنه وسال
كسرى انوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس
الى العرب فاخبره ان القايم منهم يولد لخمس واربعين من دولته
يملك المشرق والمغرب والمشترى يفوض التدبير الى الزهرة وينتقل
القران من الهوائية الى العقرب وهو مائى وهو دليل العرب فهذه الادلة
تقتضى للملة بمدة دور الزهرة وهى الف وستون سنة وسال كسرى
ابرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال نوفيل
الرومى المنجم ايام بنى امية ان دولة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسع

وبذا يجي المعتبر

حسبي الله ونعم
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بعبد ...
١١٨٥ وكفى ...

تسع مائة وستين سنه فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان فى
ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها فى قران الملة فحينئذ اما
يفتر العمل به واما يتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراش
واتفقوا ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك سائر
المكونات وذلك عند ما يقطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة التى
هو حد المريخ وذلك بعد مضى تسع مايه وستين سنة وذكر جراش ان ملك
زابلستان وهى غزنة بعث الى المامون بحكيمه ذوبان اتحفه به فى هديته
وانه تصرف للمامون فى الاختيارات لحروب اخيه ولعقد الالوية الطاهر
وان المامون اعظم حكمته فساله عن مدة ملكهم فاخبره بانقطاع
الملك من عقبه واتصاله فى ولد اخيه وان العجم يتغلبون على الخلافة
الديلم اولا فى دولة حسنة خمسين سنة ثم تسوء حالهم حتى يظهر الترك
من شمال المشرق فيملكون الى الشام والفرات ويفتحون بلاد الروم ثم يكون
ما يريد الله فقال له المامون من اين لك ذلك فقال من كتب الحكماء
ومن احكام صصة بن داهر الهندى الذى وضع الشطرنج قلت والترك
الذين اشار الى ظهورهم بعد الديلم هم السلجوقية وقد انقضت دولتهم
اول القرن السابع قال جراش وانتقال القران الى المثلثة المائية فى برج الحوت
يكون سنه ثلث وثلثين وثمان مائه ليزدجرد وبعدها الى برج العقرب
حيث كان قران الملة سنه ثلث وخمسين قال والذى فى الحوت هو اول
الانتقال والذى فى العقرب تستخرج منه دلايل الملة قال وتحويل السنة
الاولى من القران الاول فى المثلثات المائية فى ثامن رجب سنه ثمان وستين
وثمان مائه ولم يستوف الكلام على ذلك واما استناد المنجمين فى دولة
على الخصوص فمن القران الاوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لان له دلالة
عندهم على حدوث الدول وجهاتها من العمران والقائمين بها من الامم
وعدد ملوكهم واسمائهم واعمارهم ونحلهم واديانهم وعوايدهم وحروبهم
كما ذكر ابو معشر فى كتابه فى القرانات وقد توجد هذه الدلالة من القران
الاصغر اذا كان الاوسط دالا عليه فمن هذا يوخذ الكلام فى الدول وقد
كان يعقوب بن اسحق الكندى منجم الرشيد والمامون وضع كتابا فى

في القرانات الكاينة في الملة سماه الشيعه بالجفر باسم كتابهم
المنسوب لجعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان دوله بني
بني العباس وانهاء نهايته واشار الى انقراضها والحادثة على بغداد
انه يقع في منتصف المائة السابعة وان انقراضها يكون بانقراض
الملة ولم نقف على شي من خبر هذا الكتاب ولا راينا من وقف عليه
ولعله غرق في كتبهم التي طرحها هولاكو ملك التتر في دجلة عند
استيلايهم على بغداد وقتل المعتصم اخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب
المستعصم صح
جزء سمي هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر انه وضع لبني
عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوكهم الموحدين فيه على التفصيل
ومطابقة ما تقدم عن ذلك من حدثانه وكذب ما بعده وكانت
اقول وهكذا الشجرة النعمانية في الدول العثمانية المنسوبة للشيخ الاكبر يمكن تطبيق المرموزات منها على ما مضى بعد الوقوع ولا يمكن بها الحكم على ما سياتي
في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحدثان وانظر
ما نقله الطبري في اخبار المهدي عن ابي بديل من صنايع الدولة قال
بعث الى الربيع والحسن في غزاتهما مع الرشيد ايام ابيه فجيتهما بجوف
بعثت ظ
الليل فاذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحدثان واذا مدة
المهدي فيه عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى عن المهدي وقد
مضى من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيتم اليه نفسه
قالا فما الحيلة فاستدعيت عنبسة الوراق مولى ال بديل وقلت له
انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشر اربعين ففعل فوالله لولا
اني رايت العشرة في تلك الورقه والاربعين في هذه ما شككت
انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حدثان الدول منظوما ومنثورا
ورجزا ما شاء الله ان يكتبوه وبايدي الناس متفرق كثير منها وتسمى
الملاحم وبعضها في حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة دولة
على الخصوص وكلها منسوبة الى مشاهير من اهل الخليقة وليس منها
اصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب اليه فمن هذه الملاحم
بالمغرب قصيده ابن مرانة من بحر الطويل على روي الراء ومطلعها كذا
ولعل نهايتها ظ
وهي متداوله بين الناس ويحسب العامه انها من الحدثان العام
فيطبقون كثيرا منها على الخاص والمستقبل والذي سمعناه من

من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونه لان الرجل كان قبيل
دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبته من ايدي موالي بني حمود و
ملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بايدي اهل المغرب ايضا قصيده
تسمى التبعية اولها

طربت وماذاك مني طرب ... وقد يطرب الطاير المغتصب
وماذاك مني للهوا راه ... ولكن لتذكار بعض السبب

قريبا من خمسماية بيت او الف بيت فيما يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الموحدين واشار الى الفاطمي وغيره
والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملعبة من الشعر
الزجلي منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلوين
والنحسين وغيرهما وذكر ميتته قتيلا بفاس وكان كذلك فيما زعموا واوله

في صبغ ذا الازرق لشي فيه خيارا ... فافهموا يا قوم هذي الاشارا
نجم زحل الخبر بذي العلاما ... وبدا لشكلا وهو سلاما
شاشية زرقا بدل العماما ... وطاشرا ازرق بدل الغفارا

يقول في اخره

ندتم ذا التجنيس لانسان يهودي ... يصلب على واد فاس في يوم عيد
حتى يجوه الناس من البوادي ... وقتل يا قوم على الغزارا

وابياته نحو الخمسماية وهي في احكام القرانات التي دلت على دولة
الموحدين ومن ملاحم المغرب ايضا قصيده من عروض المتقارب على
الباء في حدثان دوله بني ابي حفص بتونس من الموحدين منسوبه لابن
الابار وقال لي قاضي قسنطينه الخطيب الكبير ابو علي ابن باديس
وكان بصيرا بما يقول وله قدم في علم النجوم فقال لي ان هذا ابن
الابار ليس هو الحافظ الكاتب مقتول المستنصر وانما هذا رجل
خياط من اهل تونس تواطات شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي
رحمه الله ينشدني الابيات من هذه الملحمة وبقي بعضها في حفظي مطلعها

عذيري من زمن قلب ... يغر ببارقه الاشنب

ومنها في ذكر اللحياني تاسع ملوك الدولة
فيبعث من جيشه تايدا ... ويبقى هناك على مرقب
وتاتي الى الشيخ اخباره ... فيقبل

كالجمل الاجرب ويظهر من عدله سيرة وتلك سياسة مستجلب

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فاما رايت الرسوم امحت ... ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في الترحل عن تونس ... وودع معالمها واذهب
فسوف تكون بها فتنة ... تضيف البري الى المذنب

ووقفت بالمغرب على ملحمة اخرى في دولة بني حفص هو لابن تونس فيها بعد السلطان ابي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر اخيه محمد يقول فيه

وبعد ابو عبد الاله شقيقه ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل الآن هذا الرجل لم يملك بعد اخيه وكان يمني بذلك نفسه الى ان هلك ومن ملاحم المغرب ايضا الملعبة المنسوبة الى الهوشني على لغة العامة في عروض البلد اولها

دعني يا دمعي الهتان ... فنزت الامطار ولم تفتر
واشفقت كلها الوديان ... وانتي تملا وتتغدر
البلدان كلها تروى ... فاوقاتا مثل ما تدري
وانين الصيف والشتا ... والفاكا والربيع تجري
قال حين صحت الدعوى دعني نبكي ومن عذري
ايا دبري في ذي الازمان ... ذا القرن اشتد وتمرمر

وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليها الوضع لانه لم يصح منها قول الا على تاويل العامة او يجازف فيه من ينتحلها من الخاصة ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم تاويله الا الله تتخلله اوفاق عددية ورموز ملغوزة واشكال حيوانات تامة ورؤس مقتطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي اخرها قصيدة على روي اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تبن على اصل علمي من نجامة ولا من غيرها ومن غريب ما سمعت بعض الخواص يتناولونه بمصر عن ملحمة ابن العربي ولعلها غير هذه انه تكلم على طالع بناء

الكلام على شجرة النسخ

بناء القاهرة وانه جعل مدة عمرانها اربع مائة وستين سنة من دلالات ذلك الطالع النجومية وينتهي ذلك الى حدود الثلاثين بعد الثمان مايه لانا اذا حملنا على الاربع مايه والستين حساب القمري لانها شمسية فتزيد عليها بحساب ثلثة لكل مايه اربع عشرة سنة فتكون اربع مايه واربعا وسبعين سنة نحملها على ثلثماية وثمان وخمسين من الهجرة تاريخ بنائها يكون ثمان مايه سنه واثنين وثلاثين سنه هذا ان صح كلام ابن العربي وصدقت الدلايل النجومية وسمعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى منسوبة لابن سينا وابن عقب وليس في شي منها دليل على الصحة لان ذلك انما يوخذ من القرانات ووقفت بالمشرق ايضا على ملحمة في حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفيه يسمى الباجربقي وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجفر يا سكني ... من علم خير وصي والد الحسن
فافهم وكن واعيا حرفا وجملته ... والوصف فاضل كفعل الحاذق الفطن
اما الذي قبل عصري لست اذكره ... لكنني اذكر الاتي من الزمن
ببيبرس يسقي بخاء بعد خمستها ... وحاء ميم بطيش نام في الكفن

ومنها

شين له اثر من تحت سرته ... له القضا قضاء اي ذي المنن
لمصر والشام مع ارض العراق له ... واذربيجان من ملك الى اليمن

ومنها

وال نوار لما نال ظاهرهم ... الفاتك الباتك المعني بالشجن

ومنها

اخلع سعيدا ضعيف السن ... سين اتالا وقاف ونون لزقي قرن
قوم شجاع له عقل ومشورة ... يسقي بحاء وابن بعد ذو شجن

ومنها

من بعد باء من الاعوام قتلته ... يلي المشوه ميم الملك ذو اللسن
هذا هو الاعرج الكلبي فاعن به ... في عصره فتن ناهيك من فتن
ياتي من الشرق جيش الترك يقدمه ... عار عن القاف قاف جر بالفتن

وذكر لي من اثق بمعرفته من اهل مصر ان الذي في ملحمة ابن العربي ان خراب القاهرة يكون عند عشرين وثمان مايه [illegible] المنقولات ان الطاعون كلها وقت ذلك
صح

فقيل ذاك فويل الشام اجمعها   فاندب بشجو على الاهلين والقطن
اذا اذا زلزلت ياويح مصر من الزلزال ما زال عاما غير مقتطن
طار وطاء وعين كلهم حبسوا هلكى ويتفق امو الابهلاء ثمن
بسير القاف قافاً نحو احدهم   هون به ان ذاك يخلص في مكن

ومنهـــا

وينصبون اخاه وهو صاحبهم   لام الف شين لذاك ثني

ومنهـــا

تمت ولايتهم بالحاء لا احدٌ   من البنين يداني الملك في الزمن

ومنهـــا

ويقال انه اشارة الى الملك الظاهر بيبرس وقدوم ابيه عليه بمصر
ياتي اليه ابو بعد هجرته وطول غيبته بالنطف والدرن
وابياتها كثيرة والغالب انها مصنوعة ومثل صنعها كان في القديم كثيرًا ومعروفا لانتحال حكى المورخون لاخبار بغداد انه كان بها ايام المقتدر وراق ذكي يعرف بالدانيالي يبلي الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسماء اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والجاه كانها ملاحم ويحصل بذلك على ما يريده منهم من الدنيا وانه وضع في بعض دفاتره ميم مكررة ثلث مرات وجاء به الى مفلح مولى المقتدر وكان عظيما في الدولة فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى مقتدر ميم من كل واحدة وذكر عندها ما يعلم فيه رضاه مما يناله من الملك والسلطان ونصب له علامات لذلك من احواله المتعارفة موهما بها عليه فبذل له ما اغناه به ثم وضعه الوزير الحسن بن القسم ابن وهب على مفلح هذا وكان معزولا فجاءه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وانه يلي الوزارة للثامن عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا في ايامه ووقف مفلحا على الاوراق وذكر فيها كوائن اخر وملاحم من هذا النوع مما وقع وما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال الحدية

عليه السلام فاعجب به مفلح ووقف عليه المقتدر فاهتدى من ذلك الرموز والعلامات الى ابن وهب لظهورها وكان ذلك سببا لوزارته بمثل هذه الحيل العريقة في الكذب والجهل بمثل هذه الالغاز والظاهر هذه الملحمة التي ينسبونها الى الباجربقي من هذا النوع ولقد سالت اكمل الدين شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب له من الصوفية وهو الباجربقي وكان عالما بطرايقهم فقال كان من المعروفين بالقرندلية المبتدعين في حلق اللحية وكان يتحدث عمن يكون من الملوك لعصره بطريق الكشف ويومي الى رجال معينين عنده ويلغز عنهم بحروف يعينها في ضميره لمن يراه منهم وربما نظم ذلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها فتنوقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهدي الى كشفه قانون يعرف قبله او يوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم

فرايت من كلام هذا الرجل الفاضل
شفاء لما كان في النفس من امر
هذه الملحمة وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله الجزء
الاول من كتاب العبر في اخبار
العرب والعجم والبربر ويتلوه
الجزء الثاني
الفصل الرابع
من الكتاب
الاول

قد تم

وقد تشرفت بمطالعته ونقد الاشكال
ومقابلته خلال ١٣٠٣
تصحيحه

انتهى

م م

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٠ وكفى عبده

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار والمدن وسائر العمران الحضري وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

فصل في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثانية عن الملك

وبيانه ان البنا واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متاخر عن البداوة ومنازعها وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل واجرام عظيمة وبنا كبير اذ هي موضوعة للعموم لا للخصوص فيحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعم البلوى بها حتى يكون نزوعهم اليها شوقيا واضطراريا بل لا بد من اكراههم على ذلك وسوقهم اليه مضطهدين بعصا الملك او مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي به لكثرته الا الملك والدولة فلا بد في تمصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فعمر الدولة حينئذ عمر لها فان كان امد الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت وان كان امد الدولة طويلا ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الاسوار يتباعد وينفسح الى ان تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وامثالها ذكر الخطيب في تاريخه ان الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المأمون

خمسة

خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة واحدة يجمعها سور واحد لافراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر والقاهرة بعدها فيما يبلغنا لهذا العهد واما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما ان يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبسائط بادية تمدها العمران دائما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها عمران الجبال لان اهل البدو اذا انتهت احوالهم الى غاياتها من الرفه والكسب نزعوا الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتاهلون فيها واما ان لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تفيدها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقا لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيئا فشيئا الى ان يبذعر ساكنها وتخرب كما وقع في بغداد ومصر والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة ابن حماد بالمغرب وامثالها فتفهم وربما ينزل المدينة بعد انقراض مختطيها الاولين ملك اخر ودولة ثانية تتخذها قرارا وكرسيا وتستغني بها عن اختطاط المدينة لنزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتتزيد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفها وتستجد بعمرها عمرا اخر كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد فاعتبر ذلك وافهم سر الله في خليقته

فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان القبائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الامصار لامرين احدهما ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وحط الاثقال واستكمال ما كان ناقصا من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك

السياج كالكتاب يحى[?] وما احيط به على شي مثل النخل والكرم
قاموس

ابذعروا تفرقوا وفرقوا
ق

من امر المنازعين والمشاغبين لان المصر الذى يكون فى نواحيهم ربما يكون ملجا لمن يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذى سموا اليه من ايديهم فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة بما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم شوكة والعصابة انما احتيج اليها فى الحرب للثبات بما يقع من كرة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلا بالجدران فلا يضطرون الى كثير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا المصر ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت فى عضد الامة التى تروم الاستيلاء ويخضد شوكة استيلائها فاذا كانت بين احيائهم امصار انتظموها فى استيلائهم للامن من مثل هذا الانخرام وان لم يكن هنالك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم اولا وحط اثقالهم وليكون ثانيا شجا فى حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوايفهم وعصايبهم فقد تبين ان الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله غالب على امره

فصل فى ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكبير

قد قدمنا ذلك فى آثار الدول من المبانى وغيرها وانها تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين فى ذلك اكثر الامر بالهندام الذى يضاعف القوى والقدر فى حمل اثقال البنا لعجز القدر البشرية عن ذلك كالميخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ايوان كسرى واهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب انها كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتخيل لهم اجساما تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير فى اطوالها وعروضها واقطارها ليناسب بينها وبين القدر التى صدرت تلك المبانى عنها ويغفل

عن

عن شان الهندام والميخال وما اقتضته فى ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتقلبين فى البلاد يعاين من شان البنا واستعمال الحيل فى نقل الاجرام عند اهل الدول المعتنين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا واكثر آثار الاقدمين لهذا العهد تسميها العامة عادية نسبة الى قوم عاد لتوهمهم ان مبانى عاد ومصانعهم انما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين نعرف مقادير اجسامهم من الامم وهى فى مثل ذلك العظم واعظم كايوان كسرى ومبانى العبيديين من الشيعة بافريقية والصنهاجيين واثرهم باد الى اليوم فى صومعة قلعة ابن حماد وكذلك بنا الاغالبة فى جامع القيروان وبنا الموحدين فى رباط الفتح وبنا السلطان ابى الحسن لعهد اربعين سنة فى المنصورة بازاء تلمسان وكذلك الحنايا التى جلب اهل قرطاجنة اليها الما فى القناة الراكبة عليها ماثلة ايضا لهذا العهد وغير ذلك من المبانى والهياكل التى نقلت الينا اخبار اهلها قريبا وبعيدا وتيقنا انهم لم يكونوا بافراط فى مقادير اجسامهم وانما هذا راى ولع به القصاص عن قوم عاد وثمود والعمالقة ونحن نجد بيوت ثمود فى الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت فى الحديث الصحيح انها بيوتهم يمر بها الركب الحجازى اكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد فى جوها ومساحتها وسمكها على المتعاهد وانهم ليبالغون فيما يعتقدون من ذلك حتى انهم ليزعمون ان عوج ابن عناق من جيل كنعان كان يتناول السمك من البحر طريا فيشويه فى الشمس يزعمون بذلك ان الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابلة سطح الارض والهواء واما الشمس فى نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هى كوكب مضىء لا مزاج له وقد تقدم شىء من هذا فى الفصل الثانى حيث ذكرنا ان الدول على نسبة قوتها فى اصلها والله يخلق ما يشاء

فصل فى ان الهياكل العظيمة جدا لا يستقل ببنائها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البنا الى التعاون ومضاعفة
القدر البشرية وقد يكون المباني في عظمها اكبر من القدر مفردة
او مضاعفة بالهندام كما قلناه فتحتاج الى معاونة قدر اخرى مثلها
في ازمنة متعاقبة الى ان يتم فيبتدى الاول منهم بالبنا ويعقبه الثاني
والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شانه في حشر الفعلة وجمع الايدي
حتى يتم القصد من ذلك ويقوم ماثلا للعيان يظنه من يراه من
الاخرين انه بنا دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المورخون
في بنا سد مارب وان الذي بناه سبا بن يشجب وساق اليه سبعين
واديا وعاقه الموت عن اتمامه فاتمه ملوك حمير من بعده ومثل
هذا نقل في بنا قرطاجنة وقناتها الراكبة على الحنايا العادية واكثر
المباني العظيمة في الغالب لشانها هذا ويشهد لذلك ان المباني العظيمة
لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في تاسيسها واختطاطها فاذا لم يتبع
اثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد
فيها ويشهد لذلك ايضا انا نجد اثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز
الدولة عن هدمها وتخريبها مع ان الهدم اسهل من البنا بكثير
لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبنا على خلاف
الاصل فاذا وجدنا بنا تضعف قدرنا البشرية عن هدمه مع
سهولة الهدم علمنا ان القدر التي اسسته مفرطة القوة وانها
ليست اثر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ايوان
كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو
في محبسه يستشيره في ذلك فقال يا امير المومنين لا تفعل واتركه
ماثلا يستدل به على عظم ملك ابائك الذي سلبوا الملك لاهل
ذلك الهيكل فاتهمه في النصيحة وقال اخذته النعرة للعجم والله لاصرعنه
عنه وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له الفوس وحماه لوضعه
بالنار وصب عليه الخل حتى اذا ادركه العجز بعد ذلك كله وخاف
الفضيحة بعث الى يحيى يستشيره ثانيا في التجافي عن الهدم فقال
يا امير المومنين لا تفعل استمر على شانك لئلا يقال عجز امير المومنين

وملك

وملك العرب عن هدم مصنع من مصانع العجم فعرفها الرشيد واقصر
عن هدمه وكذلك اتفق للمامون في هدم الاهرام التي بمصر وجمع
الفعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نقبه فانتهوا الى جو بين
الحايط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم
وهو الى اليوم فيما يقال منفذ ظاهر ويزعم زاعمون انه وجد هنالك
ركازا بين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلقة بقرطاجنة
الى هذا العهد يحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم
ويستجيد الصناع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الايام
العديدة ولا يسقط الصغير من جدرانها الا بعد عصب الريق وتجتمع
له المحافل المشهورة شهدت منها في ايام صباي كثير والله على كل شي قدير بلغ

فصل فيما تجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا اغفل عن المرعات

المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف
ودواعيه فتوثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار
ولما كان ذلك للقرار والماوى وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية
من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من
المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها معا سياج الاسوار وان
يكون وضع ذلك في ممتنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة
من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد
العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف
امتناعها وحصنها ومما يراعى في ذلك للحماية من الافات السماوية
طيب الهوا للسلامة من الامراض فان الهوا اذا كان راكدا خبيثا او
مجاور المياه فاسدة ومناقع متعفنة او مروج خبيثة اسرع اليه
العفن من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة
وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب الهوا كثيرة الامراض
في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد
بافريقية فلا يكاد ساكنها او طارقها يخلص من حمى العفن بوجه
ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل البكري

فى سبب حدوثه انه وقع فيها حفر ظهر فيه على اناء من نحاس مختوم
بالرصاص فلما فض ختامه صعد منه دخان الى الجو وانقطع وكان
ذلك بدو امراض الحميات فيه واراد بذلك ان الاناء كان مشتملا
على بعض اعمال الطلسمات لوبائه وانه ذهب سره بذهابه فرجع
الى العفن والوبا وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومناحيهم
الركيكة والبكرى لم يكن من متانة العلم واستنارة البصيرة بحيث
يدفع مثل هذا او يتبين خرفه فنقله كما سمعه والذى يكشف الحق
فى ذلك ان هذه الاهوية العفنة اكثر ما يهيئها لتعفين الاجسام
وامراض الحميات ركودها فاذا تخللها الريح وتفشت وذهب بها
يمينا وشمالا خف شان العفن والمرض المتادى منها للحيوانات
والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات اهله فيتموج الهوا ضرورة
ويحدث الريح المتخلل للهوا الراكد ويكون ذلك معينا له على الحركة
والتموج واذا خف الساكن لم يجد الهوا معينا على حركته وتموجه
فبقى راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند
ما كانت افريقية مستجدة العمران كثيرة الساكن تموج باهلها موجا
فكان ذلك معينا على تموج الهوا واضطرابه وتخفيف الاذى منه
فلم يكن فيها كبير عفن ولا مرض وعند ما خف ساكنها ركد هواها
المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض هذا وجهه لا غير
وقد راينا عكس ذلك فى بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهوا
وكانت اولا قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما كثر ساكنها
انتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى
بالبلد الجديد وكثير من ذلك فى العالم فتفهم تجد ما قلته لك وقد
ذهب لهذا العهد القريب فساد الهوا من قابس وزال عفنها لما
حاصرها سلطان تونس وقطع الغابة من النخيل التى كانت محيطة بها
فانفرج جانب منها وتموج الهوا المحيط بها وتخللته الرياح فذهب
منه العفن والله مصرف الامور واما جلب المنافع والمرافق للبلاد
فيراعى فيه امور منها الما وان يكون البلد على نهر او بازائها

عيون عذبة ثرة فان وجود الما قريبا من البلد مسهل على
الساكن حاجة الماء وهى ضرورية فيكون لهم فى وجوده مرفقة
عامة ومما يراعى من المرافق فى المدن طيب المراعى لسايمتهم اذ
صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب
ولا بد لها من المراعى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك ارفق لهم
مما يعانون من المشقة فى بعده ومما يراعى ايضا المزارع فان
الزرع هو القوت فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك
اسهل فى اتخاذه واقرب فى تحصيله ومن ذلك الشعر للحطب
والبنا فان الحطب مما تعم البلوى فى اتخاذه لوقود النيران
للاصطلا والخشب ايضا ضرورى لسقفهم وكثير ما يستعمل فيه
الخشب من ضروراتهم وقد يراعى ايضا قربها من البحر لتسهيل
الحاجات القصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة
الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجة وما تدعو اليه ضرورة
الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعى
وانما يراعى ما هو اهم على نفسه او قومه ولا يذكر حاجة غيرهم
كما فعله العرب لاول الاسلام فى المدن الذى اختطوها بالعراق
والحجاز وافريقية فانهم لم يراعوا فيها الا المهم عندهم من مرعى
الابل وما يصلح لها من الشجر والما الملح ولم يراعوا الما ولا المزارع
ولا الحطب ولا مراعى السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك
كالقيروان والكوفة والبصرة وسلجماسه وامثالها ولهذا كانت
اقرب الى الخراب لما لم تراع فيها الامور الطبيعية **فصل**
ومما يراعى فى البلاد الساحلية التى على البحر ان تكون فى جبل
او تكون بين امة من الامم موفورة العدد تكون صريخا للمدينة
متى طرقها طارق من العدو والسبب فى ذلك ان المدينة
اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل
العصبيات ولا موضعها فى متوعر من الجبال كانت فى غرة
للبيات وسهل طروقها فى الاساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها

الشعر وهى الارض ذات الشجر او الشجرة
والروضة يغمر اصلها الشجر
قاموس

بلغ

لما يامن من وجود الصريخ لها وان الحضر المتعودين للدعة قد صاروا عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذا كالاسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونه وسلا ومتى كانت القبائل والعصبيات موطنين بقربها بحيث يبلغهم الصريخ والنفير وكانت متوعرة المسالك على من يرومها باختطاطها فى هضاب الجبال وعلى اسنمتها كان لها بذلك منعة من العدو ويئسون من طروقها لما يكودهم من وعرها وما يتوقعونه من اجابة كما فى سبتة وبجاية وبلد القل على صغرها فافهم ذلك واعتبره فى اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع ان الدعوة كانت من ورائها ببرقة وافريقية وانما اعتبر فى ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها ولذلك والله اعلم كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس فى الملة مرات متعددة

فصل فى المساجد والبيوت المعظمة فى العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السنة رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة بهم وكانت المساجد الثلثة هى افضل بقاع الارض فيما علمنا حيث ما ثبت فى الصحيحين وهى مكة والمدينة وبيت المقدس فمكة بيت ابرهيم صلوات الله عليه امره الله ببنائه وان يؤذن فى الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسمعيل م كما قصه القران وقام بما امره الله فيه وسكن اسمعيل م به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منها وبيت المقدس بيت داود وسليمن عليهما السلام امرهما الله ببنا مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق م حواليه والمدينة مهاجر نبينا صلوات الله عليه امره الله بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها ومنها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف فى تربتها فهذه المساجد الثلثة قرة عين المسلمين ومهوى افئدتهم وعصمة دينهم وفى الاثار من فضلها ومضاعفة الثواب فى مجاورتها والصلوة فيها كثير معروف

فلنشر

فلنشر الى شئ من الخبر عن اولية هذه المساجد الثلثة وكيف تدرجت احوالها الى ان كمل ظهورها فى العالم فاما مكة فاوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محمل الاية فى قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت ثم بعث الله ابرهيم وكان من شانه وشان زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه ان يفارق هاجر ويبعدها مع ابنها اسمعيل الى فاران وهى جبال مكة مما وراء الشام وبلد ايلة فاخرجها الى هنالك ولحقت بمكان البيت وادركها العطش وكيف الله لهما من اللطف فى نبع ما من زمزم ومرور الرفقة من جرهم بهما حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالى زمزم كما عرف فى موضعه فاتخذ اسمعيل بموضع الكعبة بيتا ياوى اليه وادار عليه سياجا من الدوم وجعله زربا لغنمه وجا ابرهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام امر فى اخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بابنه اسمعيل ودعا الناس الى حجه وبقى اسمعيل ساكنا به ولما قبضت امه هاجر دفنها فيه ولم يزل قائما بخدمته الى ان قبضه الله تعالى ودفن مع امه هاجر وقام بنوه بعده بامر البيت مع اخوالهم من جرهم ثم العمالقة من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهوون اليها من كل افق من جميع اهل الخليقة لا من بنى اسمعيل ولا من غيرهم ممن دنا او نآى فقد نقل ان التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبع الذى يسمى قبار اسعد ابا كرب كساها الملاء والوصائل وامر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ونقل ايضا ان الفرس كانت تحجه وتقرب اليه وان غزالى الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم كان من قرابينهم ولم تزل لجرهم الولاية عليه بعد بنى اسمعيل ومن قبل خؤولتهم حتى اخرجتهم خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شا الله ثم كثر ولد اسمعيل وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم كنانة الى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على امره واخرجوهم من البيت

وملكوها وعليهم يومئذ قصى بن كلاب فبنى البيت وسقفها بخشب الدوم
وجريد النخل قال الاعشى بيت
حلفت بثوبي راهب والتى بناها قصى وحده وابن جرهم
ثم اصاب البيت سيل فى ولايتهم ويقال حريق وتهدم فاعادوها
بناه وجمعوا النفقة لذلك من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل
جدة فاشتروا اخشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها
ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة
ليلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن
قواعده وتركوا منه ستة اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من
ورائه وهو الحجر وبقيت على هذا البنا الى ان تحصن ابن الزبير
بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش يزيد بن معويه مع
الحصين بن نمير السكونى سنة اربع وستين فاصابه حريق يقال
من النفط الذى رموا به على ابن الزبير فتصدعت حيطانه فهدمه
ابن الزبير واعاد بناه احسن ما كان بعد ان اختلف عليه الصحابة
فى بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعايشة
لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابرهيم
ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن اساس ابرهيم
عليه السلام وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه واشار عليه
ابن عباس بالتحرى فى حفظ القبلة على الناس فادار على الاساس
الخشب ونصب من فوقها الستور حفظا للقبلة وبعث الى صنعا
فى القصة والكلس فحملها وسال عن مقطع الحجارة الاول فجمع
منها ما احتاج اليه ثم شرع فى البنا على اساس ابرهيم ورفع
جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين
بالارض كما روى فى حديثه وجعل فرشها وازرها بالرخام
وصاغ لها المفاتيح وصفايح الابواب من الذهب ثم جاء الحجاج
لحصاره ايام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات الى ان
تصدعت حيطانه ثم لما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فى بنائه

القصة الجص والكلس الصاروج

وزاده

وزاده فى البيت فامره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هى اليوم
ويقال انه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عايشة
وقال وددت انى كنت حملت ابا خبيب من امر البيت وبنائه ما تحمل
فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشبرا مكان الحجر وبناها على اساس
قريش وسد الباب الغربى وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقى
وترك سائرها لم يغير شيا فكل بنا فيها اليوم بنا ابن الزبير وبين بنائه
وبنا الحجاج فى الحائط صلة ظاهرة للعيان لحمة بين البنائين متميز عن البنا
بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم ويعرض هنا اشكال قوى لمنافاته
لما يقوله الفقها فى امر الطواف وتحرز الطايفان يميل على الشاذروان
الدائر باساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه داخل البيت بنا على ان
الجدار انما قام على بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان
وكذا قالوا فى تقبيل الحجر الاسود لابد من رجوع الطايف من التقبيل
حتى يستوى قايما ليلا يقع بعض طوافه داخل البيت واذا كانت الجدران
كلها من بنا ابن الزبير وهو انما بنا على اساس ابرهيم فكيف يقع هذا
الذى قالوه ولا مخلص من ذلك الا باحد امرين اما ان يكون الحجاج
هدمه جميعا واعاده وقد نقل ذلك جماعة الا ان العيان فى شواهد البنا
بالتحام ما بين البنائين وتمييز احد الشقين من اعلاه عن الاخر فى الصناعة
يرد ذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابرهيم من
جميع جهاته وانما فعل ذلك فى الحجر فقط ليدخله فهى الان مع كونها
من بنا ابن الزبير ليست على قواعد ابرهيم وهذا بعيد ولا محيص عن هذين
والله اعلم ثم ان ساحة البيت وهو المسجد كان فضا للطائفين ولم يكن
عليه جدار ايام النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر من بعده ثم كثر الناس
فاشترى عمر دورا هدمها وزادها فى المسجد وادار عليه جدارا دون
القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك
وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدى من بعده
ووقفت الزيادة واستقر على ذلك لعهدنا وتشريف الله لهذا البيت
وعنايته اعظم من ان يحاط وكفاية من ذلك ان جعله مهبطا للوحى

والبناء

والملائكة ومكانا للعبادة وفرض فيه شعائر الحج ومناسكه واوجب لحرمه
من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحرمة ما لم يوجبه لغيره فمنع كل
من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم واوجب على داخله
ان يتجرد من المخيط الا ازارا يستره وحمى العايذ به والراتع في مسارحه
من مواقع الافات فلا يراع فيه خائف ولا يعضد له وحش ولا يحتطب
شجر وحدّ الحرم الذى تختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلثة
اميال الى التنعيم ومن طريق العراق سبعة اميال الى ثنية جبل
المنقطع ومن طريق الجعرانة تسعة اميال الى الشعب ومن طريق
الطائف سبعة اميال الى بطن نمرة ومن طريق جدة عشرة اميال
الى منقطع العشاير هذا شان مكة وخبرها وتسمى ام القرى وتسمى
الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها ايضا بكة قال الاصمعى
لان الناس يبك بعضهم بعضا اليها اى يدفع وقال مجاهد انما هى
بابكة ابدلوها ميما كما قالوا لازم ولازب لقرب المخرجين وقال
النخعى بل بالبا البيت وبالميم البلد وقال الزهرى بالبا المسجد كله
وبالميم الحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك
تبعث اليه بالاموال والذخاير ككسرى وغيره وقصة الاسياف
وغزالى الذهب التى وجدها عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة
وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فى الجب الذى
كان فيها سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك تهدى
الى البيت قيمتها الفا الف دينار اثنان مكررة مرتين بمائتى قنطار
وزنا وقال له على بن ابى طالب يا رسول الله لو استعنت بهذا المال
على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابى بكر فلم يحركه هكذا قال الازرقى
وفى البخارى بسنده الى ابى وائل قال جلست الى شيبة بن عثمان
وقال جلس الى عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع فيها صفرا ولا
الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال فلم قلت لم يفعله صاحباك
قال هما المرآن يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجه واقام
ذلك المال الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسين بن الحسين

بن على

بن على بن زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب
على مكة عمد الى الكعبة فاخذ ما فى خزائنها وقال ما تصنع الكعبة
بهذا المال موضوعا فيها لا ينتفع به نحن احق به نستعين به على حربنا
واخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من يومئذ واما بيت المقدس
وهو المسجد الاقصى فكان اول امره ايام الصابية موضعا لهيكل الزهرة
وكانوا يقربون ويصبون الزيت على الصخرة التى هنالك ثم دثر ذلك الهيكل
واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلة لصلوتهم وذلك ان موسى
صلوات الله عليه لما خرج ببنى اسرائيل من مصر ليملكهم بيت المقدس
كما وعد الله اباهم اسرائيل واباه اسحق ويعقوب من قبله واقاموا بارض
التيه امره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها
وصفتها وهياكلها وتماثيلها وان يكون فيها تابوت ومائدة بصحافها
ومنارة بقناديلها وان يصنع مذبحا للقربان ووصف ذلك كله
فى التورية اكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو
التابوت الذى فيه الالواح المصنوعة عوضا من الالواح المنزلة
بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها وعهد الله الى موسى
بان يكون هرون صاحب القربان ونصبوا تلك القبة بين خيامهم فى التيه
يصلون اليها ويقربون فى المذبح امامها ويتوجهون للوحى عندها
ولما ملكوا ارض الشام انزلوها بكلكال من بلاد الارض المقدسة ما بين
قسم بنى يامين وبنى افراييم وبقيت هنالك اربعة عشرة سنة سبعا
مدة الحرب وسبعا بعد الفتح ايام القسمة البلاد ولما توفى يوشع عم
نقلوها الى بلد شيلو قريبا من كلكال وادار وا عليها الحيطان واقاموا
على ذلك ثلثمائة سنة حتى ملكها بنو فلسطين من ايديهم كما مر وتغلبوا
عليهم ثم ردوا عليهم القبة ونقلوها بعد وفاة عالى الكوهن الى نوف
ثم نقلت ايام طالوت الى كنعون فى بلد بنى يامين ولما ملك داود
عليه السلام نقل القبة والتابوت الى بيت المقدس وجعل عليها خباء
خاصا ووضعها على الصخرة وبقيت تلك القبة قبلتهم واراد داود عليه السلام
بناء مسجد على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابنه سليمن عم

ينع

البه آلزيت

السنط قرظ نبت بمصر والقرظ محركة ورق السلم كذا بهامش قاموس

آلة

اقسم

فبناه لاربع سنين من ملكه ولخمس مائة سنة من وفاة موسى عليه السلام
واتخذ عمده من الصفر وجعل فيه صرح الزجاج وغشى ابوابه وحيطا
بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله واوعيته ومناوره ومفاتيحه
من الذهب وجعل ظهره مقبوا ليودع فيه تابوت العهد وجاء به من
صهيون بلد ابيه داود نقله اليها ايام عمارة المسجد فجيء به تحمله الاسباط
والكهنونية حتى وضع في القبو ووضعت القبة والاوعية والمذبح
كل حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بخت نصر
بعد ثمانمائة سنة من بنائه واحرق التورية والعصاة وسبك الهياكل
ونثر الاحجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبي بني اسرائيل
لعهده باعانة بهمن ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني اسرائيل
عليه من سبي بختنصر وحد لهم في بنائه حدودا دون بنا سليمن عم
فلم يتجاوزوها واما الاواوين التي تحت المسجد يركب بعضها بعضا
عمودا الاعلى منها على قوس الاسفل في طبقتين ويتوهم كثير من الناس
انها اصطبلات سليمن عليه السلام وليس كذلك وانما بناها تنزيها
للبيت المقدس عما يتوهم من النجاسات لان النجاسة في شريعتهم وان
كانت في باطن الارض وكان ما بينها وبين ظاهر الارض محشوا بالتراب
بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خط مستقيم ينجس ذلك الظاهر
بالتوهم والمتوهم عندهم كالمحقق فبنوا هذه الاواوين على هذه الصورة
بعمود الاواوين السفلية ينتهي الى اقواسها وينقطع خط فلا تتصل
النجاسة بالاعلى على خط مستقيم وتنزه البيت عن هذه النجاسة
المتوهمة ليكون ذلك ابلغ من الطهارة والتقديس ثم تداولتهم
ملوك يونان والفرس والروم واستقل الملك لبني اسرائيل في
هذه المدة لبني حشمناي من كهنونيتهم ثم لصهرهم هيرودس ولبنيه
من بعدهم وبنى هيرودس بيت المقدس على حدود سليمن عليه السلام
وتانق فيه حتى اكمله في ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم
وغلبهم وملك امرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وامر ان يزرع
مكانه ثم اخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف

حال

المنارة والاصل منورة موضع النور كالمنار والمسرجة والمأذنة جمعه مناور ومنابر قاموس

والايوان بالكسر الصفة العظيمة كالازج جمعه ايوانات واواوين قاموس

بخ

حال ملوك الروم في الاخذ بدين النصرانية تارة وتركه اخرى
الى ان جاء قسطنطين وتنصرت امه هلانة وارتحلت الى القدس
في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبروها القساوسة
بانه رمى بخشبته على الارض والقي عليه القمامات والقاذورات فاستخرجت
الخشبة وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على
قبره بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وامرت بطرح
الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفي مكانها جزاء بزعمها
لما فعلوه في قبر المسيح ثم بنوا ازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي
ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام
والفتح وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسال عن الصخرة فارى مكانها
وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق
البداوة وعظم من شانه ما اذن الله في تعظيمه وما سبق في ام الكتاب
من فضله حسبما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده
على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد
الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي مسجد
دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزم ملك الروم ان يبعث
الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمقوها بالفسيفساء فاطاع
لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما ضعف امر الخلافة اعوام
الخمسمائة من الهجرة وفي اخرها وكانت في ملكة العبيديين خلفاء
القاهرة من الشيعة واختل امرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس
فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة
منه كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح
الدين بن ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحا اثر العبيديين
وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى
غلبهم على البيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام
وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة واظهر
الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه لهذا العهد ولا يعرض

القمامة البطارقة ق

بعض القمامات ايضا جمع قمامة

القمامة بالضم الكناسة الجمع قمام والنصرانية بنت ديرا بالمقدس فسمي باسمها تحكما قاموس

الاحتفال الوضوح والمبالغة كالتحفل وحسن القيام بالامور ق

الفسيفساء الوان من الخرز تركب في حيطان البيوت من داخل اردو ممنه ق

الاشكال المعروف فى الحديث الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم
سئل عن اول بيت وضع فقال مكة فسئل ثم اى قال بيت المقدس قيل
فكم بينهما قال اربعون سنة فان المدة بين بنا مكة وبنا بيت المقدس
بمقدار ما بين ابرهيم وسليمن لان سليمن بانيها وهو ينيف على الالف
بكثير واعلم ان المراد بالوضع فى الحديث ليس البنا وانما المراد اول
بيت عين للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة
قبل سليمن بمثل هذه المدة وقد نقل ان الصابية بنوا على الصخرة هيكل
الزهرة فلعل ذلك لانها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع
الاصنام والتماثيل حول الكعبة وفى جوفها والصابية الذين بنوا
هيكل الزهرة كانوا على عهد ابرهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الاربعين
سنة بين وضع مكة للعباده ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك
بنا كما هو المعروف وان اول من بنا المقدس سليمن عليه السلام
فتفهمه ففيه حل هذا الاشكال **واما المدينة** وهى المسماة يثرب
فهى من بنا يثرب بن مهلائل من العمالقة وبه سميت وملكها
بنو اسرائل من ايديهم فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاورهم ابنا قيلة
من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها ثم امر النبى صلى الله عليه وسلم
بالهجرة لما سبق من عناية الله لها فهاجر اليها ومعه ابو بكر وتبعه
اصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته فى الموضع الذى كان الله
قد اعده لذلك وشرفه فى سابق ازله واواه ابنا قيلة ونصروه
وبذلك سموا الانصار وتمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت
على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار انه
يتحول عنهم الى بلده فاهمهم ذلك فخطبهم صلى الله عليه وسلم واخبرهم
انه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان ملحده الشريف
بها وجا فى فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا خفا فيه ووقع الخلاف
بين [العلماء] فى تفضيلها على مكة وقال به مالك رحمه الله لما ثبت عنده فى ذلك
من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد الوهاب فى المعونة الى احاديث

اخرى

اخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعى واصبحت
على كل حال ثانية المسجد الحرام وجنح اليها الامم بافئدتهم من كل اوب
فانظر كيف تدرجت الفضيلة فى هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية
الله لها وتفهم سر الله فى الكون وتدريجه على ترتيب محكم فى امور الدين
والدنيا واما غير هذه المساجد الثلثة فلا نعلمه فى الارض الا ما يقال
من شان مسجد ادم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه
لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد كانت للامم فى القديم مساجد
يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس والهياكل
ليونان وبيوت العرب بالحجاز التى امر النبى صلى الله عليه وسلم بهدمها
فى غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوتا لسنا من ذكرها فى شئ
اذ هى غير مشروعة ولا هى على طريق دينى ولا يلتفت اليها ولا الى
الخبر عنها ويكفى فى ذلك ما وقع فى التواريخ فمن اراد معرفة الاخبار
فعليه بها والله يهدى من يشاء **فصل فى ان الامصار والمدن**
بافريقية والمغرب قليلة والسبب فى ذلك ان
هذه الاقطار كانت للبربر منذ الاف من السنين قبل الاسلام وان
كان عمرانها كله بدويا ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل احوالها
والدول التى ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى
ترسخ الحضارة منها فلم تزل عوايد البداوة وشونها فكانوا لها اقرب
فلم تكثر مبانيهم وايضا فالصنايع بعيدة عن البربر لانهم اعرق فى البدو
والصنايع من توابع الحضارة وانما تتم المبانى بها فلا بد من الحذق
فى تعلمها ولما لم يكن للبربر انتحال لها لم يكن لهم تشوف الى المبانى
فضلا عن المدن وايضا فهم اهل عصبيات وانساب لا يخلو عن ذلك
جمع منهم والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما يدعو الى المدن
الدعة والسكون ويصير ساكنها عيالا على حاميتها فتجد اهل البدو لذلك
يستنكفون من سكنى المدينة او المقامة بها ولا يدعوهم لذلك الا
الترف والغنى وقليل ما هو فى ايدى الناس فلذلك كان عمران
افريقية والمغرب كله او اكثره بدويا اهل خيام وظواعن وقياطن وكنن

وقيطون كهيئون المخدع كذا فى القاموس وكانه القياطين جمعه

فى الجبال وكان عمران بلاد العجم كله اواكثره قرى وامصار ورساتيق
فى بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وامثالها لان العجم
فى الغالب ليسوا باهل انساب يحافظون عليها ويتناغون فى صراحتها
والتحامها الا فى الاقل واكثر مايكون سكنى البدو لاهل الانساب
لان لحمة النسب اقرب واشد فتكون عصبيته كذلك وتنزع بصاحبها
الى سكنى البدو والتجافى عن المصر الذى يذهب بالبسالة ويصيره
عيالا على غيره فافهمه وقس عليه **فصل فى ان المبانى والمصانع**
فى الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها ومن كان قبلها من الدول
والسبب فى ذلك ما ذكرناه مثله فى البربر بعينه اذ العرب ايضا اعرق
فى البدو وابعد عن الصنايع وايضا وكانوا اجانب من الممالك التى
استولوا عليها قبل الاسلام ولما تملكوها لم يفسح الامر حتى تستوفى
رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مبانى غيرهم وايضا
فكان الدين اول الامر مانعا من المغالات فى البنيان والاسراف
فيه فى غير القصد كما عهد لهم عمر حين استاذنوه فى بنا الكوفة بالحجارة
وقد وقع الحريق فى القصب الذى كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا
ولا يزيدن احد على ثلثة ابيات ولا تطاولوا فى البنيان والزموا
السنة تلزمكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا
بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا
يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتحرج فى امثال هذه
المقاصد وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب امة الفرس
واخذوا عنهم الصنائع والمبانى ودعتهم اليها احوال الدعة والترف
وحينئذ شيدوا المبانى والمصانع وكان عهد ذلك قريبا بانقراض الدولة
ولم يفسح الامد لكثرة البنا واختطاط المدن والامصار الا قليلا
وليس كذلك غيرهم من الامم فالفرس طالت مدتهم الافا من السنين
وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك العرب الاولى من عاد
وثمود والعمالقة والتبابعة طالت آمادهم ورسخت الصنايع فيهم
فكانت مبانيهم وهياكلهم اكثر عددا وابقى على الايام اثرا واستبصر

فهذا

فى هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها **فصل**
فى ان المبانى التى تختطها العرب يسرع اليها الخراب الا فى الاقل
والسبب فى ذلك شان البداوة والبعد عن الصنايع كما قدمناه
فلا تكون المبانى وثيقة فى تشييدها وله والله اعلم وجه اخر
وهو امس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار فى اختطاط
المدن كما قلناه من المكان وطيب الهوا والمياه والمزارع والمراعى
فان بالتفاوت فى هذه تفاوت جودة المصر ورداته من حيث
العمران الطبيعى والعرب بمعزل عن هذا وانما يراعون مراعى
ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب ام خبث ولا قل ام كثر ولا يسالون
عن ذكى المزارع والمنابت والاهوية لانتقالهم فى الارض ونقلهم
الحبوب من البلد البعيد واما الرياح فالقفر مختلف المهاب كلها
والظعن كفيل لهم بطيبها لان الرياح انما تخبث مع القرار والسكنى
وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان
كيف يراعوا فى اختطاطها الا مراعى ابلهم وما يقرب من القفر
ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعى للمدن ولم تكن
لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمنا بانه يحتاج اليه فى حفظ
العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن فى وسط
الامم فيعمرها الناس فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب
عصبيتهم التى كانت سياجا لها اتى عليها الخراب والانحلال كان
لم تكن والله يحكم لا معقب لحكمه **فصل فى مبادى**
الخراب فى الامصار اعلم ان الامصار اذا اختطت اولا تكون
قليلة المساكن وقليلة الات البنا من الحجر والكلس وغيرها مما
يعالى على الحيطان عند التانق كالزلج والرخام والفسيفساء
والسبج والصدف والزجاج فيكون بناؤها يومئذ بدويا والاتها
فاسدة فاذا عظم عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت الاتها بكثرة
الاعمال حينئذ وكثرة الصنايع الى ان تبلغ غايتها من ذلك كما سبق
فى شانها فاذا تراجع عمرانها وقل ساكنها قلت الصنايع لاجل ذلك

الزلج بفتحتين الصخر الاملس والسبج ما غلظ
طينة والمسحة خشبة
يطين بها
ق

فنفقدت الاجادة فى البنا والاحكام والمغالات عليه بالتنميق
ثم تقل الاعمال لعدم الساكن فيقل جلب الالات من الحجر والرخام
وغيرهما فتفقد ويصير بناؤهم وتشييدهم من الالات التى فى
مبانيهم ينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلا اكثر المصانع
والقصور والمنازل لقلة العمران وقصوره عما كان اولا ثم لا تزال
تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى ان يفقد الكثير منها
جملة فيعودون الى البداوة فى البنا واتخاذ الطوب عوضا من الحجارة
والقصور عن التنميق بالكلية فيعود بنا المدينه مثل بنا القرى
والمداشر ويظهر عليها ميسم البداوة ثم تمر فى التناقص الى غايتها
فى الخراب ان قدر لها به سنة الله فى خلقه

فصل فى ان تفاضل الامصار والمدن فى كثرة الرفه ونفاق الاسواق انما هو بتفاضل عمرانها فى الكثرة والقلة

والسبب فى ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من البشر
غير مستقل بتحصيل حاجاته فى معاشه وانهم متعاونون جميعا
فى عمرانهم على ذلك والحاجة التى يحصل بتعاون طائفة منهم
تسد ضرورة الاكثر من عددهم اضعافا فالقوت من الحنطة
مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا انتدب لتحصيله
الستة او العشرة من حداد ونجار للالات وقايم على البقر واثارة
الارض وحصاد السنبل وساير مؤن الفلح وتوزعوا على تلك
الاعمال واجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه
حينئذ قوت لاضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة
على حاجات العاملين وضروراتهم واهل مدينة او مصر اذا
وزعت اعمالهم كلها على مقدار ضروراتهم وحاجاتهم اكتفوا فيها
بالاقل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زائدة على الضرورات
فتصرف فى حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيرهم من اهل
الامصار ويستجلبون منهم باعواضه وقيمته فيكون لهم بذلك
حظ من الغنى وقد تبين لك فى الفصل الخامس فى باب الكسب

والطوب بضم ط الآجر

والرزق

والرزق ان المكاسب انما هى قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت
قيمتها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم احوال الرفه
والغنى الى الترف وحاجاته من التانق فى المساكن والملابس
واستجادة الآنية والماعون واتخاذ الخدم والمراكب وهذه
كلها اعمال تستدعى بقيمتها ويختار المهرة فى صناعتها والقيام
عليها فتنفق اسواق الاعمال والصنايع ويكثر دخل المصر وخرجه
ويحصل اليسار لمنتحلى ذلك من قبل اعمالهم ومتى زاد العمران
زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف تابعا للكسب وزادت عوائده
وحاجاته واستنبطت الصنايع لتحصيلها فزادت قيمتها وتضاعف
الكسب فى المدينة لذلك ثانية ونفق سوق الاعمال بها اكثر من
الاول وكذا فى الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها
تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التى تختص بالمعاش
فالمصر اذا فضل المصر بعمران واحد فضله بزيادة كسب ورفه
وبعوائد من الترف لا توجد فى الاخر فما كان عمرانه من الامصار
اكثر واوفر كان حال اهله فى الترف ابلغ من حال المصر الذى دونه
على وتيرة واحدة فى الاصناف القاضى مع القاضى والتاجر مع
التاجر والصانع مع الصانع والسوقى مع السوقى والامير مع
الامير والشرطى مع الشرطى واعتبر ذلك فى المغرب مثلا بحال
فاس مع غيرها من امصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة
تجد بينها بونا كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضى بفاس
اوسع من حال القاضى بتلمسان وكذا كل صنف مع اهل صنفه وكذا
ايضا حال تلمسان مع وهران او الجزاير مع ما دونها الى ان تنتهى
الى المداشر الذين اعمالهم فى ضرورات معاشهم فقط او يقصرون
عنها وما ذاك الا لتفاوت الاعمال فيها فكانها كلها اسواق للاعمال
والخرج فى كل سوق على نسبته فالقاضى بفاس دخله كفاء خرجه
وكذا القاضى بتلمسان وحيث الدخل والخرج اكثر تكون الاحوال
اعظم واوسع وهما بفاس اكثر لنفاق سوق الاعمال بما يدعو اليه

الترف فالاحوال اضخم ثم هكذا حال وهران وقسنطينه والجزاير
وبسكرة حتى تنتهى كما قلنا الى الامصار التى لا تفى اعمالها بضروراتهم
ولا تعد فى الامصار اذ هى من قبيل القرى والمداشر فلذلك تجد
اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الحال متقاربين فى الفقر والخصاصة
لما ان اعمالهم لا تفى بضروراتهم ولا يفضل لهم عنها ما يتاثلون
كسبا فلا تنمو مكاسبهم فهم لذلك محاويج مساكين الا فى الاقل
النادر واعتبر ذلك حتى فى احوال الفقراء والسؤال فان السائل
بفاس احسن حالا من السائل بتلمسان او وهران ولقد شاهدت
السؤال بفاس يسالون ايام الاضاحى اثمان ضحاياهم ورايتهم
يسالون كثيرا من احوال الترف واقتراح الماكل مثل سؤال اللحم
والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغربال والانية ولو
سال السائل مثل هذا بتلمسان او وهران لاستنكر وعنف وزجر
ويبلغنا لهذا العهد عن احوال اهل القاهرة ومصر من الغنى والترف
فى عوايدهم ما نقضى منه العجب حتى ان كثيرا من فقراء المغرب ينزعون
الى النقلة الى مصر لذلك ولما يبلغهم من ان شان الرفه بمصر اعظم
من غيرها ويعتقد العامة من الناس ان ذلك لعلو الاموال
فى تلك الافاق وان الاموال مختزنة لديهم وانهم اكثر صدقة
وايثارا من جميع اهل الامصار وليس كذلك وانما هو لما تعرفه من
ان عمران مصر والقاهرة اكثر من عمران هذه الامصار التى لديك
فعظمت لذلك احوالهم واما حال الدخل والخرج فتكافى فى جميع
الامصار ومتى عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل
والخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصر كل شى يبلغك
من هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنه من كثرة
المكاسب التى يسهل بسببها البذل والايثار على مبتغيه ومثله
بشان الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف تختلف
احوالها فى هجرانها او غشيانها فان بيوت اهل النعم والثروة
فى الموائد الخصبة منها يكثر بساحتها وافنيتها نثير الحبوب وسواقط

الفتات

الفتات فيزدحم عليها غواشى النمل والحشاش ويكثر فى اسرابها
الجرذان وتاوى اليها السنانير وتحلق فوقها عصايب الطيور حتى
تروح بطانا وتمتلى شبعا وريا وبيوت اهل الخصاصة والفقر
الكاسدة ارزاقهم لا يسرى بساحتها دبيب ولا تحلق بجوها
طاير ولا ياوى الى اسراب بيوتها فارة ولا هر كما قال
يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء • فتامل
سر الله فى ذلك واعتبر غاشية الاناسى بغاشية العجم من الحيوانات
وفتات الموايد بفضلات الرزق والترف وسهولتها على من يبذلها
لاستغنايهم عنها فى الاكثر بوجود امثالها لديهم واعلم ان اتساع
الاحوال وكثرة النعم فى العمران تابع لكثرته والله غنى عن العالمين

فصل فى اسعار المدن

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضرورى
ومنها الاقوات من الحنطة والشعير وما فى معناهما كالباقلا والحمص
والجلبان وساير حبوب الاقوات ومصلحاتها كالبصل والثوم واشباهه
ومنها الحاجى والكمالى من الادم والفواكه والملابس والماعون
والمراكب وساير الصنايع والمبانى فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه
رخصت اسعار الضرورى من القوت وما فى معناه وغلت اسعار
الكمال من الادم والفاكهة وما يتبعها واذا قل ساكن المصر وضعف
عمرانه كان الامر بالعكس من ذلك والسبب فى ذلك ان الحبوب
من ضرورات القوت فتتوفر الدواعى فى اتخاذها اذ كل احد لا يهمل
قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره او سنته فيعم اتخاذها اهل المصر
اجمع او الاكثر منهم فى ذلك المصر او فيما قرب منه لا بد من ذلك
وكل متخذ لقوته تفضل عنه وعن اهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثيرين
من اهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن اهل المصر من غير شك
فترخص اسعارها فى الغالب الا ما يصيبها فى بعض السنين من الافات
السماوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الافات لبذلت
دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران واما ساير المرافق من الادم

الجلبان نبت

والفواكه وما اليها فانها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال
اهل المصر اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستبحرا موفور
العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواعي على طلب تلك
المرافق والاستكثار منها كل بحسب حاله فيقصر الموجود منها على
الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم
الاغراض ويبذل اهل الرفه والترف اثمانها باسراف في الغلاء
لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه واما الصنائع
والاعمال ايضا في الامصار الموفورة العمران فسبب الغلاء فيها امور
ثلثة الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانه والثاني
اعتزاز اهل الاعمال بخدمتهم وامتهان انفسهم لسهولة المعاش
في المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم
الى امتهان غيرهم والى استعمال الصناع في مهنتهم فيبذلون في ذلك
لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مزاحمة ومنافسة في الاستيثار
بها فيعتز العملة والصناع واهل الحرف وتغلو اعمالهم وتكثر نفقات
اهل المصر في ذلك واما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن
فاقواتهم قليلة لقلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم
القوت فيتمسكون بما يحصل منه بايديهم ويحتكرونه فيعز وجوده
لديهم ويغلو ثمنه على مستامه واما مرافقهم فلا تدعو اليها
ايضا حاجة لقلة الساكن وضعف الاحوال فلا تنفق لديهم سوقه
فتختص بالرخص في سعره وقد يدخل في قيمة الاقوات ما يفرض
عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الاسواق وابواب المصر
وللجباة في منافع يفرضونها على البياعات لانفسهم ولذلك كانت
الاسعار في الامصار اغلا من اسعار البادية اذ المكوس والمغارم
والفرايض قليلة لديهم او معدومة والامصار بالعكس سيما
في اواخر الدول وقد يدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة علاجها
في الفلح ويحافظ على ذلك في اسعارها كما وقع في الاندلس
لهذا العهد وذلك انهم لما الجاهم النصارى الى سيف البحر وبلاده المتوعرة

المكس النقص والظلم ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية

الخبيثة

الخبيثة الزراعة النكدة النبات وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب
فاحتاجوا الى علاج المزارع والفدن لاصلاح نباتها وفلحها وكان
ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤنة
وصارت في فلحهم نفقات لها خطر فاعتبروها في سعرهم واختص
قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرهم النصارى الى هذا المعمور بالاسلام
مع سواحلها لاجل ذلك ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار
في قطرهم انها لقلة الاقوات والحبوب بارضهم وليس كذلك فهم
اكثر اهل المعمور فلحا فيما علمناه واقومهم عليه وقل ان يخلو منهم
سلطان او سوقة عن فدان او مزرعة او فلح الا قليلا من اهل الصناعات
والمهن او الطراء على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصهم
السلطان في عطائهم بالعولة وهي اقواتهم وعلوفتهم من الزرع
وانما السبب في غلاء السعر عندهم في الحبوب ما ذكرناه ولما كانت
بلاد البربر بالعكس من ذلك في ذكاء منابتهم وطيب ارضهم
ارتفعت المؤن جملة في الفلح مع كثرته وعمومه فصار ذلك
سببا لرخص الاقوات ببلدهم والله مقدر الليل والنهار

فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه
وتكثر حاجات ساكنيه من اهل الترف وتعد تلك الحاجات لما
تدعو اليها فتنقلب ضرورات وتصير الاعمال فيه كلها مع ذلك
عزيزة والمرافق غالية بازدحام الاغراض عليها من اجل الترف
وبالمغارم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر
في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال
فتكثر لذلك نفقات ساكنيه كثيرة بالغة على نسبة عمرانه ويعظم
خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله
في ضرورات عيشهم وساير مؤنهم والبدوي لم يكن دخله كثيرا
اذ كان ساكنا بمكان كاسد الاسواق في الاعمال التي هي سبب الكسب
فلم يتأثل كسبا ولا مالا فيتعذر عليه من اجل ذلك سكنى المصر الكبير

ظ وتتعدد

لاجل مرافقه وعزة حاجاته وهو في بدوه يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوايد الترف في معاشه وساير مونه فلا يضطر الى المال وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من اهل البادية فسريعا ما يظهر عجزه ويفتضح الا من يقدم منهم تاثيل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجرى الى الغاية الطبيعية لاهل العمران من الدعة والترف فحينئذ ينتقل الى المصر وينتظم حاله مع احوال اهله في عوايدهم وترفهم وهكذا شان بداية عمران الامصار والله بكل شيء محيط

فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقر مثل الامصار

اعلم ان ما توفر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله وكثرت اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما سياتي ذكره من انها سبب للثروة بما يفضل عنها بعد الوفا بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على الناس كسبا يتاثلونه حسبما نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب فيتزيد الرفه لذلك وتتسع الاحوال ويجيء الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة بنفاق الاسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها ويتفنن في اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن وتشييد الامصار واعتبر ذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها واقطارها وراء البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولهم وتعددت مدنهم وحواضرهم وعظمت متاجرهم واحوالهم فالذي نشاهده لهذا العهد من احوال تجار الامم النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب في رفههم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط به الوصف وكذا تجار اهل المشرق وما يبلغنا عن احوالهم وابلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى من عراق العجم والهند والصين فانه يبلغنا عنهم في باب الغنى والرفه احوال غرايب يسير الركاب بحديثها وربما تلقى بالانكار في غالب الامر ويحسب من يسمعها من العامة ان ذلك

لزيادة

لزيادة في اموالهم او لان المعادن الذهبية والفضية اكثر بارضهم او لان ذهب الاقدمين من الامم استاثروا بها دون غيرهم وليس كذلك فمعدن الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو ببلاد السودان وهي الى المغرب اقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانما يجلبونه الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتيدا موفورا لديهم لما جلبوا بضايعهم الى سواهم يبتغون بها الاموال ولا استغنوا عن اموال الناس بالجملة وقد ذهب المنجمون لما راوا مثل ذلك واستغربوا ما في المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفور اموالها فقالوا ان عطايا الكواكب والسهام في مواليد اهل المشرق اكثر منها حصصا في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب النجومي وبقي عليهم ان يعطوا السبب الارضي وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تفيد كثرة الكسب بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفه من بين الافاق لا ان ذلك بمجرد الاثر النجومي فقد فهمت مما اشرنا لك اولا انه لا يستقل بذلك فان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها امر لا بد منه واعتبر حال هذه الرفه من العمران في قطر افريقيه وبرقه لما خف ساكنها وتناقص عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت اموال دولها بعد ان كانت دول الشيعة وصنهاجة بها على ما بلغك من الرفه وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطياتهم حتى لقد كان الاموال ترفع من القيروان الى صاحب مصر لحاجاته ومهماته في غالب الاوقات وكانت اموال الدولة بحيث حمل جوهر الكاتب في سفره الى فتح مصر الف حمل من المال يستعدها لارزاق الجنود واعطياتهم ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في القديم دون افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت احواله في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد اقصر عن ذلك لقصور

العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه اكثره ونقص عن معهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكاد ان يلحق فى احواله بمثل احوال افريقية بعدان كان عمرانه متصلا من البحر الرومى الى بلاد السودان فى طول ما بين السوس الاقصى وبرقه وهى اليوم كلها او اكثرها قفار وخلا وصحارى الا ما هو منها بسيف البحر او ما يقاربه من التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

فصل فى تاثل العقار والضياع فى الامصار وحال فوايدها ومستغلاتها . . .

اعلم ان تاثل العقار والضياع الكثيرة لاهل المدن والامصار لا يكون دفعة ولا فى عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التى يخرج فيها عن الحد ولو بلغت احوالهم فى الرفه ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم لها وتاثلهم تدريجا اما بالوراثة من ابائه وذوى رحمه حتى تتادى املاك الكثيرين منهم الى الواحد واكثر كذلك او يكون بحوالة الاسواق فان العقار فى اواخر الدولة واول الاخرى عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعى المصر الى الخراب تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها بتلاشى الاحوال فترخص قيمها وتملك بالاثمان اليسيرة وتتخطى بالميراث الى ملك الاخر وقد استجد للمصر شبابه باستحال الدولة الثانية وانتظمت معه احوال حسنة يحصل معها الغبطة فى العقار والضياع لكثرة منافعها حينئذ فتعظم قيمها ويكون لها خطر لم يكن فى الاول وهذا معنى الحوالة فيها ويصبح مالكها فيها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل ذلك واما فوايد العقار والضياع فهى غير كافية لمالكها فى حاجات معاشه اذ هى لا تفى بعوايد الترف واسبابه وانما هى فى الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش والذى سمعناه من مشيخة البلدان ان القصد باقتناء الملك من العقار والضياع انما هو الخشية على من يترك خلفه من الذرية الضعاف ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشوهم بفايدته ما داموا عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بانفسهم وربما يكون من الولد من يعجز عن التكسب لضعف فى بدنه او آفة فى عقله المعاشى

فيكون ذلك العقار قواما لحاله هذا قصد المترفين فى اقتنايه واما التمول منه واجراء احوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك منه للقليل او النادر بحوالة الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه والعالى فى جنسه وقيمته فى المصر الا ان ذلك اذا حصل فربما امتدت اليه اعين الامرا والولاة واغتصبوه فى الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالت اصحابه منه مضار ومعاطب والله غالب على امره

فصل فى حاجة المتمولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وذلك ان الحضرى اذا عظم تموله وكثر للعقار والضياع تاثله واصبح اغنى اهل المصر ورمقته العيون بذلك وانفسحت احواله فى الترف والعوايد تزاحم عليها الامرا والملوك وغصوا به ولما فى طباع البشر من العدوان تمتد اعينهم الى تملك ما بيده وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلوه فى ربقة حكم سلطانى وسبب من المؤاخذة ظاهر ينتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جايرة فى الغالب اذ العدل المحض انما هو فى الخلافة الشرعية وهى قليلة اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة ثلثون سنة ثم تعود ملكا عضوضا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة فى العمران من حامية تذود عنه وجاه ينسحب عليه من ذى قرابة للملك او خالصة له او عصبية يتحاماها السلطان فيستظل هو بظلها ويرتع فى امنها من طوارق التعدى وان لم يكن له ذلك اصبح نهبا بوجوه التحيلات واسباب الحكم والله يحكم لا معقب لحكمه

فصل فى ان الحضارة فى الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسبب فى ذلك ان الحضارة هى احوال عادية زائدة على الضرورى من احوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الامم فى القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر ويقع فيها عند كثرة التفنن فى انواعها واصنافها فتكون بمنزلة الصنايع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه المهرة فيه وبقدر ما يتميز من اصنافها بتزيد اهل صناعتها ويتلون ذلك الجيل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك الصنعات حذق اولئك الصناع فى صناعاتهم ومهروا فى معرفتها

والاعصار وبطولها وانفساح امدها وتكرر امثالها تزيدها استحكاما
ورسوخا واكثر ما يكون ذلك فى الامصار لاستبحار العمران وكثرة
الرفه فى اهلها وذلك كله انما يجى من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال
الرعية وتنفقها فى بطانتها ورجالها وتتسع احوالهم بالجاه اكثر من اتساعها
بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها فى اهل الدولة
ثم فى من يتعلق بهم من اهل المصر وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم
ويكثر غناهم وتتزيد عوايد الترف ومذاهبه وتستحكم لديهم الصنايع
فى سائر فنونه وهذه هى الحضارة ولهذا تجد الامصار التى فى القاصية
ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها احوال البداوة وتبعد عن
الحضارة فى جميع مذاهبها بخلاف المدن المتوسطة فى الاقطار التى
هى مركز الدولة ومقرها وما ذلك الا لمجاورة السلطان لهم وفيض
امواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه فما قرب من الارض الى ان
ينتهى الى الجفوف على البعد وقد قدمنا ان السلطان والدولة
سوق للعالم فالبضايع كلها موجودة فى السوق وما قرب منه واذا
بعدت عن السوق افتقدت البضايع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك
الدولة وتعاقب ملوكها فى ذلك المصر واحدا بعد واحد استحكمت
الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك فى اليهود لما طال
ملكهم فى الشام نحو من الف واربعمائة سنة رسخت حضارتهم
وحذقوا فى احوال المعاش وعوائده والتفنن فى صناعاته من المطاعم
والملابس وساير احوال المنزل حتى انها ليوخذ عنهم فى الغالب
الى اليوم ورسخت الحضارة ايضا وعوايدها فى الشام منهم ومن
دول الروم فبعدهم ستمائة سنة فكانوا فى غاية الحضارة وكذلك
ايضا القبط دام ملكهم فى الخليقة ثلثة الاف من السنين فرسخت
عوائد الحضارة فى بلدهم مصر واعقبهم بها تلك اليونانيين والروم
ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة
وكذلك ايضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب
منها منذ عهد العمالقة والتبابعة الافا من السنين واعقبهم ملك

مصر

مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها
من لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم الافا
من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احضر من اهل
الشام والعراق ومصر وكذلك ايضا رسخت عوايد الحضارة بالاندلس
لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما اعقبها من ملك بنى امية
الافا من السنين وكلا الدولتين عظيم فاتصلت فيها عوايد الحضارة
واستحكمت واما افريقية والمغرب فلم تكن فيها قبل الاسلام ملك
ضخم انما قطع الروم والافرنجة الى افريقية البحر وملكوا الساحل
وكانت طاعة البربر اهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا
على قلعة واوفاز واهل المغرب لم تجاورهم دولة وانما كانوا
يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام
وملك العرب افريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا
اول الاسلام وكانوا لذلك العهد فى طور البداوة ومن استقر منهم
بافريقية والمغرب لم يجد بهما من الحضارة ما يقلد فيه من سلفه
اذ كانوا برابر منغمسين فى البداوة ثم انتقض برابرة المغرب الاقصى
لاقرب العهود على يد ميسرة المطغرى ايام هشام بن عبد الملك
ولم يراجعوا امر العرب بعد واستقلوا بامر انفسهم وان بايعوا
الادريس فلا تعد دولته فيهم عربية لان البرابرة هم الذين تولوها
ولم يكن من العرب فيها كبير عدد وبقيت افريقيه للاغالبه ومن
اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشى بما حصل لهم
من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان وورث ذلك
عنهم كتامه ثم صنهاجه من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ اربعمائة
سنة وانصرمت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير
مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقى اثر
خفى من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يونس فيمن سلف له
بالقلعة او القيروان او المهدية سلف فتجد له من احوال الحضارة
فى شوون منزله وعوايد احواله اثارا ملتبسة بغيرها يميزها الحضر

اى البصيين بها وكذا فى اكثر امصار افريقيه وليس ذلك فى المغرب وامصا
لرسوخ الدولة بافريقيه اكثر مدا منذ عهد الاغالبة والشيعة وصنهاجة
واما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير
من الحضارة واستحكمت به عوايدها بما كان لدولتهم من الاستيلا
على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعا وكرها وكانت
من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكامها
ومعظمها من اهل الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية
النصارى الى افريقيه فابقوا بها وبامصارها من الحضارة اثارا معظمها
بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوايدها
فكانت بذلك للمغرب وافريقيه حظ من الحضارة صالح عفا عليه
الخلا ورجع على اعقابه وعاد البربر بالمغرب الى اديانهم من البداوة
والخشونه وعلى كل حال فاثر الحضاره بافريقيه اكثر منها بالمغرب وامصاره
لما تداول فيها من الدول السالفة اكثر من المغرب ولقرب عوايدهم
من عوايد اهل مصر بكثرة المترددين بينهم فتفطن لهذا السر فانه خفى
عن الناس واعلم انها امور متناسبة وهى حال الدولة فى القوة والضعف
وكثرة الامة او الجيل وعظم المدينة او المصر وكثرة النعمة واليسار
وذلك ان الدولة والملك صورة الخليقة والعمران وكلها مادة له
من الرعايا والامصار وساير الاحوال واموال الجبايه عايده
عليهم ويسارهم فى الغالب من اسواقهم ومتاجرهم واذا افاض
السلطان عطاه واموال فى اهلها انبثت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم
منه فهى ذاهبة عنهم فى الجباية والخراج عايدة عليهم فى العطا
فعلى نسبة مال الدوله يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا
ايضا وكثرتهم يكون مال الدوله واصله كله العمران وكثرته فاعتبره
وتامل تجده والله سبحانه وتعالى يحكم لا معقب لحكمه

فصل في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها موذن بفساده

قد بينا لك فيما سلف ان الملك والدول غاية للعصبية وان الحضارة
غاية للبداوة وان العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له

عمر

عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من اشخاص المكونات عمرا محسوسا
وتبين فى المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية فى تزايد
قواه ونموها وانه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة عن اثر
النشو والنمو برهة ثم تاخذ بعد ذلك فى الانحطاط فلتعلم ان
الحضارة فى العمران ايضا كذلك لانه غاية لا مزيد وراها وذلك
ان الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعه الى مذاهب
الحضارة والتخلق بعوايدها والحضارة كما علمت هى التفنن فى الترف
واستجادة احواله والكلف بالصنايع التى تونق من اصنافه وساير
فنونه كالصنايع المهيئة للمطابخ او الملابس او المبانى والفرش او الانية
ولساير احوال المنزل وللتانق فى كل واحد من هذه صنايع كثيرة لا يحتاج
اليها عند البداوة وعدم التانق فيها واذا بلغ التانق فى هذه الاحوال
المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوايد
بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها فى دينها ولا دنياها اما دينها
فلاستحكام صبغة العوايد التى يعسر نزعها واما دنياها فلكثرة
الحاجات والمونات التى تطالب بها العوايد ويعجز الكسب عن الوفا
بها وبيانه ان المصر بالتفنن فى الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة
تتفاوت بتفاوت العمران فمتى كان العمران اكثر كانت الحضارة اكمل
وقد كنا قدمنا ان المصر الكثير العمران يختص بالغلا فى اسواقه واسعار
حاجاته ثم تزيدها المكوس غلا لان كمال الحضارة انما يكون عند
نهاية الدولة فى استفحالها وهو زمن وضع المكوس فى الدول لكثرة
خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود على البياعات بالغلا لان
السوقة والتجار كلهم يحتسبون على سلعتهم وبضايعهم بجميع
ما ينفقونه حتى مونة انفسهم فيكون المكس لذلك داخلا فى قيم
المبيعات واثمانها فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد
الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من اسر العوايد
وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها فى النفقات ويتتابعون فى الاملاق
والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبضايع فتكسد الاسواق

ونفسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه
مفسدتها في المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما
فساد اهلها من ذواتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب
في حاجات العوايد والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود على
النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون اخر من الوانها فلذلك
يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من
وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى الفكر في ذلك والغوص
عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجريا على الكذب والمقامرة والغش
والخلابة والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم
لكثرة الشهوات والملاذ الناشية عن الترف ابصر بطريق الفسق ومذاهبه
والمجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب
وذوي المحارم الذين تقتضي البداوة الحيا منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم
ايضا ابصر بالمكر والخديعة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر
وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبايح حتى يصير ذلك عادة وخلقا
لاكثرهم الا من عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة من اهل الخلق
الذميمة ويجاريهم فيها كثير من ناشية الدولة وولدانهم ممن اهمل عن
التاديب واهملته الدولة من عدادها وغلب عليه خلق الجوار والصحابة
وان كان اصحابه اهل انساب وابوات وذلك ان الناس بشر متماثلون
وانما تفاضلوا وتمايزوا بالخلق واكتساب الفضايل واجتناب الرذايل
فمن استحكمت فيه صبغة الرذيلة باي وجه كان وفسدت خلق الخير
فيه لم ينفعه ذكا نسبه ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيرا من اعقاب
البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل الدول مطرحين في الغمار
منتحلين للحرف الدنية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به
من صبغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك في المدينة او الامة تاذن الله
بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا
مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا • ووجهه ان
مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوايد ومطالبة النفس بها

فلا

فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا
اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص
ان المدينة اذا كثر منها غرس النارنج بالدور تطيرا به وليس المراد

تأذنت بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتحامى غرس النارنج
صح

ذلك ولا انه طيرة في النارنج وانما معناه ان البساتين واجرا المياه
هو من توابع الحضارة ثم ان النارنج والليم والسرو وامثال ذلك
مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غايات الحضارة اذ لا يقصد بها
في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد التفنن في مذاهب
الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلنا
ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بها
الا تلون البساتين بنورها ما بين احمر وابيض وهو من مذاهب
الترف ومن مفاسد الحضارة ايضا الانهماك في الشهوات والاسترسال
فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن من الماكل وملاذها
والمشارب وطيبها ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بانواع المناكح
من الزنا واللواطة فيفضي ذلك الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط
الانساب كما في الزنا فيجهل كل احد ابنه اذ هو لغير رشده ولان المياه
مختلطة في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون
ويؤدي ذلك الى عدم النسل راسا وهو اشد في فساد النوع اذ هو

الى انقطاع النوع او كون فساد النوع بغير واسطة كما في اللواطة المؤدي الى
صح

يؤدي الى ان لا يوجد النوع والزنا يؤدي الى عدم ما يوجد منه ولذلك
كان مذهب مالك رحمه الله في اللواط اظهر من مذهب غيره ودل على
انه ابصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به
ان غاية العمران هي الحضارة والترف وانه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد
واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الخلق الحاصلة
من الحضارة والترف هو عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره
على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك
والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجزا بما حصل له من الدعة
او ترفعا لما حصل له من المربا في النعيم والترف وكلا الامرين ذميم
وكذلك لا يقدر على دفع المضار بما فقد من خلق الباس بالترف والمربا

فى قهر التاديب والتعليم فهو لذلك عيال على الحامية التى تدافع عنه ثم هو
فاسد ايضا فى دينه غالبا بما افسدت منه العوايد وطاعتها وما تلونت
به النفس من ملكاتها كما قررناه الا فى الاقل النادر واذا فسدت الانسان
فى قدرته ثم فى اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار مسخا على
الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يقربون من جند السلطان الى
البداوة والخشونة انفع من الذين يربون على الحضارة وخلقها وهذا
موجود فى كل دولة فقد تبين ان الحضارة سن الوقوف لعمران العالم
من العمران والدول والله الواحد القهار **فصل فى ان الامصار
التى تكون كراسى للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها**
قد استقرينا فى العمران ان الدولة اذا انتقضت واختلت فان المصر
الذى يكون كرسيا لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهى فى انتقاضه
الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه امور الاول ان الدولة
لابد فى اولها من البداوة المقتضية للتجافى عن اموال الناس والبعد
عن التحذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمغارم التى منها
مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصر الذى كان
كرسيا للملك فى ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت احوال الترف
فيها نقص الترف فيمن تحت ايديها من اهل المصر لان الرعايا تبع
للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعا بما فى طباع البشر من تقليد
متبوعهم او كرها بما تدعو اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف
فى جميع الاحوال وقلة الفوايد التى هى مادة العوايد فتقصر لذلك
حضارة المصر ويذهب منه كثير من عوايد الترف وهو معنى ما نقوله
من خراب المصر الامر الثانى ان الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء
بالغلب وانما يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضى منافاة
بين اهل الدولتين ونكير احديهما على الاخرى فى العوايد والاحوال
وغلب احد المنافيين يذهب بالمنافى الاخر فيكون احوال الدولة
السابقة منكرة عند اهل الدولة الجديدة ومستبشعة وقبيحة وخصوصا
احوال الترف فتفقد فى عرفهم بنكير الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج

حذلق اظهر او ادعى اكثر مما عنده
كتحذلق ق

عوايد

عوايد اخرى من الترف يكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك
قصور الحضارة الاولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران فى المصر
الامر الثالث ان كل امة لابد لهم من وطن هو منشاؤهم ومنه
اولية ملكهم واذا ملكوا وطنا اخر صار تبعا للاول وامصاره تابعة
لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولابد من توسط الكرسى
بين تخوم الممالك التى للدولة لانه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه
عن مكان الكرسى الاول وتهوى افئدة الناس اليه من اجل الدولة
والسلطان فينتقل اليه العمران ويخف من مصر الكرسى الاول والحضارة
انما هى بوفور العمران كما قدمناه فينتقص حضارته وتمدنه وهو معنى
اختلاله وهذا كما وقع للسلجوقية فى عدولهم بكرسيهم عن بغداد
الى اصبهان وللعرب قبلهم فى العدول عن المداين الى الكوفة والبصرة
ولبنى العباس فى العدول عن دمشق الى بغداد ولبنى مرين بالمغرب فى
العدول عن مراكش الى فاس وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسى فى مصر
يخل بعمران الكرسى الاول الامر الرابع ان الدولة المتجددة اذا غلب على
الدولة السابقة لابد فيها من تتبع اهل الدولة السابقة واشياعها
بتحويلهم الى قطر اخر تؤمن فيه غايلتهم على الدولة واكثر اهل المصر الكرسى
اشياع للدولة اما من الحامية الذين نزلوا به اول الدولة او من اعيان
المصر لان لهم فى الغالب مخالطة فى الدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم
بل اكثرهم ناشئ فى الدولة فهم شيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبية
فهم بالميل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو اثار الدولة
السابقة فتنقلهم من مصر الكرسى الى وطنها المتمكن فى ملكتها فبعضهم على
نوع التغريب والحبس وبعض على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدى
الى النفرة حتى لا يبقى فى مصر الكرسى الا الباعة والهمل من اهل الفلح
والعيارة وسواد العامة وتنزل مكانهم من حاميتها واشياعها من
يشتد به المصر واذا ذهب من المصر اعيانه على طبقاتهم نقص ساكنه وهو
معنى اختلال عمرانه ثم لابد ان يستجد عمرانا اخر فى ظل الدولة الجديدة
ويحصل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من يملك

بيتا داخله البلى والكثير من اوضاعه في بيوته ومرافقه لا يوافق
مقترحه وله قدرة على تغيير تلك الاوضاع واعادة بنايها على ما يختاره
ويقترحه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناه ثانيا وقد وقع من ذلك
كثير في الامصار التي هي كراسي للملك وشاهدناه وعلمناه والله مقدر
الليل والنهار والسبب الطبيعي الاول في ذلك على الجملة ان الدولة
والملك للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه
لوجودها وقد تقرر في علم الحكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر
فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والملك متعذر
بما في طباع البشر من التعاون الداعي الى الوازع فتعين السياسة لذلك
اما الشرعيه او الملكية وهي معنى الدولة واذا كانا لا ينفكان فاختلال
احدهما مؤثر في اختلال الاخر كما كان عدمه مؤثرا في عدمه والخلل
العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الفرس او الروم
او العرب على العموم او بني امية او بني العباس كذلك واما الدول
الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان
او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العمران حافظة لوجوده وبقايه
وقريبة الشبه بعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحقيقة
الفاعلة في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة مع
اشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية اخرى مؤثرة في
العمران فاذهبت اهل الشوكة باجمعهم عظم الخلل كما قررناه اولا والله
قادر على ما يشاء ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزيز **فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنايع دون
بعض** • وذلك انه من البين ان اعمال المصر تستدعي بعضها
بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال
تختص ببعض اهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته
ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم
البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصر يكون مغفلا اذ
لا فائدة لمنتحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش

بجمع

فيوجد

فيوجد في كل مصر كالخياط والحداد والنجار وامثالها وما يستدعى
لعوايد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة
الاخذة في عوايد الترف والحضارة مثل الزجاج والصايغ والدهان
والطباخ والصفار والسفاج والهراس والدباج وامثال هذه وهي
متفاوتة وبقدر ما تزيد عوايد الحضارة ويستدعي احوال الترف
تحدث صنايع لذلك النوع فيوجد لذلك المصر دون غيره ومن
هذا الباب الحمامات لانها انما توجد في الامصار المستحضرة
المستبحرة العمران لما يدعو اليه الترف والغنى من التنعم
ولذلك لا يكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك
والرؤسا اليه فيختطها ويجري احوالها الا انها اذا لم تكن لها
داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرب ويفر عنها
القومة لقلة فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط
فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض
من البين ان الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وان
لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه اضعف مما يكون
بالنسب وانه تحصل به العصبية بعضا مما يحصل بالنسب واهل
الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا
الى ان يكونوا لحما لحما وقرابة قرابة وتجد بينهم من الصداقة
والعداوة ما يكون بين القبائل والعشاير مثله فيفترقون
شعبا وعصايب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص الملك عن
القاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر
في حماية بلدهم ورجعوا الى الشورى وتميز العلية عن السفلة
والنفوس بطباعها متطاولة الى الغلب والرياسه فتطمح المشيخة
لخلاء الجو من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وينازع
كل صاحبه ويستوصلون بالاتباع من الموالي والشيع والاحلاف
ويبذلون ما في ايديهم للاوغاد والاوشاب فيعصوصب كل
بصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكفائه ليغض

فيختطها

من اعنتهم وتتبعهم بالقتل او التغريب حتى يخضد منهم الشوكات
النافذة ويقلم الاظفار الخادشة ويستبد بمصره لجمع ويرى انه
قد استحدث ملكا يورثه عقبه فيحدث فى ذلك الملك الاصغر
ما يحدث فى الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما
يسموا بعض هولا الى منازع الملوك الاعاظم اصحاب القبايل
والعشاير والعصبيات والزحوف والحروب والاقطار والممالك
فينتحلون من الجلوس على السرير واتخاذ الالة واعداد المواكب
للسير فى اقطار البلد والتختم والتحية والخطاب والتهويل ما يسخر
منه من يشاهد احوالهم لما انتحلوه من شارات الملك التى
ليسوا لها باهل انما دفعهم الى ذلك تقلص الدولة والتحام بعض
القرابات حتى صارت عصبية وقد يتنزه بعضهم عن ذلك
ويجرى على مذهب السذاجة فرارا من التعريض بنفسه للسخرية
والعبث ووقع هذا بافريقية لهذا العهد فى اخر الدولة الحفصية لاهل
بلاد الجريد من طرابلس وقابس وتوزر ونفطة وقفصة وبسكرة
والزاب وما الى ذلك سموا الى مثلها عند تقلص ظل الدولة عنهم
منذ عقود من السنين فاستغلبوا على امصارهم واستبدوا
بامرها على الدولة فى الاحكام والجباية واعطوا اطاعة معروفة
وصفقة ممرضة واقطعوها جانبا من الملاينة والملاطفة
والانقياد وهم بمعزل عنه واورثوا ذلك اعقابهم لهذا العهد
وحدث فى خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاعقاب
الملوك وخلفهم ونظموا انفسهم فى عداد السلاطين على
قرب عهدهم بالسوقة وقد كان مثل ذلك وقع فى اخر الدولة
الصنهاجيه واستقل بامصار الجريد اهلها واستبدوا على
الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد
المومن بن على ونقلهم كلهم من امارتهم بها الى المغرب ومحا
من تلك البلاد اثارهم كما نذكر فى اخباره وكذلك وقع بسبتة
لاخر دولة بنى عبد المومن وهذا التغلب يكون غالبا فى اهل

السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرياسة فى المصر وقد
يحدث التغلب لبعض السفلة من الدهما والغوغا اذا حصلت له
العصبيه والتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدار فيغلب على
المشيخه والعلية اذا كانوا فاقدين للعصابة والله غالب على امره
فصل فى لغات اهل الامصار • اعلم ان لغات اهل الامصار
انما يكون بلسان الامة او الجيل الغالبين عليها او مختطين لها
وكذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب
لهذا العهد عربية وان كان اللسان العربى المضرى قد فسدت
ملكته وتغير اعرابه والسبب فى ذلك ما وقع للدولة الاسلامية
من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود والملك وكلها
مواد له والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من
الشريعة وهى بلسان العرب لما ان النبى صلى الله عليه وسلم عربى
فوجب هجر ما سوى اللسان العربى من الالسنة فى جميع ممالكها
واعتبر ذلك فى نهى عمر رضى الله عنه عن رطانة الاعاجم
وقال انها خب يعنى مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية
وكان لسان القائمين بالدولة الاسلاميه عربيا هجرت كلها فى
جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار اللسان العربى
استعماله من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم
والسنتهم فى جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربى لسانهم
حتى رسخ ذلك لغة فى جميع امصارهم ومدنهم وصارت
الالسن الاعجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربى
بمخالطتها فى بعض احكامه وتغير اواخره وان كان بقى فى الدلالة
على اصله وسمى لسانا حضريا فى جميع امصار الاسلام وايضا
فاكثر اهل الامصار فى الملة لهذا العهد من اعقاب العرب المالكين
لها الهالكين فى ترفها بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا
ارضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الاعقاب
على حيال لغة الاباء وان فسدت احكامها بمخالطة الاعاجم شيئا

والرطانة بكسر الكلام بالعجمية

الناس له

فشيئا وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار
بخلاف لغة البدو من العرب فانها كانت اعرق فى العروبية
ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق
وزناتة والبربر بالمغرب وصار لهما الملك والاستيلا على جميع
الممالك الاسلامية فسد اللسان العربى لذلك وكاد يذهب
لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة الذى بهما
حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء اللغة المضرية بالامصار
عربية فلما ملك الططر والمغل بالمشرق ولم يكونوا على دين
الاسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية على
الاطلاق ولم يبق لها رسم فى الممالك الاسلامية بالعراق
وخراسان وبلاد فارس وارض السند والهند وما وراء
النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت اساليب اللغة
العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين
المتدارسة من علوم العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى
لذلك وربما بقيت اللغة العربية الحضرية بمصر والشام والاندلس
والمغرب لبقاء الدين طالبا لها فانحفظت بعض الشئ واما فى
ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له اثر ولا عين حتى ان كتب
العلوم صارت تكتب باللسان العجمى وكذا تدريسه فى المجالس

والله مقدر الليل والنهار
وصلى الله على
سيدنا
محمد
واله
م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله

الفصل الخامس من الكتاب الاول فى المعاش ووجوهه
من الكسب والصنايع وما يعرض فى ذلك كله من الاحوال
وفيه مسائل فصل فى حقيقة الرزق والكسب
وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى ما يقوته ويمونه فى حالاته
واطواره من لدن نشوه الى اشده الى كبره والله الغنى وانتم الفقراء
والله سبحانه وتعالى خلق جميع ما فى العالم للانسان وامتن
به عليه فى غير ما اية من كتابه فقال تعالى خلق لكم ما فى السموات وما
فى الارض جميعا منه وسخر لكم الشمس والقمر وسخر لكم البحر
وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهده ويد
الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف
وايدى البشر منتشرة فهى مشتركة فى ذلك وما حصل عليه يد
هذا امتنع عن الاخر الا بعوض فالانسان متى اقتدر على نفسه
وتجاوز طور الضعف سعى فى اقتناء المكاسب لينفق ما اتاه الله
منها فى تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعواض عنها قال
تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعى
كالمطر المصلح للزارعة وامثاله الا انها انما تكون معينة ولا بد
من سعيه معها كما ياتى فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت
بمقدار الضرورة والحاجة ورياشا ومتمولا ان زادت على ذلك
ثم ان ذلك الحاصل او المقتنى ان عادت منفعته على العبد وحصلت
له ثمرته من انفاقه فى مصالحه وحاجاته سمى رزقا قال صلى الله عليه وسلم

انما لك من مالك ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وان لم ينتفع به فى شى من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى رزقا والمتملك منه حينئذ بسعى العبد وقدرته يسمى كسبا وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى الهالك كسبا ولا يسمى رزقا اذ لم يحصل له به منتفع وبالنسبة الى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقا هذا حقيقة مسمى الرزق عند اهل السنة وقد اشترط المعتزلة فى تسميته ان يكون بحيث يصح تملكه وما لا يتملك عندهم فلا يسمى رزقا واخرجوا المغصوبات والحرام كله عن ان يسمى شى منها رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ويختص برحمته وهدايته من يشا ولهم فى ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعى فى الاقتنا والقصد الى التحصيل فلا بد فى الرزق من سعى وعمل ولو فى تناوله وابتغائه من وجوهه قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعى اليه انما يكون باقدار الله والهامه فالكل من عند الله فلا بد من الاعمال الانسانيه فى كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنايع فظاهر وان كان مقتنى من الحيوان او النبات او المعدن فلا بد فيه من العمل الانسانى كما تراه والا لم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله سبحانه خلق الحجرين المعدنين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهى الذخيره والقنية لاهل العالم فى الغالب وان اقتنى سواهما فى بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع فى غيرهما من حوالة الاسواق التى هما عنها بمعزل فهما اصل المكاسب والقنية والذخيره واذا تقرر هذا كله فاعلم ان ما يفيده الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنايع فالمفاد المقتنى منه هو قيمة عمله وهو القصد بالقنية اذ ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنايع فى بعضها غيرها مثل النجارة والحياكة معهما الخشب والغزل الا ان العمل فيهما اكثر فقيمته اكثر وان كان من غير الصنايع فلا بد فى قيمة ذلك المفاد والقنية من دخول

فى غيرهما صح

قيمة

قيمة العمل الذى حصلت به اذ لولا العمل لم يحصل قنيتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة فى الكثير منها فتجعل له حصة من القيمة عظمت او صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كما فى اسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظة فى اسعار الحبوب كما قدمنا لكنه خفى فى الاقطار التى علاج الفلح فيها ومونته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من اهل الفلح فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها او اكثرها انما هى قيم الاعمال الانسانية وتبين مسمى الرزق وانه المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما واعلم انه اذا فقدت الاعمال او قلت بانتقاص العمران تاذن الله برفع الكسب الا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او يفقد لقلة الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التى تكون اعمالها اكثر يكون اهلها اوسع احوالا واشد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة فى البلدان اذا تناقص عمرانها قد ذهب رزقها حتى ان العيون والانهار ينقطع جريانها فى القفر لما ان فور العيون انما يكون بالانباط والامتراء الذى هو عمل انسانى كالحال فى ضروع الانعام فما لم يكن امترا ولا انباط نضبت وغارت بالجملة كما يجف الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره فى البلاد التى يعهد فيها العيون لايام عمرانها ثم ياتى عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كان لم تكن والله مقدر الليل والنهار

نبط البئر استخرج ماءها وقرى الشى استخرجه كامتراه ق

فصل فى وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعى فى تحصيله وهو تفعل من العيش كانه لما كان العيش الذى هو الحيات لا يحصل الا بهذه جعلت موضعا له على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان يكون باخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرما وجباية واما ان يكون من الحيوان الوحشى باقتراسه واخذه برميه من البر او البحر ويسمى اصطيادا واما ان يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرفة بين الناس

في منافعهم كاللبن من الانعام والحرير من دوده والعسل من نحله
او يكون من النبات في المزرع والشجر بالقيام عليه واعداده لاستخراج
ثمرته ويسمى هذا كله فلحا واما ان يكون الكسب من الاعمال
الانسانية اما في مواد بعينها وتسمى الصنايع من كتابة ونجارة
وخياطة وحياكة وفروسية وامثال ذلك او في مواد غير معينة وهي
جميع الامتهانات والتصرفات واما ان يكون الكسب من البضايع
واعدادها للاعواض اما بالتقلب بها في البلاد او احتكارها وارتقاب
حوالة الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه
وهو معنى ماذكره المحققون من اهل الادب والحكمة كالحريري
وغيره قالوا المعاش امارة وتجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة
فليست بمذهب طبيعي للمعاش فلاحاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شئ
من احوال الجبايات السلطانية واهلها في الفصل الثاني واما الفلاحة
والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش اما الفلاحة فهي
متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية وفطرية لا يحتاج
الى نظر ولا الى علم ولهذا تنسب في الخليقة الى ادم ابي البشر
وانه معلمها والقائم عليها اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش
وانسبها الى الطبيعة واما الصنايع فهي ثانيتها ومتاخرة عنها
لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والانظار ولهذا لا توجد
غالبا الا في اهل الحضر الذي هو متاخر عن البدو وثان عنه
ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثاني للخليقة وانه
مستنبطها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى واما التجارة
وان كانت طبيعية في الكسب فالاكثر من طرقها ومذاهبها
انما هي تحيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشرا والبيع
ليحصل فائدة الكسب من تلك الفضلة ولذلك اباح الشرع في
المكايسة لما انه من باب المقامرة الا انه ليس اخذ للمال من الغير
مجانا فلهذا خص بالمشروعية والله اعلم

فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي

اما السلطان فلا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر ابواب الامارة
والملك الذي هو بسبيله من الجندي والشرطي والكاتب ويستكفي
في كل باب بمن يعلم غناه فيه ويتكفل بارزاقهم من بيت ماله وهذا
كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة
والملك الاعظم هو ينبوع جدا ولهم واما مادون ذلك من الخدمة
فسببها ان اكثر المترفين يرتفع عن مباشرة حاجاته او يكون عاجزا
عنها لما ربي عليه من خلق التنعم والترف فيتخذ من يتولى ذلك له
ويقطعه عليه اجرا من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولية
الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولانها تزيد في الوظايف
والخرج وتدل على العجز والخنث الذي ينبغي في مذاهب الرجولة
التنزه عنهما الا ان العوايد تقلب طبايع الانسان الى مالوفها
فهو ابن عوايده لا ابن نسبه ومع ذلك في الخديم الذي يستكفى به
ويوثق بغنايه كالمفقود اذ الخديم القائم بذلك لا يعدوا اربع
حالات اما مضطلع بامره موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس
فيهما وهو ان يكون غير مضطلع بامره ولا موثوق فيما يحصل بيده
واما بالعكس في احدهما فقط مثل ان يكون مضطلعا غير موثوق
او موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن
احدا من استعماله بوجه اذ هو باضطلاعه وثقته غني عن اهل الرتب
الدنية ومحتقر لمنال الاجر من الخدمة لاقتداره على اكثر من ذلك
فلا يستعمله الا الامرا اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه
واما الصنف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثوق به فلا
ينبغي لعاقل استعماله لانه يجحف بمخدومه في الامرين معا فيضيع
عليه بعدم الاضطلاع تارة ويذهب ماله بالخيانة اخرى فهو كل
على مولاه فهذان الصنفان لا يطمع احد في استعمالهما ولم يبق
الا استعمال الصنفين الاخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع
غير موثوق وللناس في الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجيحين
وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موثوق ارجح لانه يؤمن من تضييع

تضييعه ويحاول على التحرز من خيانته جهد الاستطاعه واما
المضيع ولو كان مامونا فضرره بالتضييع اكثر من نفعه فاعلم
ذلك واتخذه قانونا فى الاستكفا بالخدمة والله قادر على ما يشا

فصل فى ان ابتغاء الاموال من الدفاين والكنوز ليس بمعاش طبيعى

اعلم ان كثيرا من ضعفا العقول فى الامصار يحرصون
على استخراج الاموال من تحت الارض يبتغون الكسب من ذلك
ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مختزنة كلها تحت الارض
مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفض ختامها ذلك الا من عثر
على علمه واستحضر ما يناسبه من البخور والدعا والقربان فاهل
الامصار بافريقية يرون ان الافرنجة الذين كانوا بها قبل الاسلام
دفنوا اموالهم كذلك واودعوها فى الصحف بالكتاب الى ان يجدوا
السبيل الى استخرجها واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك فى
امم القبط والروم والفرس ويتناقلون ذلك فى احاديث تشبه
حديث خرافة من انتها بعض الطالبين لذلك الى حفر موضع المال
ممن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خلوا او معمورا بالديدان
او يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها منتضين
سيوفهم او تميد به الارض حتى يظنه خسفا او مثل ذلك من الهذر
ونجد كثيرا من طلبة البربر بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعى
واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق المخترمة الحواشى
اما بخطوط عجمية او بما ترجم بزعمهم منها من خطوط
اهل الدفاين باعطا الامارات عليها من اماكنها يبتغون
بذلك الرزق بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويموهون عليهم منهم
بانه انما حملهم على الاستعانة بهم طلب الجاه فى مثل هذا من منال
الحكام والعقوبات وربما يكون عند بعضهم نادرة او غريبة
من الاعمال السحرية يموه بها على تصديق ما بقى من دعواه
وهو بمعزل عن السحر وطرقه فيولع الكثير من ضعفا العقول
بجمع الايدى على الاحتفار والتستر فيه بظلمات الليل مخافة الرقبا

وعيون اهل الدول فاذا لم يعثروا على شى ردوا ذلك الى الجهل بالطلسم [بالطلسم]
الذى ختم به على ذلك المال يخادعون به [بينهم] انفسهم عن اخفاق
مطامعهم والذى يحمل على ذلك فى الغالب زيادة على ضعف
العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية
للكسب من التجارة والفلح والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنحرفة
وعلى غير الوجه الطبيعى من هذا وامثاله عجزا عن السعى
فى المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب
فى تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم
بابتغا ذلك من غير وجهه فى نصب ومتاعب وجهد شديد
اشد من الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لمنال العقوبات
وربما يحمل فى الاكثر على ذلك زيادة الترف وعوايده
وخروجها عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب [ومذاهب]
ولا تفى بمطالبها فاذا عجز له الكسب بالمجرى الطبيعى لم يجد
وليجة فى نفسه الا التمنى لوجود المال العظيم دفعة من غير
كلفة ليفى ذلك بالعوايد التى حصل فى اسرها فيحرص على ابتغا
ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا اكثر من تراهم يحرصون على ذلك
هم المترفون من اهل الدول ومن سكان الامصار الكثيرة الترف
المتسعة الاحوال مثل مصر وما فى معناها تجد الكثير منهم
مغرمين بابتغا ذلك وتحصيله ومسائلة الركبان عن شواذه
كما يحرصون على الكيميا هكذا يبلغنا عن اهل مصر فى مفاوضة
من يلقونه من طلبة المغاربة لعلهم يعثر [ولعله] منه على دفين او كنز
ويزيدون الى ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون ان
غالب هذه الاموال الدفينة كلها فى مجارى النيل وانه اعظم
ما يستر دفينا او مخزونا فى تلك الافاق ويموه عليهم اصحاب
تلك الدفاتر المستفعلة فى الاعتذار عن الوصول اليها بجرية
النيل يستتر بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص
سامع ذلك منهم حتى نضوب الما بالاعمال السحرية ليحصل

ما ابتغاه من بعده كلفا بشان السحر متوارثا فى ذلك القطر عن اوليهم فعلومهم السحرية واثارها باقية بارضهم فى البرابى وغيرها وقصة سحرة فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد يتناقل اهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكما المشرق يعطى فيها كيفية العمل فى التغوير بصناعة سحرية حسبما تراه فيها وهى

يا طالبا للسر فى التغوير . اسمع كلام الصدق من خبير
دع عنك ما قد صنفوا فى كتبهم . من قول بهتان ولفظ غرور
واسمع لصدق مقالتى ونصيحتى . ان كنت ممن لا يرى بالزور
فاذا اردت تغور البئر التى . حارت لها الافهام فى التدبير
صور كصورتك التى اوقفتها . والراس راس الشبل فى التقوير
ويداه ماسكتان للحبل الذى . فى الدلو ينشل من قرار البئر
وبصدره هاكما عاينتها . عدد الطلاق احذر من التكرير
ويطا على الطاءات غير ملامس . مشى اللبيب الكيس النحرير
ويكون حول الكل خط دائر . تربيعه اولى من التكوير
واذبح عليه الطير والطخه به . واقصد عقيب الذبح بالتبخير
بالسندروس وباللبان ومايعة . والقسط والبسه بثوب حرير
من احمر او اصفر لا ازرق . لا اخضر فيه ولا تكدير
ويشده خيطان صوف ابيض . او احمر من خالص التحمير
والطالع الاسد الذى قد بينوا . ويكون بدء الشهر غير منير
والبدر متصل بسعد عطارد . فى يوم سبت ساعة التدبير

يعنى تكون الطاءات بين قدميه كانه يمشى عليها وعندى ان هذه القصيدة من تمويهات المخرقين فلهم فى ذلك احوال غريبة واصطلاحات عجيبة وتنتهى المخرقة والكذب بهم الى ان يسكنوا المنازل المشهورة والدور المعروفة بمثل هذا ويحتفرون بها الحفر ويضعون فيها المطابق والشواهد التى يكتبونها فى صحايف كتبهم ثم يقصدون ضعفا العقول بامثال هذه الصحايف ويبعثونه على اكترا ذلك المنزل وسكناه ويوهمونه ان به دفينا من المال

لايعبر

لا يعبر عن كثرته ويطالبونه بالمال لاشتراء العقاقير والبخور لحل الطلاسم ويعدونه بظهور الشواهد التى اعتدوها هنالك بانفسهم ومن فعلهم فينبعث بما يراه من ذلك وهو قد خدع ولبس عليه من حيث لا يشعر وبينهم فى ذلك اصطلاح فى كلامهم يلبسون به عليهم ليخفى عنهم محاورتهم فيما يتناولون من حفر وبخور وذبح حيوان وامثال ذلك واما الكلام فى ذلك على الحقيقة فلا اصل له فى علم ولا خبر واعلم ان الكنوز وان كانت توجد لكنها فى حكم النادر وعلى وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس ذلك بامر تعم به البلوى حتى يذخر الناس غالبا اموالهم تحت الارض ويختمون عليها بالطلاسم لا فى القديم ولا فى الحديث والركاز الذى ورد فى الحديث وفرضه الفقها وهو دفن الجاهلية انما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضا من اختزن ماله وختم عليه بالاعمال السحرية فقد بالغ فى اخفائه فكيف ينصب عليه الامارات والادلة لمن يبتغيه ويكتب ذلك فى الصحايف حتى يطلع على ذخيرته اهل الاعصار والافاق هذا يناقض قصد الاخفا وايضا فافعال العقلا لا بد ان يكون لغرض مقصود فى الانتفاع ومن اختزن المال فانما يختزنه لولده او قريبه او من يوثره به واما ان يقصد اخفاه بالكلية عن كل احد وانما هو للبلى والهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية ممن سياتى من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلا بوجه واما قولهم اين اموال الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم ان الاموال من الذهب والفضة والجواهر والامتعة انما هى معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بايدى الناس فهو متناقل متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اغراضه والعمران الذى يستدعيه فان نقص المال على المغرب وافريقية فلم ينقص فى بلاد

الصقالبة والافرنجة وان نقص بمصر والشام فلم ينقص بالهند والصين
وانما هي آلات ومكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع ان
المعادن يدركها البلا كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ
والجوهر اعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد
والرصاص والقصدير ينالها من البلا والفنا ما يذهب باعيانها لاقرب
وقت واما ما وقع في مصر من امر المطالب والكنوز فسببه ان مصر
كانت في ملكة القبط منذ الفين اثنين او تزيد من السنين وكان
موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجواهر واللآلي
على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما انقرضت دولة القبط
وملكوا الفرس بلادهم نقروا عن ذلك من قبورهم وكشفوا
عنه فاخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالاهرام من قبور الملوك
وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم
مظنة لذلك لهذا العهد ويعثر على الدفين فيها في كثير من الاوقات
اما ما يدفنونه من اموالهم او يكرمون به موتاهم في الدفن
من اوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت
قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك
عني اهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها
حتى انهم حين ضربت المكوس على الاصناف اخر الدول ضربت
على اهل المطالب وصارت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحمقى
والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون لهم من اهل الاطماع الذريعة
الى الكشف عنه والزعم باستخراجه وما حصلوا الا على الخيبة
في جميع مساعيهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج من دفع
الى شيء من هذا الوسواس وابتلي به ان يتعوذ بالله من العجز
والكسل في طلب معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل
نفسه بالمحالات والمكاذب من الحكايات والله يرزق من يشا بغير حساب

فصل في ان الجاه مفيد للمال

وذلك

وذلك انا نجد صاحب الجاه والحظوة في جميع اصناف المعاش اكثر
يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب في ذلك ان صاحب الجاه مخدوم
بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل التزلف والحاجة الى جاهه فالناس
معينون له باعمالهم في جميع حاجاته من ضروري وحاجي وكمالي
فتحصل قيمة تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شانه ان تبذل
فيه الاعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر
قيم تلك الاعمال عليه فهو بين قيم للاعمال يكتسبها وقيم اخرى
تدعوه الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه والاعمال لصاحب الجاه
كثيرة فيفيد الغنى لاقرب وقت ويزداد مع الايام يسارا وثروة
ولهذا المعنى كانت الامارة احد اسباب المعاش كما قدمناه وفاقد
الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بمقدار ماله
وعلى نسبة سعيه وهولاء هم اكثر التجار ولهذا نجد اهل الجاه
منهم يكونون ايسر بكثير ومما يشهد لذلك انا نجد كثيرا من الفقها
واهل الدين والعبادة اذا اشتهر حسن الظن بهم واعتقد
الجمهور معاملة الله في ارفادهم فاخلص الناس في اعانتهم
على احوال دنياهم والاعتمال في مصالحهم اسرعت اليهم الثروة
واصبحوا مياسير من غير مال مقتنى الا ما يحصل لهم من قيم
الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم راينا من ذلك
اعدادا في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح
والتجر وهو قاعد في منزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم
كسبه ويتاثل الغنى من غير سعي ويعجب من لا يفطن لهذا السر في
حال ثروته واسباب غناه ويساره والله يرزق من يشا بغير حساب

فصل في ان السعادة والكسب انما تحصل غالبا لاهل الخضوع والملق وان هذا الخلق من اسباب السعادة •

قد سبق لنا فيما سلف ان الكسب الذي يستفيده البشر انما هو قيم
اعمالهم ولو قدر احد عاطلا عن العمل جملة لكان فاقد الكسب
بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون

قدر قيمته وعلى قدر ذلك نمو كسبه او نقصانه وقد بينا آنفا
ان الجاه يفيد المال بما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه
باعمالهم وباموالهم فى دفع المضار وجلب المنافع وكان
ما يتقربون به من عمل او مال عوض عما يحصلون عليه بسبب الجاه
من كثير الاغراض فى صالح او طالح وتصير تلك الاعمال فى كسبه
وقيمها اموال وثروة له فيستفيد الغنى واليسار لاقرب وقت
ثم ان الجاه متوزع فى الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة
ينتهى فى العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد غالبة وفى السفل
الى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين ابناء جنسه وبين طبقات متعددة
حكمة من الله فى خليقته بما ينتظم معاشهم وتتيسر مصالحهم
ويتم بقاؤهم لان النوع الانسانى لما كان لا يتم وجوده وبقاؤه
الا بتعاون ابنائه على مصالحهم لانه قد تقرر ان الواحد منهم
لا يتم وجوده وانه وان ندر ذلك فى صورة مفروضة فلا يصح
بقاؤه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم فى
الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان افعالهم
انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع فقد يمتنع من المعاونة
فيتعين حمله عليها فلا بد من حامل يكره ابنا النوع على مصالحهم
لتتم الحكمة الالهية فى بقا هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى
وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
ورحمة ربك خير مما يجمعون. فقد تبين ان معنى الجاه هو القدرة
الحاصلة للبشر على التصرف فيمن تحت ايديهم من ابناء جنسهم
بالاذن والمنع والتسلط فيهم بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع
مضارهم وجلب منافعهم فى العدل وباحكام الشرايع او السياسة
وعلى اغراضه فيما سوى ذلك لكن الاول مقصود فى العناية
الربانية بالذات والثانى داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة
فى القضا الالهى لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر
يسير من اجل المواد فلا يفوت الخير لذلك بل يقع على ما ينطوى

عليه

عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم فى الخليقة فتفهم ثم
ان كل طبقة من طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة
على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستمد
هذا الجاه من اهل الطبقة التى فوقه ويزداد كاسبه متصرفا فيمن
تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه مع ذلك داخل على الناس
فى جميع ابواب المعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذى فيه
صاحبه فان كان الجاه متسعا كان الكسب الناشى عنه كذلك وان
كان ضيقا او قليلا فمثله وفاقد الجاه ولو كان له مال فلا يكون يساره
الا بمقدار عمله او ماله وعلى نسبة سعيه ذاهبا وجائيا فى تنميته
كاكثر التجار واهل الفلاحة فى الغالب واهل الصنايع كذلك اذا فقدوا
الجاه واقتصروا على فوايد صنايعهم فانهم يصيرون الى الفقر والخصاصة
فى الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة انما يرمقون العيش ترميقا
مطلب
ويدفعون ضرورة الفقر مدافعة واذا تقرر ذلك وان الجاه متوزع
وان السعادة والخير مقترنان بحصوله علمت ان بذله وافادته من
اعظم النعم واجلها وان باذله من اجل المنعمين وانما يبذله لمن
تحت يده فيكون بذله بيد عالية وعن عزة فيحتاج طالبه ومبتغيه
الى خضوع وتملق كما يسال اهل العز والملوك والا فيتعذر حصوله
فلذلك قلنا ان الخضوع والملق من اسباب حصول هذا الجاه
المحصل للسعادة والكسب وان اكثر اهل الثروة والسعادة بهذا
الخلق ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشمم لا يحصل لهم
غرض من الجاه فيقتصرون فى التكسب على اعمالهم ويصيرون
الى الفقر والخصاصة واعلم ان هذا الكبر والترفع من الخلق المذموم
انما يحصل من توهم الكمال وان الناس محتاجون الى بضاعته
من علم او صناعة كالعالم المتبحر فى علمه والكاتب المجيد فى كتابته
والشاعر البليغ فى شعره وكل محسن فى صناعته يتوهم ان الناس
محتاجون الى ما بيده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم
اهل الانساب ممن كان فى آبائه ملك او عالم مشهور او كامل فى

طور يعتزون بما رواه او سمعوه من حال اباءهم فى المدينة
ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرابتهم اليهم ووراثتهم
عنهم فهم مستمسكون فى الحاضر بالامر المعدوم اذ الكمال
لا يورث وكذلك اهل الحنكة والتجارب والبصر بالامور قد
يتوهم بعضهم كمالا فى نفسه بذلك واحتياجا اليه وتجد
هولاء الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب جاه ولا
يتملقون لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم
الفضل على الناس فيستنكف احدهم عن الخضوع ولو كان
للملك ويعده مذلة وهوانا وسفها ويحاسب الناس فى معاملتهم
اياه بمقدار ما يتوهم فى نفسه ويحقد على من قصر له فى شىء
مما يتوهمه من ذلك وربما يدخل على نفسه الهموم والاحزان
من تقصيرهم فيه ويستمر فى عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه
واباءة الناس له من ذلك ويحصل له المقت فى الناس لما فى
طباع البشر من التأله وقل ان يسلم احد منهم لاحد فى الكمال
والترفع الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة
وهذا كله فى ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو
مفقود له كما تبين لك مقته الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ
من احسانهم ففقد الجاه لذلك من اهل الطبقة التى هى
اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن
تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقى فى
خصاصة وفقر او فوق ذلك بقليل واما الثروة فلا تحصل له
اصلا ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكامل فى المعرفة محروم
من الحظ وانه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك
من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشىء يسر له والله المقدر
لا رب سواه ولقد يقع فى الدول اضطراب فى المراتب من اجل
هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية
بسبب ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت غايتها من التغلب

والاستبداد

والاستيلاء وانفرد منها منبت الملك بملكهم وسلطانهم ويئس
سواهم من ذلك وانما صاروا فى مراتب دون مرتبة الملك
وتحت يد السلطان وكانهم خول له فاذا استمرت الدولة وشمخ
الملك تساوى حينئذ فى المنزلة عند السلطان كل من انتمى الى
خدمته وتقرب اليه بنصيحته واصطنعه السلطان لغنائه فى كثير
من مهماته فتجد كثيرا من السوقة يسعى فى التقرب من السلطان
بجده ونصحه ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك
بعظيم من الخضوع والتملق له ولحاشيته واهل نسبه حتى يرسخ
قدمه معهم وينظمه السلطان فى جملته فيحصل له بذلك حظ
عظيم من السعادة وينتظم فى عداد اهل الدولة وناشئة الدولة
حينئذ من ابنائها الذين ذللوا صعابها ومهدوا اكنافها مغترون
بما كان لابائهم فى ذلك من الاثار تشمخ به نفوسهم على السلطان
ويعتدون باثاره ويجرون فى مضمار الدالة بسببه فيمقتهم
السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هولاء المصطنعين
الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع
انما دابهم الخضوع له والتملق والاعتمال فى غرضه متى ذهب اليه
فيتسع جاههم وتعلو منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه
والخواص بما يحصل لهم من ميل السلطان والمكانة عنده
ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم
لا يزيدهم ذلك الا بعدا من السلطان ومقتا وايثارا للهولاء
المصطنعين عليهم الى ان تنقرض الدولة وهذا امر طبيعى فى
الدول ومنه جاء شان المصطنعين فى الغالب والله فعال لما يريد

فصل فى ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم فى الغالب

والسبب فى ذلك كما قدمناه ان الكسب قيمة الاعمال وانها
متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية فى العمران
عامة البلوى فيه كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها اشد

واهل هذه البضايع الدينية لا يضطر اليهم عامة الخلق
وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص ممن اقبل على دينه وان
احتيج الى القضا والفتيا فى الخصومات فليس على وجه
الاضطرار والعموم فيقع الاستغنا عن هؤلا فى الاكثر
وانما يهتم بهم وباقامة مراسمهم صاحب الدولة بما له من
النظر فى المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة
الحاجة اليهم على النحو الذى قررناه لا يساويهم باهل
الشوكة ولا باهل الصنايع الضرورية وان كانت بضاعتهم
اشرف من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم
بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العمران فلا يصح فى
قسمتهم الا القليل وهم ايضا لشرف بضايعهم اعزة
على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل الجاه
حين ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ حتى
اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضايع الشريفة
المشتملة على الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم
لاهل الدنيا لشرف بضايعهم فهم بمعزل عن ذلك
فلذلك لا تعظم ثروتهم فى الغالب ولقد باحثت بعض
الفضلا ونكر على ذلك فوقع بيدى اوراق مخرمة من حسبان
الدواوين بدار المامون تشتمل على كثير من الدخل والخرج
يومئذ وكان فيما طالعت فيه ارزاق القضاة والايمة
والموذنين فوقفته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع
اليه وقضينا العجب من اسرار الله تعالى فى خليقته وحكمته
فى عوالمه والله الخالق المقتدر فصل فى ان الفلاحة
من معاش المستضعفين واهل العافية من البدو
وذلك لانه اصيل فى الطبيعة وبسيط فى منحاه ولهذا
لا تجده ينتحله احد من اهل الحضر فى الغالب ولا من المترفين
ويختص منتحله بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد راى

السكة

السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخله
الذل وحمله البخارى على الاستكثار منه وترجم عليه باب
ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع او تجاوز الحد الذى
امر به والسبب فيه والله اعلم ما يتبعها من المغرم المفضى
الى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بايسا بما تتناوله
ايدى القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تعود الزكاة مغرما اشارة الى الملك العضوض القاهر
للناس الذى معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى
فى المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغارم للملوك والدول والله
قادر على ما يشا فصل فى معنى التجارة ومذاهبها واصنافها
اعلم ان معنى التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشرا
السلعة بالرخص وبيعها بالغلا ما كانت السلعة من رقيق
او زرع او حيوان او سلاح او قماش وذلك القدر النامى
يسمى ربحا والمحاولة لذلك الربح اما بان تختزن السلعة
ويتحين بها حوالة السوق من الرخص الى الغلا فيعظم ربحه
واما بان ينقله الى بلد اخر ينفق فيه تلك السلعة اكثر من بلده
الذى اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ
من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة انا اعلمكها فى
كلمتين اشترى الرخيص وبع الغالى وقد حصلت التجارة انشاء
له بذلك الى المعنى الذى قررناه والله هو الرزاق ذو القوة
المتين فصل فى نقل التاجر للسلع التاجر البصير بالتجارة
لا ينقل من السلع الا ما تعم الحاجة اليه من الغنى والفقير
والسلطان والسوقة اذ فى ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص
نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاذ سلعته حينئذ
باعواز الشرا على ذلك البعض لعارض من العوارض فتكسد
سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها
فانما ينقل الوسط من صنفها فان العالى من كل صنف من السلع

انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما
يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليتحر
ذلك جهده ففيه نفاق سلعته اوكسادها وكذلك نقل
السلع من البلد البعيد المسافة او في شدة الخطر في الطرقات
يكون اكثر فائدة للتجارة واعظم ارباحا واكفل بحوالة الاسواق
لان السلع المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها
او شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت
وعزت غلت اثمانها واذا كان البلد قريب المسافة والطريق سائل
بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها ولهذا
نجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان ارفه
الناس واكثرهم اموالا لبعد طريقهم ومشقته واعتراض
المفازة الصعبة الخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الما الا
في اماكن معلومة يهتدي اليها ادلاء الركاب فلا يرتكب هذا
الطريق وبعده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان
قليلة لدينا فتختص بالغلا وكذا سلعنا لديهم فتعظم بضايع
التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك
وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعد الشقة ايضا
واما المترددون في الافق الواحد ما بين امصاره وبلدانه
ففايدتهم قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها
والله الرزاق ذو القوة المتين فصل في الاحتكار
ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار ان احتكار
الزرع لتحين اوقات الغلا به مشئوم وانه يعود على فايدته
بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لحاجتهم
الى الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا
فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بمالها سر كبير
في وباله على من ياخذه مجانا ولعله الذي اعتبره الشارع
في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس

متعلقة

متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره
وما عدا الاقوات والماكولات من المبيعات لا اضطرار للناس
اليها وانما يبعثهم عليها التفنن في الشهوات فلا يبذلون اموالهم
فيها الا باختيار وحرص فلا يبقى لهم تعلق بما اعطوه فلهذا
يكون من عرف بالاحتكار يجتمع القوى النفسانية على متابعة
بما ياخذه من اموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم وسمعت
فيما يناسب ذلك حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب اخبرني
شيخنا ابو عبد الله الايلي قال حضرت عند القاضي بفاس لعهد
السلطان ابي سعيد وهو الفقيه ابو الحسن المليلي وقد عرض
عليه ان يختار بعض الالقاب المخزنية لجرايته فاطرق مليا ثم
قال من مكس الخمر فاستضحك الحاضرون من اصحابه وعجبوا
وسالوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجبايات كلها حراما
فاختار منها ما لا يتابعه نفس معطيه والخمر قل ان يبذل احد فيها
ماله الا وهو طرب مسرور بوجدانه غير اسف عليه ولا متعلق
به وهذه ملاحظة غريبة والله تعالى اعلم فصل
في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص
وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصنايع او
التجارة والتجارة هي شرا البضايع والسلع وادخارها تتحين
بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربحا ويحصل
منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائما فاذا استديم
الرخص في سلعة او عرض من ماكول او ملبوس او متمول
على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فيه فسد الربح والنما
بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ولم يحصل
التاجر الا على العنا فيقعد التجار عن السعي فيها وتفسد رؤوس
اموالهم واعتبر ذلك مثلا بالزرع اذا استديم رخصه كيف
تفسد احوال المحترفين به في سائر اطواره من الفلح والزراعة
لقلة الربح فيه وندارته او فقده فيفقدون النما في اموالهم

او يجدونه على قلة ويعودون بالانفاق على رؤس اموالهم
وتفسد احوالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك
فساد حال المحترفين ايضا بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزرع من
الحرف من لدن زراعته الى مصيره ماكولا وكذا يفسد حال
الجند اذا كانت ارزاقهم من السلطان عند اهل الفلح زرعا
بالاقطاع فانه تقل جبايتهم من ذلك ويعجزون عن اقامة
الجندية التي هم بسببها ويرتزقون من السلطان عليهم فيقطع
عنهم الرزق وتفسد احوالهم وكذا اذا استديم الرخص
في العسل والسكر فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون به
عن التجارة فيه وكذا حال الملبوسات اذا استديم فيها الرخص
ايضا فاذن الرخص المفرط مجحف بمعاش المحترفين بذلك الصنف
الرخيص وكذا الغلا المفرط ايضا وربما يكون في النادر سببا
لنماء المال بسبب احتكاره وعظم فايدته وانما معاش الناس
وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق ومعرفة
ذلك ترجع الى العوايد المستقرة بين اهل العمران وانما يحمد
الرخص والزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة اليه واضطرار
الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق
هم الاكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجح جانب القوت
على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة
المتين فصل في اي اصناف الناس ينتفع بالتجارة وايهم ينبغي
له تركها قد تقدم لنا ان معنى التجارة تنمية المال بشرا
البضايع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشرا اما بانتظار حوالة
الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه انفق واغلى او بيعها بالغلا
على الاجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال نزر يسير لان
المال ان كان كثيرا عظم الربح لان القليل في الكثير كثير ثم لا بد
في محاولة هذا التنمية الذي هو الربح من حصول هذا المال
بايدي الباعة في شرا البضايع وبيعها وتقاضي اثمانها واهل

النصفة منهم قليل فلا بد من الغش والتطفيف المجحف
بالبضايع والمطل في الاثمان المجحف بالربح لتعطيل المحاولة
في تلك المدة وبها نماؤه ومن الجحود والانكار المسحت لراس
المال ان لم يتقيد بالكتاب والشهادة وغنا الحكام في ذلك قليل
لان الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك احوالا
صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظيم
العنا والمشقة او لا يحصل او يتلاشى راس ماله فان كان جريا
على الخصومة بصيرا بالحسبان شديد المماحكة مقداما على الحكام
كان ذلك اقرب له الى النصفة منهم بجراته ومماحكته والا
فلا بد له من جاه يدرع به فيوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل
الحكام على انصافه من غرمائه فيحصل له بذلك النصفة واستخلاص
ماله منهم طوعا في الاول وكرها في الثاني واما من كان
فاقد الجراة والاقدام من نفسه وفاقد الجاه من الحكام فينبغي
ان يجتنب التجارة لانه يعرض بماله الذهاب والضيعة ويصيره
ماكلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لان الناس في الغالب
متطلعون الى ما بايدي الناس ولولا وازع الحكام ما سلم
لاحد شي مما في يده وخصوصا الباعة وسفلة الناس ورعاعهم
ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله
ذو فضل على العالمين فصل في ان خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء
وبعيدة عن المروة قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر
مدفوع الى معانات البيع والشرا وجلب الفوايد والارباح ولا بد
في ذلك من المكايسة والمماحكة والتحذلق وممارسة الخصومات
واللجاج وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف تغض
من الذكا والمروة وتجرح فيها لان الافعال لا بد من عود
اثارها على النفس فافعال الخير تعود باثار الخير والزكا وافعال
الشر والسفسفة تعود بضد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت
وتكررت وتنقص من خلال الخير ان تاخرت عنها بما ينطبع

من آثارها المذمومة فى النفس شان الملكات الناشية عن الافعال وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار فى اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور محالطا لشرار الباعة اهل الغش والخلابة والفجور فى الأيمان على البياعات والاثمان اقرارا وانكارا كانت رداءة تلك الخلق عنده اشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المروات واكتسابها بالجملة والآفلا بدله من تاثير المكايسة والمماحكة فى مروته وفقدان ذلك فيهم بالجملة قليل ووجود الصنف الثانى منهم الذى قدمنا فى الفصل قبله انهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر وذلك ان يكون المال قد توفر عنده دفعة بنوع غريب او ورث عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين اهل عصره فيترفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشمه ويسهل لهم الحكام النصفة فى حقوقهم بما يونسونه من برّه واتحافه فيبعدون عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المقتضية لها كما مرّ فتكون مروتهم ارسخ وابعد عن المحذجات الا ما يسرى من آثار تلك الافعال من ورا الحجاب فانهم يضطرون الى مشارفة احوال اولئك الوكلاء ووفاقهم او خلافهم فيما ياتون ويذرون من ذلك الا انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعملون فصل فى ان الصنايع لا بد لها من المعلم

اعلم ان الصناعة هى ملكة فى امر عملى فكرى وبكونه عمليا هو جسمانى محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة اوعب لها واكمل لان المباشرة فى الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعاينة اوعب واتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة من

الخبر

الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم فى الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنايع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذى يختص بالضروريات والمركب هو الذى يكون للكماليات والمتقدم منها فى التعليم هو البسيط لبساطته اولا ولانه مختص بالضرورى الذى تتوفر الدواعى على نقله فيكون سابقا فى التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط شيئا شيئا على التدريج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل فى ازمان واجيال اذ خروج الاشيا من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لا سيما فى الامور الصناعية فلا بد له اذا من زمان ولهذا تجد الصنايع فى الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا البسيط واذا تزيدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنايع خرجت من القوة الى الفعل والله اعلم فصل فى ان الصنايع انما تكمل بكمال العمران الحضرى وكثرته

والسبب فى ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضرى وتتمدن المدينة انما همهم فى الضرورى من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا تمدنت المدينة وتزيدت فيها الاعمال ووفت بالضرورى وزادت عليه صرف الزائد حينئذ الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنايع والعلوم انما هى للانسان من حيث فكره الذى يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو متقدم لضروريته على العلوم والصنايع وهى متاخرة عن الضرورى وعلى مقدار عمران البلد يكون جودة الصنايع للتانق فيها حينئذ وجودة ما يطلب منها بحسب دواعى الترف والثروة واما العمران البدوى او القليل فلا يحتاج من الصنايع الا البسيط خاصة المستعمل فى الضروريات من نجار او حداد او خياط او جزار او حايك واذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وانما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ هى

اضافها ط

كلها وسائل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا زخر بحر
العمران وطلبت فيها الكمالات كان من جملتها التانق فى الصنايع
واستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزيدت صنايع اخرى معها
مما تدعو اليه عوايد الترف واحواله من خزاز ودباغ وحرار
وصايغ وامثال ذلك وقد تنتهى هذه الاصناف اذا استبحر العمران
ان يوجد فيها كثير من الكمالات ويتانق فيها فى الغاية وتكون من
وجوه المعاش فى المصر لمنتحلها بل تكون فايدتها من اعظم فوايد
الاعمال لما يدعو اليه الترف فى المدينة مثل الدهان والصفار
والحمامى والطباخ والسفاج والهراس ومعلم الغنا والرقص وقرع
الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ
الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعو اليها
الترف فى المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك
وقد تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا
عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الطيور العجم والحمر الانسية
ويتحيل اشيا من العجايب بايهام قلب الاعيان وتعليم الحدا والرقص
والمشى على الخيوط فى الهوا ورفع الاثقال من الحيوانات والحجارة
وغير ذلك من الصنايع التى لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران
امصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة والله الحكيم العليم

فصل فى ان رسوخ الصنايع فى الامصار برسوخ الحضارة وطول امدها

والسبب فى ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوايد
للعمران والوان العوايد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد
فتستحكم صبغة ذلك وترسخ فى الاجيال واذا استحكمت الصبغة
عسر نزعها ولهذا فانا نجد الامصار التى كانت استبحرت فى الحضارة
لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها اثار من هذه الصنايع
ليست فى غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت
مبالغها فى الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك
القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول

الاحوال

الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال
فى الاندلس لهذا العهد فانا نجد فيها رسوم الصنايع قايمة واحوالها
مستحكمة راسخة فى جميع ما تدعو اليه عوايد امصارها كالمباني
والطبخ واصناف الغنا واللهو من الالات والاوتار والرقص
وتنضيد الفرش فى القصور وحسن الترتيب والاوضاع فى البنا
وصوغ الانية من المعادن والخزف وجميع المواعين واقامة
الولايم والاعراس وساير الصنايع التى يدعو اليها الترف وعوايده
فنجدهم اقوم الناس عليها وابصرهم بها ونجد صنايعها مستحكمة
لديهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع
الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوى
عمران غيرها من بلاد العدوة وما ذاك الا لما قدمناه من رسوخ
الحضارة فيهم برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط
وما بعدها من دولة الطوائف الى هلم فبلغت الحضارة فيها مبلغا
لم تبلغه فى قطر الا ما ينقل عن العراق والشام ومصر ايضا لطول
اماد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنايع وكملت جميع اصنافها
على الاستجادة والتنميق وبقيت صبغتها ثابتة فى ذلك العمران
لا تفارقه الى ان ينتقض بالكلية حال الصبغ اذا رسخ فى الثوب
وكذا ايضا حال تونس فيما حصل فيها من الحضارة بالدول الصنهاجية
والموحدين من بعدهم وما استكمل لها ذلك من الصنايع
فى ساير الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا انه متضاعف
برسوم منها تنتقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهما وتردد
المسافرين من قطرها الى قطر مصر فى كل سنة وربما سكن
اهلها هنالك عصورا فينقلون من عوايد ترفهم ومحكم صنايعهم
ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها فى ذلك
متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس
لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس حين الجلا لعهد المايه
السابعة ورسخ فيها من ذلك احوال وان كان عمرانها ليس

بمناسب لذلك لهذا العهد الآن الصبغة اذا استحكمت فقليلا ما
تحول الا بزوال محلها وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلعة ابن
جماد اثرا باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا او في حكم
الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنايع
اثارة تدله على ما كان بها كاثر الخط الممحو في الكتاب والله الخلاق
العليم فصل في ان الصنايع انما تستجاد وتكثر اذا كثر
طالبها · والسبب في ذلك ان الانسان لا يسمح بعمله
ان يقع مجانا لانه كسبه ومنه معاشه اذ لا فائدة له في جميع عمره
في شيء مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع
واذا كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق كانت حينئذ
الصناعة بمثابة السلعة التي نفق سوقها وتجلب للبيع فيجتهد
الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم
واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم ينفق سوقها ولا توجد قصد احد
الى تعليمها فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال
عن على رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى ان صناعته
هي قيمته اي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضا فهنا سر اخر
وهو ان الصنايع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق
من سوقها وتوجد الطلبات اليها وما لم تطلبه الدولة وانما يطلبه
غيرها من اهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق
الاعظم وفيها نفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة
واحدة فما نفق فيها كان اكثر ضرورة والسوقة وان طلبوا الصناعة
فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافقة والله قادر على ما يشاء
فصل في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها
الصنايع وذلك لما بيناه من ان الصنايع انما تستجاد اذا احتيج
اليها وكثر طالبها فاذا ضعفت احوال المصر واخذ في الهرم بانتقاص
عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصار
على الضروري من احوالهم فتقل الصنايع التي كانت من توابع

الترف

الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاش فيفر الى غيرها
او يموت ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنايع جملة كما
يذهب النقاشون والصواغون والكتاب والنساخ وامثالهم
من الصنايع لحاجات الترف ولا تزال الصناعات في تناقص ما دام
المصر في تناقص الى ان يضمحل والله الخلاق العليم فصل
في ان العرب ابعد الناس عن الصنايع ·
والسبب في ذلك انهم اعرق في البدو وابعد عن العمران الحضري
وما يدعو اليه من الصنايع وغيرها والعجم من اهل المشرق
وامم النصرانية عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لانهم اعرق
في العمران الحضري وابعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي
اعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في البدو مفقودة
لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرمال المهيئة لنتاجها ولهذا نجد
اوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنايع بالجملة حتى
تجلب اليه من قطر اخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وارض
الترك وامم النصرانية كيف استكثرت فيها الصنايع واستجلبها الامم
من عندهم وعجم المغرب من البربر بمثابة العرب في ذلك لرسوخهم
في البداوة منذ احقاب من السنين ويشهد لك بذلك قلة الامصار
بقطرهم كما قدمناه فالصنايع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة
الا ما كان من صناعة الصوف في نسجه والجلد في خرزه ودبغه
فانهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون
هذين اغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة واما
المشرق فقد رسخت الصنايع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من
الفرس والنبط والقبط وبني اسرائيل ويونان والروم احقابا متطاولة
فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جملتها الصنايع كما قدمناه فلم يمح
رسمها واما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكها العرب
الا انهم تداولوا ملكه آلافا من السنين في امم كثيرين منهم
واختطوا ايضا امصاره ومدنه وبلغوا المبالغ من الحضارة والترف

العدوة بكسر العين المرتفع ق

مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والأذوا
فطال امد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنايع
ورسخت فلم تبل ببلى الدولة كما قلناه فبقيت مستجدة حتى الآن
واختصت بذلك الموطن كصناعة الوشي والعصب وما يستجاد
من حوك الثياب والحرير فيها والله وارث الارض ومن عليها .

العصب ضرب من البرود والغزل

فصل في ان من حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعدها ملكة اخرى

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ورسخت
في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة والبنا الا ان تكون
الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها والسبب في ذلك ان
الملكات صفات للنفس والوان فلا تزدحم دفعة ومن كان على
الفطرة كان اسهل لقبول الملكات واحسن استعداد الحصولها
فاذا تلونت النفس بالملكة خرجت عن الفطرة وضعف فيها الاستعداد
باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة الاخرى اضعف
وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد صاحب صناعة يحكمها
فيحكم من بعدها اخرى ويكون فيهما معا على رتبة واحدة من
الاجادة حتى ان اهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثا
ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية
فقل ان يجيد ملكة علم اخر على نسبة بل يكون مقصرا فيه ان طلبه
الا في الاقل النادر من الاحوال ومبنا سببه على ما ذكرناه من
شان الاستعداد وتلوينه بلون الملكة الحاصلة في النفس والله اعلم

مطلب

فصل في الاشارة الى امهات الصنايع ...

اعلم ان الصنايع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة
في العمران فهي بحيث تشذ عن الحصر ولا ياخذها العدد
الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف بالموضوع
فنخصها بالذكر ونترك ما سواها فاما الضروري فكالفلاحة
والبنا والخياطة والنجارة والحياكة واما الشريف بالموضوع فكالتوليد
والكتابة والوراقة والغنا والطب فاما التوليد فانها ضرورية في العمران

وعامة

وعامة البلوى اذ بها يحصل حياة المولود وتتم غالبا وموضوعها
مع ذلك المولودون وامهاتهم واما الطب فهو حفظ الصحة
للانسان ودفع المرض ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع
ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي
حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لها على النسيان ومبلغة
ضماير النفس الى البعيد الغايب ومخلدة نتايج الافكار والعلوم
والصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني واما الغنا فهو نسب
الاصوات ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنايع الثلثة
داع الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس انسهم
فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من
الصنايع فتابعة وممتهنة في الغالب وقد تختلف ذلك باختلاف
الاغراض والدواعي والله الخلاق العليم .

فصل في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على اثارة
الارض لها وازدراعها وعلاج نباتها وتعاهده بالسقي والتنمية
الى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه واحكام
الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وهي اقدم الصنايع
لما انها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا اذ يمكن وجوده
من دون جميع الاشيا الا من دون القوت ولهذا اختصت هذه
الصناعة بالبدو اذ قدمنا انه اقدم من الحضر وسابق عليه فكانت
هذه الصناعة كذلك بدوية لا يقوم عليها الحضر ولا يعرفونها
لان احوالهم كلها ثانية عن البداوة فصنايعهم ثانية عن صنايعها
وتابعة لها والله الخلاق العليم

فصل في صناعة البنا .

هذه اول صنايع العمران الحضري واقدمها وهي معرفة العمل
في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والماوى وذلك ان الانسان
بما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لا بد له ان يفكر في موانع
اذاية الحر والبرد عنه باتخاذ البيوت ذوات الحيطان والسقف
الحائلة دون ذلك من جهاته والبشر مختلفون في هذه الجبلة

الفكرية التي هي معنى الانسانية فالمعتدلون فيها ولو على التفاوت
يتخذون ذلك باعتدال كاهل الاقليم الثاني ومابعده الى الاقليم
السادس واما اهل الاول والسابع فيبعدون عن اتخاذ ذلك
لانحرافهم وقصور افكارهم عن كيفية العمل في الصنايع الانسانية
فياوون الى الغيران والكهوف كمايتنا ولون الاغذية من غير
علاج ولا نضج ثم المعتدلون المتخذون البيوت للماوى قد
يتكاثرون فتكثر بيوتهم في البسيط الواحد بحيث يتناكرون
ولا يتعارفون فيخشى من طروق بعضهم بعضا بياتا فيحتاجون
الى حفظ مجتمعهم بادارة سياج الاسوار التي تحوطهم
ويصير جميعها مدينة ومصرا واحدا يحوطهم فيه الحكام بدفع
بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الاعتصام من العدو
فيتخذون المعاقل والحصون لهم ولمن تحت ايديهم وهؤلاء
مثل الملوك ومن في معناهم من الامرا وكبرا القبايل ثم تختلف
احوال البنا في المدن كل مدينة على ما يتعارفونه ويصطلحون عليه
ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الغنا والفقر
وكذا حال اهل المدينة الواحدة فمنهم من يتخذ القصور والمصانع
العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف
لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة
ويلحم بينها بالكلس ويعالي عليها بالاصبغة والجص ويبالغ
في كل ذلك بالتنجيد والتنميق اظهارا للبسطة في العناية بشان
الماوى ويهئ مع ذلك الاسراب والمطامير لاختزان اقواته
والاسطبلات لربط مقرباته ان كان من اهل الجنود وكثرة التابع
والغاشية كالامرا ومن في معناهم ومنهم من يبني الدويرة
والبويت لنفسه وسكنه وولده لايبتغي ماوراذلك لقصور
حاله عنه واقتصاره على الكن الطبيعي للبشر وبين ذلك مراتب غير
منحصرة وقد يحتاج الى هذه الصناعة ايضا عند تاسيس الملوك
واهل الدول المدن العظيمة والهياكل المرتفعة ويبالغون في اتقان

المقربة الفرس التريدة ونغوب زكرم ولايتي فارسي

الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها
وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك كله واكثر ما تكون
في الاقاليم المعتدلة من الرابع وماحوله اذ الاقاليم المنحرفة
لابنا فيها وانما يتخذون البيوت حظاير من القصب والطين
او ياوون الى الكهوف والغيران واهل هذه الصناعة القايمون
عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي
تتنوع انواعا كثيرة فمنها البنا بالحجارة المنجدة او بالآجر يقام بها
الجدران ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها
فتلتحم كانها جسم واحد ومنها البنا بالتراب خاصة تقام منه
الحيطان بان يتخذ له لوحان من الخشب مقداران طولا وعرضا
باختلاف العادات في التقدير واوسطه اربعة اذرع في ذراعين
فينصبان على اساس وقد بوعد بينهما على بما يراه صاحب البنا
في عرض الاساس ويوصل بينهما باذرعات من الخشب يربط
عليها بالحبال والجدل وتسد الجهتان الباقيتان من ذلك الفضا
بينهما بلوحين اخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مختلطا
بالكلس ويركز بالمراكز المعدة لذلك حتى ينعم ركزه وتختلط
اجزاوه بالكلس ثم يزاد التراب ثانيا وثالثا الى ان يمتلي ذلك
الفضا بين اللوحين وقد تداخلت اجزا الكلس والتراب وصارت
جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة الاول ويركز كذلك
الى ان يتم وتنتظم الالواح كلها سطرا من فوق سطر الى ان
ينتظم الحايط كله ملتحما كانه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه
الطواب ومن صنايع البنا ايضا ان تجلل الحيطان بالكلس بعد ان يحل
بالما ويخمر اسبوعا او اسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط
النارية المفسدة للالحام فاذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق
الحايط ودلكه الى ان يلتحم ومن صنايع البنا عمل السقف بان تمد
الخشب المحكمة النجارة او الساذجة على حايطي البيت ومن فوقها
الالواح كذلك موصولة بالدساتر ويصب عليها التراب والكلس

مطلب في تسمية الطابية

ويلبط بالمراكز حتى تتداخل اجزاؤهما وتلتحم ويعالا عليه الكلس
كما عولي على الحايط ومن صناعة البنا مايرجع الى التنميق والتزيين
كما تصنع من فوق الحيطان الاشكال المجسمة من الجص يعقد بالما
ثم يرفع مجسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما
بمثاقب الحديد الى ان يبقى له رونق ورواء وربما عولي على
الحيطان ايضا بقطع الرخام او الاجر او الخزف او الصدف او
السبج بفصل اجزا متجانسة او مختلفة ويوضع في الكلس على نسب
واوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحايط للعيان كانه قطع الرياض
المنمنمة الى غير ذلك من بنا الجباب والصهاريج لسيح الما بعد ان
تعد في البيوت قصاع الرخام القور المحكمة الخرط بالفوهات
في وسطها لنبع الماء الجاري الى الصهريج يجلب اليها من خارج
في القنوات المفضية به الى البيوت وامثال ذلك من انواع البنا
ويختلف الصناع في جميع ذلك باختلاف الحذق والبصر ويعظم
عمران المدينة ويتسع فيكثرون وربما يرجع الحكام الى نظر
هولا فيما هم ابصر به من احوال البنا وذلك ان الناس في المدن
الكثيرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضا والهواء
للاعلى والاسفل وفي الانتفاع بظاهر البنا مما يتوقع معه حصول
الضرر في الحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق
ويختلفون ايضا في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات
المسربة في القنوات وربما يدعي بعضهم على بعض في حايط او
علوه او قناته لتضايق الجوار او يدعي بعض على جاره اعتلال حايطه
وخشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره
عن جاره عند من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين
شريكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا اهمال لمنفعتها
وامثال ذلك ويخفى جميع ذلك الا على اهل البصر بالبنا العارفين
باحواله المستدلين عليها بالمعاقد والقمط ومراكز الخشب وميل
الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة اوضاعها ومنافعها

وتسريب

وتسريب المياه في القنوات مجلوبة ومدفوعة بحيث لا تضر
بما مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهم بهذا
كله البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون
بالجودة والقصور في الاجيال باعتبار الدول وقوتها فانا قدمنا
ان الصنايع وكمالها انما هو بكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب
لها فلذلك عند ما تكون الدولة بدوية في اول امرها تفتقر في
امر البنا الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين اجمع
بنا مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى ملك
الروم بالقسطنطينية في الفعلة المهرة في البنا فبعث اليه منهم
بمن كمل له غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه
الصناعة اشيا من الهندسية مثل تسوية الحيطان بالوزن واجراء
المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك فيحتاج الى البصر بشي من
مسايله وكذلك في جر الاثقال بالهندام فان الاجرام العظيمة
اذا شيدت بالحجارة الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها الى
مكانها من الحايط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله
في المعالق في اثقاب مقدرة على نسب هندسية تصير الثقيل
عند معاناة الرفع خفيفا وتسمى الالة لذلك بالميخال فيتم المراد
من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم باصول هندسية معروفة
متداولة بين البشر وبمثلها كان بنا الهياكل الماثلة لهذا العهد
التي يحسب الناس انها من بنا الجاهلية وان ابدانهم كانت
على نسبتها في عظم الجثمان وليس ذلك وانما تم لهم ذلك
بالحيل الهندسية كما ذكرناه فتفهم ذلك والله يخلق ما يشا

فصل في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضرورات العمران ومادتها الخشب وذلك
ان الله سبحانه وتعالى جعل للادمي في كل مكون من المكونات
منافع يكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها الشجر فان له
فيه من المنافع ما لا يحصى مما هو معروف لكل احد ومن منافعها

القارة الصخرة العظيمة جمعه قارات وقار وقور

القمط حبل يشد به الاخصاص

اتخاذها خشبا اذا يبست واول منافع الخشب ان يكون وقودا
للنيران في معاشهم وعصيا للاتكا والذود وغيرهما من ضروراتهم
ودعايم لما يخشى ميله من اثقالهم ثم بعد ذلك منافع اخرى
لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيتخذون منها العمد والاوتاد
لخيامهم والحدوج لظعاينهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم
واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاغلاق لابوابهم والكراسي
لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشب مادة لها ولا تصير
الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة لذلك
المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج
صاحبها الى تفصيل الخشب اولا اما بخشب اصغر منه او بالالواح
ثم تركيب تلك الفصايل بحسب الصورة المطلوبة فهو في ذلك كل
يحاول بصنعته اعداد تلك الفصايل بالانتظام الى ان تصير اعضا
لذلك الشكل المخصوص والقايم على هذه الصناعة هو النجار
وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجا الترف
وتانق فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي [الناس]
او ماعون حدث التانق في صناعة ذلك واستجادته بغرايب
من الصنعة كمالية ليست من الضروري في شي مثل التخطيط [بتجلية]
في الابواب والكراسي ومثل تهيية القطع من الخشب بصناعة
الخرط يحكم بريها وتشكيلها ثم تولف على نسبة مقدرة وتلحم
بالدساتير فتبدو لمراى العين ملتحمة وقد اخذ منها اختلاف
الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شكل يتخذ من الخشب فيجي انق
ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الالات المتخذة
من الخشب من اي نوع كانت وكذلك قد يحتاج الى هذه
الصناعة في انشا السفن البحرية ذات الالواح والدسر
وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار
سبحه في الما بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها
على مصادمة الما وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك

تحريك الرياح وربما اعينت بحركة المجاديف كما في الاساطيل
وهذه من اصلها محتاجة الى جزء كبير من الهندسة في جميع [الصناعة م]
اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه
الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير اما عموما
او خصوصا وتناسب المقادير لا بد من الرجوع فيه الى المهندس
ولهذا كان ائمة الهندسة اليونانيين كلهم ائمة في هذه الصناعة
فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة نجارا وبها
كان يعرف وكذلك ابلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش
وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح
عليه السلام وبها انشا سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند
الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا اعني كونه نجارا الا ان كونه
اول من علمها لا دليل يقوم عليه لبعد الاماد وانما معناه
الاشارة الى قدم النجارة لانه لم تصح حكاية عنها قبل خبر نوح
عليه الصلوة والسلام فجعل كانه اول من تعلمها فتفهم اسرار
الصنايع في الخليقة والله الخلاق العليم

فصل في صناعة الحياكة والخياطة

اعلم ان المعتدلين من البشر في
معنى الانسانية لابد لهم من الفكر في الدفء كالفكر في الكن
ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد
ولا بد لذلك من الحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا وهو النسج
والحياكة فان كانوا بادية اقتصروا عليه وان مالوا الى الحضارة
فصلوا تلك المنسوجة قطعا يقدرون منها ثوبا على البدن
بشكله وتعدد اعضايه واختلاف نواحيها ثم يلايمون بين
تلك القطع بالوصايل حتى تصير ثوبا واحدا مقدارا على البدن
ويلبسونها والصناعة المحصلة لهذه الملايمة هي الخياطة
وهاتان الصنعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج اليه
البشر من الدفء فالاولى لنسج الغزل من الصوف والقطن
سدوا في الطول والحاما في العرض واحكاما لذلك النسج بالالتحام

الشديد فتتم منها قطع مقدرة فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال
ومن الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير
المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوايد بفصل اولا بالمقراض
قطعا مناسبة للاعضا البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة
المحكمة وصلا وحبكا او تنبيتا او تفتيحا على حسب نوع الصناعة
وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما ان اهل البدو يستغنون
عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالا وانما تفصيل الثياب وتقديرها
والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها وتفهم
هذا في سر تحريم المخيط في الحج لما ان مشروعية الحج مشتملة
على نبذ العلايق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا
اول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشيء من عوايد ترفه لا طيبا
ولا نسا ولا مخيطا ولا خفا ولا يعرض لصيد ولا لشيء من عوايد
التي تلونت بها نفسه وخلقه مع انه يفقدها بالموت ضرورة
وانما يجيء كانه وارد على المحشر ضارعا بقلبه مخلصا لربه وكان
وكان جزاؤه ان تم له اخلاصه في ذلك ان يخرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه سبحانك ما ارفقك بعبادك وارحمك بهم
في طلب هدايتهم اليك وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليقة
لما ان الدفء ضروري للبشر في العمران المعتدل واما المنحرف
الى الحر فلا يحتاج اهله الى دفء ولهذا يبلغنا عن اهل الاقليم الاول
من السودان انهم عراة في الغالب ولقدم هذه الصنايع تنسبها
العامة الى ادريس عليه السلام وهو اقدم الانبيا وربما ينسبونها
الى هرمس وقد يقال ان هرمس هو ادريس والله الخلاق العليم

فصل في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادمي من بطن
امه من الرفق في اخراجه من رحمها وتهيئة اسباب ذلك ثم
ما يصلحه بعد الخروج على ما يذكر وهي مختصة بالنسا في غالب الامر
لما انهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض ويسمى القايمة منهن

بلغ

على ذلك

كانهم

على ذلك القابلة استعير فيه معنى الاعطا والقبول النفسا
تعطيها الجنين وكانها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل
خلقه في الرحم واطواره وبلغ الى غايته والمدة التي
قدرها الله لمكثه وهي تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخروج
بما جعل الله فيه من النزوع ويضيق عليه المنفذ فيعسر
وربما مزق بعض جوانب الفرج بالضغط وربما انقطع
ما كان في الاغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم
وهذه كلها آلام يشتد لها الوجع وهي معنى الطلق
فتكون القابلة معينة في ذلك بعض الشي بغمز الظهر
والوركين وما يحاذي الرحم من الاسافل تساوق بذلك
فعل الدافعة في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما
يمكنها وعلى ما تهتدي الى معرفة عسره ثم اذا خرج الجنين
بقيت بينه وبين الرحم الوصلة التي كان يتغذى منها متصلة
من سرته بمعاه وتلك الوصلة عضو فضل لتغذية المولود
خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا يتعدى مكان الفضلة
ولا يضر بمعاه ولا برحم امه ثم تدمل مكان الجراحة منه
بالكي او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند
خروجه من ذلك المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل
الانعطاف والانثنا فربما تتغير اشكال اوضاعه واعضا
لقرب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز
والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله الطبيعي ووضعه
المقدر له ويرتد خلقه سويا ثم بعد ذلك تراجع النفسا
وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج اغشية الجنين لانها
ربما تتاخر عن خروجه قليلا فيخشى عند ذلك ان تراجع
الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الاغشية وهي
فضلات فتعفن ويسري عفنها الى الرحم فيقع الهلاك
فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج

انقلع

تلك الاغشية اذا كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتمرخ
اعضاه بالادهان والذرور القابضة لتشدها وتجفف رطوبات
الرحم وتحنكه لرفع لهاته وتسعطه لاستفراغ بطون دماغه
وتغرغره باللعوق لدفع السدد من معاه وتجويفها عن
الالتصاق ثم تداوى النفسا بعد ذلك من الوهن الذى
اصابها بالطلق وما لحق رحمها من الم الانفصال اذ المولود
وان لم يكن عضوا طبيعيا فحالة التكوين فى الرحم صيرته
بالالتحام كالعضو المتصل فلذلك كان فى انفصاله الم يقرب
من الم القطع وتداوى مع ذلك ما يلحق الفرج من جراحة
التمزيق عند الضغط فى الخروج وهذه كلها ادوا نجد هولا
القوابل ابصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة
الرضاع من ادوا فى بدنه الى حين الفصال نجدهن ابصر بها
من الطبيب الماهر وما ذاك الالان بدن الانسان فى
تلك الحالة انما هو بدن انسانى بالقوة فقط فاذا جاوز
الفصال صار بدنا انسانيا بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى
الطبيب اشد فهذه الصناعة كما تراه ضرورية فى العمران للنوع
الانسانى لا يتم كون اشخاصه فى الغالب دونها وقد يعرض
لبعض اشخاص النوع الاستغنا عن هذه الصناعة اما بخلق الله
ذلك لهم معجزة وخرقا للعادة كما فى حق الانبيا صلوات الله
عليهم او بالالهام وهداية يلهم لها المولود ويفطر عليها فيتم
وجودهم من دون هذه الصناعة فاما شان المعجزة
من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
ولد مختونا مسرورا واضعا يديه على الارض شاخصا ببصره
الى السماء وكذلك شان عيسى فى المهد وغير ذلك واما
شان الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص
بغرائب من الالهامات كالنحل وغيرها فما ظنك بالانسان
المفضل عليها وخصوصا من اختص بكرامة الله ثم الالهام

العام للمولودين فى الاقبال على الثدى من اوضح شاهدين على وجود
الهام لهم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به
ومن هنا يفهم بطلان راى الفارابى وحكما الاندلس فيما
احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات
وخصوصا فى النوع الانسانى وقالوا لو انقطعت اشخاصه لاستحال
وجودها بعد ذلك لتوقفه على وجود هذه الصناعة التى
لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه
الصناعة وكفالتها الى حين الانفصال لم يتم بقاؤه اصلا ووجود
الصنائع دون الفكر ممتنع لانها ثمرته وتابعة له وتكلف ابن
سينا فى الرد على هذا الرأى لمخالفته اياه وذهابه الى امكان
انقطاع الانواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانية
لاقتضاءات فلكية واوضاع غريبة تندر فى الاحقاب بزعمه
فيقتضى تخمير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة فيتم
كونه انسانا ثم يقيض له حيوان يخلق فيه الالهام لتربيته
والحنو عليه الى ان يتم وجوده وفصاله واطنب فى بيان
ذلك فى الرسالة التى سماها برسالة حى بن يقظان وهذا
الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع
لكن من غير ما استدل به فان دليله مبنى على اسناد الافعال
الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه
ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقدرة
القديمة ولا حاجة الى هذا التكلف ثم لو سلمناه جدلا فغاية
ما يبنى عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الالهام لتربيته
فى الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا
كان الالهام يخلق فى الحيوانات الاعجم فما المانع من خلقه
للمولود نفسه كما قررناه اولا وخلق الالهام فى شخص لمصالح
نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلا المذهبين
شاهدان على انفسهما بالبطلان فى مناحيهما لما قررته لك

والله الخلاق العليم

فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها
فان ثمرتها حفظ الصحة للاصحا ودفع المرض عن المرضى بالمداواة
حتى يحصل لهم البر من ادوايهم واعلم ان اصل الامراض كلها
انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع
للطب كما ينقل بين اهل الصناعة وان طعن فيه العلما وهو قوله
المعدة بيت الداء والحمية راس الدوا واصل كل داء البرده فاما قوله
المعدة بيت الداء فظاهر واما قوله الحمية راس الدواء فالحمية
الجوع وهو الاحتما من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدوا العظيم
الذى هو اصل الادوية واما قوله واصل كل داء البردة فمعنى البرده
ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم الاول
وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذا
يستعمله بالاكل وينفذ فيه القوى الهاضمه والغاذية الى ان يصير
دما ملايما لاجزا البدن من اللحم والعظم ثم تاخذه النامية فينقلب
لحما وعظما ومعنى الهضم طبخ الغذا بالحرارة الغريزية طورا بعد
طور حتى يصير جزا من البدن بالفعل وتفسيره ان الغذا
اذا حصل في الفم ولاكته الاشداق اثرت فيه حرارة الفم
طبخا يسيرا وقلبت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها
طعاما ثم اجدتها مضغا فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم
يحصل في المعدة فتطبخه حرارة المعده الى ان يصير كيموسا وهو
صفو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما يرسب منه
في المعا ثفلا ينفذ الى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس
الى ان يصير دما عبيطا وتطفو عليه زغوة من من الطبخ هي
الصفرا وترسب منه اجزا يابسة هي السودا ويقصر الحار الغريزي
بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه وهو البلغم ثم ترسلها الكبد
كلها في العروق في العروق والجداول وياخذها طبخ الغريزي هنالك

فيكون

فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني
وتاخذه النامية ماخذها في الدم فيكون لحما ثم غليظه عظاما
ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة
من العرق واللعاب والمخاط والدمع هذه صورة الغذا
وخروجه من القوة للفعل لحما ثم ان اصل الامراض ومعظمها
هي الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يضعف عن تمام
النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذا دون
نضج وسببه غالبا كثرة الغذا في المعدة حتى يكون اغلب
على الحار الغريزي او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان تستوفي
طبخ الاول فيشتغل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله او
يتوزع عليهما فيقصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة
كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه وربما
بقي من الكبد من الغذا السابق فضلة غير ناضجة ويرسل الكبد
جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن حاجته
الملايمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع
واللعاب ان اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى
في العروق والكبد والمعده ويتزايد مع الايام وكل ذي رطوبة
من الممتزجات اذا لم ياخذه الطبخ والنضج تعفن فيتعفن ذلك
الغذا غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن ففيه حرارة
غريبة وتلك هي المسماة في بدن الانسان بالحمى واعتبر ذلك
في الطعام اذا ترك حتى يتعفن وفي الزبل اذا تعفن كيف تنبعث
فيه الحرارة وتاخذ ماخذها فهذا معنى الحميات في الابدان
وهي راس الامراض واصلها كما وقع في الحديث ولهذه الحميات
علاجات بقطع الغذا عن المريض اسابيع معلومة ثم تناوله
الاغذيه الملايمة حتى يتم برؤه وكذلك في حال الصحة له
علاج في التحفظ من هذا المرض وغيره وقد يكون ذلك
التعفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو

او تحدث خراجات فى البدن اما فى الاعضا الرئيسه او فى
غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة
له هذه كلها جماع الامراض واصلها فى الغالب من الاغذية
وهذا كله مدفوع الى الطبيب ووقوع هذه الامراض فى
اهل الحضر والامصار اكثر لخصب عيشهم وكثرة ماكلهم وقلة
اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم
لتناولها وكثرة مايخلطون بالاغذية من التوابل والبقول
والفواكه رطبا ويابسا فى سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون
فى ذلك على نوع ولا انواع فربما عددنا فى اللون الواحد
من الوان الطبخ اربعين نوعا من النبات والحيوان فيصير
للغذا مزاج غريب وربما يكون بعيدا عن ملايمة البدن
واجزائه ثم ان الاهوية فى الامصار تفسد بمخالطة الابخرة
العفنة من كثرة الفضلات والاهوية منشطة للارواح
ومقوية بنشاطها لاثر الحار الغريزى فى الهضوم ثم الرياضة
مفقوده لاهل الامصار اذهم فى الغالب وادعون ساكنون
لاتاخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر اثرا فكان وقوع الامراض
كثيرا فى المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم
الى هذه الصناعة فاما اهل البدو فاكلهم قليل فى الغالب
والجوع اغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار ذلك لهم عادة
وربما يظن انها جبلة لاستمرارها ثم الادم قليلة لديهم او
مفقودة بالجمله وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه انما يدعوا
اليه ترف الحضارة الذى هم عنه بمعزل فيتناولون اغذيتهم
بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرب مزاجها من ملايمة البدن
واما اهويتهم فقليله العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان
كانوا آهلين او لاختلاف الاهوية ان كانوا ظواعن ثم ان الرياضة
موجوده فيهم من كثرة الحركة فى ركض الخيل او الصيد او طلب
الحاجات او مهنة انفسهم فى حاجاتهم فيحسن بذلك الهضم

كله

ويعبر عنه بالفارسية
[illegible]
[illegible]

كله ويجود ادخال الطعام على الطعام فتكون امزجتهم اصلح
وابعد عن الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد
الطبيب فى البادية بوجه وماذاك الا للاستغنا عنه اذ لو
احتيج اليه لوجد لانه تكون له بذلك فى البدو معاش
يدعوه الى سكناه سنة الله فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

فصل فى ان الخط والكتاب من عداد الصنايع الانسانية

وهو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة
الدالة على ما فى النفس فهو ثانى رتبة عن الدلالة اللغوية
وهو صناعة شريفة اذ الكتابه من خواص الانسان التى
يتميز بها عن الحيوان وايضا فهى تطلع على ما فى الضمائر
وتتادى بها الاغراض الى البلد البعيد فتقضى الحاجات وقد
دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف
وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم واخبارهم فهى
شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع وخروجها فى الانسان
من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع
والعمران والتناغى فى الكمالات والطلب لذلك تكون جودة
الخط فى المدينة اذ هو من جملة الصنايع وقد قدمنا ان
هذا شانها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اكثر البدو
اميين لا يقرؤن ولا يكتبون ومن قرا منهم او كتب فيكون
خطه قاصرا وقراته غير نافذة ونجد تعليم الخط فى الامصار
الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واسهل واحسن طريقا لاستحكام
الصبغة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين
منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين واحكاما
فى وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه
فتعتضد لديه رتبة العلم والحس فى التعليم وتاتى ملكته
على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال الصنايع ووفورها
بكثرة العمران وانفساح الاعمال وليس الشان

فى تعلم الخط بالاندلس والمغرب كذلك فى تعلم كل حرف بانفراده
على قوانين يلقيها المعلم للمتعلم وانما يتعلم بمحاكات الخط فى
كتابة الكلمات جملة وتكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم
له الى ان يحصل له الاجادة ويتمكن فى بنانه الملكة فيسمى مجيدا
وقد كان الخط العربى بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان
والجودة فى دولة التبابعة لما بلغت من الحضاره والترف وهو
المسمى بالخط الحميرى وانتقل منهم الى الحيرة لما كان بها من
دولة آل المنذر نسبا التبابعة فى العصبية والمجددين لملك
العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان
عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين فكانت الحضارة وتوابعها
من الصنايع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه اهل
الطايف وقريش فيما ذكر يقال ان الذى تعلم الكتابه من الحيرة
هو سفيان بن أمية وقيل حرب بن اميه واخذها من اسلم بن
سدره وهو قول ممكن واقرب ممن ذهب الى انهم تعلموها من اياد
اهل العراق لقول شاعرهم بيت قوم لهم ساحة العراق اذا
ساروا جميعا والخط والقلم ٥ وهو قول بعيد لأن ايادا ولو نزلوا
ساحه العراق فلم يزالوا على شانهم من البداوة والخط من الصنايع
الحضرية وانما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى الخط والقلم
من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها
فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل
الحيره من التبابعه والحمير وهو الاليق من الاقوال ورايت
فى كتاب التكملة لابن الابار عند التعريف بابن فروخ القيروانى
الفاسى الاندلسى من اصحاب مالك واسمه عبد الله بن فروخ
ابن عبد الرحمن بن زياد الرعينى عن ابيه قال قلت لعبد الله بن
عباس يا معشر قريش خبرونى عن هذا الكتاب العربى هل
كنتم تكتبونه قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الالف واللام

والميم

والميم والنون قال نعم قلت وممن اخذتموه قال من حرب
بن امية قلت وممن اخذه حرب قال من عبد الله بن جدعان
قلت وممن اخذه عبد الله بن جدعان قال من اهل الانبار
قلت وممن اخذه اهل الانبار قال من طار طرأ عليهم من اهل
اليمن قلت وممن اخذه ذلك الطارى قال من الخلجان بن
القسم كاتب الوحى لهود النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى
يقول • افى كل عام سنة تحدثونها • ورأى على غير الطريق يعبر •
٥٥ • وللموت خير من حياة تسبنا • بها جرهم فيمن يسب وحمير •
انتهى ما نقله ابن الابار فى كتاب التكمله وزاد فى اخره حدثنى
بذلك ابو بكر بن ابى حمزه فى كتابه عن ابى بحر بن العاصى عن
ابى الوليد الوقشى عن ابى عمر الطلمنكى عن ابى عبد الله بن
مفرج ومن خطه نقلته عن ابى سعيد بن يونس عن محمد بن
موسى بن النعمان عن يحيى بن محمد بن حشيش عن عمر بن
ايوب المغافرى التونسى عن بهلول بن عبيدة اللخمى عن عبد الله
بن فروخ انتهى وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها
منفصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم ومن حمير تعلمت
مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها شان الصنايع
اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى
الاتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغنا
البدو عنها فى الاكثر فكانت كتابة العرب بدوية مثل او قريبا
من كتابتهم لهذا العهد او نقول ان كتابتهم لهذا العهد احسن
صناعة لأن هولاء اقرب الى الحضارة ومخالطة الامصار والدول
واما مضر فكانوا اعرق فى البدو وابعد عن الحضر من اهل اليمن
والشام ومصر واهل العراق وكان الخط العربى لاول الاسلام
غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى
التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم
عن الصنايع وانظر ما وقع لاجل ذلك فى رسم المصحف حيث

كتبة الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف
الكثير من رسومهم ما اقتضته اقيسة رسوم صناعة الخط
عند اهلها ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركا
بما رسمه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق
من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتضي لهذا يقتضي
العهد خط ولي او عالم تبركا ويتبع رسمه خطأ اوصوابا واين
نسبة ذلك من الصحابة وماكتبوه فاتبع ذلك واثبت رسما
ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك الى مايزعمه
بعض المغفلين من انهم كانوا محكمين لصناعة الخط وان مايتخيل
من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه
ويقولون في مثل زيادة الالف في لا اذبحنه انه تنبيه على ان
الذبح لم يقع وفي زيادة اليا في قوله بأييد انه تنبيه على كمال القدرة
الربانية وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض وما حملهم على
ذلك الا اعتقادهم ان في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم
النقص في قلة اجادة الخط وحسبوا ان ذلك الخط كمال فنزهوهم
عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادته وطلبوا تعليل ماخالف
الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح واعلم ان الخط ليس بكمال
في حقهم اذ الخط من جملة الصنايع المدنية المعاشية كما رايته
فيما مر والكمال في الصنايع اضافي وليس بكمال مطلق اذ لا يعود
نقصه على الذات في الدين ولا في الخلال وانما يعود على اسباب
المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما
في النفوس وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا وكان ذلك
كمالا في حقه وبالنسبة الى مقامه وتنزهه عن الصنايع العملية
التي هي اسباب المعاش والعمران كلها وليست الامية كمالا في
حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحيوة
الدنيا شان الصنايع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان الكمال
في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا ثم جا الملك للعرب وفتحوا

الامصار

الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت
الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلموه
وتداولوه فترقت الاجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة
رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية والخط الكوفي
معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك
وافتتحوا افريقية والاندلس واختط بنو العباس بغداد وترقت
الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت العمران وكانت دار
الاسلام ومركز الدولة العربية وخالفت اوضاع الخط ببغداد
اوضاعه بالكوفة في الميل الى اجادة الرسوم وجمال الرونق
وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الاعصار الى ان رفع
رايتها ببغداد علي بن مقلة الوزير ثم تلاه في ذلك علي بن هلال
الكاتب الشهير بابن البواب ووقف سند تعليمها عليه في المائة الثالثة
ومابعدها وبعدت رسوم الخط البغدادي واوضاعه عن
الكوفي حتى انتهى الى المباينة ثم ازدادت المخالفة بعد ذلك
العصور بتفنن الجهابذة في احكام رسومه واوضاعه حتى
انتهت الى المتاخرين مثل ياقوت والولي علي العجمي ووقف
سند تعليم الخط عليهم وانتقل ذلك الى مصر وخالفت طريقة
العراق بعض الشيء ولقنها العجم هنالك فظهرت مخالفة
لخط اهل مصر او مباينة وكان الخط الافريقي المعروف رسمه
القديم لهذا العهد يقرب من اوضاع الخط المشرقي وتحيز
ملك الاندلس بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة
والصنايع والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف
الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول
الاسلامية في كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم
وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها القصور
والخزاين الملوكية بما لاكفاء له وتنافس اهل الاقطار في ذلك
وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الاسلامية وتناقصت

تناقص ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شانها من الخط والكتاب بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقه بها نافقة لهذا العهد وللخط بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين فى وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها دربة وكتابا واخذها قوانين علميه فتجئ احسن مايكون واما اهل الاندلس فافترقوا فى الاقطار عند تلاشى ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم امم النصرانية فانتشروا فى عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة اللمتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل العمران بما لديهم من الصنايع وتعلقوا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقى وعفى عليه ونسى خط القيروان والمهدية بنسيان عوايدهما وصنايعهما وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم الاندلسى بتونس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقى منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا كتاب الاندلس ولا تمرسوا بجوارهم اذ انما كانوا يفدون على دار الملك بتونس فصار خط اهل افريقية من جنس خطوط اهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشئ وتراجع امر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه اثار الخط الاندلسى يشهد بما كان لهم من ذلك لما قدمناه من ان الصنايع اذا رسخت بالحضاره فيعسر محوها وحصل فى دولة بنى مرين بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسى لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قريبا واستعمالهم اياهم سائر الدولة ونسى عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كان لم يعرف فصارت الخطوط بافريقيه والمغربين مائلة

الى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت ان انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا يكاد تقرأ الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع فى سائر الصنايع بنقص الحضارة وفساد الدول والله يحكم لا معقب لحكمه وللاستاذ ابى الحسن على بن هلال الكاتب البغدادى الشهير بابن البواب قصيدة من بحر البسيط على روى الرآ يذكر فيها صناعة الخط وموادها من احسن ما كتب فى ذلك رايت اثباتها فى هذا الباب لينتفع بها من يريد تعلم هذه الصناعة

... قصيده ... واولها ... فى الخط ...

يا من يريد اجادة التحرير ... ويروم حسن الخط والتصوير
ان كان عزمك فى الكتابة صادقا ... فارغب الى مولاك فى التيسير
اعدد من الاقلام كل مثقف ... صلب يصوغ صناعة التحبير
واذا عمدت لبريه فتوخه ... عند القياس باوسط التقدير
انظر الى طرفيه فاجعل بريه ... من جانب التدقيق والتخفير
واجعل لجلفته قواما عادلا ... لا يخلو عن التطويل والتقصير
والشق وسطه ليبقى بريه ... من جانبيه مشاكل التقدير
حتى اذا اتقنت ذلك كله ... اتقان طب بالمراد خبير
فاصرف لراى القط عزمك كله ... فالقط فيه جملة التدبير
لا تطمعن فى ان ابوح بسره ... انى اضن بسره المستور
لكن جملة ما اقول بانه ... ما بين تحريف الى تدوير
والق دواتك بالدخان مدبرا ... بالخل او بالحصرم المعصور
واضف اليه مغرة قد صولت ... مع اصفر الزرنيخ والكافور
حتى اذا ما خمرت فاعمد الى ... الورق النقى الناعم المخبور
فاكبسه بعد القطع بالمعصار كى ... ينأى عن التشعيث والتغيير
ثم اجعل التمثيل دابك صابرا ... ما ادرك المامول مثل صبور
ابدا به فى اللوح منتضيا له ... عزما تجرده من التشمير

لا تجزعن من الردى تخطه ... فى اول التمثيل والتسطير
فالامر يصعب ثم يرجع هينا ... ولرب سهل جا بعد عسير
حتى اذا ادركت ما املته ... اضحيت رب مسرة وحبور
فاشكر الهك واتبع رضوانه ... ان الاله يحب كل شكور
وارغب لكفك ان تخط بنانها ... خيرا تخلفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاه غدا ... عند التقاء كتابه المنشور

واعلم ان الخط بيان عن القول والكلام كما ان القول والكلام بيان عما فى النفس والضمير من المعانى فلابد لكل منهما ان يكون واضح الدلالة قال الله تعالى خلق الانسان علمه البيان وهو يشتمل بيان الادلة كلها فالخط الموجود كماله ان تكون دلالته واضحة بابانة حروف المتواضعة واجادة وضعها ورسمها كل واحد على حدته متميز عن الاخر الا ما اصطلح عليه الكتاب من ايصال حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض سوى حروف اصطلحوا على قطعها مثل الالف المتقدمة فى الكلمة وكذا الرا والزاى والدال والذال وغيرها بخلاف ما اذا كانت متاخرة وهكذا الى اخرها ثم ان المتاخرين من الكتاب اصطلحوا على وصل كلمات بعضها ببعض وحذف حروف معروفة عندهم لا يعرفها الا اهل مصطلحهم فتستعجم على غيرهم وهؤلاء كتاب دواوين السلطان وسجلات القضاة كانهم انفردوا بهذا الاصطلاح عن غيرهم لكثرة موارد الكتابة عليهم وشهرة كتابتهم واحاطة كثير من دونهم بمصطلحهم فان كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغى ان يعدلوا عن ذلك الى البيان ما استطاعوا والا كان بمثابة الخط الاعجمى لانها بمنزلة واحده فى عدم التواضع عليه وليس يعذر فى هذا القدر الا كتاب الاعمال السلطانية فى الاموال والجيوش لانهم مطلوبون بكتمان ذلك عن الناس فانه من الاسرار السلطانية التى يجب اخفاؤها فيبالغون فى رسم اصطلاح خاص بهم ويصير بمثابة المعمى وهو الاصطلاح على

العبارة

العبارة عن الحروف بكلمات من اسما الطيب او الفواكه او الطيور او الازاهير او وضع اشكال اخرى غير اشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها المتخاطبون لتادية ما فى ضمائرهم بالكتابة وربما وضع الكتاب للعثور على ذلك وان لم يضعوه اولا قوانين بمقاييس استخرجوها لذلك بمداركهم يسمونها فك المعمى وللناس فى ذلك دواوين مشهورة والله العليم الحكيم

فصل فى صناعة الوراقة . ٥ ٥ ٥ ٥ .

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات فى نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدول وتناقص العمران بعد ان كان منه فى الملة الاسلامية بحر زاخر بالعراق والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدول ونفاق اسواق ذلك لديها فكثرت التواليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها فى الافاق والاعصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر امور الكتب والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت السجلات اولا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك فى الرقوق المهيئة بالصناعة من الجلد لكثرة الرفه وقلة التواليف صدر الملة كما نذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقتصروا على الكتاب فى الرق تشريفا للمكتوبات وميلا بها الى الصحة والاتقان ثم طما بحر التواليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة فى صناعته ما شاءت ثم وقفت عناية اهل العلوم وهمم اهل

الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها لانه الشان الاهم من التصحيح والضبط فبذلك تسند الاقوال الى قايلها والفتيا الى الحاكم بها المجتهد فى طريق استنباطها ومالم تكن تصحيح المتون باسنادها الى مدونيها فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا وهكذا كان شان اهل العلم وحملته فى العصور والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثية فى الرواية على هذه فقط اذ ثمرتها الكبرى من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وتمحضت زبدة ذلك فى الامهات المتلقات بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوا من العمل ولم يبق ثمرة الرواية والاشتغال بها الا فى تصحيح تلك الامهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتواليف العلمية واتصال سندها بمؤلفيها ليصح النقل منهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك ولقد نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد فى اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها لهذا العهد بايدى الناس فى العالم اصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم فى ذلك واهل الافاق يتناقلونها الى الآن ويشدون عليها يد الضنانة وقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب واهله لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداوة اهله وصارت الامهات والدواوين تنتسخ بالخطوط البدوية ينسخها طلبه البربر صحايف مستعجمة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف فتستغلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا فى الاقل النادر وايضا فقد دخل الخلل من ذلك فى الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن ائمة المذهب وانما تتلقى

من تلك

من تلك الدواوين على ما هى عليه وتبع ذلك ايضا ما يتصدى اليه بعض ائمتهم من التاليف لقلة بصرهم بصناعته وعدم الصنايع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم الا اثاره بالاندلس خفية بالامحا وهى على الاضمحلال فقد كاد العلم ان ينقطع بالكلية من المغرب والله غالب على امره ويبلغنا لهذا العهد ان صناعة الرواية قايمة بالمشرق وتصحيح الدواوين لمن يرومه بذلك سهل على مبتغيه لنفاق اسواق العلوم والصنايع كما نذكره بعد الا ان الخط الذى بقى من الاجادة فى الانتساخ هنالك انما هو للعجم وفى خطوطهم واما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب واشد والله غالب على امره

فصل فى صناعة الغنا

هذه الصناعة هى تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة توقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فتكون نغمة ثم تؤلف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية فى تلك الاصوات وذلك انه تبين فى علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع اخر وخمس اخر وجزء من احد عشر من آخر واختلاف هذه النسب عند تاديتها الى السمع يخرجها عن البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذ عند السمع بل تراكيب خاصة هى التى حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور فى موضعه وقد يساوق ذلك التلحين فى النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او النفخ فى الآت تتخذ لذلك فتزيدها لذة عند السمع فمنها لهذا العهد بالمغرب اصناف منها المزمار يسمونه الشبابة وهى قصبة جوفا بابخاش فى جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت

من جوفها على سدادة من تلك الانخاش ويقطع الصوت بوضع
الاصابع في اليدين جميعا على تلك الانخاش وضعا متعا رفا
حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة
فيتلذذ السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه
الالة آلة الزمر التي تسمى الزلامي وهي شكل القصبة منحوتة
الجانبين من الخشب جوفا من غير تدوير لاجل ايتلافها من
قطعتين منفوذة لذلك بانخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة
صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة
ويجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانخاش بالاصابع
مثل ما يجري في الشبابة ومن احسن الات الزمر لهذا العهد
البوق وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع
الى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف على شكل
بري القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة يؤدي الريح من الفم
اليه فتخرج الصوت ثخينا دويا وفيه انخاش ايضا معدودة
وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذا
ومنها الات الاوتار وهي جوفا كلها اما على شكل قطعه من الكرة نسخة ذات الاوتار
كالبربط والرباب او على شكل مربع كالقانون توضع الاوتار
على بسايطها مشدودة في راسها الى دساير جايلة ليتاتي نحوها
عند الحاجة اليها بادارتها ثم تقرع الاوتار اما بعود او بوتر
مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع والكندر
ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره او بنقله من وتر الى
وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع الات الاوتار توقع
باصابعها على اطراف الاوتار فيما يقرع او يحك بالوتر فيحدث
الاصوات متناسبة ملذوذة وقد يكون القرع في الطسوت
بالقضبان او في الاعواد بعضها ببعض على توقيع متناسب
يحدث عنه التذاذ بالمسموع ولنبين لك السبب في اللذة الناشئة
عن الغنا وذلك ان اللذة كما تقرر في موضعه هي ادراك

الملايم

الملايم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة
للمدرك وملايمة كانت ملذوذة واذا كانت منافية له منافرة
كانت مولمة فالملايم من الطعوم ما ناسبت كيفيته حاسة
الذوق في مزاجها وكذا الملايم من الملموسات وفي الروايح ما
ناسب مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤديه
الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار العطريات احسن رايحة
واشد ملايمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح
القلبي واما المرئيات والمسموعات فالملايم فيها تناسب الاوضاع
في اشكالها وكيفياتها فهو انسب عند النفس واشد ملايمة لها
فاذا كان المرئي متناسبا في اشكاله وتخاطيطه التي له بحسب
مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة
والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك
حينئذ مناسبا للنفس المدركة فتلتذ بادراك ملايمها ولهذا نجد
العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم
وعشقهم بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب ومعناه من وجه
اخر ان الوجود يشرك بين الموجودات كما يقوله الحكما فتود
ان تمتزج بما شهدت فيه الكمال لتتحد به ولما كان انسب
الاشيا الى الانسان واقربها الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها
هو شكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخاطيطه
واصواته من المدارك التي هي اقرب الى فطرته فيلهج كل انسان
بالحسن من المرئي او المسموع بمقتضى الفطرة والحسن في
المسموع ان تكون متناسبة لا متنافرة وذلك ان الاصوات
لها كيفيات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة
والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها
الحسن فاولا ان لا يخرج من الصوت الى ضده دفعة بل
بتدريج ثم يرجع كذلك وكذلك الى المثل بل لا بد من توسط
المغاير بين الصوتين وتامل هذا من استقباح اهل اللسان

التراكيب من الحروف المتنافرة او المتقاربة المخارج فانه من بابه
وثانيا تناسبها بالاجزا كما مر اول الباب فيخرج من الصوت
الى نصف او ثلث او جزء من كذا منه على حسب ما يكون التنقل
مناسبا على ما حصره اهل صناعة الموسيقى فاذا كانت الاصوات
على تناسب فى الكيفيات كما ذكره اهل تلك الصناعة كانت ملائمة
ملذوذة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطا ويكون الكثير
من الناس مطبوعين عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة
كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وامثال
ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من القراء
بهذه المثابة يقرؤن القرآن فيجيدون فى تلاحين اصواتهم
كانها المزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم
ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس
يستوى فى معرفته ولا كل الطباع موافق صاحبها فى العمل
به اذا علم وهذا هو التلحين الذى يتكفل به علم الموسيقى
كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم وقد انكر مالك رضى الله عنه
القراءة بالتلاحين واجازها الشافعى رضى الله عنه وليس
المراد تلحين الموسيقى الصناعى فانه لا ينبغى ان يختلف فى
حظره اذ صناعة الغنا مباينة للقرآن لان القراءة والاداء
يحتاج الى مقدار من الصوت يتعين اداء الحروف به من حيث
اشباع الحركات فى مواضعها ومقدار المد عند من يطيله
او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضا يتعين له مقدار
من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذى قلناه
فى حقيقة التلحين فاعتبار احدهما قد يخل بالاخر اذا تعارضا
وتقديم التلاوة متعين فرارا من تغيير الرواية المنقولة
فى القراءة فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المعتبر فى القرآن
بوجه وانما المراد فى اختلافهم التلحين البسيط الذى يهتدى
اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فيردد اصواته ترديدا

على

على نسب يدركها العالم بالغنا وغيره هذا هو محل الخلاف
والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كما ذهب اليه الامام رحمه الله
لان القرآن هو محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام
التذاذ بادراك الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة
كما فى اخبارهم فاما قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتى مزمارا
من مزامير آل داود فليس المراد به الترديد والتلحين وانما
معناه حسن الصوت واداء القراءة فى مخارج الحروف والنطق
بها واذ قد ذكرنا والابانة معنى الغنا فاعلم انه يحدث فى العمران
اذا توفر وتجاوز حد الضرورى الى الحاجى ثم الى الكمالى وتفننوا
فيه فتحدث هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ عن
جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره
فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر احوالهم تفننا فى مذاهب
الملذوذات وكان فى سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر
فى امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون
به حتى لقد كان لملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة
ولهم مكان من دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدهم
ومجامعهم ويغنون فيها وهذا شان العجم لهذا العهد
فى كل افق من آفاقهم ومملكة من ممالكهم واما العرب فكان
لهم اولا فن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية على
تناسب بينها فى عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون
الكلام فى تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالدلالة
بالافادة لا ينعطف على الاخر ويسمونه البيت فيلايم الطبع
بالتجزية اولا ثم بتناسب الاجزاء فى المقاطع والمبادى ثم
بتادية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليه فلهجوا به وامتاز
من بين كلامهم بحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه
بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لاخبارهم وحكمهم وشرفهم
ومحكا لقرائحهم فى اصابة المعانى واجادة الاساليب واستمروا

والابانة بها

على ذلك وهذا التناسب الذى من اجل الاجزا والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف فى كتاب الموسيقى الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم ينتحلوا علما ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة اغلب نحلهم ثم تغنى الحداة منهم فى حدآء ابلهم والفتيان فى فضآء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غنا واذا كان بالتهليل او نوع القرآة تغبيرا بالغين المعجمة والبآء الموحدة وعللها ابو اسحق الزجاج بانها تذكرة بالغابر وهو الباقى اى باحوال الاخرة وربما ناسبوا فى غنايهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق فى اخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون منهم فى الخفيف الذى يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحلوم وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو من اوايلها ولا يبعد ان يتفطن له الطباع من غير تعليم شان البسايط كلها من الصنايع ولم يزل هذا شان العرب فى بداوتهم وجاهليتهم فلما جآ الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التى عرفت لهم مع غضاضة الدين وشدته فى ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع فى دين ولا معاش فهجروا ذلك شيأ ما ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القران والترنم بالشعر الذى كان ديدنهم ومذهبهم فلما جآهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنايم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشيه واستحلاء الفراغ وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم الاصوات فلحنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينه نشيط الفارسى وطويس وسايب خاثر مولى عبد الله

بن جعفر فسمعوا اشعر العرب ولحنوه واجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته وابن شريح وانظاره وما زالت صناعة الغنا تتدرج الى ان كملت ايام بنى العباس عند ابرهيم بن المهدى وابرهيم الموصلى وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك فى دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث به وبمجالسه لهذا العهد وامعنوا فى اللهو واللعب واتخذت الات الرقص فى الملبس والقضبان والاشعار التى يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده واتخذت الات اخرى للرقص تسمى بالكرج وهى تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقه باطراف اقبية تلبسها النسوان ويحاكون بها امتطآء الخيل فيكرون ويفرون ويتثاقفون وامثال ذلك من اللعب المعدة للولايم والاعراس وايام الاعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك ببغداد وامصار العراق وانتشر منها فيما سواها وكان للموصليين غلام اسمه زرياب اخذ عنهم الغنا فاجاد فصرفوه الى المغرب غيرة به فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ فى تكرمته وركب للقايه واسنى له الجوايز والاقطاعات والجرايات واحله من دولته وندمايه بمكان فاورث بالاندلس من صناعة الغنا ما تناقلوه الى ازمان الطوايف وطما منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب وانقسم الى امصارها وبها الان منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها وهذه الصناعة اخر ما يحصل فى العمران من الصنايع لانها كمالية من غير وظيفه من الوظايف الا وظيفه الفراغ والفرح وهى ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله الخلاق العليم

فصل فى ان الصنايع يكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب

قد ذكرنا فى الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه

بالقوة فانّ كمالها خروجها من القوّة الى الفعل انما هو بتجدّد
العلوم والادراكات من المحسوسات اوّلا ثم ما يكتسب
بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكا بالفعل وعقلا
محضا فتكون ذاتا روحانية وتستكمل حينئذ وجودها
فوجب لذلك ان يكون كلّ نوع من العلم والنظر يفيدها
عقلا مزيدا والصنايع ايضا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمى
مستفاد من تلك الملكة فلهذا كانت الحنكة فى التجربة تفيد
عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والحضارة الكاملة تفيد
عقلا لانها مجتمعة من صنايع فى شان تدبير المنزل ومعاشرة
ابنا الجنس وتحصيل الاداب فى مخالطتهم ثم القيام بامور الدين
واعتبار ادابها وشرايطها وهذه كلّها قوانين تنتظم علوما
فتحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنايع اكثر
فائدة لذلك لانها تشتمل على علوم وانظار بخلاف الصنايع
وبيانه انّ فى الكتابة انتقالا من صور الحروف الخطية الى
الكلمات اللفظيه فى الخيال ومن الكلمات اللفظية فى الخيال
الى المعانى التى فى النفس فهو ينتقل ابدًا من دليل الى دليل
مادام ملتبسا بالكتابة وتتعود النفس ذلك دائما فيحصل
لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى
النظر العقلى الذى يكتسب به العلوم المجهولة فتكتسب بذلك
ملكة من التعقل يكون زيادة عقل ويحصل به مزيد فطنة
وكيس فى الامور بما تعوّدوه من ذلك الانتقال ولذلك
قال كسرى فى كتّابه لما راهم بتلك الفطنة والكيس فقال ديوا
اى شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشتقاق الديوان لاهل
الكتابة ويلحق بذلك الحساب فانّ فى صناعة الحساب نوع تصرف
فى العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كبير فيبقى متعوّدا
للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم • وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

الفصل السادس من الكتاب الاول فى العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وما يعرض فى ذلك كلّه من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق فالمقدمة فى الفكر الانسانى الذى تميّز به البشر عن الحيوانات واهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابنا جنسه والنظر فى معبوده وما جاءت به الرسل من عنده فاصار جميع الحيوانات فى طاعته وملكه قدرته وفضله به على كثير من خلقه

فصل فى الفكر الانسانى

اعلم انّ الله سبحانه ميّز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر
الذى جعله مبدا كماله ونهاية فضله على الكائنات وشرفه
وذلك ان الادراك وهو شعور المدرك فى ذاته بما هو خارج
عن ذاته هو خاص بالحيوان فقط من بين سائر الكائنات
والموجودات فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن ذاتها
بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة السمع والبصر
والشم والذوق واللمس ويزيد الانسان من بينها
انه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذى وراء حسّه وذلك
بقوى جعلت له فى بطون دماغه ينتزع بها صور المحسوسات
ويجول بذهنه فيها فيجرّد منها صورا اخرى والفكر هو التصرف
فى تلك الصور وراء الحس وجولان الذهن فيها بالانتزاع
والتركيب وهو معنى الافئدة فى قوله تعالى جعل لكم السمع
والابصار والافئدة والافئده جمع فؤاد وهو هنا الفكر
وهو على مراتب الاولى تعقل الامور المترتبة فى الخارج

ترتيبا طبيعيا او وضعيا ليقصد ايقاعها بقدرته وهذا
الفكر اكثره تصورات وهو العقل التمييزى الذى به يحصل
منافعه ومعاشه ويدفع مضاره الثانية الفكر الذى يفيد به
الاراء والاداب فى معاملة ابناء جنسه وسياستهم واكثرها
تصديقات يحصل بالتجربة شيئا شيئا الى ان تتم الفائدة منها
وهذا هو المسمى بالعقل التجربى الثالثة الفكر الذى يفيد العلم
او الظن بمطلوب وراء الحس لا يتعلق به عمل وهذا هو العقل
النظرى وهو تصورات وتصديقات ينتظم انتظاما خاصا
على شروط خاصة فيفيد معلوما اخر من جنسها فى التصور
او التصديق ثم ينتظم مع غيره فيفيد معلوما اخر كذلك
وغاية افادته تصور الوجود على ما هو عليه باجناسه وفصوله
واسبابه وعلله فيكمل الفكر بذلك فى حقيقته ويصير عقلا
محضا ونفسا مدركة وهو معنى الحقيقة الانسانية فصل

فى ان عوالم الحوادث الفعلية انما تتم بالفكر

اعلم ان عالم الكاينات يشتمل على ذوات محضة كالعناصر واثارها
والمكونات الثلثة عنها التى هى المعدن والنبات والحيوان
وهذه كلها متعلقات القدرة الالهية وعلى افعال صادرة
عن الحيوانات واقعة بمقصودها متعلقة بالقدرة التى جعل الله
لها عليها فمنها منتظم مترتب وهى الافعال البشرية ومنها
غير منتظم ولا مترتب وهى افعال الحيوانات غير البشر وذلك
ان الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع او الوضع فاذا
قصد ايجاد شئ من الاشياء فلاجل الترتيب بين الحوادث لا بد
من التفطن بسببه او علته او شرطه وهى على الجملة مباديه
اذ لا يوجد الا ثانيا عنها ولا يمكن ايقاع المتقدم متاخرا
ولا المتاخر متقدما وذلك المبدأ قد يكون له مبدأ اخر
من تلك المبادى لا يوجد الا متاخرا عنه وقد يرتقى ذلك
او ينتهى فاذا انتهى الى اخر المبادى فى مرتبتين او ثلث او ازيد

وشرع

وشرع فى العمل الذى يوجد به ذلك الشئ بدأ بالمبدأ الاخير
الذى انتهى اليه الفكر فكان اول عمله ثم تابع ما بعده الى
اخر المسببات التى كانت اول فكرته مثلا لو فكر فى ايجاد سقف
يكنه انتقل بذهنه الى الحايط الذى يدعمه ثم الى الاساس
الذى يقف عليه الحايط فهو اخر الفكر ثم يبدأ فى العمل
بالاساس ثم بالحايط ثم بالسقف وهو اخر العمل وهذا معنى
قولهم اول العمل اخر الفكرة واول الفكرة اخر العمل فلا يتم
فعل الانسان فى الخارج الا بالفكر فى هذه المترتبات لتوقف
بعضها على بعض ثم يشرع فى فعلها واول هذا الفكر هو
المسبب الاخير وهو اخرها فى العمل واولها فى العمل هو السبب
الاول وهو اخرها فى الفكر ولاجل العثور على هذا الترتيب
يحصل الانتظام فى الافعال البشرية واما الافعال الحيوانية
لغير البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذى يعثر به الفاعل
على الترتيب فيما يفعل اذ الحيوانات انما تدرك بالحواس
ومدركاتها متفرقة خلية من الربط لانه لا يكون الا بالفكر
ولما كانت الحوادث المعتبرة فى عالم الكاينات هى المنتظمة
وغير المنتظمة انما هى تبع لها اندرجت حينئذ افعال الحيوانات
فيها فكانت مسخرة للبشر واستولت افعال البشر على عالم
الحوادث بما فيه فكان كله فى طاعته وتسخيره وهذا معنى
الاستخلاف المشار اليه فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض
خليفة فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التى تميز بها البشر عن
غيره من الحيوان وعلى قدر حصول الاسباب والمسببات
فى الفكر مترتبة تكون انسانيته فمن الناس من تتوالى له السببية
فى مرتبتين او ثلاث ومنهم من لا يتجاوزها ومنهم من ينتهى
الى خمس وست فتكون انسانيته اعلا واعتبر ذلك بلاعب
الشطرنج فان فى اللاعبين من يتصور الثلاث حركات والخمس
الذى ترتيبها وضعى ومنهم من يقصر عن ذلك لقصور ذهنه

وان كان هذا المثال غير مطابق لان لعب الشطرنج بالملكة ومعرفة الاسباب والمسببات بالطبع لكنه مثال يحتذي به الناظر في تعقل مايورد عليه من القواعد والله خلق الانسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا.

فصل في العقل التجربي وكيفية حدوثه

انك تسمع في كتب الحكما قولهم الانسان مدني بالطبع يذكرونه في اثبات النبوات وغيرها والنسبة فيه الى المدينة وهي عندهم كناية عن الاجتماع البشري ومعنى هذا القول انه لاتمكن حياة المنفرد من البشر ولايتم وجوده الا مع ابنا جنسه وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته فهو محتاج الى المعاونة في جميع حاجاته ابدا بطبعه وتلك المعاونة لابد فيها من المفاوضة اولا ثم المشاركة وما بعدها وربما تفضي المعاملة عند اتحاد الاغراض الى المنازعة والمشاجرة فتنشا المنافرة والموالفة والصداقة والعداوة وتؤل الى الحرب والسلم بين الامم والقبائل وليس ذلك على اي وجه اتفق كما بين الهمل من الحيوانات بل البشر بما جعل الله منهم من انتظام الافعال وترتيبها بالفكر كما تقدم جعل ذلك منتظما فيهم ويسرهم لايقاعه على وجوه سياسية وقوانين حكمية ينكبون فيها عن المفاسد الى المصالح وعن الحسن الى القبيح بعد ان يميزوا القبايح والمفسدة بما ينشا عن الفعل من ذلك عن تجربة صحيحة وعوايد معروفة بينهم فيفارقون الهمل من الحيوان وتظهر عليهم نتيجة الفكر في انتظام الافعال وبعدها عن المفاسد هذه المعاني التي يحصل بها ذلك لاتبعد عن الحس كل البعد ولايتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة وبها تستفاد لانها معان جزئية يتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها يظهر قريبا في الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسر له

منها مقتنصا له بالتجربة بين الوقايع في معاملة ابنا جنسه حتى يتعين له مايجب وينبغي فعلا وتركا وتحصل بملابسة الملكة في معاملة ابنا جنسه ومن تتبع ذلك سائر عمره حصل له العثور على كل قضية قضية ولابد بما تسعه التجربة من الزمن وقد يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في اقرب من زمن تحصيلها بالتجربة اذا قلد فيها الآبا والمشيخة والاكابر ولقن عنهم ووعى تعليمهم فيستغني عن طول المعاناة في تتبع الوقايع واقتناص هذا المعنى من بينها ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيه او اعرض عن حسن استماعه واتباعه طال عناؤه في التادب بذلك فيجري في غير مالوف ويدركها على غير نسبة فتوجد ادابه ومعاملاته سيئة الاوضاع بادية الخلل ويفسد حاله في معاشه بين ابنا جنسه وهذا معنى القول المشهور من لم يؤدبه والداه ادبه الزمان اي من لم يلقن الاداب في معاملة البشر من والديه وفي معناهما المشيخة والاكابر ويتعلم ذلك منهم رجع الى تعلمه بالطبع من الواقعات على توالي الايام فتكون الزمان معلمه ومؤدبه لضرورة ذلك بضرورة المعاونة التي هي طبيعة وهذا هو العقل التجربي وهو يحصل بعد العقل التمييزي الذي يقع به الافعال كما قدمنا وبعد هذين مرتبة العقل النظري الذي تكفل بتفسيره اهل العلوم فلا يحتاج الى تفسيره في هذا الكتاب والله جعل لكم السمع والابصار والافئده قليلا ماتشكرون

فصل في علوم البشر وعلوم الملائكه

انا نشهد في انفسنا بالوجدان الصحيح وجود ثلاثة عوالم اولها عالم الحس ونعتبره بمدارك الحس الذي شاركنا فيه الحيوانات بالادراك ثم نعتبر الفكر الذي اختص به البشر فيعلم منه وجود النفس الانسانية علما ضروريا بما بين جنبينا من مداركها العلمية التي هي فوق مدارك الحس فنراه عالما اخر فوق عالم الحس ثم نستدل على عالم ثالث فوقنا بما نجد فينا من اثاره التي

تلقى فى افئدتنا كالارادات والوجهات نحو الحركات الفعلية فنعلم ان هناك فاعلا يبعثنا عليها من عالم فوق عالمنا وهو عالم الارواح والملائكة وفيه ذوات مدركة لوجود اثارها فينا مع ما بيننا وبينها من المغايرة وربما يستدل على هذا العالم الاعلى الروحانى وذواته بالرؤيا وما نجد فى النوم ويلقى الينا فيه من الامور التى نحن فى غفلة عنها فى اليقظة وتطابق الواقع فى الصحيحة منها فنعلم انها حق ومن عالم الحق واما اضغاث الاحلام فصور خيالية يخزنها الادراك فى الباطن ويجول فيها الفكر بعد الغيبة عن الحس ولا نجد على هذا العالم الروحانى اوضح من هذا فنعلمه كذلك على الجملة ولا ندرك له تفصيلا وما يزعمه الحكماء الالهيون فى تفصيل ذواته وترتيبها المسماة عندهم بالعقول فليس شىء من ذلك بيقينى لاختلال شرط البرهان النظرى فيه كما هو مقرر فى كلامهم فى المنطق لان من شرطه ان تكون قضاياه اولية ذاتية وهذه الذوات الروحانية مجهولة الذاتيات فلا سبيل للبرهان فيها ولا يبقى لنا مدرك فى تفاصيل هذه العوالم الا ما نقتبسه من الشرعيات التى يوضحها الايمان ويحكمها واعقد هذه العوالم فى مدركنا عالم البشر لانه وجدانى مشهود فى مداركنا الجسمانية والروحانية ويشترك فى عالم الحس مع الحيوانات وفى عالم العقل والارواح مع الملائكة الذين ذواتهم من جنس ذواته وهى ذوات مجردة عن الجسمانية والمادة وعقل صرف يتحد فيه العقل والعاقل والمعقول وكانه ذات حقيقتها الادراك والعقل فعلومهم حاصلة دائما مطابقة بالطبع لمعلوماتها لا يقع فيها خلل البتة وعلم البشر هو حصول صورة المعلوم فى ذواتهم بعد ان لا يكون حاصلة فهو كله مكتسب والذات التى يحصل فيها صور المعلومات وهى النفس مادة هيولانية

برهانا

تلبس

تلبس صورا لوجود بتصور المعلومات الحاصلة فيها شيئا شيئا حتى تستكمل ويصح وجودها بالموت فى مادتها وصورتها فالمطلوبات فيها مترددة بين النفى والاثبات دائما بطلب احدهما بالوسط الرابط بين الطرفين فاذا حصل وصار معلوما افتقر الى بيان المطابقة وربما اوضحها البرهان الصناعى لكنه من وراء الحجاب وليس كالمعاينة التى فى علوم الملائكة وقد ينكشف ذلك الحجاب فيصير الى المطابقة بالعيان الادراكى فقد تبين ان البشر جاهل بالطبع للتردد الذى فى علمه وعالم بالكسب والصناعة لتحصيله المطلوب بفكره بالشروط الصناعية وكشف الحجاب الذى اشرنا اليه انما هو بالرياضة بالاذكار التى افضلها صلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وبالتنزه عن المتناولات المهمة وراسها الصوم وبالوجهة الى الله بجميع قواه والله علم الانسان ما لم يعلم

فصل فى علوم الانبيا عليهم السلام

انا نجد هذا الصنف من البشر تعتبرهم حالة الهية خارجة عن منازع البشر واحوالهم فتغلب الوجهة الربانية فيهم على البشرية فى القوى الادراكية والنزوعية من الشهوة والغضب وسائر الاحوال البدنية فتجدهم متنزهين عن الاحوال البشرية الا فى الضرورات منها مقبلين على الاحوال الربانية من العبادة والذكر لله بما تقتضى معرفتهم به مخبرين عنه بما يوحى اليهم فى تلك الحالة من هداية الامة على طريقة واحدة وسنن معهودة منهم لا تتبدل فيهم كانه جبلة فطرهم الله عليها وقد تقدم لنا الكلام فى الوحى اول الكتاب فى فصل المدركين للغيب وبينا هنالك ان الوجود كله فى عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعى من اعلاها واسفلها متصلة كلها اتصالا لا ينخرم وان الذوات التى فى اخر كل افق من العوالم مستعدة لان تنقلب الى الذات التى تجاورها من الاسفل والاعلى

٤

تعتريهم

استعدادا طبيعيا كما فى العناصر الجسمانية البسيطة وكما هو فى
النخل والكرم من اخر افق النبات مع الحلزون والصدف من
افق الحيوان وكما فى القردة التى اجتمع فيها الكيس والادراك
مع الانسان صاحب الفكر والروية وهذا الاستعداد الذى
فى جانبى كل افق من العوالم هو معنى الاتصال فيها وفوق
العالم البشرى عالم روحانى شهدت لنا به الاثار التى فينا
منه بما يعطينا من قوى الادراك والارادة فذوات ذلك
العالم ادراك صرف وتعقل محض وهو عالم الملائكة فوجب
من ذلك كله ان تكون للنفس الانسانية استعداد للانسلاخ
من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا
من الاوقات وفى لمحة من اللمحات ثم تراجع بشريتها
وقد تلقت فى عالم الملكية ما كلفت بتبليغه الى ابناء جنسها
من البشر وهذا هو معنى الوحى وخطاب الملائكة والانبياء
كلهم مفطورون عليه كانه جبلة لهم ويعالجون فى ذلك
الانسلاخ من الشدة والغطيط ما هو معروف عنهم
وعلومهم فى تلك الحالة علم شهادة وعيان لا يلحقه الخطا
والزلل ولا يقع فيه الغلط والوهم بل المطابقة فيه ذاتية
لزوال حجاب الغيب وحصول الشهادة الواضحة وعند مفارقة
هذه الحالة الى البشرية لا يفارق علمهم الوضوح استصحابا
له من تلك الحالة الاولى ولما هم عليه من الذكا المفضى بهم
اليها يتردد ذلك فيهم دائما الى ان تكمل هداية الامة التى
بعثوا لها كما فى قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما
الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه فافهم ذلك
وراجع ما قدمناه لك اول الكتاب فى اصناف المدركين
للغيب يتضح لك شرحه وبيانه فقد بسطناه هنالك بسطا
شافيا والله الموفق فصل فى ان الانسان جاهل بالذات
عالم بالكسب قد بينا اول هذه الفصول ان الانسان

من جنس

من جنس الحيوانات وان الله ميزه عنها بالفكر الذى جعل
له يوقع به افعاله على انتظام وهو العقل التمييزى
او يقتنص به العلم بالاراء والمصالح والمفاسد من ابناء
جنسه وهو العقل التجربى او يحصل به على تصور الموجودات
غايبا وشاهدا على ما هى عليه وهو العقل النظرى وهذا
الفكر انما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه ويبدأ من التمييز
فهو قبل التمييز خلو من العلم بالجملة معدود من الحيوانات
لاحق بمبداه فى التكوين من النطفة والعلقة والمضغة
وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك
الحس والافئدة التى هى الفكر قال الله تعالى فى الامتنان
علينا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو فى الحالة
الاولى قبل التمييز هيولا فقط بجهله بجميع المعارف ثم
تستكمل صورته بالعلم الذى يكتسبه بالاته فكمل ذاته الانسانية
فى وجودها وانظر الى قوله تعالى مبدا الوحى على نبيه
اقرا باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرا
وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
اى اكسبه من العلم ما لم يكن حاصلا له بعد ان كان علقة ومضغة
فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذاتى
والعلم الكسبى واشارت اليه الاية الكريمة تقرر فيه
الامتنان عليه باول مراتب وجوده وهو الانسانية وحالتاها
الفطرية والكسبية فى اول التنزيل ومبدا الوحى وكان الله
عليما حكيما فصل فى ان تعلم العلم من جملة الصنايع
وذلك ان الحذق فى العلم والتفنن فيه والاستيلا عليه
انما هو بحصول ملكة فى الاحاطة بمباديه وقواعده والوقوف
على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم يحصل هذه
الملكة لم يكن الحذق فى ذلك الفن حاصلا وهذه الملكة هو
غير الفهم والوعى لانا نجد فهم المسئلة الواحدة من

الفن الواحد مشتركا بين من شدا في ذلك الفن ومن هو
مبتدى فيه وبين العامى الذى لم يحصل علما وبين العالم
النحرير والملكة انما هى للعالم والشادى فى الفنون دون
من سواهما فدل على ان هذه الملكة غير الفهم والملكات كلها
جسمانية وسواكانت فى البدن او فى الدماغ من الفكر وغيره
كالحساب والجسمانية كلها محسوسة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان
السند فى التعليم فى كل علم او صناعة يفتقر الى مشاهير المعلمين
فيها معتبرا عند اهل كل افق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم
العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل امام من الايمة
المشاهير اصطلاح فى التعليم يختص به شان الصنايع كلها فدل
على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم اذ لو كان من العلم
لكان واحدا عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف
فى تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا اصول الفقه
وكذا العربية والفقه وكذا كل علم يحتاج الى مطالعته تجد
الاصطلاحات فى تعليمه متخالفة فدل على انها صناعات فى
التعليم والعلم واحد فى نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم ان سند
العلم لهذا العهد قد كاد ان ينقطع عن اهل المغرب كلهم باختلال
عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص
الصنايع وفقدانها كما مر وذلك ان القيروان وقرطبه كانتا
حاضرتى المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما وكان فيهما
للعلوم والصنايع اسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيهما
التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما من الحضارة فلما
خربتا انقطع التعليم عن المغرب الا قليلا كان فى دولة الموحدين
بمراكش مستفادا منهما ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداوة الموحدين
فى اولها وقرب عهد انقراضها بمبديها فلم يتصل احوال الحضارة
فيها الا فى الاقل وبعد انقراض الدولة بمراكش ارتحل الى المشرق
من افريقية القاضى ابو القاسم بن زيتون لعهد اواسط المائة

السابعه فادرك تلميذ الامام ابن الخطيب واخذ عنهم ولقن
تعليمهم وحذق فى العقليات والنقليات ورجع الى تونس
بعلم كبير وتعليم حسن وجا على اثره من المشرق ابو عبد الله بن
شعيب الدكالى كان ارتحل اليه من المغرب فاخذ عنه مشيخة
مصر ورجع الى تونس واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فاخذ
عنهما اهل تونس واتصل سند تعليمهما فى تلامذهما جيلا بعد
جيل حتى انتهى الى القاضى محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب
وتلميذه وانتقل من تونس الى تلمسان فى ابن الامام وتلميذه
فانه قرا مع ابن عبد السلام على مشيخة واخذه وفى مجالس
باعيانها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام بتلمسان
لهذا العهد الا انهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل
من زواوة فى اخر المائة السابعة ابو على ناصر الدين المشدالى
الى المشرق وادرك تلميذ ابى عمرو بن الحاجب واخذ عنهم
ولقن تعليمهم وقرا مع شهاب الدين القرافى فى مجالس واحده
وحذق فى العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير
وتعليم مفيد ونزل بجايه واتصل سند تعليمه فى طلبتها وربما
انتقل الى تلمسان عمر بن المشدالى تلميذه واوطنها وبث طريقته
فيها وتلميذه لهذه العهد ببجايه وتلمسان قليل او اقل من القليل
وبقيت فاس وسائر امصار المغرب خلوا من حسن التعليم
من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم
فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحذق فى العلوم وايسر
طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل
العلمية وهو الذى يقرب شانها ويحصل مرامها فتجد طالب
العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم فى ملازمة المجالس
العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ
اكثر من الحاجة ولا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى
العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل

تجد ملكته قاصرة فى علمه ان فاوض او ناظر او علم وما اتيهم
القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والا فحفظهم ابلغ
من حفظ من سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود
من الملكة العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك فى المغرب ان المدة
المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة
وهى بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف
هى اقل ما يتاتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة
العلمية او اليأس من تحصيلها فطال امدها بالمغرب لهذه العصور
لاجل عسرها من قلة الجودة فى التعليم خاصة لا مما سوى ذلك
واما اهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت
عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مائتين من
السنين ولم يبق من رسم العلم عندهم الا فن العربية والادب
اقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه
واما الفقه عندهم فرسم خلو واثر بعد عين واما العقليات
فلا اثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص
العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسيف البحر
شغلهم بمعايشهم اكثر من شغلهم بما بعدها والله غالب على
امره واما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل اسواقه
نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند
فيه وان كانت الامصار العظيمة التى كانت معادن العلم
قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله قد اذال
منها بامصار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم
بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها
من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم
بها قائما فاهل المشرق على الجملة ارسخ فى صناعة تعليم العلم
بل وفى سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب
الى المشرق فى طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل من عقول

اهل

اهل المغرب وان نفوسهم الناطقة اكمل بفطرتها من نفوس اهل
المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم فى الحقيقة الانسانية
لما يرون من كيسهم فى العلوم والصنائع وليس كذلك ولا بين
قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذى تفاوت فى الحقيقة
الواحدة اللهم الا الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان
الامزجة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها كما مر وانما الذى
فضل به اهل المشرق اهل المغرب فهو ما يحصل فى النفس من
آثار الحضارة من العقل المزيد كما تقدم فى الصنائع ونزيده الآن
شرحا وتحقيقا وذلك ان الحضر لهم اداب فى احوالهم من
المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذلك سائر
عاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلهم فى ذلك
اداب توقف عندها فى جميع ما يتناولونه ويتلبسون به
من اخذ وترك حتى كانها حدود لا تتعدى وهى مع ذلك
صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة
مترتبة فيرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا مزيدا تستعد
لقبول صناعة اخرى ويتهيأ به العقل لسرعة الادراك للمعارف
وقد بلغنا فى تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك مثل
انهم يعلمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشى
والطائر مفردات من الكلام والافعال يستغرب ندورها ويعجز
اهل المغرب عن فهمها فضلا عن تعليمها وحسن الملكات فى
التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء
فى عقله واضاءة فى الفكرة بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قدمنا
ان النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات الحاصلة
فيزدادون بذلك كيسا لما يرجع الى النفس من الآثار العلمية
فيظنه العامى تفاوتا فى الحقيقة الانسانية وليس كذلك الا
ترى الى الحضر مع اهل البدو وكيف ترى الحضرى متحليا بالذكاء
ممتليا من الكيس حتى ان البدوى ليظنه انه قد فاته فى حقيقة

انسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته من ملكات
الصنايع والاداب في العوايد والاحوال الحضرية ما لا يعرفه
البدوي فلما امتلا الحضري من الصنايع وملكاتها وحسن تعليمها
ظن من قصر عن تلك الملكات انها لكمال في عقله وان نفوس
اهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرته وليس كذلك
فانا نجد في اهل البدو من هو في اعلى رتبة من الفهم والكمال
في عقله وفطرته وانما الذي ظهر على اهل الحضر من ذلك فهو
رونق الصنايع والتعليم فان لهما اثارا ترجع الى النفس كما
قدمناه وكذا اهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنايع
ارسخ رتبة واعلى قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة
لما قدمناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادي
الراي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن
اهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهمه والله يزيد في الخلق
ما يشا فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم
الحضارة والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قلناه من جملة
الصنايع وقد كنا قدمنا ان الصنايع انما تكثر في الامصار
وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف
تكون نسبة الصنايع في الجودة والكثرة لانه امر زائد على
المعاش فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم
انصرفت على ما ورا المعاش من التصرف في خاصية الانسان
وهي العلوم والصنايع ومن تشوف بفطرته الى العلم
ممن نشا في القرى والامصار غير المتمدنة فلا يجد فيها
التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنايع في اهل البدو
كما قدمناه ولا بد له من الرحلة في طلبه في الامصار
المستبحرة شان الصنايع كلها واعتبر ما قررناه بحال
بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها
صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها

بحار

بحار العلوم وتفننوا في اصطلاحات التعليم واصناف العلوم
واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على من تقدمين
وفاتوا المتاخرين ولما تناقص عمرانها وابذعر سكانها
انطوى ذلك البساط جملة بما عليه وفقدوا العلم بها
والتعليم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام ونحن
لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد
المصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ
الاف من السنين فاستحكمت فيها الصنايع وتفننت
ومن جملتها تعليم العلم واكد ذلك فيها وحفظه ما وقع
لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك
من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان امراء
الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يخلفونه
من ذريتهم لما له عليهم من الرق او الولاء ولما يخشى
من معاطب الملك ونكباته فاستكثروا من بناء المدارس
والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون
فيها تبركا لولدهم ينظر عليها او نصيب فيها مع ما فيهم غالبا
من الجنوح الى الخير والتماس الاجور في المقاصد والافعال
فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر
طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها وارتحل اليها الناس
في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها اسواق
العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشا فصل في
اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد
اعلم ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار
تحصيلا وتعليما هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدي
اليه بفكره وصنف نقلي ياخذه عمن وضعه والاول هي
العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان
بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها

ة

تبركا

ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره
وبحثه على الصواب من الخطا فيها من حيث هو انسان
ذو فكر والثانى هى العلوم النقلية الوضعية وهى كلها
مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعى ولا مجال فيها للعقل
الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات
الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلى بمجرد وضعه
فيحتاج الى الالحاق بوجه قياسى الا ان هذا القياس يتفرع
عن الخبر بثبوت الحكم فى الاصل وهو نقلى فرجع هذا القياس
الى النقل لتفرعه عنه واصل هذه العلوم النقلية كلها هى
الشرعيات من الكتاب والسنة التى هى مشروعة لنا من الله
ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التى تهيؤنا للاستفادة
منها ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربى الذى هو لسان
الملة وبه نزل القران واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة
لان المكلف يجب عليه ان يعلم احكام الله المفروضة عليه
وعلى ابنا جنسه وهى ماخوذة من الكتاب والسنة بالنص
او الاجماع او بالالحاق فلا بد من النظر فى الكتاب ببيان
الفاظه اولا وهذا هو علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته
الى النبى صلى الله عليه وسلم الذى جا به من عند الله واختلاف
روايات القرا فى قراءته وهذا هو علم القران ثم باسناد
السنة الى صاحبها والكلام فى الرواة الناقلين لها ومعرفة
احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم ويعلم ما يجب
العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هى علوم الحديث ثم لا بد
فى استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانونى
يفيدنا العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو اصول الفقه
وبعد هذه تحصيل الثمرة بمعرفة احكام الله فى افعال المكلفين
وهذا هو الفقه ثم ان التكاليف منها بدنى ومنها قلبى وهو
المختص بالايمان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هى

العقايد

العقايد الايمانية فى الذات والصفات وامور الحشر
والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالادلة
العقلية هو علم الكلام ثم النظر فى القران والحديث
لا بد ان يتقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها
وهى اصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان
وعلم الادب حسبما نتكلم عليها كلها وهذه العلوم
النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت
كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهى مشاركة
لها فى الجنس البعيد من حيث انها العلوم الشرعية
المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ
لها واما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لانها ناسخة لها وكل
ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظور فقد
نهى الشرع عن النظر فى الكتب المنزلة غير القران وقال
صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم
واحد ورأى صلى الله عليه وسلم فى يد عمر رضى الله عنه
ورقة من التورية فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه
ثم قال الم آتكم بها بيضا نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه
الا اتباعى ثم ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت
اسواقها فى هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها مدارك
الناظرين الى التى لا فوقها وهذبت الاصطلاحات ورتبت
الفنون فجاءت من وراء الغاية فى الحسن والتنميق وكان
لكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها
التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور
منها حسبما نذكره الآن عند تعديد هذه الفنون وقد
كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران
فيه وانقطاع سند التعليم كما قدمناه فى الفصل قبله وما

ادرى ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه
واتصال التعليم فى العلوم وفى سائر الصنايع الضرورية
والكمالية لكثرة العمران فيه والحضارة ووجود الاعانة
لطالب العلم بالجراية من الاوقاف التى اتسعت بها ارزاقهم
والله مقدر الليل والنهار

علوم القرآن من التفسير والقرآآت

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب
بين دفتى المصحف وهو متواتر بين الامة الا ان الصحابة
رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة
فى بعض الفاظه وكيفيات الحروف فى ادايها وتنوقل ذلك
واشتهر الى ان استقر منها سبع طرق معينة تواتر نقلها
ايضا بادايها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها
من الجم الغفير فصارت هذه القرآآت السبع اصولا للقراءة
وربما زيد بعد ذلك قرآات اخر لحقت بالسبع الا انها
عند ائمة القراة لا تقوى قوتها فى النقل وهذه القرآات
السبع معروفة فى كتبها وقد خالف بعض الناس فى
تواتر طرقها لانها عندهم كيفيات للاداء وهو غير
منضبط وليس ذلك عندهم بقادح فى تواتر القرآن
واباه الاكثر وقالوا بتواترها وقال اخرون بتواتر غير
الاداء منها كالمد والتسهيل لعدم الوقوف على كيفيته
بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراآت
وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما
كتبت من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا
وتناقلها الناس بالمشرق والاندلس فى جيل بعد جيل
الى ان ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالى العامريين
وكان معتنيا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما اخذه
به مولاه المنصور بن ابى عامر واجتهد فى تعليمه وعرضه
على من كان من ائمة القراء بحضرته فكان سهمه فى ذلك

وافرا

وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانيه والجزاير
الشرقية فنفقت بها سوق القراءة بما كان هو من ائمتها
وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقراءة
خصوصا فظهر لعهده ابو عمرو الدانى وبلغ الغاية فيها
ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته اسانيدها
وتعددت تواليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن
غيره واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد
ذلك فيما يليه من العصور والاجيال ابو القسم بن فيره
من اهل شاطبه فعمد الى تهذيب ما دونه ابو عمرو وتلخيصه
فنظم ذلك كله فى قصيده لغز فيها اسماء القراء بحروف ابجد
على ترتيب احكمه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار
ولتكون اسهل للحفظ لاجل نظمها فاستوعب فيها الفن
استيعابا حسنا وعنى الناس بحفظها وتلقينها للولد المتعلمين
وجرى العمل على ذلك فى امصار المغرب والاندلس وربما
اضيف الى فن القرآات فن الرسم ايضا وهى اوضاع حروف
القرآن فى المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيره
وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة اليا
فى بايىد وزيادة الالف فى لا اذبحنه ولا اوضعوا والواو
فى جزاو الظالمين وحذف الالف فى مواضع دون اخرى
وما رسم فيه من التاات ممدودا والاصل فيه مربوط
على شكل الها وغير ذلك وقد مر تعليل لهذا الرسم المصحفى
عند الكلام فى الخط فلما جاءت هذه المخالفة لاوضاع الخط
وقانونه احتيج الى حصرها فكتب فيها الناس عند كتبهم
فى العلوم وانتهت بالمغرب الى ابى عمرو الدانى المذكور
فكتب فيها كتبا من اشهرها كتاب المقنع واخذ به الناس
وعولوا عليه ونظمه ابو القسم الشاطبى فى قصيدته
الشهيره على روى الرا وولع الناس بحفظها ثم كثر الخلاف

في الرسم في كلمات وحروف اخرى ذكرها ابو داود سليمن
بن نجاح موالي مجاهد في كتبه وهو تلميذ ابي عمرو الداني
المشهور بحمل علومه ورواية كتبه ثم نقل بعده خلاف
اخر فنظم الخراز من المتاخرين بالمغرب ارجوزة اخرى
زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا وعزاه لناقليه واشتهرت
بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها كتب ابي
داود وابي عمرو والشاطبي في الرسم **واما التفسير**
فاعلم ان القران نزل بلغة العرب على اساليب بلاغتهم
وكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه
وكان نزل جملا جملا وايات ايات لبيان التوحيد والفروض
الدينية بحسب الوقايع ومنها ما هو في العقايد الايمانية
ومنها ما هو في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها
ما يتاخر ويكون ناسخا له وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه
وعرفوا سبب نزول الايات ومقتضى الحال منها منقولا
عنه كما علم من قوله اذا جاء نصر الله والفتح انها نعي النبي
صلى الله عليه وسلم وامثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة
رضوان الله عليهم وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل
عنهم ولم يزل ذلك متناقلا عن الصدر الاول والسلف
حتى صارت المعارف علوما ودونت الكتب فكتب الكثير
من ذلك ونقلت الاثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين
وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وامثالهم
من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان يكتبوه من الاثار
ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات
اللغة واحكام الاعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت
الدواوين في ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع
فيها الى نقل ولا كتاب فتنوسي ذلك وصارت تتلقى من كتب

هو المبين لذلك كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا

روي انه عليه السلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك تسمى سورة التوديع وروي انه عليه السلام عاش بعد نزولها ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار سعد الدين

اهل

اهل اللسان فاحتيج الى ذلك في تفسير القران لانه
بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على
صنفين تفسير نقلي مستند الى الاثار المنقولة عن السلف
وهي معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد
الاي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين
وقد جمع المتقدمون في ذلك واوعوا الا ان كتبهم
ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود
والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم
وانما غلب عليهم البداوة والامية فاذا تشوقوا الى
معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس الانسانية من
اسباب المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود فانما
يسئلون عنه اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم
اهل التورية من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى
واهل التورية الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم
ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل
الكتاب ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهود
فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام
الشرعية التي يحتاطون لها مثل اخبار بدء الخليقة وما
يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك وهؤلاء مثل
كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم
فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم في امثال هذه
الاغراض اخبارا موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى
الاحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل وتساهل
المفسرون في مثل ذلك وملؤا كتاب التفسير بهذه المنقولات
واصلها كما قلناه عن اهل التورية الذين يسكنون البادية
ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا انهم
بعد صيتهم وعظمت اقدارهم بما كانوا عليه من المقامات

مطلب مهم

فى الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما رجع
الناس الى التحقيق والتمحيص وجا ابو محمد بن عطية من
المتاخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى
ما هو اقرب الى الصحة منها ووضع ذلك فى كتاب متداول
بين اهل المغرب والاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبى
فى تلك الطريقة على منهاج واحد فى كتاب اخر مشهور
بالمشرق والصنف الاخر من التفسير هو ما يرجع الى
اللسان من معرفة اللغة والبلاغة فى تادية المعنى بحسب
المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل ان ينفرد
عن الاول اذ الاول هو المقصود بالذات وانما جاء هذا
بعد ان صار اللسان وعلومه صناعات نعم يكون فى بعض
التفاسير غالبا ومن احسن ما اشتمل عليه هذا الفن من
التفسير كتاب الكشاف للزمخشرى من اهل خوارزم العراق
الا ان مؤلفه من اهل الاعتزال فى العقائد فياتى بالحجاج
على مذاهبهم الفاسدة حيث يعرض له فى اى القران من
طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من اهل السنة انحراف
عنه وتحذير للجمهور من مكامنه مع اقرارهم برسوخ قدمه
فيما يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر واقفا على
المذاهب السنية محسنا للحجاج عنها فلا جرم انه مامون
من غوائله فليغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللسان ولقد
وصل الينا فى هذه العصور تاليف لبعض العراقيين وهو
شرف الدين الطيبى من اهل توريز من عراق العجم شرح
فيه كتاب الزمخشرى هذا وتتبع الفاظه وتعرض لمذاهبه
فى الاعتزال وادلته يزيفها ويبين ان البلاغة انما يقع فى
فى الاية على ما يراه اهل السنة لا على مذهب المعتزلة فاحسن
فى ذلك ما شا مع امتاعه فى سائر فنون البلاغة وفوق
كل ذى علم عليم **علوم الحديث** واما علوم الحديث

فهى

فهى كثيرة ومتنوعة فان منها ما ينظر فى ناسخه ومنسوخه
وذلك بما ثبت فى شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه
لطفا من الله تعالى بالعباد وتخفيفا عنهم باعتبار مصالحهم
التى تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات
بخير منها او مثلها ومعرفة الناسخ والمنسوخ وان كان
عاما للقران والحديث الا ان الذى فى القران منه اندرج
فى تفاسيره وبقى ما كان خاصا بالحديث راجعا الى علومه
فاذا تعارض الخبران بالنفى والاثبات وتعذر الجمع بينهما
ببعض التاويل وعلم تقدم احدهما تعين ان المتاخر ناسخ وهو من
اهم علوم الحديث واصعبها قال الزهرى اعيا الفقها
واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
من منسوخه وكان للشافعى رضى الله عنه فيه قدم راسخة
ومن علوم الحديث معرفة القوانين التى وضعها ائمة
المحدثين لمعرفة الاسانيد والرواة واسمائهم وكيفية
اخذ بعضهم عن بعض واحوالهم وطبقاتهم واختلاف
اصطلاحاتهم وتحصيل ذلك ان الاجماع واقع على وجوب
العمل بالخبر الثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وذلك بشرط ان يغلب على الظن صدقه فيجب على المجتهد
تحقيق الطرق التى تحصل ذلك الظن وذلك بالنظر فى اسانيد
الحديث بمعرفة رواته بالعدالة والضبط والاتقان والبراءة
من السهو والغفلة بوصف عدول الامة لهم بذلك ثم
تفاوت مراتبهم فيه ثم كيفية رواية بعضهم عن بعض
بسماع الراوى من الشيخ او قراءته عليه او سماعه يقرا عليه
وكتابة الشيخ له او مناولته او اجازته فى الصحة والقبول
منقول عنهم واعلى مراتب المقبول عندهم الصحيح ثم الحسن
وادون مراتبها الضعيف ويشتمل على المرسل والمنقطع والمعضل
والمعلل والشاذ والغريب والمنكر ثم منها ما اختلفوا فى رده

ممن يسقط

ومنها ما اجمعوا عليه وكذلك شانهم فى الصحيح فمنه ما اجتمعوا
على قبوله وصحته ومنها ما اختلفوا فيه وبينهم فى تفسير هذه
الالقاب اختلاف كثير ثم اتبعوا ذلك بالكلام فى الفاظ تقع
فى متون الحديث من غريب او مشكل او تصحيف او مفترق
او مختلف ووضعوا لهذه الفصول كلها قانونا كفيلا ببيان تلك
المراتب والالقاب وسلامة الطرق عن دخول النقص فيها واول
من وضع فى هذا القانون من فحول ائمة الحديث ابو عبد الله
الحاكم وهو الذى هذبه واظهر محاسنه وتواليفه فيه مشهورة
ثم كتب المتقدمون فيه من بعده واشهر كتاب للمتاخرين فيه كتاب
ابى عمرو بن الصلاح كان فى اوائل المائة السابعة وتلاه
محيى الدين النووى بمثل ذلك والفن شريف فى مغزاه لانه
معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة حتى
يتعين قبولها او ردها واعلم ان رواة السنة من الصحابة
والتابعين معروفون فى امصار الاسلام منهم بالحجاز وبالكوفة
والبصرة ثم بالشام ومصر مشهورون فى اعصارهم وكانت
طريقة اهل الحجاز من بينهم اعلى وامتن فى الصحة بتجافيهم
عن قبول المستورين المجهولة احوالهم وسيد الطريقة الحجازية
بعد السلف الامام مالك عالم المدينة ثم اصحابه مثل الامام
ابى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه وابن وهب
وابن بكير والقعنبى ومحمد بن الحسن ومن بعدهم الامام
احمد بن حنبل فى اخرين من امثالهم وكان علم الشريعة
فى مبدأ الامر نقلا صرفا لا نظرا ولا رايا ولا تعمقا فى القياس
وشمر لها السلف وتحروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك
رحمه الله كتاب الموطا على طريقة الحجازيين اودعه اصول
الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم
عنى الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيد المختلفة الحجازية
والعراقية وغيرهما وقد تتحد فى بعض الاحاديث وتتعدد

ويتكرر

ويتكرر الحديث فى ابواب الفقه باختلاف المعانى التى
اشتمل عليها وجا محمد بن اسمعيل البخارى فاوسع نطاق
الرواية وخرج احاديث السنة على ابوابها فى مسنده الصحيح
وجمع طرق الحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد
منها ما اجتمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وتكررت احاديثه
فى الابواب باختلاف معانيها كما اشرنا اليه فاشتمل كتابه
على سبعة الاف حديث ومائتين تكررت منها ثلاثة الاف
وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة فى كل باب ثم جا
مسلم بن الحجاج القشيرى رحمه الله تعالى فالف مسنده
الصحيح اتبع فيه البخارى فى نقل المجمع على صحته وحذف
المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد فبوبه على ابواب
الفقه وتراجمه ومع ذلك فلم يستوعبا الصحيح كله واستدرك
الناس عليهما بما اغفلا عن شروطهما ثم كتب ابو داود السجستانى
وابو عيسى الترمذى وابو عبد الرحمن النسوى فى السنن
باوسع من الصحيح وقصد واما توفرت فيه شروط العمل
اما من الرتبة العالية فى الاسناد وهو الصحيح كما هو معروف
واما من الذى دونه كالحسن وغيره ليكون ذلك اماما
للعمل بالسنة وهذه المسانيد المعتمدة فى الملة وهى امهات
كتب الحديث فى السنة ولحق بهذه الخمسة مسانيد اخرى
كمسند ابى داود الطيالسى والبزاز وعبد بن حميد والدارمى
وابى يعلى الموصلى والامام احمد قاصدين فيها المسندات
عن الصحابة من غير ان تكون محتجا بها هكذا قال ابن
الصلاح وفى الرواية عن الامام احمد انه كان يقول لابنه
عبد الله فى كتابه المسند وهو يشتمل على احد وثلثين الف
حديث وعن جماعة من اصحابه انهم قالوا قرأ علينا
المسند وقال هذا كتاب انتقيته من سبعمائة الف وخمسين
الف حديث مما اختلف فيه المسلمون من الاحاديث النبوية

ولم يجدوه فيه فليس بحجة فهذا يدل على ان جميع ما في مسنده
يصح الاحتجاج به عكس ما قاله ابن الصلاح نقلته من مناقب
الامام احمد لابن الجوزي وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء
من الاحاديث واستدراكها على المتقدمين انا العادة تشهد
بان هولاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم
واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى
يعثر عليه المتاخرون انما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح
الامهات المكتوبة وضبطها بالرواية واسنادها الى مولفيها
لتتصل الاسانيد محكمة من مبدائها الى منتهاها ولم يزيدوا
في ذلك على العناية باكثر من هذه الامهات الخمسة الا
في الاقل فاما صحيح البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب
الناس شرحه واستغلقوا منحاه من اجل ما يحتاج اليه
من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من اهل الحجاز والشام
والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم وكذلك
يحتاج الى امعان النظر في التفقه في التراجم لانه يترجم
الترجمة ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم
اخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى
الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى ان
يتكرر الحديث في ابواب متفرقة بحسب معانيه واختلافها
ومن النظر في تراجمه بيان المناسبة بين الترجمة والاحاديث
التي في ضمنها فقد وقع له كثير من تراجم خفاء المناسبة
بينها وبين الاحاديث التي في ضمنها وطال كلام الناس
في بيانها كما وقع في كتاب الفتن في الباب الذي ترجم
فيه بقوله باب تخريب البيت ذو السويقتين من الحبشة ثم
قال في الباب قال الله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا ولم يزد على ذلك شيئا وخفي على الناس وجه المناسبة
بين هذه الترجمة وما في الباب فمنهم من قال كان المصنف

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
وفي رواية قال ذو السويقتين من الحبشة يخرب
بيت الله اخرجه البخاري ومسلم والنسائي
من جامع الاصول
لابن الاثير

يكتب

يكتب التراجم في المسوده ثم يكتب الاحاديث في كل ترجمة
بحسب ما تيسر له وتوفي قبل ان يستوفي حشو التراجم
فروي الكتاب كذلك وسمعت من اصحاب القاضي ابن نكار
قاضي غرناطة واستشهد في واقعة طريف سنة احدى
واربعين وسبعمائة وكان قائما على صحيح البخاري انه اراد بالترجمة
تفسير الاية بان ذلك مشروع لا مقدر لان الاشكال انما جاء
من تفسير جعلنا بقدرنا واذا كان بمعنى شرعنا لم يكن لبس
في تخريب ذي السويقتين اياها سمعت ذلك من شيخنا
ابي البركات البلفيقي عنه وكان من اجلة تلميذه ومن شرح
الكتاب ولم يستوف هذا كله فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال
وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من
شيوخنا رحمهم يقولون شرح كتاب البخاري دين على
الامة يعنون ان احدا من علماء الامة لم يوف ما وجب له
من الشرح بذلك الاعتبار واما صحيح مسلم فكثرت عناية
علماء المغرب به واكبوا عليه واجمعوا على تفضيله على كتاب
البخاري كتابه من غير الصحيح مما لم يكتبه على شرطه واكثر
ما وقع في التراجم واما الامام المازري من فقهاء المالكية
كتب عليه شرحا سماه المعلم بفوائد مسلم واشتمل على عيون من
علم الحديث ومتين من الفقه ثم اكمله القاضي عياض من
بعده وتممه وسماه اكمال المعلم وتلاهم محيي الدين النووي
بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليهما وجاء شرحا وافيا
واما كتب السنن الاخرى الثلاثة وفيها معظم ماخذ
الفقهاء فاكثر شرحها في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث
فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علوم
الحديث وموضوعاتها والمسانيد التي اشتملت على الاحاديث
المعمول بها من السنة واعلم ان الاحاديث قد تميزت مراتبها
لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلول وغيرها

البخاري قال ابن الصلاح وانما يفضل
على كتاب البخاري بما وقع فيه من
تجريده عما مزج به البخاري كلامه

ميزها ائمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق طريق
في تصحيح ما لم يصح من قبل ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون
الاحاديث بطرقها واسانيدها بحيث لو روي حديث بغير
سنده وطريقه تفطنوا الى انه قد قلب عن وضعه ولقد
وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسمعيل البخاري حين ورد
على بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسالوه عن احاديث
قلبوا اسانيدها فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان
ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل
متن الى سنده فاقروا له بالامامة واعلم ايضا ان الائمة
المجتهدين تفاوتوا في الاكثار من هذه البضاعة والاقلال
فابو حنيفة رحمه الله يقال انه انما بلغت روايته الى سبعة
عشر حديثا او نحوها الى خمسين ومالك رحمه الله انما صح
عنده ما في كتاب الموطا وغايتها ثلثمائة حديث او نحوها
واحمد بن حنبل في مسنده ثلثون الف حديث والكل على ما
اداهم اليه اجتهادهم في ذلك وقد يقول بعض المتعصبين
المتعسفين ان منهم من كان قليل البضاعة في الحديث
ولهذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الائمة
لان الشريعة انما توخذ من الكتاب والسنة ومن كان
قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته والجد
والتشمير في ذلك لياخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام
عن صاحبها المبلغ لها عن الله وانما اقل منهم من اقل الرواية
لاجل المطاعن التي يعترضه فيها والعلل التي يعرض في طرقها
سيما والجرح مقدم عند الاكثر فيوديه الاجتهاد الى ترك
الاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث وطرق الاسانيد
ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف الطرق هذا مع ان اهل
الحجاز اكثر رواية للحديث من اهل العراق لان المدينة دار
الهجرة وماوى الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان

شغلهم

شغلهم بالجهاد اكثر والامام ابو حنيفة انما قلت روايته لما
شدد في شروط الرواية والتحمل فاستصعب وضعف الحديث
اذا عارضه العقلي القطعي فاستصعبت روايته فقل حديثه
لا انه ترك رواية الحديث متعمدا فحاشاه من ذلك ويدل
على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه
بينهم والتعويل عليه واعتباره ردا وقبولا واما غيره
من المحدثين وهم الجمهور فتوسعوا في الشروط وكثر
حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع اصحابه من بعده
في الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوي فاكثر وكتب
مسنده وهو جليل القدر الا انه لا يعدل الصحيحين لان
الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما مجمع
عليها بين الامة كما قالوه وشروط الطحاوي وكتب السنن
المعروفة عليه لتاخر شرطه عن شروطهم ومن اجل هذا
قيل في الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع على
صحة ما فيهما على الشروط المتفق عليها فلا ياخذك ريبة
في ذلك فالقوم احق الناس بالظن الجميل بهم والتماس المخارج
الصحيحة لهم ثم من علوم الحديث تصريف هذا القانون
في الكلام على الاحاديث واحدا واحدا في ابوابها وتراجمها
في تفاسير هذه المسانيد كما فعله الحافظ ابو عمر بن عبد
البر وابو محمد بن حزم والقاضي عياض ومحيي الدين النووي
وابن العطار بعدهما وكثير من ائمة المغاربة والمشارقة
وان كان في كلامهم على تلك الاحاديث غير ذلك من فقه
متونها ولغتها واعرابها الا ان كلامهم في اسانيدها
بصناعة الحديث اوعب واكثر هذه اصناف علوم الحديث
المتداولة بين ائمة الاعصار لهذا العهد والله الهادي للحق
والمعين عليه

الفقه وما يتبعه من الفرائض

الفقه هو معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب

غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال وغيره فلهذا قدم الصحيحان وبل

والحظر والندب والكراهة والاباحة وهى متلقاة من الكتاب
والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الادلة فاذا استخرجت
الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجونها
من تلك الادلة على اختلاف فيما بينهم لا بد من وقوعه
ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهى بلغة العرب
وفى اقتضاءات الفاظها لكثير من معانيها وخصوصا الاحكام
الشرعية خلاف بينهم معروف وايضا فالسنة مختلفة الطرق
فى الثبوت وتتعارض فى الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح
وهو مختلف وايضا فالادلة من غير النصوص مختلف فيها
وايضا فالوقايع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان
منها غير داخل فى النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينهما
وهذه كلها مثارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا
وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم ثم ان الصحابة
لم يكونوا كلهم اهل فتيا ولا كان الدين يوخذ عن جميعهم
وانما كان ذلك مختصا منهم بالحاملين للقران العارفين بناسخه
ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالته بما تلقوه
من النبى صلى الله عليه وسلم او ممن سمعه منه من عليتهم
وكانوا يسمون لذلك القراء اى الذين يقرون الكتاب لان العرب
كانوا امة امية فاختص من كان منهم قاريا للكتاب بهذا الاسم
لغرابته يومئذ وبقى الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار
الاسلام وذهبت الامية عن العرب بممارسة الكتاب وتمكن
الاستنباط وكمل الفقه واصبح صناعة وعلما فبدلوا باسم
الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة
اهل الراى والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث
وهم اهل الحجاز وكان الحديث قليلا فى اهل العراق لما قدمنا
فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل لهم اهل
الراى ومقدم جماعتهم الذى استقر المذهب فيه وفى اصحابه

الامام

الامام ابو حنيفة واما اهل الحجاز فمالك بن انس والشافعى
من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء وابطلوا العمل به
وهم الظاهرية وجعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة فى النصوص
والاجماع وردوا القياس الجلى والعلة المنصوصة الى النص
لان النص على العلة نص على الحكم فى جميع محالها وكان امام هذا
المذهب داود بن على وابنه واصحابهما فكانت هذه المذاهب
الثلاثة هى مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامة وشذ اهل
البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم
فى تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الائمة
ورفع الخلاف عن اقوالهم وهى كلها اصول واهية وشذ
بمثل ذلك الخوارج ولم يحفل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوها
جانب الانكار والقدح فلا يعرف شى من مذاهبهم ولا تروى
كتبهم ولا اثر لشى منها الا فى مواطنهم فكتب الشيعة فى
بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة فى المغرب والمشرق
واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتواليف واراء
فى الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل الظاهر اليوم
بدروس ائمته وانكار الجمهور على منتحله ولم يبق الا فى الكتب
المجلدة وربما يعكف كثير من البطالين على تلك الكتب ممن
ينتحل مذهبهم يروم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا
يخلو بطائل ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما
عد بهذه النحلة من اهل البدع بتلقيه العلم من الكتب
من غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن حزم بالاندلس
على علو رتبته فى حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل الظاهر
ومهر فيه باجتهاد زعمه فى اقوالهم وخالف امامهم داود
وتعرض للكثير من ائمة المسلمين فنقم الناس عليه ذلك واوسعوا
مذهبه استهجانا وانكارا وتلقوا كتبه بالاغفال والترك حتى
انها ليحظر بيعها بالاسواق وربما تمزق بعض الاحيان

ولم يبق الا مذاهب اهل الراى من العراق واهل الحديث
من الحجاز فاما اهل العراق فامامهم الذى استقرت عنده
مذاهبهم ابو حنيفه النعمان بن ثابت فمقامه فى الفقه لا يلحق
شهد له بذلك اهل جلدته وخصوصا مالك والشافعى واما
اهل الحجاز فكان امامهم مالك بن انس الاصبحى امام دار
الهجرة رحمه الله واختص بزيادة مدرك اخر للاحكام غير
المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل اهل المدينة لانه راى
انهم فيما يتفقون عليه من فعل او ترك متابعون لمن قبلهم
ضرورة لدينهم واقتدائهم وكذا الى الجيل المباشرين لفعل
النبى صلى الله عليه وسلم الاخذين ذلك عنه وصار ذلك
عنده من اصول الادلة الشرعيه وظن كثير ان ذلك من
مسائل الاجماع فانكره لان دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة
من سواهم بل هو شامل للامة واعلم ان الاجماع انما هو
الاتفاق على الامر الدينى عن اجتهاد ومالك رحمه الله لم يعتبر
عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من حيث اتباع
الجيل بالمشاهدة للجيل بالمشاهدة الى ان ينتهى الى الشارع
صلوات الله عليه وضرورة اقتدائهم تعين ذلك نعم المسئلة
ذكرت فى باب الاجماع لانه اليق الابواب بها من حيث ما
فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الا ان اتفاق
اهل الاجماع عن اجتهاد وراى بالنظر فى الادلة واتفاق
هؤلاء فى فعل او ترك مستندين الى مشاهدة من قبلهم
ولو ذكرت المسئلة فى باب فعل النبى صلى الله عليه وسلم وتقريره
او مع الادلة المختلف فيها مثل شرع من قبلنا ومذهب الصحابى
والاستصحاب لكان اليق بها والله الموفق ثم كان من بعد
مالك بن انس محمد بن ادريس المطلبى الشافعى رضى الله عنه
رحل الى العراق من بعد مالك ولقى اصحاب الامام ابى حنيفه
واخذ عنهم ومزج طريقة اهل الحجاز بطريق اهل العراق

ولقي

واختص بمذهب وخالف مالك رحمه الله فى كثير من مذهبه
وجا من بعدهما احمد بن حنبل وكان من علية المحدثين
وقرا اصحابه على اصحاب ابى حنيفه مع وفور بضاعتهم
من الحديث فاختصوا بمذهب اخر ووقف التقليد فى الامصار
عند هولاء الاربعه ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس
باب الخلاف وطرقه لما كثر من شعب الاصطلاحات فى العلوم
ولما عاق عن الاصول الى رتبة الاجتهاد ولما خشى من اسناد
ذلك الى غير اهله ومن لا يوثق به برأيه ولا بدينه فصرحوا
بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليد هولاء كل ومن اختص
به من المقلدين وحظروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من
التلاعب ولم يبق الا نقل مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب
من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية
لا محصول اليوم للفقه غير هذا ومدعى الاجتهاد لهذا العهد
مردود منكوص على عقبه مهجور تقليده وصار اهل الاسلام
اليوم على تقليد هولاء الاربعة فاما ابن حنبل فمقلده قليل
واكثرهم بالشام والعراق ونواحيهما وهم اكثر الناس حفظا
للسنة ورواية الحديث وميلا بالاستنباط اليه عن القياس
ما امكن وكان لهم ببغداد صولة وكثرة حتى كانوا يتواقعون
مع الشيعة فى نواحيها وعظمت الفتنة ببغداد من اجل ذلك
ثم انقطع ذلك عند استيلاء الططر عليها ولم يراجع وصارت
كثرتهم بالشام واما ابو حنيفة فمقلده اليوم اهل العراق ومسلمة
الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلهم لما كان مذهبه
اخص بالعراق ودار الاسلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من
بنى العباس فكثرت توآليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت
مناحيهم فى الخلافيات وجاؤا منها بعلم مستطرف وانظار غريبة
وهى بين ايدى الناس وبالمغرب منها شى قليل نقله اليه القاضى
ابن العربى وابو الوليد الباجى فى رحلتهما واما الامام الشافعى

فقلدوه بمصر اكثر مما سواها وقد كان انتشر مذهبه بالعراق
وخراسان وماوراالنهر وقاسموا الحنفية الفتوى والتدريس
في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشحنت
كتب الخلافيات بانواع استدلالاتهم ثم درس ذلك كله
بدروس المشرق واقطاره وكان الامام محمد بن ادريس الشافعي
لما نزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة منهم وكان
من تلميذه بها البويطي والمزني وغيرهم وكان بها من
المالكية جماعة من بني عبد الحكم واشهب وابن القاسم وابن
المواز وغيرهم ثم الحرث بن مسكين وبنوه ثم القاضي
ابو اسحق بن شعبان واصحابه ثم انقرض فقه اهل السنة
والجماعة من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه
اهل البيت وكاد من سواهم ان يتلاشوا ويذهبوا وارتحل
اليها القاضي عبد الوهاب من بغداد اخر المائة الرابعة على
ما علم من الحاجة والتقلب في المعاش فتأذن خلفاء العبيديين
باكرامه واظهار فضله بغيا على بني العباس في اطراح مثل هذا
الامام والاغتباط به فنفقت سوق المالكية بمصر قليلا الى
ان انقرضت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين
بن ايوب فذهب منها فقه اهل البيت وعاد فقه الجماعة الى
الظهور بينهم وتوفر من ذلك فقه الشافعي واصحابه من
اهل العراق فعاد الى احسن ما كان ونفق سوقه وجلب كتاب
الرافعي منها الى الشام ومصر واشتهر فيهم محيي الدين النووي
من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين
بن عبد السلام ثم ابن الرفعه بمصر وتقي الدين بن دقيق العيد
ثم تقي الدين السبكي من بعدهما الى ان انتهى ذلك الى شيخ الاسلام
بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو كبير الشافعية
بها لابل كبير العلما من اهل العصر واما مالك فاختص مذهبه
بالمغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا

غيره الا في القليل لما ان رحلتهم غالبا كانت الى الحجاز وهو
منتهى سفرهم والمدينة دار العلم يومئذ ومنها خرج الى
العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الاخذ
عن علما المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخه
من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه اهل الاندلس والمغرب
وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته وايضا فالبداوة
كانت غالبة على اهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون
الحضارة التي لاهل العراق فكانوا لاهل الحجاز اميل لمناسبة
البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم غضا ولم تاخذه
تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب ولما
صار مذهب كل امام علما مخصوصا عند اهل مذهبه ولم يكن
لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الالحاق
وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المتقررة
من مذهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة
يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير والتفرقة واتباع
مذهب امامهم فيها ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم الفقه
لهذا العهد واهل المغرب جميعا مقلدون لمالك رضي الله عنه
وقد كان تلميذه افترقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم
القاضي اسمعيل وطبقته مثل ابن خويزمنداد وابن المنتاب
والقاضي ابو بكر الابهري والقاضي ابو الحسن بن القصار
والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم
واشهب وابن عبد الحكم والحرث بن مسكين وطبقتهم ورحل
من الاندلس يحيى بن يحيى الليثي ولقي مالكا وروى عنه
كتاب الموطا وكان من جملة اصحابه ورحل بعده عبد الملك بن
حبيب فاخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك
بالاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتبي من تلامذته
كتاب العتبيه ورحل من افريقيه اسد بن الفرات فكتب عن

اصحاب ابي حنيفه اولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب
عن ابي القاسم في سائر ابواب الفقه وجا الى القيروان بكتابه
وسمي الاسديه نسبة الى اسد بن الفرات فقراها سحنون
على اسد ثم ارتحل الى المشرق ولقي ابن القسم واخذ
عنه وعارضه بمسائل الاسديه فرجع عن كثير منها وكتب
سحنون مسائله ودونها واثبت مارجع عنه منها وكتب
معه ابن القاسم الى اسد ان يحو من اسديته مارجع عنه
وان ياخذ بكتاب سحنون فانف من ذلك فترك الناس
كتابه واتبعوا مدونة سحنون على ماكان فيها من اختلاط
المسائل في الابواب فكانت تسمى المدونة والمختلطه وعكف
اهل القيروان على هذه المدونة واهل الاندلس على العتبيه
والواضحة ثم اختصر ابن ابي زيد المدونة والمختلطه في كتابه
المسمى بالمختصر ولخصه ايضا ابو سعيد البراذعي من فقهاء
القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده المشيخه
من اهل افريقيه واخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد
اهل الاندلس كتاب العتبيه وهجروا الواضحة وما سواها
ولم يزل علما المذهب يتعاهدون هذه الامهات بالشرح
والايضاح والجمع فكتب اهل افريقية على المدونة ماشاء الله
ان يكتبوه مثل ابن يونس واللخمي وابن محرز والتونسي
وابن بشير وامثالهم وكتب اهل الاندلس على العتبيه
ماشاء الله تعالى ان يكتبوه مثل ابن رشد وامثاله وجمع
ابن ابي زيد جميع ما في الامهات من الخلاف والمسائل
والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع اقوال المذهب
وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه
في كتابه على المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الافقين
الى انقراض دوله قرطبة والقيروان ثم تمسك بهما اهل المغرب
بعد ذلك وتميزت للمذهب المالكي ثلث طرق للقرويين

وكبيرهم

وكبيرهم سحنون الآخذ عن ابن القاسم وللقرطبين وكبيرهم
ابن حبيب الاخذ عن مالك ومطرف وابن الماجشون
واصبغ وللعراقيين وكبيرهم القاضي اسمعيل واصحابه وكانت
طريقة المصريين تابعة للعراقيين وان القاضي عبد الوهاب
انتقل اليها من بغداد اخر المائة الرابعة واخذ اهلها عنه
وكانت الطريقة المالكية بمصر من لدن الحرث بن مسكين
وابن ميسر وابن اللهيب وابن رشيق وكانت خافية بسبب
ظهور الرافضة وفقه اهل البيت واما طريقه العراقيين فكانت
مهجوره عند اهل القيروان والاندلس لبعدها عنهم وخفا
مداركها وقلة اطلاعهم على ماخذهم فيها والقوم اهل
اجتهاد وان كانا خاصا لايرون التقليد ولا يرضونه طريقا
وكذلك تجد اهل المغرب والاندلس لاياخذون براى
العراقيين فيما لايجدون فيه رواية عن الامام او احد من
اصحابه ثم امتزجت الطرق بعد ذلك ورحل ابو بكر الطرطوشي
من الاندلس في المائة السادسة ونزل البيت المقدس واوطنه
واخذ عنه اهل مصر والاسكندرية ومزجوا طريقة الاندلسية
بطريقتهم المصرية وكان من اجلة اصحابه الفقيه سند صاحب
الطراز واصحابه واخذ عنهم جماعة كان منهم بنو عوف
واصحابهم واخذ عنهم ابو عمرو ابن الحاجب وبعده شهاب
الدين القرافي واتصل ذلك في تلك الاعصار وكان فقه
الشافعية ايضا قد انقرض بمصر منذ دولة العبيديين اهل
البيت فظهر بعدهم في الفقها الذين جددوه الرافعي فقيه
خراسان منهم وظهر بالشام محيي الدين النووي من تلك
الحلبة ثم امتزجت طريقة المغاربة من المالكية ايضا بطريقة
العراقيين من لدن الشرمساحي كان بالاسكندرية ظاهرا
في الطريقة المغربية والمصرية فبنى المستنصر العباسي ابو
المستعصم وابن الظاهر مدرسة ببغداد واستدعاه لها

من خلفا آل العبيديين الذين كانوا يومئذ بالقاهرة فاذنوا له
فى الرحيل اليه فلما قدم بغداد ولاه تدريس المستنصرية
واقام هنالك الى ان استولى هولاكو على بغداد سنة ست
وخمسين من المائة السابعة وخلص من بيار تلك النكبة
وخلا سبيله فعاش هنالك الى ان مات فى ايام ابنه احمد
ابغا وتلخصت طرق هولاء المصريين ممتزجة بطرق المغاربة
كما ذكرناه فى مختصر ابى عمرو ابن الحاجب يذكر فقه الباب
فى مسائله المتفرقة ويذكر الاقوال فى كل مسئلة على تعدادها
فجا كالبرنامج للمذهب ولما ظهر بالمغرب اخر المائة السابعة
عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصا اهل بجاية
لما كان كبير مشيختهم ابو على ناصر الدين الزواوى هو الذى
جلبه الى المغرب فانه كان قرا على اصحابه بمصر ونسخ مختصره
ذلك وجاء به فانتشر بقطر بجاية فى تلميذه ومنهم انتقل
الى سائر امصار المغرب وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد
يتداولون قراءته ويتدارسونه لما يوثر عن الشيخ ناصر
الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن
عبد السلام وابن رشد وابن هرون وكلهم من مشيخة اهل
تونس وسابق اهل حلبتهم فى الاجادة فى ذلك ابن عبد السلام
وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب فى دروسهم والله
يهدى من يشا **واما علم الفرائض** وهو معرفة فروض
الوراثة وتصحيح سهام الفريضة من كم تصح باعتبار فروضها
الاصول او مناسختها وذلك اذا هلك احد الورثة وانكسرت
سهامه على فروض ورثته فانه حينئذ يحتاج الى حسبان
يصحح الفريضة الاولى حتى يصل اهل الفروض جميعا فى الفريضتين
الى فروضهم من غير تجزية وقد تكون هذه المناسخات اكثر
من واحد واثنين ويتعدد كذلك بعدد اكثر وبقدر ما
تتعدد يحتاج الى الحسبان وكذا اذا كانت الفريضة ذات

البرنامج الورقة الجامعة للحساب معرب برنامه

وجهين

وجهين مثل ان يقر بعض الورثة بوارث وينكره الاخر
فيصحح على الوجهين حينئذ وتنظر مبلغ السهام ثم تقسم
التركة على نسب سهام الورثة من اصل الفريضة وكل ذلك
محتاج الى الحسبان فافرد واهذا الباب من ابواب الفقه
لما اجتمع فيه الى الفقه من الحسبان وكان غالبا فيه وجعلوه فنا
منفردا وللناس فيه تواليف كثيرة اشهرها عند المالكية
من متاخرى الاندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضى
ابو القسم الحوفى ثم الجعدى ومن متاخرى افريقية ابن
المنمر الطرابلسى وامثالهم واما الشافعية والحنفية والحنابلة
فلهم فيه تواليف كثيرة واعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم باتساع
الذرع فى الفقه والحساب وخصوصا ابو المعالى رحمه الله
وامثاله من اهل المذهب وهو فن شريف لجمعه بين المعقول
والمنقول والوصول به الى الحقوق فى الوراثات عندما تجهل
الحظوظ وتشكل على القاسمين بوجوه صحيحة يقينية
وللعلما من اهل الامصار بها عناية ومن المصنفين من
يجنح فيها الى الغلو فى الحساب وفرض المسائل التى يحتاج
فى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة
والتصرف فى الجذور وامثال ذلك فيملؤن بها تواليفهم
وهو وان لم يكن متداولا بين الناس ولا يفيد فيما يتداولونه
من وراثاتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران
وتحصيل الملكة فى المتداول على اكمل الوجوه وقد يحتج الاكثر
من اهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن ابى هريرة
ان الفرائض ثلث العلم وانها اول ما ينسى وفى رواية نصف
العلم خرجه ابو نعيم الحافظ واحتج به اهل الفرائض بنا على
ان المراد بالفرائض فروض الوراثة والذى يظهر ان هذا المحمل
بعيد وان المراد بالفرائض انما هى الفروض التكليفية فى العبادات
والعادات والمواريث وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصفية

نسخ المهر

والثلثيه واما فروض الوراثة فهى اقل من ذلك كله بالنسبة الى علوم الشريعة كلها ويعين هذا المراد ان حمل لفظ الفرايض على هذا الفن المخصوص او تخصيصه بفروض الوراثة انما هو اصطلاح ناشى للفقها عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر الاسلام يطلق هذا اللفظ الا على عمومه مشتق من الفرض الذى هو لغة التقدير او القطع وما كان المراد فى اطلاقه الا جميع الفروض كما قلناه وهو حقيقته الشرعية فلا ينبغى ان يحمل الا على ما كان يحمل فى عصرهم فهو الاليق بمرادهم منه والله اعلم

اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات

اعلم ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعيه واجلها قدرا واكثرها فائده وهو النظر فى الادلة الشرعيه من حيث توخذ منها الاحكام والتكاليف واصول الادلة الشرعيه هى الكتاب الذى هو القران ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كانت الاحكام تتلقى منه بما يوحى اليه من القران ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهى لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله عليه تعذر الخطاب الشفاهى وانحفظ القران بالتواتر واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله عليهم على وجوب العمل بما يصل الينا منها قولا او فعلا بالنقل الصحيح الذى يغلب على الظن صدقه وتعينت دلالة الشرع فى الكتاب والسنه بهذا الاعتبار ثم تنزل الاجماع منزلتهما لاجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ولا يكون مثل ذلك الا عن مستند لان مثلهم لا يتفقون عن غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلا ثابتا فى الشرعيات ثم نظرنا فى طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقايسون الاشباه بالاشباه ويناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم

بعضهم

بعضهم لبعض فى ذلك فان كثيرا من الواقعات بعده صلوات الله عليه لم تندرج فى النصوص الثابتة فقايسوها بما ثبت والحقوها بما نص عليه بشروط فى ذلك الالحاق يصحح تلك المساواة بين الشبيهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله فيهما واحد وصار ذلك دليلا شرعيا باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الادلة واتفق جمهور العلماء على ان هذه هى اصول الادلة وان خالف بعضهم فى الاجماع والقياس الا انه شذوذ والحق بعضهم بهذه الادلة الاربعة ادلة اخرى لا حاجة بنا الى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول بها فكان من اول مباحث هذا الفن النظر فى كون هذه ادلة فاما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة فى متنه والتواتر فى نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال واما السنة وما نقل الينا منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قدمناه معتضدا بما كان عليه العمل فى حياته صلى الله عليه وسلم من انفاذ الكتب والرسل الى النواحى بالاحكام والشرايع امرا ونهيا واما الاجماع فلاتفاقهم رضوان الله عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة واما القياس فباجماع الصحابة رضوان الله عليهم عليه كما قدمنا هذه اصول الادلة ثم ان المنقول من السنه يحتاج الى تصحيح الخبر بالنظر فى طرق النقل وعدالة الناقلين لتميز الحالة المحصلة للظن بصدقه التى هى مناط وجوب العمل بالخبر وهذه ايضا من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منها ومعرفه الناسخ والمنسوخ وهى من فصوله ايضا وابوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر فى دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعانى على الاطلاق (من تراكيب الكلام على الاطلاق) تتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية فى ذلك هى علوم النحو والتصريف

والبيان وحين كان اللسان ملكة لاهله لم تكن هذه علوما
ولا قوانين ولم تكن الفقه حينئذ يحتاج اليها لانها جبلية
وملكية فلما انسدت الملكة فى لسان العرب قيدها الجهابذه
المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة
وصارت علوما يحتاج اليها الفقيه فى معرفة احكام الله تعالى ثم
ان هنا استفاده اخرى خاصة من تراكيب الكلام وهى استفادة
الاحكام الشرعية بين المعانى من ادلتها الخاصة بين تراكيب
الكلام وهو الفقه ولا يكفى فيه معرفة الدلالات الوضعية
على الاطلاق بل لا بد من معرفة امور اخرى يتوقف عليها
تلك الدلالة الخاصة وبها تستفاد الاحكام بحسب ما اصل
اهل الشرع وجهابذه العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه
الاستفاده مثل ان اللغة لا تثبت قياسا والمشترك لا يراد
به معنياه معا والواو لا تقتضى الترتيب والعام اذا اخرجت
افراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والامر للوجوب او الندب
وللفور او التراخى والنهى يقتضى الفساد او الصحة والمطلق
هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف فى التعدى اولا
وامثال ذلك فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من
مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر فى القياس من اعظم
قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس
ويماثل من الاحكام وتنقيح الوصف الذى يغلب على الظن
ان الحكم علق به فى الاصل من بين اوصاف ذلك المحل
ووجود ذلك الوصف فى الفرع من غير معارض يمنع من
ترتيب الحكم عليه الى مسائل اخرى من توابع ذلك كلها
قواعد لهذا الفن واعلم ان هذا الفن من الفنون المستحدثة
فى الملة وكان السلف فى غنية عنه بما ان استفادة المعانى
من الالفاظ لا يحتاج فيها الى ازيد مما عندهم من الملكة
اللسانية واما القوانين التى يحتاج اليها فى استفادة الاحكام

خصوصا

خصوصا فعنهم اخذ معظمها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون
الى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم فلما
انقرض السلف وذهب الصدر الاول وانقلبت العلوم كلها
صناعية كما قررناه من قبل احتاج الفقها والمجتهدون الى
تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة
فكتبوها فنا قائما برأسه سموه اصول الفقه وكان اول من كتب
فيه الشافعى رضى الله عنه املا فيه رسالته المشهوره تكلم
فيها فى الاوامر والنواهى والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة
المنصوصة من القياس ثم كتب الفقها الحنفية فيه وحققوا
تلك القواعد واوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون ايضا
كذلك الا ان كتابة الفقها فيها امس بالفقه واليق بالفروع لكثرة
الامثلة منها والشواهد وبنا المسائل فيها على النكت الفقهية
والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون
الى الاستدلال العقلى ما امكن لانه قالب فنونهم ومقتضى
غالب
طريقتهم فكان لفقها الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت
الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما امكن
وجا ابو زيد الدبوسى من ائمتهم فكتب فى القياس باوسع
من جميعهم وتمم الابحاث والشروط التى يحتاج اليها فيه
فكملت صناعة اصول الفقه بكماله وتهذبت مسائله وتمهدت
قواعده وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من احسن
ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفى
للغزالى وهما من الاشعرية وكتاب العمد لعبد الجبار وشرحه
المعتمد لابى الحسين البصرى وهما من المعتزلة وكانت الاربعة
قواعد هذا الفن واركانه ثم لخص هذه الكتب الاربعة فحلان
من المتكلمين المتاخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب
فى كتاب المحصول وسيف الدين الامدى فى كتاب الاحكام
واختلفت طرائقهما فى الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب

اميل الى الاستكثار من الادله والاحتجاج والآمدى مولع
بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل فاما كتاب المحصول فاختصر
تلميذ الامام مثل سراج الدين الارموى فى كتاب التحصيل وتاج
الدين الارموى فى كتاب الحاصل واقتطف شهاب الدين القرافى منهما
مقدمات وقواعد فى كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك
فعل البيضاوى فى كتاب المنهاج وعنى المبتدئون بهذين
الكتابين وشرحهما كثير من الناس واما كتاب الاحكام للآمدى
وهو اكثر تحقيقا فى المسائل فلخصه ابو عمرو بن الحاجب فى كتابه
المعروف بالمختصر الكبير ثم اختصره فى كتاب اخر تداوله طلبة
العلم وعنى اهل المشرق والمغرب بمطالعته وشرحه وحصل
زبدة طريقة المتكلمين فى هذا الفن فى هذه المختصرات واما
طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من احسن كتابة المتقدمين
فيها تواليف ابى زيد الدبوسى واحسن تواليف المتاخرين
تواليف سيف الاسلام البزدوى من ائمتهم وهو مستوعب
وجاء ابن الساعاتى من فقهاء الحنفيه فجمع بين كتاب الاحكام
وكتاب البزدوى فى الطريقتين وسمى كتابه بالبديع فجاء من
احسن الاوضاع وابدعها وائمة العلماء لهذا العهد يتداولونه
قراءة وبحثا وولع كثير من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك
لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته
وتعديد تواليفه المشهورة لهذا العهد والله ينفعنا بالعلم
ويجعلنا من اهله بمنه

واما الخلافيات

فاعلم ان هذا الفقه المستنبط من الادله الشرعيه كثر فيه
الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا
لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع ذلك فى المله اتساعا عظيما
وكان للمقلدين ان يقلدوا من شاءوا منهم ثم لما انتهى ذلك
الى الائمة الاربعة من علماء الامصار وكانوا بمكان
من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنع من تقليد

سواهم لذهاب الاجتهاد بصعوبته وتشعب العلوم التى هى
مواده باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوا هذه المذاهب
الاربعة فاقيمت هذه المذاهب الاربعة اصولا واجرى الخلاف
بين المتمسكين بها والآخذين باحكامها مجرى الخلاف فى النصوص
الشرعية والاصول الفقهية وجرت بينهم المناظرات فى تصحيح
كل منهم مذهب امامه يجرى على اصول صحيحه وطرايق قويمة
ويحتج بها كل على صحة مذهبه الذى قلده وتمسك به واجريت
فى مسائل الشريعه كلها وفى كل باب من ابواب الفقه فتارة
يكون الخلاف بين الشافعى ومالك وابو حنيفه يوافق احدهما
وتارة بين مالك وابى حنيفه والشافعى يوافق احدهما وتارة
بين الشافعى وابى حنيفة ومالك يوافق احدهما وكان فى هذه المناظرات
بيان ماخذ هولاء الائمه ومثارات اختلافهم ومواقع
اجتهادهم وكان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ولابد
لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها الى استنباط الاحكام
كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط
وصاحب الخلافيات يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل المستنبطه
من ان يهدمها المخالف بادلته وهو لعمرى علم جليل الفائدة
فى تعرف ماخذ الائمة وادلتهم وميزان المطالعين له على
الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه وتواليف الحنفيه
فيه والشافعيه اكثر من تواليف المالكيه لان القياس عند
الحنفيه اصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك
اهل النظر والبحث واما المالكيه فالاثر اكثر معتمدهم وليسوا
باهل نظر وايضا فاكثرهم اهل المغرب وهم بادية غفل
من الصنايع الا فى الاقل وللغزالى فيه كتاب المآخذ ولابى
بكر بن العربى من المالكيه كتاب التلخيص جلبه من المشرق
ولابى زيد الدبوسى كتاب التعليقه ولابن القصار من شيوخ
المالكيه عيون الادله وقد جمع ابن الساعاتى فى مختصره

في اصول الفقه جميع ما يتبنى عليها من الفقه الخلاف في مدرجا في كل مسئلة منه ما ينبنى عليها من الخلافيات **واما الجدل** وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب مرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطاء فاحتاج الائمة ان يضعوا ادابا واحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف يكون مخصوما منقطعا ومحل اعتراضه او معارضته واين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والاداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ راى وهدمه كان ذلك الراى من الفقه اوغيره وهي طريقتان طريقة البزدوى وهي خاصة بالادلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهي عامة في كل دليل يستدل به من اى علم كان واكثره استدلال وهو من المناحي الحسنة والمغالطات فيه في نفس الامر كثيرة واذا اعتبر بالنظر المنطقى كان في الغالب اشبه بالقياس المغالطى والسوفسطائى الا ان صور الادلة والاقيسة فيه محفوظة مراعاة يتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغى وهذا العميدى هو اول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه ووضع كتابه المسمى بالارشاد مختصرا وتبعه من بعده من المتاخرين كالنسفى وغيره جاوا على اثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التواليف وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الامصار الاسلامية وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية والله غالب على امره **علم الكلام**

وهو علم يتضمن الحجاج عن العقايد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين عن الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقايد الايمانية هو التوحيد فلنقدم هنا لطيفة في برهان عقلى يكشف لنا عن التوحيد على اقرب الطرق والمآخذ ثم نرجع الى تحقيق علم الكلام وفيما ننظر ونشير الى سبب حدوثه في الملة وما دعا الى وضعه فنقول اعلم ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او الافعال البشرية او الحيوانية فلابد لها من اسباب بهذا المعنى متقدمة عليه بها يقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من تلك الاسباب حادث ايضا فلابد له من اسباب اخرى ولا تزال تلك الاسباب مترقية حتى تنتهى الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها لا اله الا هو سبحانه وتلك الاسباب في ارتقايها تتضاعف فتتفسح طولا وعرضا ويحار العقل في ادراكها وتعديدها فاذن لا يحصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد القصود والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه والقصود والارادات امور نفسانية ناشية في الغالب عن تصورات سابقة يتلوا بعضها بعضا وتلك التصورات هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات اخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات فمجهول سببه اذ لا يطلع احد على مبادى الامور النفسانية ولا على ترتيبها انما هي اشيا يلقيها الله في الفكر يتبع بعضها بعضا والانسان عاجز عن معرفة مباديها وغاياتها وانما يحيط علما في الغالب بالاسباب التي هي طبيعية ظاهرة وتقع في مداركنا على نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها واما التصورات فنطاقها اوسع من النفس لانها

للعقل الذى هو فوق طور النفس فلا تكاد النفس تدرك
الكثير منها فضلا عن الاحاطه وتامل من ذلك حكمه
الشارع فى نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها
فانه وادٍ يهيم فيه الفكر ولا يخلو منه بطايل ولا يظفر
بحقيقته قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وربما انقطع
فى وقوعه عن الارتقا الى فوقه فزلّت قدمه واصبح فى
الضالين الهالكين نعوذ بالله من الحرمان والخسران
المبين ولا تحسبن ان هذا الوقوف او الرجوع فى قدرتك
او اختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من
الخوض فى الاسباب على نسبة لا نعلمها اذ لو علمناها
لتحرزنا منها فليتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة
وايضا فوجه تاثير هذه الاسباب فى الكثير من مسبباتها
مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة وقضية الاقتران
الشاهد بالاستناد فى الظاهر وحقيقه التاثير وكيفيته مجهوله
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلذلك امرنا بقطع النظر
عنها والغائها جمله والتوجه الى مسبب الاسباب كلها
وفاعلها وموجدها لترسخ صبغة التوحيد فى النفس على
ما علمنا الشارع الذى هو اعرف بمصالح ديننا وطرق
سعادتنا لاطلاعه على ما ورا الحس قال صلى الله عليه وسلم
من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنه فان وقف عند
تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سبح
فى بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتاثيراتها واحدا
بعد واحد فانا الضامن له الا يعود الا بالخيبة فلذلك
نهانا الشارع عن النظر الى الاسباب وامرنا بالتوحيد
المطلق قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من انه مقتدر
على الاحاطه بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود

كله وسفه رايه فى ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك
فى بادى رايه انه منحصر فى مداركه لا يعدوها والامر فى
نفسه بخلاف ذلك والحق من ورايه الا ترى الاصم كيف
ينحصر الوجود عنده فى المحسوسات الاربع والمعقولات
ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات وكذلك الاعمى
الاكمه ايضا يسقط من الوجود عنده صنف المرئيات ولو
لا ما يردهم الى ذلك تقليد الابا والمشيخه من اهل
عصرهم والكافة لما اقروا به لكنهم يتبعون الكافة فى
اثبات هذه الاصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة ادراكهم
ولو سيل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه منكرا صنف
المعقولات وساقطة لديه بالكليه واذا علمت ذلك
فلعل هناك ضربا من الادراك غير مدركاتنا لان ادراكاتنا
مخلوقه محدثة وخلق الله اكبر من خلق الناس والحصر
مجهول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم
محيط فاتهم ادراكك ومدركاتك فى الحصر واتبع
ما امرك الشارع به فى اعتقادك وعملك فهو احرص على
سعادتك واعلم بما ينفعك لانه من طور فوق ادراكك
ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح
فى العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح واحكامه يقينية
لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان تزن به امور التوحيد
والاخرة وحقيقه النبوة وحقايق الصفات الالهية وكل
ما ورا طوره فان ذلك طمع فى محال ومثال ذلك مثال
رجل راى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع ان يزن
به الجبال وهذا لا يدل على ان الميزان فى احكامه غير صادق
لكن للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون
له ان يحيط بالله وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود
الحاصل منه وتفطن من هذا لغلط من يقدم العقل

على السمع فى امثال هذه القضايا وتصور فهمه واضمحلال
رايه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فلعل
الاسباب انا تجاوزت فى الارتقا نطاق ادراكنا ووجودنا
خرجت عن ان تكون مدركة فيضل العقل فى بيدا الاوهام
ويحار وينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب
وكيفيات تاثيراتها وتفويض ذلك الى خالقها المحيط بها
اذ لا فاعل غيره وكلها ترتقى اليه وترجع الى قدرته وعلمنا
به انما هو من حيث صدورنا عنه لا غير وهذا هو معنى
ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك
ثم ان المعتبر فى هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذى
هو تصديق حكمى فان ذلك من حديث النفس وانما الكمال
فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس كما ان المطلوب من
الاعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعة والانقياد
وتفريغ القلب من شواغل ما سوى المعبود حتى ينقلب المريد
السالك ربانيا والفرق بين الحال والعلم فى العقايد فرق
ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثيرا من الناس
يعلم ان رحمة اليتيم والمسكين قربة الى الله تعالى مندوب
اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ماخذه من الشريعة
وهو لو راى يتيما او مسكينا من ابناء المستضعفين لفر
عنه واستنكف ان يباشره فضلا عن التمسح عليه للرحمة
وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة
فهذا انما يحصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل
له مقام الحال والاتصاف ومن الناس من يحصل له مع
مقام العلم والاعتراف بان رحمة المسكين قربة الى الله
مقام اخر اعلى من الاول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول
ملكتها فمتى راى يتيما او مسكينا بادر اليه ومسح عليه والتمس
الثواب فى الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ولو دفع عنه

ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد
مع اتصافك به والعلم حاصل عن الاتصاف ضرورة وهو
اوثق مبنى من العلم الحاصل قبل الاتصاف وليس الاتصاف
بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة
فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق ويجى العلم الثانى
النافع فى الاخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف قليل
الجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظار والمطلوب انما هو العلم
الحالى الناشى عن العبادة واعلم ان الكمال عند الشارع فى كل ما كلف
به انما هو فى هذا فما طلب اعتقاده فالكمال فيه العلم الثانى
الحاصل عن الاتصاف وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها
فى حصول الاتصاف والتحقق بها ثم ان الاقبال على العبادات
والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله
عليه وسلم فى راس العبادات جعلت قرة عينى فى الصلوة فان
الصلوة صارت له صفة وحالا يجد فيها منتهى لذته وقرة عينه
واين هذه من صلاة الناس ومن لهم بها فويل للمصلين الذين
هم عن صلاتهم ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين امين فقد
تبين لك من جميع ما قررناه ان المطلوب فى التكاليف كلها
حصول ملكة راسخة فى النفس ينشا عنها علم اضطرارى للنفس
هو التوحيد وهو العقيده الايمانية وهو الذى تحصل به السعادة
وان ذلك سواء فى التكاليف القلبية او البدنية وتتفهم منه ان
الايمان الذى هو اصل التكاليف كلها وينبوعها هو بهذه المثابة
وانه ذو مراتب اولها التصديق القلبى الموافق للسان واعلاها
حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبى وما يتبعه من العمل
مستولية على القلب فتستتبع الجوارح وتندرج فى طاعتها
جميع التصرفات حتى تنخرط الافعال كلها فى طاعة ذلك التصديق
الايمانى وهذا ارفع مراتب الايمان وهو الايمان الكامل الذى

لا يفارق المومن معه كبيرة ولا صغيرة اذ حصول الملكة ورسوخها
مانع من الانحراف عن مناهجها طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم
لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن وفى حديث هرقل لما سئل
اباسفين بن حرب عن النبى صلى الله عليه وسلم واحواله فقال
فى اصحابه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه
قال لا قال وكذلك الايمان حين تخالط بشاشة القلوب ومعنا
ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس مخالفتها شان
الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الجبلة والفطرة وهذه
هى الرتبة العالية من الايمان وهى فى الرتبة الثانية من العصمة
لان العصمة واجبة للانبيا عليهم السلام وجوبا سابقا وهذه
حاصلة للمومنين حصولا تابعا لاعمالهم وتصديقهم فبهذه الملكة
ورسوخها يقع التفاوت فى الايمان الذى يتلى عليك من اقاويل السلف
وفى تراجم البخارى فى باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول
وعمل وانه يزيد وينقص وان الصلوة والصيام من الايمان
وان تطوع رمضان من الايمان والحيا من الايمان والمراد
بهذا كله الايمان الكامل الذى اشرنا اليه والى حصول ملكته
وهو فعلى واما التصديق الذى هو اول مراتبه فلا تفاوت
فيه فمن اعتبر اوائل الاسما وحمله على التصديق منع من التفاوت
كما قال ائمة المتكلمين ومن اعتبر اواخر الاسما وحمله على هذه
الملكة التى هى الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس ذلك
بقادح فى اتحاد حقيقته الاولى التى هى التصديق اذ التصديق موجود
فى جميع رتبه لانه اول ما يطلق عليه اسم الايمان وهو المخلص
من عهدة الكفر والفيصل بين الكافر والمومن فلا يجزئ اقل منه
وهو فى نفسه حقيقة واحدة لا تفاوت وانما التفاوت فى الحال
الحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهمه واعلم ان الشارع وصف
لنا هذا الايمان الذى فى الرتبة الاولى الذى هو تصديق وعين
امورا مخصوصة كلفنا التصديق بها بقلوبنا واعتقادها فى انفسنا

لا يقاد د لعله

وانشراح النفس والانقال والمحبة وجميع البدن

مع

مع الاقرار بها بالسنتنا وهى العقايد التى تقررت فى الدين قال
صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال ان تومن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره
وشره وهذه هى العقايد الايمانية المقررة فى علم الكلام
ولنشر اليها مجملة ليتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوثه
فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا الخالق الذى رد
الافعال كلها اليه وافرده بها كما قدمناه وعرفناه ان فى هذا
نجاتنا اذا حضرنا عند الموت لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق
المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكلفنا
اولا اعتقاد تنزيهه فى ذاته عن مشابهة المخلوقين والا لما صح انه
خالق لهم لعدم الفارق على ذلك التقدير ثم تنزيهه عن صفات
النقص والا لشابه المخلوقين ثم توحيده بالالوهية والا لم يتم
الخلق للتمانع ثم اعتقاد انه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شاهد
قضية لكمال الايجاد والخلق ومريد والا لم يتخصص شى من المخلوقات
ومقدر لكل كائن والا فالارادة حادثة وانه يعيدنا بعد الموت
تكميلا لعنايته بالايجاد الاول ولو كان للفنا الصرف كان عبثا
فهو للبقا السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة
من شقا هذا المعاد لاختلاف احواله بالشقا والسعادة وعدم
معرفتنا بذلك وتمام لطفه بنا فى الابنا بذلك وبيان الطريقين
وان الجنة للنعيم وجهنم للعذاب فهذه امهات العقايد الايمانية
معللة بادلتها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثير وعن
تلك الادلة اخذها السلف وارشدنا اليها العلما وحققها
الائمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف فى تفاصيل هذه العقايد
اكثر مثارها من الاى المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر
والاستدلال بالعقل زيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام
ولنبين لك تفصيل هذا المجمل وذلك ان القران ورد فيه
وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تاويل

الايمان ٢

فى اى كثيرة وهى سلوب كلها وصريحة فى بابها فوجب الايمان
بها ووقع فى كلام الشارع صلوات الله عليه وسلامه وكلام
الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت فى القران
اى اخر قليلة توهم التشبيه مرةً فى الذات واخرى فى الصفات
واما السلف فغلبوا ادلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها
وعلموا استحالة التشبيه وقضوا بان الايات من كلام الله
فامنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تاويل وهذا معنى
قول الكثير منهم امروها كما جاءت اى امنوا بانها من عند الله
ولا تتعرضوا لتاويلها ولا تفسيرها لجواز ان تكون ابتلاءً فيجب
الوقف والاذعان له وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه
من الايات ففريق شبهوا فى الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه
عملا بظواهر وردت بذلك فوقعوا فى التجسيم الصريح ومخالفة
اى التنزيه لان معقولية الجسم تقتضى النقص والافتقار وتغليب
ايات السلوب فى التنزيه المطلق التى هى اكثر موارد واوضح
دلالة اولى من التعلق بظواهر هذه التى لنا غنية عنها
وجمع بين الدليلين بتاويلها ثم يفرون من شناعة ذلك
بقولهم جسم لا كالاجسام وليس ذلك يدافع عنهم لانه
قول متناقض وجمع بين نفى واثبات وان كانا لمعقولية
واحدة من الجسم وان خالفا بينهما ونفيا المعقولية المتعارفة
فقد وافقونا فى التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسما
من اسمائه ويتوقف مثله على الاذن وفريق منهم ذهبوا
الى التشبيه فى الصفات كاثبات الجهة والاستواء والنزول
والصوت والحرف وامثال ذلك وال قولهم الى التجسيم فنزعوا
مثل الاولين الى قولهم صوت لا كالاصوات جهة لا كالجهات
نزول لا كالنزول يعنون من الاجسام واندفع ذلك بما دفع
الاول ولم يبق فى هذه الظواهر الا اعتقادات السلف ومذاهبهم
والايمان بها كما هى لئلا يكر النفى لمعانيها على نفيها مع انها

صحيحة

صحيحة ثابتة من القران والى هذا انظر ما تراه فى عقيدة الرسالة
لابن ابى زيد وكتاب المختصر له وفى كتب الحافظ ابن عبد البر
وغيرهم فانهم يحومون على هذا المعنى ولا تغمض عينيك عن القراين
الدالة على ذلك فى غضون كلامهم ثم لما كثرت العلوم
والصنايع وولع الناس بالتدوين والبحث فى سائر الانحاء
والف المتكلمون فى التنزيه حدثت بدعة المعتزلة فى تعميم
هذا التنزيه فى اى السلوب فقضوا بنفى صفات المعانى من
العلم والقدرة والارادة والحياة زايدة على احكامها لما
يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات
ليست نفس الذات ولا غيرها وقضوا بنفى صفة الارادة فلزمهم
نفى القدر لان معناه سبق الارادة للكاينات وقضوا بنفى
السمع والبصر لكونهما من عوارض الاجسام وهو مردود
بعدم اشتراط البنية فى مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك
للمسموع والمبصر وقضوا بنفى الكلام لشبه ما فى السمع والبصر
ولم يعقلوا صفة الكلام التى تقوم بالنفس فقضوا بان القران
مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة
ولقنها بعض الخلفاء عن بعض ائمتهم فحمل عليها الناس وخالفهم
ائمة الدين فاستباح بخلافهم ابشار كثير منهم ودماءهم وكان
ذلك سببا لانتهاض اهل السنة بالادلة العقلية على هذه
العقايد دفعا فى صدور هذه البدع وقام بذلك الشيخ
ابو الحسن الاشعرى امام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفى
التشبيه واثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره
عليه السلف وشهدت له الادلة المخصصة لعمومه فاثبت
الصفات الاربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القايم بالنفس
بطرق العقل والنقل والرد على المبتدعة فى ذلك كله وتكلم
معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والاصلح
والتحسين والتقبيح وكمل العقايد فى البعثة واحوال المعاد

والغضن ويحرك كل تثن فى ثوب او جلد او درع وجمع غضون قاموس

البشر القشر كالابشار واحفاء الشارب حتى تظهر البشرة قاموس

والجنه والنار والثواب والعقاب ولحق بذلك الكلام في الامامة
لما ظهر حينئذ من بدعة الامامية في قولهم انها من عقايد
الايمان وانها يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة
فيها لمن هي له وكذلك على الامة وقصارى الامر في الامامة
انها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقايد فلذلك
الحقوها بمسائل هذا الفن وسموا مجموعه علم الكلام اما
لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست
براجعة الى عمل واما لان سبب وضعه والخوض فيه هو
تنازعهم في اثبات الكلام النفساني وكثر اتباع الشيخ ابي
الحسن الاشعري واقتفى طريقته من بعده تلميذه كابن مجاهد
وغيره واخذ عنهم القاضي ابو بكر الباقلاني فتصدر للامامة
في طريقتهم وهذبها ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف
عليها الادلة والانظار في ذلك مثل اثبات الجوهر الفرد
والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وانه لا يبقى زمنين
وامثال ذلك مما تتوقف عليه ادلتهم وجعل هذه القواعد
تبعا للعقايد الايمانية في وجوب اعتقادها لتوقف تلك
الادلة عليها وان بطلان الدليل يوذن ببطلان المدلول
فكملت هذه الطريقة وجاءت من احسن الفنون النظرية
والعلوم الدينية الا ان صور الادلة فيها بعض الاحيان على
غير الوجه الصناعي لسذاجة القوم ولان صناعة المنطق
التي تسبر بها الادلة وتعتبر بها الاقيسة لم تكن حينئذ ظاهرة
ولو ظهر منها بعض الشي لم ياخذ بها المتكلمون لملابستها
للعلوم الفلسفية المباينة لعقايد الشرع بالجملة فكانت عندهم
مهجورة لذلك ثم جا بعد القاضي ابي بكر من ائمة الاشعرية
امام الحرمين ابو المعالي واملا في الطريقة كتاب الشامل
واوسع القول فيه ثم لخصه في كتاب الارشاد واتخذه الناس
اماما لعقايدهم ثم انتشر من بعد ذلك علم المنطق في الملة

وقرره

وقرره الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون
ومعيار للادلة فقط تسبر به الادلة منها كما تسبر من سواها
ثم نظروا في تلك القواعد المقدمات في فن الكلام للاقدمين
فخالفوا الكثير منها بالبراهين التي ادتهم الى ذلك وربما
ان كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات
والالهيات فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم الى ذلك
فيها ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار
اليه القاضي فصارت هذه الطريقة في مصطلحهم مباينة
للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتاخرين وربما ادخلوا فيها
الرد على الفلاسفة فيما يخالفون فيه من العقايد الايمانية
وجعلوهم من خصوم العقايد لتناسب الكثير من مذاهب
المبتدعة ومذاهبهم واول من كتب في طريقة الكلام
على هذا المنحى الغزالي وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة
قفوا اثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتاخرون من
بعدهم في مخالطة كتب الفلسفة والتبس عليهم شان الموضوع
في العلمين فحسبوه فيهما واحدا من اشتباه المسايل فيهما
واعلم ان المتكلمين لما كانوا يستدلون في اكثر احوالهم
بالكاينات واحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع
استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف
في الطبيعيات هو بعض من هذه الكاينات الا ان نظره فيها
مخالف لنظر المتكلم هو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن
والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر
الفيلسوف في الالهيات انما هو نظر في الوجود المطلق
وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الموجود من حيث يدل
على الموجد وبالجملة فموضوع علم الكلام عند اهله انما هو
العقايد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث
يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية فتدفع البدع وتزال

الشكوك والشبه عن تلك العقايد واذا تاملت حال الفن في حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقايد صحيحة ويستنهض الحجج والادلة علمت حينئذ صحة ما قررناه لك في موضوع الفن وانه لا يعدوه ولقد اختلطت الطريقتان عند هولاء المتاخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد الفنين من الاخر ولا يحصل طالبه عليه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تواليفهم الا ان هذه الطريقة قد يعنى بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والاغراق في معرفة الحجاج لوفور ذلك فيها واما محاذاة طريقة السلف بعقايد علم الكلام فانما هي الطريقة القديمة للمتكلمين واصلها كتاب الارشاد ومن حذا حذوه ومن اراد ادخال الرد على الفلاسفة في عقايده فعليه بكتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل ولا الالتباس في الموضوع ما في طريقة هولاء المتاخرين من بعدهم وعلى الجملة فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ الملحده والمبتدعة قد انقرضوا والايمة من اهل السنة كفونا شانهم فيما دونوا وكتبوا والادلة العقلية انما احتيج اليها لما دافعوا ونصروا واما الان فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن الكثير من ايهاماته واطلاقه ولقد سئل الجنيد عن قوم مر بهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال ما هولاء فقيل قوم ينزهون الله بالادلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدته في احاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبره اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجاج النظرية على عقايدها والله ولي المومنين

فصل في كشف الغطا عن المتشابه من الكتاب والسنه وما حدث لاجل ذلك من طوايف السنية والمبتدعه في الاعتقادات

اعلم ان الله سبحانه بعث الينا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعونا الى النجاة والفوز بالنعيم وانزل عليه كتابه الكريم باللسان العربي المبين يخاطبنا فيه بالتكاليف المفضية بنا الى ذلك وكان في خلال هذا الخطاب ومن ضروراته ذكر صفاته سبحانه واسمايه ليعرفنا بذاته وذكر الروح المتعلقة بنا وذكر الوحي والملايكة الوسايط بينه وبين رسله الينا وذكر لنا يوم البعث وانذاراته ولم يعين لنا الوقت في شي منها وثبت في هذا القران الكريم حروف من الهجا مقطعة في اوايل بعض سوره لا سبيل لنا الى فهم المراد بها وسمى هذه الانواع كلها من الكتاب متشابها وذم على اتباعها فقال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب وحمل العلما من سلف الصحابه والتابعين هذه الاية على ان المحكمات هي المبينات الثابتة الاحكام ولذلك قال الفقها في اصطلاحهم المحكم المتضح المعنى واما المتشابهات فلهم فيها عبارات فقيل هي التي تفتقر الى نظر وتفسير يصح معناها لتعارضها مع اية اخرى او مع العقل فتخفى دلالتها وتشتبه ولهذا قال ابن عباس المتشابه يومن به ولا يعمل به وقال مجاهد وعكرمه كل ما سوى ايات الاحكام والقصص متشابه وعليه القاضي ابو بكر وامام الحرمين وقال الثوري والشعبي وجماعة من علما السلف المتشابه ما لم يكن سبيل الى علمه كشروط الساعات واوقات الانذارات وحروف الهجا في اوايل السور وقوله في الاية هن ام الكتاب اي معظمه وغالبه

والمتشابه اقلّه وقد يرد الى المحكم ثم ذمّ المتبعين للمتشابه بالتاويل او بحملها على معانى لا تفهم منها فى لسان العرب الذى خوطبنا به وسماهم اهل زيغ اى ميل عن الحق من الكفار والزنادقة وجهلة اهل البدع وان فعلهم ذلك قصدا للفتنة التى هى الشرك او اللبس على المؤمنين او قصداً لتاويلها بما يشتهونه فيقتدون به فى بدعتهم ثم اخبر سبحانه بانه استأثر بتاويلها ولا يعلمه الا هو فقال وما يعلم تاويله الا الله ثم اثنى على العلماء بالايمان بها فقط فقال والراسخون فى العلم يقولون امنا به ولهذا جعل السلف والراسخون مستانفا ورجحوه على العطف لان الايمان بالغيب ابلغ فى الثنا ومع عطفه انما يكون ايمانا بالشاهد لانهم يعلمون التاويل حينئذ فلا يكون غيبا ويعضد ذلك قوله كل من عند ربنا ويدل على ان التاويل فيها غير معلوم للبشر ان الالفاظ اللغوية انما يفهم منها المعانى التى وضعها العرب لها فاذا استحال اسناد الخبر الى مخبر عند جهلنا مدلول الكلام حينئذ وان جاءنا من عند الله فوضنا علمه اليه ولا نشغل انفسنا بمدلول نلتمسه فلا سبيل لنا الى ذلك وقد قالت عائشة رضى الله عنها اذا رايتم الذين يجادلون فى القران فهم الذين عنى الله فاحذروهم هذا مذهب السلف فى الايات المتشابهة وجاء فى السنة الفاظ مثل ذلك محملها عندهم محمل الايات لان المتبع واحد واذا تقررت اصناف المتشابهات على ما قلناه فلنرجع الى اختلاف الناس فيها فاما ما يرجع منها على ما ذكروه الى الساعة واشراطها واوقات الانذارات وعدد الزبانية وامثال ذلك فليس هذا والله اعلم من المتشابه لانه لم يرد فيه لفظ محتمل ولا غيره وانما هى ازمنة لحادثة استأثر الله بعلمها بنصه فى كتابه وعلى لسان نبيه وقال انما علمها عند الله والعجب ممن عدها من المتشابه واما

الحروف

الحروف المقطعة اوائل السور فحقيقتها حروف الهجاء وليس ببعيد ان تكون مرادة وقد قال الزمخشرى فيها اشارة الى بعد الغاية فى الاعجاز لان القران المنزل مؤلف منها والبشر فيها سواء والتفاوت موجود فى دلالتها بعد التاليف وان عدل عن هذا الوجه الذى يتضمن الدلالة على الحقيقة فانما يكون بنقل صحيح كقولهم فى طه انه نداء من طاهر وهاد وامثال ذلك والنقل الصحيح متعذر فيجئ التشابه من هذا الوجه واما الوحى والملائكة والروح والجن فاشتباهها من خفاء دلالتها الحقيقية لانها غير متعارفة فجاء التشابه فيها من اجل ذلك وقد الحق بعض الناس بها كل ما فى معناها من احوال القيمة والجنة والنار والدجال والفتن والشروط وما هو بخلاف العوايد المالوفة وهو غير بعيد الا ان الجمهور لا يوافقونهم عليه وسيما المتكلمون فقد عينوا محاملها على ما تراه فى كتبهم ولم يبق من المتشابه الا الصفات التى وصف الله بها نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه مما يوهم ظاهره نقصا او تعجيزا وقد اختلف الناس فى هذه الظواهر من بعد السلف الذين قررنا مذهبهم وتنازعوا وتطرقت البدع الى العقايد فلنشر الى بيان مذاهبهم وايثار الصحيح منها على الفاسد فنقول وما توفيقى الا بالله اعلم ان الله سبحانه وصف نفسه فى كتابه بانه عالم قادر مريد حى سميع بصير متكلم جليل كريم جواد منعم عزيز عظيم وكذا اثبت لنفسه اليدين والعينين والوجه والقدم واللسان الى غير ذلك من الصفات فمنها ما يقتضى صحة الالوهية مثل العلم والقدرة والارادة ثم الحياة التى هى شرط جميعها ومنها ما هى صفة كمال كالسمع والبصر والكلام ومنها ما يوهم النقص كالاستوا والنزول والمجئ وكالوجه واليدين والعينين التى هى صفات المحدثات ثم اخبر الشارع انا نرى ربنا يوم القيمة كالقمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته

كما ثبت في الصحيح فاما السلف من الصحابه و التابعين فاثبتوا
له صفات الالوهيه و الكمال وفوضوا اليه ما يوهم النقص ساكتين
عن مدلوله ثم اختلف الناس من بعدهم وجا المعتزلة فاثبتوا
هذه الصفات احكاما ذهنية مجردة ولم يثبتوا صفة تقوم
بذاته وسموا ذلك توحيدا وجعلوا الانسان خالقا لافعاله
ولا تتعلق بها قدرة الله تعالى سيما الشرور والمعاصي منها اذ يمتنع
على الحكيم فعلها وجعلوا مراعات الاصلح للعباد واجبة عليه
وسموا ذلك عدلا بعد ان كانوا اولا يقولون بنفي القدر
وان الامر كله مستانف بعلم حادث وقدرة وارادة كذلك
كما ورد في الصحيح وان عبد الله بن عمر تبرأ من معبد الجهني
واصحابه القايلين بذلك وانتهى نفي القدر الى واصل بن عطا
الغزالي منهم تلميذ الحسن البصري لعهد عبد الملك بن مروان
ثم اخر المعمر السلمي ورجعوا عن القول به وكان منهم ابو
الهذيل العلاف وهو شيخ المعتزلة اخذ الطريقه عن عثمان
بن خالد الطويل عن واصل وكان من نفاة القدر واتبع
راي الفلاسفة في نفي الصفات الوجودية لظهور مذاهبهم
يومئذ ثم جا ابراهيم النظام وقال بالقدر واتبعوه وطالع
كتب الفلاسفة وشدد في نفي الصفات وقرر قواعد الاعتزال
ثم جا الجاحظ والكعبي والجبائي وكانت طريقتهم تسمى علم
الكلام اما لما فيها من الحجاج والجدال وهو الذي يسمى كلاما
واما ان اصل طريقتهم نفي صفة الكلام فلهذا كان الشافعي
يقول حقهم ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم وقرر هولاء
طريقتهم واثبتوا بعضها وردوا الى ان ظهر الشيخ ابو الحسن
الاشعري وناظر بعض مشيختهم في مسائل الصلاح والاصلح
فرفض طريقتهم وكان على راي عبد الله بن سعيد بن كلاب
وابي العباس القلانسي والحرث بن اسد المحاسبي من اتباع
السلف وعلى طريقة السنة فايد مقالاتهم بالحجج الكلامية

واثبت

واثبت الصفات القائمة بذات الله تعالى من العلم والقدرة
والارادة التي يتم بها دليل التمانع وتصح المعجزات للانبياء
وكان من مذهبهم اثبات الكلام والسمع والبصر لانها
وان اوهم ظاهرها النقص بالصوت والحرف الجسمانيين فقد
وجد للكلام عند العرب مدلول اخر غير الحروف والصوت
وهو ما يدور في الخلد والكلام حقيقة فيه دون الاول فاثبتوه
لله تعالى وانتفى ايهام النقص واثبتوا هذه الصفة قديمة عامة
التعلق شان الصفات الاخرى وصار القران اسما مشتركا بين
القديم القايم بذات الله تعالى وهو الكلام النفسي والمحدث
الذي هو الحروف المؤلفة المقروءة بالاصوات فاذا قيل قديم
فالمراد الاول واذا قيل مقروء مسموع فلدلالة القران والكتابة
عليه وتورع الامام احمد بن حنبل من اطلاق لفظ الحدوث
عليه لانه لم يسمع من السلف قبله لا انه يقول ان المصاحف
المكتوبة قديمة ولا ان القراة الجارية على الالسنة قديمة وهو
يشاهدها محدثة وانما منعه من ذلك الورع الذي كان عليه
واما غير ذلك فانكار للضروريات وحاشاه منه واما السمع
والبصر وان كان يوهم ادراك الجارحة فهو يدل ايضا لغة
على ادراك المسموع والمبصر وينتفي ايهام النقص حينئذ لانه
حقيقة لغوية فيهما واما لفظ الاستواء والمجيء والنزول والوجه
واليدين والعينين وامثال ذلك فعدلوا عن حقايقها اللغوية
لما فيه من ايهام النقص بالتشبيه الى مجازاتها على طريقة العرب
حيث تتعذر حقايق الالفاظ فيرجعون الى المجاز كما في قوله
تعالى يريد ان ينقض وامثاله طريقة معروفة لهم غير منكرة
ولا مبتدعة وحملهم على هذا التاويل وان كان مخالفا لمذهب
السلف في التفويض ان جماعة من اتباع السلف وهم المحدثون
والمتاخرون من الحنابلة ارتكبوا في محمل هذه الصفات
فحملوها على صفات ثابتة لله تعالى مجهولة الكيفية فيقولون

في استوى على العرش نثبت له استواءً بحيث مدلول اللفظ
فراراً من تعطيله ولا نقول بكيفيته فراراً من القول بالتشبيه
الذي تنفيه آيات السلوب من قوله ليس كمثله شيء سبحان الله
عما يصفون تعالى الله عما يقول الظالمون لم يلد ولم يولد ولا يعلمون
مع ذلك انهم ولجوا من باب التشبيه في قولهم باثبات استوا
والاستوا عند اهل اللغة انما موضوعه الاستقرار والتمكن
وهو جسماني واما التعطيل الذي يشنعون بالزامه وهو
تعطيل اللفظ فلا محذور فيه وانما المحذور في تعطيل
الالهة وكذلك يشنعون بالزام التكليف بما لا يطاق وهو (الالوهية)
تمويه لان التشابه لم يقع في التكاليف ثم يدعون ان هذا
مذهب السلف وحاش لله من ذلك وانما مذهب السلف
ما قررناه اولاً من تفويض المراد بها الى الله والسكوت عن
فهمها وقد يحتجون لاثبات الاستوا لله بقول مالك الاستوا
معلوم والكيفية مجهول ولم يرد مالك ان الاستوا معلوم
الثبوت لله وحاشاه من ذلك لانه يعلم مدلول الاستوا
وانما اراد ان الاستوا معلوم من اللغة وهو الجسماني وكيفيته
اي حقيقته لان حقايق الصفات كلها كيفيات وهي مجهولة الثبوت
لله تعالى وكذلك يحتجون على اثبات المكان بحديث السودا
وانها لما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله وقالت في
السما فقال اعتقها فانها مومنة والنبي صلى الله عليه وسلم
لم يثبت لها الايمان باثباتها المكان لله بل لانها آمنت بما جاء به
من ظواهر ان الله في السما فدخلت في جملة الراسخين الذين
يومنون بالمتشابه من غير كشف عن معناه والقطع بنفي المكان
حاصل من دليل العقل النافي للافتقار ومن ادلة السلوب
المؤذنة بالتنزيه مثل ليس كمثله شيء واشباهه ومن قوله وهو
الله في السموات وفي الارض اذ الموجود لا يكون في مكانين
فليست في هذا للمكان قطعاً والمراد غيره ثم طرد ذلك المحمل

الذي

الذي ابتدعوه في ظواهر الوجه والعينين واليدين والمجي
والنزول والكلام بالحرف والصوت يجعلون لها مدلولات
اعم من الجسمانية وينزهونه عن مدلول الجسماني منها
وهذا شيء لا يعرف في اللغة وقد درج على ذلك الاول
والاخر منهم ونافرهم اهل السنة من المتكلمين الاشعرية
والحنفية ورفضوا عقايدهم في ذلك ووقع بين متكلمي الحنفية
ببخارى وبين الامام محمد بن اسمعيل البخاري ما هو معروف
واما المجسمة ففعلوا مثل ذلك في اثبات الجسمية وانها
لا كالاجسام ولفظ الجسم لم يثبت في منقول الشرعيات
وانما جرأهم عليه اثبات هذه الظواهر فلم يقتصروا عليه
بل توغلوا واثبتوا الجسمية يزعمون فيها مثل ذلك وينزهونه
بقول متناقض سفساف وهو قولهم جسم لا كالاجسام والجسم
في لغة العرب هو العميق المحدود وغير هذا التفسير من
انه القايم بالذات او المركب من الجواهر وغير ذلك فاصطلاحات
للمتكلمين يريدون بها غير المدلول اللغوي فلهذا كان المجسمة
اوغل في البدعة بل والكفر حيث اثبتوا لله وصفاً موهماً
يوهم النقص لم يرد في كلامه ولا كلام نبيه فقد تبين لك
الفرق بين مذاهب السلف والمتكلمين السنية والمحدثين
والمبتدعة من المعتزلة والمجسمة بما اطلعناك عليه وفي
المحدثين غلاة يسمون المشبهة لتصريحهم بالتشبيه حتى انه
يحكى عن بعضهم انه قال اعفوني من اللحية والفرج واسئلوا
عما بدا لكم من سواهما وان لم يتأول ذلك لهم بانهم يريدون
حصر ما ورد من هذه الظواهر الموهمة وحملها على ذلك المحمل الذي
لائمتهم والا فهو كفر صريح والعياذ بالله وكتب اهل السنة
مشحونة بالحجاج على هذه البدع وبسط الرد عليهم بالادلة
الصحيحة وانما اومأنا الى ذلك ايماءً يتميز به فصول المقالات
وجملها والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

واما الظواهر الخفية الدلالة كالوحى والملايكة والروح والجن
والبرزخ واحوال القيمة والدجال والفتن والشروط وساير
ماهو متعذر على الفهم او مخالف للعاديات فان حملناه على
مايذهب اليه الاشعرية فى تفاصيله وهم اهل السنة فلا
تشابه وان قلنا فيه بالتشابه فلنوضح القول فى كشف الحجاب
عنه فنقول اعلم ان العالم البشرى اشرف العوالم من الموجودات
وارفعها وهو وان اتحدت حقيقة الانسانية فيه فله اطوار
يخالف كل واحد منها الاخر باحوال تختص به حتى كان الحقايق
فيها مختلفة فالطور الاول عالمه الجسمانى بحسه الظاهر
وفكره المعاشى وساير تصرفاته التى اعطاه اياها وجوده الحاضر
الطور الثانى عالم النوم وهو تصور الخيال بانفاذ تصوراته جايلة
فى باطنه فيدرك منها بحواسه الظاهرة مجردة عن الازمنة
والامكنة وساير الاحوال الجسمانية ويشاهدها فى مكان
ليس هو فيه ويحدث للصالح منها البشرى بما يترقب من
مسراته الدنيوية والاخروية كما وعد به الصادق صلوات
الله عليه وهذان الطوران عامان فى جميع اشخاص البشر
وهما مختلفان فى المدارك كما تراه الطور الثالث طور النبوة
وهو خاص باشراف صنف البشر بما خصهم الله به من معرفته
وتوحيده وتنزل ملايكته عليهم بوحيه وتكليفهم باصلاح
البشر فى احوال كلها مغايرة لاحوال البشرية الظاهرة الطور الرابع
طور الموت الذى تفارق اشخاص البشر فيه حياتهم الظاهرة
الى وجود قبل القيمة يسمى البرزخ يتنعمون فيه ويعذبون
على حسب اعمالهم ثم يفضون الى يوم القيمة الكبرى وهى
دار الجزاء الاكبر نعيما وعذابا فى الجنة او فى النار والطوران
الاولان شاهدهما وجدانى والطور الثالث النبوى شاهده
المعجزة والاحوال المختصة بالانبيا والطور الرابع شاهده
ما تنزل على الانبيا من وحى الله فى المعاد واحوال البرزخ

والقيمة

والقيمة مع ان العقل يقتضى به كما نبهنا الله عليه فى كثير من
ايات البعث ومن اوضح الادلة على صحتها ان اشخاص الانسان
لو لم يكن لهم وجود اخر بعد الموت غير هذه المشاهد
يتلقى فيه احوالا تليق به لكان ايجاده الاول عبثا اذ الموت
اذا كان عدما كان مال الشخص الى العدم فلا يكون لوجوده
الاول حكمة والعبث على الحكيم محال واذا تقررت هذه
الاطوار الاربعة فلنأخذ فى بيان مدارك الانسان فيها
كيف تختلف اختلافا بينا يكشف لك غور المتشابه فاما مداركه
فى الطور الاول فواضحة جلية قال الله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة فبهذه المدارك يستولى على ملكات المعارف
ويستكمل حقيقة انسانيته ويوفى حق العبادة المفضية به
الى النجاة واما مداركه فى الطور الثانى وهو طور النوم فهى
المدارك التى فى الحس الظاهر بعينها لكن ليست فى الجوارح
كما هى فى اليقظة لكن الرائى يتيقن كل شى ادركه فى نومه
لا يشك فيه ولا يرتاب مع خلو الجوارح عن الاستعمال العادى
لها والناس فى حقيقة هذه الحال فريقان الحكماء يزعمون
ان الصور الخيالية يدفعها الخيال بحركة الفكر الى الحس
المشترك الذى هو الفصل المشترك بين الحس الظاهر والحس
الباطن فتتصور محسوسة بالظاهر فى الحواس كلها ويشكل
عليهم هذا بان المرائى الصادقة التى هى من الله تعالى ومن
الملك اثبت وارسخ فى الادراك من المرائى الخيالية الشيطانية
مع ان الخيال فيهما على ما قرروه واحد الفريق الثانى المتكلمون
اجملوا فيها القول وقالوا هو ادراك يخلقه الله فى الحاسة فيقع
كما يقع فى اليقظة وهذا اليق وان كنا لا نتصور كيفيته وهذا
الادراك النومى اوضح شاهد على ما يقع بعده من المدارك
الحسية فى الاطوار واما الطور الثالث وهو طور الانبيا فالمدارك

الحسيه فيها مجهوله الكيفية عندنا وجدانية عندهم باوضح
من اليقين فيرى النبي الله والملائكة ويسمع كلام الله منه
او من الملائكة ويرى الجنة والنار والعرش والكرسي
ويخترق السموات السبع في اسرايه ويركب البراق فيها ويلقى
النبيين هنالك ويصلي بهم ويدرك انواع المدارك الحسيه
كما يدرك في طوره الجسماني والنومي بعلم ضروري يخلقه الله
له لا بالادراك العادي للبشر في الجوارح ولا يلتفت في ذلك
الى ما يقوله ابن سينا من تنزيله امر النبوة على امر النوم في
دفع الخيال صورة الى الحس المشترك فان الكلام عليهم هنا اشد
من الكلام في النوم لان هذا التنزل طبيعة واحدة كما قررناه
فيكون على هذا حقيقة الوحي والرؤيا من النبي واحدة في
يقينها وحقيقتها وليست كذلك على ما علمت من رؤيا
النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي ستة اشهر وانها كانت
بدء الوحي ومقدمته ويشعر ذلك بانها دونه في الحقيقة وكذا
حال الوحي في نفسه فقد كان يصعب عليه ويقاسي منه شدة
كما في الصحيح حتى كان القران تتنزل عليه ايات مقطعة وبعد
ذلك نزلت عليه براة في غزوة تبوك جملة واحدة وهو يسير
على ناقته فلو كان ذلك من تنزل الفكر الى الخيال فقط ومن
الخيال الى الحس المشترك لم يكن بين هذه الحالات فرق
واما الطور الرابع وهو طور الاموات في برزخهم الذي
اوله القبر وهم مجردون عن البدن او في بعثتهم عند
ما يرجعون الى الاجسام فمداركهم الحسية موجودة فيرى
الميت في قبره الملكان يسايلانه ويرى مقعده من الجنة
او النار بعيني رأسه ويرى شهود الجنازة ويسمع كلامهم
وخفق نعالهم في الانصراف عنه ويسمع ما يذكرونه به
من التوحيد او من تقرير الشهادتين وغير ذلك وفي الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قلب بدر وفيه

فتلى

قتلى المشركين من قريش وناداهم باسمايهم فقال عمر يا رسول الله
اتكلم هولاء الجيف فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ما انتم باسمع منهم لما اقول ثم في البعثة يوم القيمة
يعاينون باسماعهم وابصارهم كما كانوا يعاينون في الحياة
من نعيم الجنة على مراتبه وعذاب النار على مراتبه ويرون الملائكة
ويرون ربهم كما ورد في الصحيح انكم ترون ربكم يوم القيمة
كالقمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته وهذه المدارك
لم تكن لهم في الحياة الدنيا وهي حسية مثلها وتقع في الجوارح
بالعلم الضروري الذي يخلقه الله كما قلناه وسر هذا ان تعلم
ان النفس الانسانية هي تنشأ بالبدن وبمداركه فاذا فارقت
البدن بنوم او موت او صار النبي حالة الوحي من المدارك
البشرية الى المدارك الملكية فقد استصحبت ما كان معها
من المدارك البشرية مجردة عن الجوارح فيدرك بها في ذلك
الطور اي ادراك شاء منها ارفع من ادراكها وهي في الجسد
قاله الغزالي رحمه الله وزاد على ذلك ان النفس الانسانية
صورة تبقى لها بعد المفارقة فيها العينان والاذنان وساير
الجوارح المدركة امثالا لما كان في البدن وصورا وانا اقول
انما يشير بذلك الى الملكات الحاصلة من تصريف هذه الجوارح
في بدنها زيادة على الادراك فاذا تفطنت لهذا كله علمت
ان هذه المدارك موجودة في الاطوار الاربعة لكن ليس على
ما كانت في الحياة الدنيا وانما هي تختلف بالقوة والضعف
بحسب ما يعرض لها من الاحوال ويشير المتكلمون الى ذلك
اشارة مجملة بان الله يخلق فيها علما ضروريا بذلك المدارك
اي مدرك كان ويعنون به هذا القدر الذي اوضحناه ......
وبالجملة فالمدارك الحسيه تخلق للانسان في هذه الحالات كلها
ولو لم تكن الجوارح موجودة ومن تامل ذلك في النوم وحال
الوحي علم بالضرورة انه يسمع ويبصر وليست الجارحة موجودة

المضروب عليه زيادة عن النسخ المقابل عليها وهي المصححة بخط مؤلفها رحمه الله

ومن تتبع ذلك فى حال النوم وما وقع فى الوحى علمه ضرورة
وانظر الاسرا وحديث العنفق ومجى الملك بالوحى يتمثل ٢
له بشرا وامثال ذلك . وهذه نبذة اومأنا بها الى مايوضح
القول فى المتشابه ولو اوسعنا الكلام فيه لقصرت المدارك
عنه فلنضرع الى الله فى الهداية والفهم عن انبيائه وكتابه
بما يحصل به الحق فى توحيدنا والظفر بنجاتنا والله يهدى
من يشآء **علم التصوف** هذا العلم من علوم الشريعة ٤
الحادثة فى الملة واصله ان طريقة هولاء القوم لم تزل عنه
سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
طريقة الحق والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع
الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما
يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق
فى الخلوة للعبادة وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف
فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح
الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم
الصوفية والمتصوفة قال القشيرى رحمه الله ولا يشهد لهذا
الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب
ومن قال اشتقاقه من الصفا او من الصفة فبعيد من جهة
القياس اللغوى قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا
بلبسه قلت والاظهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف
وهم فى الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس
فى لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هولاء بمذهب
الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا
بمواجد مدركة لهم وذلك ان الانسان بما هو انسان
انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان
ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم
وادراك للاحوال القائمة به من الفرح والحزن والقبض

والبسط والرضى والغضب والشكر والصبر وامثال ذلك
فالمعنى العاقل والمتصرف فى البدن ينشأ من ادراكات وارادات
واحوال وهى التى تميز بها الانسان كما قلناه . وبعضها ينشأ
عن بعض كما ينشأ العلم عن الادلة والفرح او الحزن عن ادراك
المولم والمستلذ به والنشاط عن الجمام والكسل عن الاعيا
وكذلك المريد فى مجاهدته وعبادته لا بد ان ينشأ له عن
كل مجاهدة حال هى نتيجة لتلك المجاهدة وتلك الحال اما
ان تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاما للمريد واما ان
لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصلة للنفس من فرح او سرور
او نشاط او كسل او غير ذلك **والمقامات** لا يزال المريد
يترقى فيها من مقام الى مقام الى ان ينتهى الى التوحيد والمعرفة
التى هى الغاية المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم
من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له
من الترقى فى هذه الاطوار واصلها كلها الطاعة والاخلاص
ويتقدمها الايمان ويصاحبها وينشأ عنها الاحوال والصفات
نتائج وثمرات ثم ينشأ عنها اخرى واخرى الى مقام التوحيد
والعرفان واذا وقع تقصير فى النتيجة او خلل فيعلم انه انما
اتى من قبل التقصير فى الذى قبله وكذلك فى الخواطر النفسانية
والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه
فى سائر اعماله وينظر فى حقائقها لان حصول النتائج عن
الاعمال ضرورى وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد
يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على اسبابه ولا يشاركهم
فى ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن هذا كانها شاملة
وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم ياتون
بالطاعة مخلصة من نظر الفقه فى الاجزا والامتثال وهولاء
يبحثون عن نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلعوا على انها
خالصة من التقصير اولا وظهر ان اصل طريقتهم كلها محاسبة

النفس على الافعال والتروك والكلام فى هذه الاذواق
والمواجد التى تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما
ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك اداب مخصوصه
بهم واصطلاحات فى الفاظ تدور بينهم اذ الاوضاع اللغويه
انما هى للمعانى المتعارفه فاذا عرض من المعانى ما هو غير
متعارف اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه
فلهذا اختص هولا بهذا النوع من العلم الذى ليس يوجد
لغيرهم من اهل الشريعه الكلام فيه وصار علم الشريعه
على صنفين صنف مخصوص بالفقها واهل الفتيا وهى الاحكام
العامه فى العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص
بالقوة فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها
والكلام فى الاذواق والمواجد العارضة فى طريقها وكيفية
الترقى فيها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التى
تدور بينهم فى ذلك فلما كتبت العلوم ودونت والف الفقها
فى الفقه واصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال
من اهل هذه الطريقه فى طريقهم فمنهم من كتب فى احكام
الورع ومحاسبة النفس على الاقتدا فى الاخذ والترك كما
فعله المحاسبى فى كتاب الرعاية له ومنهم من كتب فى آداب
الطريقه واذواق اهلها ومواجدهم فى الاحوال كما فعله
القشيرى فى كتاب الرسالة والسهروردى فى كتاب عوارف
المعارف وامثالهم وجمع الغزالى بين الامرين فى كتاب الاحيا
فدون فيه احكام الورع والاقتدا ثم بين اداب القوم
وسننهم فى شرح اصطلاحاتهم فى عباراتهم وصار علم التصوف
فى الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت
احكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع فى سائر العلوم
التى دونت بالكتابة من التفسير والحديث والفقه والاصول
وغير ذلك ثم ان هذه المجاهدة والذكر يتبعها غالبا كشف

حجاب

حجاب الحس والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب
الحس ادراك شى منها والروح من تلك العوالم وسبب
هذا الكشف ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن
ضعفت احوال الحس وقويت احوال الروح وغلب سلطانه
وتجدد نشوه واعان على ذلك الذكر فانه كالغذا لتنمية الروح
ولا يزال فى نمو وتزيد الى ان يصير شهودا بعد ان كان علما
ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذى لها من ذاتها
وهو عين الادراك فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم
اللدنية والفتح الالهى وتقرب ذاته فى تحقق حقيقتها من الافق
الاعلى افق الملايكه وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لاهل المجاهده
فيدركون من حقايق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك
يدركون كثيرا من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم
وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية وتصير طوع ارادتهم
فالعظما منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا هذا التصرف ولا
يخبرون عن حقيقه شى لم يومروا بالتكلم فيه بل يعدون
ما وقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه اذا وقع لهم
وقد كان الصحابه رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهده
وكان حظهم من هذه الكرامات اوفر الحظوظ لكنهم لم يقع
لهم بها عناية وفى فضايل ابى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم
كثير منها وتبعهم فى ذلك اهل الطريقة ممن اشتملت رسالة
القشيرى على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم ثم
ان قوما من المتاخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب
والكلام فى المدارك التى وراه واختلفت طرق الرياضه
عندهم فى ذلك باختلاف تعليمهم فى اماتة القوى الحسيه
وتغذية الروح العاقل حتى يحصل للنفس ادراكها الذى
لها من ذاتها بتمام نشوها وتغذيتها فاذا حصل ذلك زعموا
ان الوجود قد انحصر فى مداركها حينئذ وانهم كشفوا ذوات

الوجود وتصوروا حقايقه كلها من العرش الى الطش هكذا
قال الغزالى فى كتاب الاحيا بعد ان ذكر صورة الرياضه
ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا
كان ناشيا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب
الخلوة والجوع وان لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى
وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشى
عن الاستقامة ومثاله ان المرآة الصيقلة اذا كانت محدبة
او مقعرة وحوذى بها جهة المرئى فانه يتشكل فيها معوجا
على غير صورته واذا كانت مسطحة تشكل فيها المرئى صحيحا
فالاستقامة للنفس كالانبساط للمراة فيما ينطبع فيها من
الاحوال ولما عنى المتاخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا
فى حقايق الموجودات العلويه والسفليه وحقايق الملك
والروح والعرش والكرسى وامثال ذلك وقصرت مدارك
من لم يشاركهم فى طريقهم عن فهم اذواقهم ومواجدهم
فى ذلك فاهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس
البرهان والدليل بنافع فى هذا الطريق ردا وقبولا اذ هو
من قبيل الوجدانيات تفصيل وتحقيق يقع كثيرا فى كلام
اهل العقايد من علما الحديث والفقه ان الله تعالى مباين
لمخلوقاته ويقع للمتكلمين انه لا مباين ولا متصل ويقع
للفلاسفة انه لا داخل العالم ولا خارجه ويقع للمتاخرين
من المتصوفة انه متحد بالمخلوقات اما بمعنى الحلول
فيها او بمعنى انه هو عينها وليس هناك غيره جملة ولا
تفصيلا فلنبين تفصيل هذه المذاهب ونشرح حقيقة
كل واحد منها حتى تتضح معانيها فنقول ان المباينة
تقال لمعنيين احدهما المباينة فى الحيز والجهة ويقابله
الانتصال وتشعر هذه المقابلة على هذا التقدير بالمكان
اما صريحا وهو تجسيم او لزوما وهو تشبيه من قبيل

القول

القول بالجهة وقد نقل مثله عن بعض علما السلف من التصريح
بهذه المباينة فيحتمل غير هذا المعنى ومن اجل ذلك انكر
المتكلمون هذه المباينة وقالوا لا يقال فى البارى انه مباين
لمخلوقاته ولا متصل بها لان ذلك انما يكون للمتحيزات وما
يقال من ان المحل لا يخلو عن الاتصاف بالمعنى وضده فهو
مشروط بصحة الاتصاف اولا واما مع امتناعه فلا بل يجوز
الخلو عن المعنى وضده كما يقال فى الجماد لا عالم ولا جاهل
ولا قادر ولا عاجز ولا كاتب ولا امى وصحة الاتصاف
بهذه المباينه مشروط بالحصول فى الجهة على ما تقرر
من مدلولها والبارى سبحانه منزه عن ذلك ذكره ابن
التلمسانى فى شرح اللمع لامام الحرمين وقال ولا يقال فى البارى
مباين للعالم ولا متصل به ولا داخل فيه ولا خارج عنه وهو
معنى ما يقوله الفلاسفة انه لا داخل العالم ولا خارجه
بنا على وجود الجواهر غير المتحيزة وانكرها المتكلمون لما
يلزم من مساواتها للبارى فى اخص الصفات وهو مبسوط
فى علم الكلام واما المعنى الاخر للمباينة فهو المغايرة
والمخالفة فيقال البارى مباين لمخلوقاته فى ذاته وهويته
ووجوده وصفاته ويقابله الاتحاد والامتزاج والاختلاط
وهذه المباينة هى مذهب اهل الحق كلهم من جمهور
السلف وعلما الشرايع والمتكلمين والمتصوفة الاقدمين كاهل الرسالة
ومن نحا منحاهم وذهب جماعة من المتصوفة المتاخرين
الذين صيروا المدارك الواجدانية علمية نظرية الى ان
البارى تعالى متحد بمخلوقاته فى هويته ووجوده وصفاته
وربما زعموا انه مذهب الفلاسفة قبل ارسطو مثل
افلاطون وسقراط وهو الذى يعينه المتكلمون حيث
ينقلونه فى علم الكلام عن المتصوفة ويحاولون الرد عليه
بانه ذاتان ينتفى احديهما او تندرج اندراج الجزء فان تلك

مغايرة صريحة ولا يقولون بذلك وهذا الاتحاد هو
الحلول الذى تدعيه النصارى فى المسيح عليه السلام
وهو اغرب لانه حلول قديم فى محدث او اتحاده به
وهو ايضا عين ما تقوله الامامية من الشيعه فى الائمه
وتقرير هذا الاتحاد فى كلامهم على طريقين الاولى ان ذات
القديم كامنة فى المحدثات محسوسها ومعقولها متحدة
بها فى التصورين وهى كلها مظاهر له وهو القايم عليها
اى المقوم لوجودها بمعنى لولاه كانت عدما وهو راى
اهل الحلول الثانية طريق اهل الوحدة المطلقة وكانهم
استشعروا من تقرير اهل الحلول الغيرية المنافية لمعقول
الاتحاد فنفوها بين القديم وبين المخلوقات فى الذات
والوجود والصفات وغالطوا فى غيرية المظاهر
المدركة بالحس والعقل بان ذلك من المدارك البشرية
وهى اوهام ولا يريدون الوهم الذى هو قسيم العلم
والظن والشك وانما يريدون انها كلها عدم فى الحقيقة
وجود فى المدارك البشرى فقط ولا وجود بالحقيقة الا
للقديم لا فى الظاهر ولا فى الباطن كما نقرره بعد بحسب
الامكان والتعويل فى تعقل ذلك على النظر والاستدلال
كما فى المدارك البشرية غير مفيد لان ذلك انما ينقل
من المدارك الملكية وانما هى حاصلة للانبيا عليهم السلام
بالفطرة ومن بعدهم للاوليا بهدايتهم وقصد من يقصد
الحصول عليها بالطريقة العلميه ضلال وربما قصد بعض
المصنفين ذلك فى كشف الموجودات وترتيب حقايقه
على طريق اهل المظاهر فاتى بالاغمض فالاغمض وربما
قصد بعض المصنفين بيان مذاهبهم فى كشف الوجود
وترتيب حقايقه فاتى بالاغمض فالاغمض بالنسبة الى
اهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغانى شارح

قصيده

قصيدة ابن الفارض فى الديباجه التى يكتب فى صدر ذلك
الشرح فانه ذكر فى صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه
ان الوجود كله صادر عن صفه الوحدانية التى هى مصدر
الاحدية وهما معا صادران عن الذات الكريمة التى هى
عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور بالتجلى واول
مراتب التجليات عندهم تجلى الذات على نفسه وهو يتضمن
الكمال بافاضته الايجاد والظهور لقوله فى الحديث الذى
يتناقلونه كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق
ليعرفونى وهذا الكمال فى الايجاد المتنزل فى الوجود وتفصيل
الحقايق وهو عندهم عالم المعانى والحضرة العمائية والحقيقة
المحمدية وفيها حقايق الصفات واللوح والقلم وحقايق
الانبيا والرسل اجمعين والكمل من اهل الامة المحمدية
وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية وتصدر عن هذه
الحقايق حقايق اخرى فى الحضرة الهبائية وهى مرتبة المثال
ثم عنها العرش ثم الكرسى ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم
عالم التركيب هذا فى عالم الرتق فاذا تجلت فهى فى عالم
الفتق انتهى ويسمى هذا المذهب مذهب اهل التجلى والمظاهر
والحضرات وهو كلام لا يقدر اهل النظر على تحصيل مقتضاه
لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة
والوجدان وصاحب الدليل وربما انكر بظاهر الشرع هذا
الترتيب فانه لا يعرف فى شىء من مناحيه وكذلك ذهب
اخرون منهم الى القول بالوحدة المطلقة وهو راى اغرب
من الاول فى تعقله وتفاريعه يزعمون فيه ان الوجود
كله له قوى فى تفاصيله بها كانت حقايق الموجودات وصورها
وموادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها
فى نفسها قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى
متضمنة فى القوة التى كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها

الهام

قوى العناصر بهيولاها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة
الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها فى نفسها
وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة
الانسانية وزيادة وكذا الذوات الروحانية والقوة الجامع
للكل من غير تفصيل هى القوة الالهية فهى التى انبثت فى جميع
الموجودات كلية وجزئية وجمعتها واحاطت بها من كل وجه
لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفا ولا من جهة الصورة
ولا من جهة المادة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية
وهى فى الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها
كالانسانية مع الحيوانية الا ترى انها مندرجة فيها وكائنة
بكونها فتارة يمثلونها بالجنس مع النوع فى كل موجود كما
ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم فى هذا
كله يفرون من التركيب والكثرة لوجه من الوجوه وانما
اوجبها عندهم الوهم والخيال والذى يظهر من كلام ابن
دهاق فى تقرير هذا المذهب ان حقيقة ما يقولونه فى الوحدة
شبيه بما يقوله الحكما فى الالوان من ان وجودها مشروط
بالضو فاذا عدم الضو لم تكن الالوان موجودة بوجه وكذا
عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك
الحسى بل والموجودات المعقولة والمتوهمة مشروطة بوجود
المدرك العقلى فاذا الوجود المفصل كله مشروط بالمدرك
البشرى فلو فرضنا عدم المدرك البشرى جملة لم يكن هناك
تفصيل فى الوجود بل هو بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة
واللين بل والارض والما والنار والسما والكواكب انما وجدت
لوجود الحواس المدركة لها لما جعل فى المدرك من التفصيل
الذى ليس فى الوجود وانما هو فى المدرك فقط فاذا فقدت
المدارك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انا لا غير
ويعتبرون ذلك بحال النايم فانه اذا نام فقد الحس الظاهر فقد

تشبيه لطيف

كل

كل محسوس وهو فى تلك الحالة الا ما يفصله له الخيال قالوا
فكذلك اليقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل
بنوع مدركه البشرى ولو فقد مدركه فقد التفصيل وهذا
هو معنى قولهم الوهم لا الوهم الذى هو من جملة
المدارك البشرية هذا ملخص رايهم على ما يفهم من كلام ابن
دهاق وهو فى غاية السقوط لانا نقطع بوجود البلد الذى
نحن مسافرون عنه واليه يقينا مع غيبته عن اعيننا
وبوجود السما المظلة والكواكب وساير الاشيا الغايبة
عنا والانسان قاطع بذلك ولا يكابر احد نفسه فى اليقين
مع ان المحققين من المتصوفة المتاخرين يقولون ان المريد
عند الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى
ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين
الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام
العارف المحقق ولا بد للمريد عند من عقبة الجمع وهى عقبة
صعبة لانه يخشى على المريد من وقوفه عندها فتخسر
صفقته فقد تبينت مراتب اهل هذه الطريق فصل
ثم ان هولا المتاخرين من المتصوفة المتكلمين فى الكشف
وفيما ورا الحس توغلوا فى ذلك وذهب كثير منهم الى
الحلول والوحدة كما اشرنا اليه وملوا الصحف منه مثل
الهروى فى كتاب المقامات له وغيره وتابعهم ابن العربى
وابن سبعين وتلميذهما ثم ابن العفيف وابن الفارض
والنجم الاسرايلى فى قصايدهم وكان سلفهم مخالطين
للاسماعيلية المتاخرين من الرافضة الدانين ايضا بالحلول
والاهية الايمة مذهبا لم يعرف لاوليهم فاشرب كل
واحد من الفريقين مذهب الاخر واختلط كلامهم وتشابهت
عقايدهم وظهر فى كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه
راس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد فى مقامه

ظ لعله من التوقف عند عقبة الجمع

مقامة

في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث لآخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال جل جناب الحق ان يكون شرعة لكل وارد او يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا الكلام لا يقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي انما هو من انواع الخطابة وهو بعينه ما يقوله الرافضة من توارث الائمة عندهم فانظر كيف سرقت طباع هولاء القوم هذا الراى من الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قال الشيعة في النقباء حتى انهم لما اسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه اصلا لطريقتهم ونحلتهم وقفوه على علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا والا فعلي رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لبوس ولا حال بل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ازهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عبادة ولم يختص احد منهم في الدين بشئ يوثر عنه على الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والورع والزهد والمجاهدة تشهد بذلك سيرهم واخبارهم نعم ان الشيعة يخيلون بما ينقلون من ذلك اختصاص علي بالفضائل دون من سواه من الصحابة ذهابا مع عقايد التشيع المعروفة لهم والذي يظهر ان المتصوفة بالعراق لما ظهرت الاسماعيلية من الشيعة وظهر كلامهم في الامامة وما يرجع اليها ما هو معروف فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن وجعلوا الامامة لسياسة الخلق في الانقياد الى الشرع وافردوه بذلك ان لا يقع اختلاف كما تقرر في الشرع ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لانه راس العارفين وافردوه بذلك تشبيها بالامام في الظاهر وان يكون على وزانه في الباطن وسموه قطبا لمدار المعرفة عليه وجعلوا الابدال كالنقباء مبالغة في التشبيه

فتامل

فتامل من كلام هولاء المتصوفة في امر الفاطمي وما شحنوا به كتبهم من ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي ولا اثبات وانما هو ماخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق

تذييل

وقد رايت ان اجلب هنا فصلا من كلام شيخنا العارف كبير الاوليا بالاندلس ابي مهدي عيسى بن الزيات كان يقع له اكثر الاوقات على ابيات الهروي التي وقعت له في كتاب المقامات توهم القول بالوحدة المطلقة او يكاد يصرح بها وهي قوله

ما وحد الواحد من واحد ۝ اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته ۝ تثنية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده ۝ ونعت من ينعته لاحد

فيقول رحمة الله عليه على سبيل العذر عنه استشكل الناس اطلاق لفظ الجحود على من وحد الواحد ولفظ الالحاد على من نعته ووصفه واستبشعوا هذه الابيات وحملوا على قايلها واستخفوه ونحن نقول على راي هذه الطائفة ان معنى التوحيد عندهم انتفاء عين الحدوث بثبوت عين القدم وان الوجود كله حقيقة واحدة وانية واحدة وقد قال ابو سعيد الخراز من كبار القوم الحق عين ما ظهر وعين ما بطن ويرون ان وقوع التعدد في تلك الحقيقة ووجود الاثنينية وهم باعتبار حضرات الحس بمنزلة صور الظلال والصدا وصور المرائي وان كل ما سوى عين القدم اذا استتبع فهو عدم وهذا معنى كان الله ولا شئ معه وهو الان على ما كان عليه عندهم ومعنى قول لبيد الذي صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الا كل شئ ما خلا الله باطل قالوا فمن وحد ونعت فقد قال بموحد محدث هو نفسه وتوحيد محدث هو فعله وموحد قديم هو معبوده

وقد تقدم ان معنى التوحيد انتفا عين الحدوث وعين الحدوث
الان ثابتة بل متعددة والتوحيد مجحود والدعوى كاذبة
كمن يقول لغيره وهما معا فى بيت ليس فى البيت غيرك
فيقول الاخر بلسان حاله لا يصح هذا الا لو عدمت انت
وقد قال بعض المحققين فى قولهم خلق الله الزمان هذه
الفاظ اصولها لان خلق الزمان متقدم على الزمان
وهو فعل لابد من وقوعه فى الزمان وانما حمل على ذلك
ضيق العبارة عن الحقايق وعجز اللغات عن تاديه الحق
فيها وبها فاذا تحقق ان الموحِد هو الموحَّد وعدم ما سواه
جملة صح التوحيد حقيقة وهذا معنى قولهم لا يعرف الله
الا الله ولا حرج على من وحد الحق مع بقاء الرسوم والاثار
وانما هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين لان
ذلك لازم التقييد والعبودية والشفعية ومن ترقى الى
مقام الجمع كان فى حقه نقصا مع علمه بمرتبته وانه تلبيس
تستلزمه العبودية ويرفعه الشهود ويظهر من دلس وحدة
عين الجمع واعرق الاصناف فى هذا الزعم القايلون بالوحدة
المطلقة ومدار المعرفة بكل اعتبار على الانتها الى الواحد وانما
صدر هذا القول من الناظم على سبيل التحريض والتنبيه
لمقام اعلى ترتفع فيه الشفعية ويحصل التوحيد المطلق عينا
لاخطابا وعبارة فمن سلم استراح ومن نازعته حقيقة انس
بقوله كنت سمعه وبصره واذا عرفت المعانى لا مشاحة فى الالفاظ
والذى يفيده هذا كله تحقق امر فوق هذا الطور لا نطق فيه
ولا خبر عنه وهذا المقدار من الاشارة كاف والتعمق فى
مثل هذا حجاب وهو الذى وقع فى المقالات المعروفة انتهى
كلام الشيخ ابى مهدى نقلته من كتاب الوزير ابن الخطيب الذى
الفه فى المحبة وسماه التعريف بالحب الشريف وقد سمعته
من شيخنا ابى مهدى مرارا الا انى رايت رسوم الكتاب اوعب له

لطول

لطول عهدى به والله الموفق فصل ثم ان كثيرا من الفقها
واهل الفتيا انتدبوا للرد على هولا المتاخرين فى هذه المقالات
وامثالها وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم فى الطريقة والحق
ان الكلام معهم فيه تفصيل فان كلامهم فى اربعة مواضع
احدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق
والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق
التى تصير مقاما ويترقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها
الكلام فى الكشف والحقايق المدركة من عالم الغيب مثل
الصفات الربانية والعرش والكرسى والملايكة والوحى والنبوة
والروح وحقايق كل موجود غايب او شاهد وترتيب
الاكوان فى صدورها عن موجدها ومكونها كما مر وثالثها
التصرفات فى العوالم والاكوان بانواع الكرامات ورابعها
الفاظ موهمة للظاهر صدرت من الكثير من ايمة القوم
يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها
فمنكر ومحسن ومتاول فاما الكلام فى المجاهدات والمقامات
وما يحصل من الاذواق والمواجد فى نتايجها ومحاسبة
النفس على التقصير فى اسبابها فامر لا مدفع فيه لاحد
واذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة واما
الكلام فى كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم
فى الكاينات فامر صحيح غير منكر وان مال بعض العلما
الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ ابو اسحق
الاسفراينى من ايمة الاشعرية على انكارها بالتباسها بالمعجزة
فقد فرق المحققون من اهل السنة بينهما بالتحدى وهو
دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها
على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على
الصدق عقلية فان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع
الكاذب لتبدلت صفة النفس وهو محال هذا مع ان الوجود

شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وانكارها نوع مكابرة
وقد وقع للصحابه واكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم
مشهور واما الكلام فى الكشف واعطا حقايق العلويات
وترتيب صدور الكائنات فاكثر كلامهم فيه من نوع المتشابه
لما انه وجدانى عندهم وفاقد الوجدان بمعزل عن اذواقهم
فيه واللغات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لانها لم توضع
الا للمتعارف واكثره من المحسوسات فينبغى ان لا نعرض
لكلامهم من ذلك ونتركه فيما تركناه من المتشابه ومن
رزقه الله فهم شى من هذه الكلمات على الوجه الموافق
لظاهر الشريعة فاكرم بها سعاده واما الالفاظ الموهمه
التى يعبرون عنها بالشطحات ويواخذهم بها اهل الشرع
فاعلم ان الانصاف فى شان القوم انهم اهل
غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما
لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور
فمن علم منهم فضله واقتداوه حمل على القصد الجميل من
هذا وامثاله وان العبارة عن المواجد صعبة لفقدان
الوضع لها كما وقع لابى يزيد البسطامى وامثاله ومن
لم يعلم فضله ولا اشتهر فيواخذ بما صدر عنه من ذلك
اذ لم يتبين لنا ما يحملنا على تاويل كلامه واما من تكلم
بمثلها وهو حاضر فى حسه ولم يملكه الحال فمواخذ ايضا
ولهذا افتى الفقها واكابر الصوفية بقتل الحلاج لانه تكلم فى
حضور وهو مالك لحاله والله اعلم وسلف المتصوفة من
اهل الرسالة اعلام الملة الذين اشرنا اليهم من قبل لم يكن
لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك
انما همهم الاتباع والاقتدا ما استطاعوا ومن عرض له شى
من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يفرون منه ويرون
انه من العوايق والمحن وانه ادراك من ادراكات النفس

وتحقق ذلك من نسبته لاهل الرشاد فافهم

مخلوق حادث وان الموجودات لا تتخصص فى مدارك الانسان
وعلم الله اوسع وخلقه اكبر وشريعته بالهدايه املك
فلم ينطقوا بشى مما يدركون بل حظروا الخوض فى ذلك
ومنعوا من يكشف له الحجاب من اصحابهم من الخوض
فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا فى عالم
الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتدا ويامرون اصحابهم
بالتزامها وهكذا ينبغى ان يكون حال المريد والله اعلم
بحقيقه الحال

علم تعبير الرويا

هذا العلم
من العلوم الشرعيه وهو حادث فى الملة عندما صارت
العلوم صنايع وكتب الناس فيها واما الرويا والتعبير لها
فقد كان موجودا فى السلف كما هو فى الخلف وربما كان
فى الملل والامم من قبل الا انه لم يصل الينا للاكتفا فيه بكلام
المعبرين من اهل الاسلام والا فالرويا موجوده فى صنف
البشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها وقد كان يوسف
الصديق صلوات الله عليه يعبر الرويا كما وقع فى القران وكذ
ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابى بكر
رضى الله عنه والرويا مدرك من مدارك الغيب قال صلى الله
عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة وقال لم يبق من المبشرات الا الرويا الصالحة يراها
الرجل الصالح او ترى له واول ما بدى به النبى صلى الله عليه وسلم
من الوحى الرويا فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح
وكان صلى الله عليه وسلم اذا انتقل من صلاة الغداه يقول
لاصحابه هل راى احد منكم الليلة رويا يسالهم عن ذلك
ليستبشر بما يقع من ذلك فيما فيه ظهور الدين واعزازه
واما السبب فى كون الرويا مدركا للغيب فهو ان
الروح القلبى وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف
القلب اللحمى ينتشر فى الشريانات ومع الدم فى سائر

البدن وبه تكمل افعال القوى الحيوانيه واحساسها فاذا
ادركه الملال بكثرة التصرف فى الاحساس بالحواس الخمس
وتصريف القوى الظاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاه
من برد الليل انجس الروح فى سائر اقطار البدن الى مركزه
القلبى يستجم بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس
الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم فى اول
الكتاب ثم ان هذا الروح القلبى هو مطيه للروح العاقل
من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما فى عالم
الامر بذاته اذ حقيقته وذاته انه عين الادراك وانما
يمنع من تعقله للمدارك الغيبيه ما هو فيه من حجاب
الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا
الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقته وهو عين الادراك
فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله
فلا بد له من ادراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو
فى هذه الحاله قد خفت عنه شواغل الحس الظاهر كلها
وهى الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنالك من
المدارك اللايقة به من عالمه واذا ادرك ما يدرك
من عوالمه رجع به الى بدنه اذ هو ما دام فى بدنه جسمانى
لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية
للعلم انما هى الدماغية والمتصرف منها هو الخيال
فانه ينتزع من الصور المحسوسة صورا خيالية ثم يدفعها
الى الحافظة تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر
والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صورا اخرى
نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول
والخيال واسطة بينهما وكذلك اذا ادركت النفس من
عالمها ما تدركه القته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة
له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النايم كانه محسوس

فيتنزل

التقرير م

فيتنزل هذا المدرك من الروح العقلى الى الحس والخيال
ايضا واسطة هذا حقيقه الرؤيا ومن هذا يظهر لك الفرق
بين الرؤيا الصادقه واضغاث الاحلام الكاذبة فانها كلها
صور فى الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور متنزلة
من الروح العقلى المدرك فهى رؤيا وان كانت ماخوذة
من الصور التى فى الحافظة التى كان الخيال اودعها
اياها منذ اليقظة فهى اضغاث احلام واعلم ان للرؤيا
الصادقة علامات تؤذن بصدقها وتشهد بصحتها
فيستشعر الرائى البشارة من الله بما القى اليه فى نومه فمنها
سرعة انتباه الرائى عند ما يدرك الرؤيا كانه يعاجل الرجوع
الى الحس باليقظة ولو كان مستغرقا فى نومه لثقل ما القى
عليه من ذلك الادراك فيفر من تلك الحالة الى حالة الحس
التى تبقى النفس فيها منغمسة بالبدن وعوارضه ومنها
ثبوت ذلك الادراك ودوامه بانطباع تلك الرؤيا بتفاصيلها
فى حفظه فلا يتخللها سهو ولا نسيان ولا يحتاج الى احضارها
بالفكر والتذكر بل تبقى متصورة فى ذهنه اذا انتبه ولا
يعزب عنه شئ منها لان الادراك النفسانى ليس بزمانى
ولا يلحقه ترتيب بل يدركه دفعة فى زمن فرد واضغاث
الاحلام زمانية لانها فى القوى الدماغية يستخرجها
الخيال من الحافظة الى الحس المشترك كما قلناه وافعال
البدن كلها زمانية فيلحقها الترتيب فى الادراك والمتقدم
والمتاخر ويعرض النسيان العارض للقوى الدماغية وليس
كذلك مدارك النفس الناطقة اذ ليست بزمانية ولا
ترتيب فيها وما ينطبع فيها من الادراكات فينطبع
دفعة واحدة فى اقرب من لمح البصر وقد تبقى الرؤيا
بعد الانتباه حاضرة فى الحفظ اياما من العمر لا تشذ
بالغفلة عن الفكر بوجه اذا كان الادراك الاول قويا واذا

وهام

كان انما يتذكر الرؤيا بعد الانتباه من النوم باعمال
الفكر والوجهه اليها وينسى الكثير من تفاصيلها حتى يتذكرها
فليست الرؤيا بصادقه وانما هى من اضغاث الاحلام
وهذه العلامات من خواص الوحى قال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تحرك به لسانك لتعجل به
ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان
علينا بيانه والرؤيا لها نسبة من النبوه والوحى كما
فى الصحيح قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا جزء من ستة
واربعين جزء من النبوه فلخواصها ايضا نسبة الى خواص
النبوه بذلك القدر فلا تستبعد ذلك فهذا وجهه
والله الخالق لما يشا واما معنى التعبير فاعلم ان الروح
العقلى اذا ادرك مدركه والقاه الى الخيال فصوره فانما
يصوره فى الصور المناسبه لذلك المعنى بعض الشى
كما يدرك معنى السلطان الاعظم فيصوره الخيال
بصورة البحر ويدرك العداوة فيصورها الخيال فى
صورة الحيه فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا
انه راى البحر او الحيه فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد
ان يتيقن ان البحر صورة محسوسه وان المدرك وراها
ويهتدى بقراين اخرى تعين له المدرك فيقول مثلا
هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه
به السلطان وكذا الحيه يناسب ان يشبه بالعدو
لعظم ضررها وكذا الاوانى تشبه بالنسا لانهن اوعيه
وامثال ذلك ومن المراى ما يكون صريحا لا يفتقر
الى تعبيرها لجلايها ووضوحها او قرب الشبه فيها بين
المدرك وشبهه ولهذا وقع فى الصحيح الرؤيا ثلث
رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان
فالرؤيا التى من الله هى الصريحه التى لا يفتقر الى تاويل

والتى

والتى من الملك هى الرؤيا الصادقة تفتقر الى تاويل والرؤيا
التى من الشيطان هى الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا
القى اليه الروح مدركه فانما يصوره فى القوالب المعتاده
للحس وما لم يكن الحس ادركه قط من القوالب فلا يصور فيه
شيئا فلا يمكن من ولد اعمى اكمه ان يصور له السلطان بالبحر
ولا العدو بالحيه ولا النسا بالاوانى لانه لم يدرك شيئا
من هذه وانما يصور له الخيال امثال هذه فى شبهها ومناسبها
من جنس مداركه التى هى المسموعات والمشمومات وليتحفظ
المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه
ثم ان علم التعبير علم بقوانين كلية يبنى عليها المعبر عباره
ما يقص عليه وتاويله كما يقولون البحر يدل على السلطان
وفى موضع اخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفى موضع اخر
على الهم والامر القادح ومثل ما يقولون الحيه تدل على العدو
وفى موضع اخر يقولون تدل على الحياه وفى موضع اخر يقولون
هى كاتم سر وامثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكليه
ويعبر فى كل موضع بما تقتضيه القراين التى تعين من هذه
ما هو اليق بالرؤيا وتلك القراين منها فى اليقظه ومنها فى النوم
ومنها ما ينقدح فى نفس المعبر بالخاصية التى خلقت فيه
وكل ميسر لما خلق له ولم يزل هذا العلم متناقل بين السلف
وكان محمد بن سيرين فيهم من اشهر العلما به وكتبت عنه
فى ذلك قوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والف الكرمانى
فيه من بعده ثم الف المتاخرون واكثروا والمتداول بين
اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابى طالب القيروانى من
علما اهل القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشاره للسالمى
من انفع الكتب فيه واخصرها وكذلك كتاب المرقبة العليا
لابن راشد من مشيختنا بتونس وهو علم مضى بنور النبوة
للمناسبة التى بينهما ولكونها كانت من مدارك الوحى كما ثبت

والله علام الغيوب **العلوم العقلية واصنافها** ٥٥٥
واما العلوم العقليه التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر
فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم
ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع
الانساني مذ كان عمران الخليقة وتسمى هذه العلوم علوم
الفلسفه والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم **الاول**
علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب
المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفايدته تمييز الخطا
من الصواب فيما يلتمسه الناظر في التصورات والتصديقات الذاتية
والعرضية ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفيا وثبوتا
بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اما في المحسوسات
من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات
والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية او النفس التي
تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم
الطبيعي وهو علم الثاني منها **واما** ان يكون النظر في الامور
التي ورا الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي
وهو العلم الثالث منها والعلم الرابع وهو النظر في المقادير
وتشتمل على اربعة علوم وهي التي تسمى التعاليم اولها علم
الهندسة وهو النظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة
من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد
واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد
ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض
لها اما من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الى بعض
وثانيها علم الارثماطيقي وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل
الذي هو العدد ويوجد له من الخواص والعوارض اللاحقة
وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسبة الاصوات والنغم
بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين

الغنا ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر
اوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والثابتة والقيام
على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة
لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها
فهذه اصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم
وبعده التعاليم فالارثماطيقي اولا ثم الهندسة ثم الهيئة ثم
الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع
تتفرع عنه فمن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد
علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة
الازياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها
ليوقف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم
علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد
الى اخرها **واعلم** ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا
اخبارهم الامتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما
فارس والروم فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا
لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل
الاسلام وعصره لهم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في
افاقهم وامصارهم وكان الكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين
ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر والنجامة وما يتبعها
من التاثيرات والطلسمات واخذ ذلك عنهم الامم من فارس
ويونان واختص به القبط وطما بحرها فيهم كما وقع في المتلو
من خبر هاروت وماروت وشان السحرة وما نقله اهل العلم
من شان البرابي بصعيد مصر ثم تتابعت الملل بحظر ذلك
وتحريمه فدرست علومه وبطلت كان لم تكن الا بقايا يتناقلها
منتحلوا هذه الصنايع الله اعلم بصحتها مع ان سيوف الشرع
قائمة على ظهورها ومانعة من اختيارها **واما** الفرس
فكان شان هذه العلوم العقليه عندهم عظيما ونطاقها

متسعا لما كانت عليه دولهم من الضخامة واتساع الملك
ولقد يقال ان هذه العلوم انما وصلت الى يونان منهم
حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى
على كتبهم وعلومهم الا ان المسلمين لما افتتحوا بلاد فارس
واصابوا من كتبهم وصحايف علومهم مما لا ياخذه الحصر كتب
سعد بن ابى وقاص الى عمر بن الخطاب يستاذنه فى شانها
وتنفيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحها فى الماء فان يكن
ما فيها هدى فقد هدينا الله باهدى منه وان يكن ضلالا
فقد كفانا ه الله فطرحوها فى الماء او فى النار وذهبت علوم
الفرس فيها عن ان تصل الينا واما الروم فكانت الدوله
منهم ليونان اولا وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب
وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة وغيرهم
واختص فيها المشاؤن منهم اصحاب الرواق بطريقة حسنة فى
التعليم كانوا يقرون فى رواق يظلهم من الشمس والبرد على
ما زعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون من
من لدن لقمان الحكيم فى تلميذه الى سقراط الدن ثم الى
سقراط الدن ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو
ثم الى تلميذه الاسكندر الافرودسى وبامسطيوس
وغيرهم وكان ارسطو معلما للاسكندر ملكهم الذى
غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهم وكان
ارسخهم فى هذه العلوم قدما وابعدهم فيها صيتا وشهرة
وكان يسمى المعلم الاول فطار له فى العالم ذكر ولما انقرض
امر اليونانيين وصار الامر للقياصرة واخذوا بدين النصرانية
هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرايع فيها وبقيت
فى صحفها ودواوينها مخلدة باقية فى خزاينهم ثم ملكوا الشام
وكتب هذه العلوم باقية ثم جا الله بالاسلام وكان لاهله
الظهور الذى لا كفاء له وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه

للامم

للامم وابتدا امرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنايع
حتى اذا انتجع السلطان والدوله واخذوا من الحضارة
بالحظ الذى لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا فى الصنايع
والعلوم تشوفوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكمية
بما سمعوا من الاساقفة والاقسة المعاهدين بعض ذكر
منها وبما تسموا اليه افكار الانسان فيها فبعث ابو جعفر
المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة
فبعث اليه بكتاب اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات وقراها
المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر
بما بقى منها وجا المامون من بعد ذلك وكانت له فى
العلم رغبة بما كان ينتحله فانبعث لهذه العلوم حرصا
واوفد الرسل على ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين
وانتساخها بالخط العربى وبعث المترجمين لذلك فاوعى
منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا
وحذقوا فى فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا
كثيرا من اراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول لوقوف
الشهرة عنده ودونوا فى ذلك الدواوين واربوا على من
تقدمهم فى هذه العلوم وكان من اكابرهم فى الملة ابو نصر
الفارابى وابو على بن سينا بالمشرق والقاضى ابو الوليد
بن رشد والوزير ابو بكر بن الصايغ بالاندلس الى اخرين
بلغوا الغاية فى هذه العلوم واختص هولا بالشهرة والذكر
واقتصر كثير على انتحال التعاليم وما ينضاف اليها من علوم
النجامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة فى هذا المنتحل
على جابر بن حيان من اهل المشرق وعلى مسلمة بن احمد
المجريطى من اهل الاندلس وتلميذه ودخل على الملة من
هذه العلوم واهلها داخلة واستهوت الكثير من الناس بما
جنحوا اليها وقلدوا اراها والذنب فى ذلك لمن ارتكبه ولو شا

وربك ما فعلوه ثم ان المغرب والاندلس لما ركدت ريح العمران
به وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منه الا قليلا
من رسومه تجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة
من علما السنة ويبلغنا عن اهل المشرق ان بضايع هذه
العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم
وما بعده من ورا النهر وانهم على ثبج من العلوم العقلية والنقلية
لتوفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر
على تواليف في المعقول متعددة لرجل من عظما هراة من
بلد خراسان يشتهر بسعد الدين التفتازاني منها في علم
الكلام واصول الفقه والبيان تشهد بان له ملكة راسخة
في هذه العلوم وفي اثنائها ما يدل على ان له اطلاعا على العلوم
الحكمية وتضلعا بها وقدما عالية في سائر العلوم العقلية
والله يؤيد من يشا وكذلك يبلغنا لهذا العهد ان هذه العلوم
الفلسفية ببلاد الفرنجة من ارض رومة وما اليها من
العدوة الشمالية نافقة الاسواق وان رسومها هنالك
متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة
وحملتها متوفرون وطلبتها متكثرون والله اعلم بما هنالك
وهو يخلق ما يشاء ويختار

العلوم العددية ...

واولها الارثماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث
التاليف اما على التوالي او بالتضعيف مثل ان الاعداد
اذا توالت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها
مساو لجمع كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد
ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا
مثل الاعداد على تواليها والازواج على تواليها والافراد
على تواليها ومثل ان الاعداد اذا توالت على نسبة
واحدة بان يكون اولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها
الى اخرها او يكون اولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها

الى اخرها فان ضرب الطرفين احدهما في الاخر كضرب
كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد احدهما في
الاخر ومثل مربع الواسطة ان كانت العدة فردا وذلك
مثل اعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فاربعة فثمانية
فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع
المثلثات العددية والمربعات والمخمسات والمسدسات
اذا وضعت متتالية في سطورها بان يجمع من الواحد
الى العدد الاخير فيكون مثلثا وتتوالى المثلثات هكذا في
سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث مثلث الضلع
الذي قبله فيكون مربعة وتزيد على كل مربع مثلث الذي
قبله فيكون مخمسة وهلم جرا وتتوالى الاشكال على توالي
الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض ففي عرضه
الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات
على تواليها ثم المخمسات الى اخرها وفي طوله كل عدد واشكاله
بالغا ما بلغ ويحدث في جمعها وقسمة بعضها على بعض طولا
وعرضا خواص غريبة استقريت منها وتقررت في دواوينهم
مسايلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الزوج
وزوج الفرد وزوج الزوج والفرد فان لكل منها خواص
تختص به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن
اول اجزا التعاليم واثبتها ويدخل في براهين الحساب
وللحكما المتقدمين والمتاخرين فيه تواليف واكثرهم يدرجونه
في التعاليم ولا يفردونه بالتاليف فعل ذلك ابن سينا في
كتاب الشفا والنجاة وغيره من المتقدمين واما المتاخرون
فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفعته في البراهين
لا في الحساب فهجروه لذلك بعد ان استخلصوا زبدته
في البراهين الحسابية كما فعله ابن البنا في كتاب رفع الحجاب
وغيره والله تعالى اعلم ومن فروع علم العدد

صناعة الحساب وهى صناعة عملية فى حسبان
الاعداد بالضم والتفريق فالضم يكون فى الاعداد بالافراد
وهو الجمع وبالتضعيف اى يضاعف عدد باحاد عدد
اخر وهذا هو الضرب والتفريق ايضا يكون فى الاعداد
واما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقى
وهو الطرح او تفصيل عدد باجزا متساوية تكون عدتها
محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق
فى الصحيح من العدد او الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد
الى عدد وتلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون الضم
والتفريق فى الجذور ومعناها العدد الذى يضرب
فى مثله فيكون منه العدد المربع والعدد الذى يكون
مصرحا به يسمى المنطق ومربعه كذلك ولا يحتاج فيه الى
تكلف عمل بالحسبان والذى لا يكون مصرحا به يسمى الاصم
ومربعه اما منطق مثل جذر ثلاثة الذى مربعه ثلثة
واما اصم مثل جذر جذر ثلثة الذى مربعه جذر ثلثة وهو
اصم ويحتاج الى عمل من الحسبان فان تلك الجذور ايضا
يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة الحسابية حادثة
احتيج اليها للحسبان فى المعاملات والف الناس فيها
كثيرا وتداولوها فى الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن
التعليم عندهم الابتدا بها لانها معارف متضحة وبراهين
منتظمة فينشا عنها فى الغالب عقل مضئ درب على الصواب
وقد يقال ان من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره
انه يغلب عليه الصدق لما فى الحساب من صحة المبانى
ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا ويتعود الصدق
ويلازمه مذهبا ومن احسن التواليف المبسوطة فيها
لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولابن البنا
المراكشى فيه تلخيص منابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه

بكتاب

بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدى بما فيه
من البراهين الوثيقة المبانى وهو كتاب جليل القدر ادركنا
المشيخة تعظمه وهو جدير بذلك وساوق فيه المؤلف
رحمه الله كتاب فقه الحساب لابن منعم والكامل للاحدب
ولخص براهينهما وغيرها عن اصطلاح الحروف فيها الى علل
معنوية ظاهرة هى سر الاشارة بالحروف وزبدتها وهى كلها
مستغلقة وانما جاءها الاستغلاق من طريق البرهان شان
علوم التعاليم لان مسائلها واعمالها واضحة كلها واذا قصد
شرحها فانما هو اعطاء العلل فى تلك الاعمال وفى ذلك من العسر
على الفهم ما لا يوجد فى اعمال المسائل فتامله والله يهدى بنوره
من يشا ومن فروعه **الجبر والمقابلة** وهى صناعة
يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان
بينهما نسبة تقتضى ذلك فاصطلحوا فيها على ان جعلوا
للمجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب اولها العدد
لانه به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول
اليه وثانيها الشى لان كل مجهول فهو من حيث ابهامه شى
وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه فى المرتبة الثانية وثالثها
المال وهو مربع مبهم وما بعد ذلك فعلى نسبة الاس
فى المضروبين ثم يقع العمل المفروض فى المسئلة فيخرج الى معادلة
بين مختلفين او اكثر من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعض
ويجبرون ما فيها من الكسر حتى يكون صحيحا ويحطون المراتب
الى اقل الاسوس ان امكن حتى تصير الى الثلاثة التى عليها
مدار الجبر عندهم وهى العدد والشى والمال فان كانت
المعادلة بين واحد وواحد تعين فالمال والجذر يزول ابهامه
بمعادلة العدد ويتعين والمال ان عادل الجذور فيتعين بعدتها
وان كانت المعادلة بين واحد واثنين اخرجه العمل الهندسى
من طريق تفصيل الضرب فى الاثنين وهى مبهمة فيعينها

ذلك الضرب المنفصل ولا تمكن المعادلة بين اثنين واثنين
واكثر ما انتهت المعادلة عندهم الى ست مسائل لان المعادلة
بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة تجى ستة واول
من كتب فى هذا الفن ابو عبد الله الخوارزمى وبعده ابو كامل
شجاع بن اسلم وجا الناس على اثره فيه وكتابه فى مسائله
الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من
اهل الاندلس فاجادوا ومن احسن شروحاته كتاب القرشى
وقد بلغنا ان بعض ائمة التعاليم من اهل المشرق انهى المعادلات
الى اكثر من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج
لها كلها اعمالا وثيقة ببراهين هندسية والله يزيد فى الخلق
ما يشا ومن فروعه ايضا : المعاملات

وهو تصريف الحساب فى معاملات المدن فى البياعات
والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات
تصرف فى ذلك صناعتا الحساب فى المجهول والمعلوم والكسر
والصحيح والجذور وغيرها والغرض من تكثير المسائل المفروضة
فيها حصول المران والدربة بتكرر العمل حتى ترسخ الملكة فى
صناعة الحساب ولاهل الصناعة الحسابية من اهل الاندلس
فيها تواليف متعددة من اشهرها معاملات الزهراوى
وابن السمح وابى مسلم ابن خلدون من تلميذ مسلمة المجريطى
وامثالهم ومن فروعه ايضا الفرايض وهو صناعة
حسابية فى تصحيح السهام لذوى الفروض فى الوراثات اذا
تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته
او زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على كلّه او كان
فى الفريضة اقرار وانكار من بعض الورثة دون بعض فيحتاج
فى ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة الى كم تصح وسهام
الورثة من كل بطن مصححا حتى يكون حظوظ الوارثين من
المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها

من

من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسوره وجذوره
ومعلومه ومجهوله ويترتب على ترتيب ابواب الفرائض الفقهية
ومسائلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو
احكام الوراثات فى الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا
والتدبير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو
تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهى وهى من اجلّ العلوم وقد
يورد اهلها احاديث بنوية تشهد بفضلها مثل الفرايض ثلث
العلم وانها اول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى ان ظواهر
تلك الاحاديث كلها انما هى فى الفرايض العينية كما تقدم لا فرائض
الوراثات فانها اقل من ان تكون فى كميتها ثلث العلم واما الفرايض
العينية فكثيرة وقد الف الناس فى هذا الفن قديما وحديثا
واوعبوا ومن احسن التواليف فيه على مذهب مالك رحمه الله
كتاب ابن ثابت ومختصر القاضى ابى القسم الحوفى وكتاب ابن
المنمر والجعدى والصردى وغيرهم لكن الفضل للحوفى وكتابه
مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله محمد
بن سليمن السطى كبير مشيخة فاس فاوضح واوعب وللامام
الحرمين فيها تواليف على مذهب الشافعى تشهد باتساع باعه
فى العلوم ورسوخ قدمه وكذا الحنفية والحنابلة ومقامات
الناس فى العلوم مختلفة والله يهدى من يشا العلوم الهندسية
هذا العلم هو الناظر فى المقادير اما المتصلة كالخط والسطح
والجسم او المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية
مثل ان كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين
لا يلتقيان فى جهة ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين
متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل
ان الاربعة المقادير المتناسبة ضرب الاول منها فى الثالث
كضرب الثانى فى الرابع وامثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين
فى هذه الصناعة كتاب اوقليدس ويسمى كتاب الاصول والاركان

وهو ابسط ما وضع فيها للمتعلمين واول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين فمنها لحنين بن اسحق ولثابت بن قرة وليوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس عشر مقالة اربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة وواحدة في نسب السطوح بعضها الى بعض وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في المجسمات وقد اختصره الناس مختصرات كثيرة كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفا افرد له جزء منها واختصه به وكذا ابن الصلت في كتاب الاقتصار وغيرهم وشرحه اخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق واعلم ان الهندسة تفيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطا وينشا لصاحبها عقل على ذلك المهيع ولقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخلن منزلنا وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الاقذار وينقيه من الاوضار والادران وانما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات اما الاشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونان لثاوذوسيوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاوذوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منهما لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليهما فان الكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر باسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف

نعلم مالاوناوس

على

على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها واما المخروطات فهو من فروع الهندسة ايضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض له لذلك من العوارض ببراهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وفايدتها تظهر في الصنايع العمليه التي موادها الاجسام مثل النجارة والبنا وكيف تصنع التماثيل الغريبه والهياكل النادرة وكيف يتحيل على جر الاثقال ونقل الهياكل بالهندام والمنجال وامثال ذلك وقد افرد بعض المولفين في هذا الفن كتابا في الحيل العمليه يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة كل عجيب وربما استغلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسيه وهو موجود بايدي الناس وينسبونه لبني شاكر ومن فروع الهندسة المساحة وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار ارض معلومة بنسبة شبر او ذراع او غيرهما او نسبة ارض من ارض اذا قويست بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والفدن وبساتين الغراسة وفي قسمة الحوايط والاراضي بين الشركا او الورثة وامثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة كثيرة ومن فروع الهندسة المناظر وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بنا على ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي راسه نقطة الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في روية القريب كبيرا والبعيد صغيرا وكذا روية الاشباح الصغيرة تحت الما وورا الاجسام الشافة كبيرة وروية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والشعلة دائرة وامثال ذلك فيتبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفياته بالبراهين الهندسيه ويتبين به ايضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض التي ينبني عليه معرفة روية الاهلة وحصول

الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد الف فى هذا الفن
كثير من اليونانيين واشتهر من الف فيه من الاسلاميين
ابن الهيثم ولغيره فيه ايضا تواليف وهو من هذه العلوم
الرياضيه وتفاريعها **علم الهيئة** وهو علم ينظر فى حركات
الكواكب الثابتة والمتحيرة ويستدل بكيفيات تلك الحركات
على اشكال واوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات
المحسوسات بطرق هندسية كما يبرهن على ان مركز
الارض مباين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال
والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على
وجود افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم
وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة
وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بتعدد
الميول له وامثال ذلك وادراك الموجود من الحركات
وكيفياتها واجناسها انما هو بالرصد فانا انما علمنا حركات
الاقبال والادبار به وكذا ترتيب الافلاك فى طبقاتها
وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون
يعتنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الالات التى توضع ليرصد
بها حركة الكوكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق
وصناعة عملها والبرهان عليه فى مطابقة حركتها لحركة
الفلك منقول بايدى الناس واما فى الاسلام فلم يقع به
عناية الا فى القليل وكان فى ايام المامون شىء منه
وصنع هذه الالة المعروفة بذات الحلق وشرع فى ذلك
فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده
على الارصاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات
باتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الالة فى الرصد
لحركة الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق
فاذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك التقريب وهذه الهيئة

صناعة

صناعة شريفة وليست على ما يفهم فى المشهور انها تعطى
صورة السماوات وترتيب الافلاك بالحقيقة بل انما تعطى
ان هذه الصور والهيئات للافلاك لزمت عن هذه الحركات
وانت تعلم انه لا يبعد ان يكون الشىء الواحد لازما لمختلفين
فان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود
الملزوم ولا يعطى الحقيقة بوجه على انه علم جليل وهو
احد اركان التعاليم ومن احسن التواليف فيه كتاب المجسطى
منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونانيين الذين
اسماؤهم بطليموس على ما حققه شراح الكتاب وقد اختصره
الائمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وادرجه فى
تعاليم الشفاء ولخصه ابن رشد ايضا من حكماء الاندلس وابن
السمح وابن الصلت فى كتاب الاقتصار ولابن الفرغانى هيئة
ملخصة قربها وحذف براهينها الهندسية والله علم الانسان
ما لم يعلم **حساب الزيج** وهو صناعة حسابية
على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته
وما ادى اليه برهان الهيئة فى وضعه من سرعة وبطوء
واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب
فى افلاكها لاى وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على
تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة ولهذه الصناعة
قوانين كالمقدمات والاصول لها فى معرفة الشهور والايام
والتواريخ الماضية واصول متقررة من معرفة الاوج والحضيض
والميول واصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض
يضعونها فى جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين وتسمى
الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض
بهذه الصناعة تعديلا وتقويما وللناس فيه تواليف
كثيرة للمتقدمين والمتاخرين مثل البتانى وابن الكماد وقد
عول المتاخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن

بصقلية

اسحق ويزعمون ان ابن اسحق عول فيه على الرصد واذ
يهوديا كان بصلقيه ماهراً فى الهيئه والتعاليم وكان
قدعنى بالرصد وكان يبعث اليه بما يصح له من ذلك
من احوال الكواكب وحركاتها فكان اهل المغرب لذلك
عنوا به لوثاقة مبناه فيما يزعمون ولخصه ابن البنا فى اخر
سماه المنهاج فولع به الناس لما سهل من الاعمال فيه وانما
يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتبنى عليها الاحكام
النجومية وهو معرفه الاثار التى تحدث عنها باوضاعها
فى عالم الانسان من الملل والدول والمواليد البشريه والكوائن
الحادثة كما نبينه بعد ونوضح فيه ادلتهم ان شا الله تعالى

علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد فى الحدود
المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات وذلك
لان الاصل فى الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس
وجميع الحيوانات مشتركة فى هذا الادراك من الناطق
وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك الكليات وهى
مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل فى الخيال
من الاشخاص المتفقة صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص
المحسوسة وهى الكلى ثم ينظر الذهن بين تلك الاشخاص
المتفقه واشخاص اخرى توافقها فى بعض فيحصل له صورة
تنطبق ايضا عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يترقى
فى التجريد الى الكلى الذى لا يجد كليا اخر معه يوافقه
فيكون لاجل ذلك بسيطا وهذا مثل ما يجرد من اشخاص
الانسان صوره النوع المنطبقه عليها ثم ينظر بينه وبين
الحيوان ويجرد صورة الجنس المنطبق عليها ثم بينها
وبين النبات الى ان ينتهى الى الجنس العالى وهو الجوهر
فلا يجد كليا يوافقه فى شى فيقف العقل هنالك عن

التجريد

التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذى به يدرك العلوم
والصنايع وكان العلم اما تصوراً للماهيات ويعنى به ادراك
ساذج من غير حكم معه واما تصديق اى حكم بثبوت امر
لامر فصار سعى الفكر فى تحصيل المطلوبات اما بان يجمع تلك
الكليات بعض الى بعض على جهة التاليف فيحصل صورة فى
الذهن كلية منطبقة على افراد فى الخارج فتكون تلك الصورة
الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم
بامر على امر فيثبت له ويكون ذلك تصديقا وغايته فى الحقيقة
راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل فانما هى
معرفة حقائق الاشيا الذى هو مقتضى العلم الحكمى وهذا
السعى من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق
فاسد فاقتضى ذلك تمييز الطريق الذى يسعى به الفكر
فى تصحيح المطالب العلمية ليتميز بها الصحيح من الفاسد فكان
ذلك قانون المنطق وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا جملا
جملا ومتفرقا متفرقا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله حتى ظهر
فى يونان ارسطو فهذب مناحيه ورتب مسائل وفصوله
وجعله اول العلوم الحكميه وفاتحتها ولذلك يسمى بالعلم
الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى الفص وهو يشتمل على
ثمانيه كتب اربعه منها فى صوره القياس وخمسه فى مادته
وذلك ان المطالب التصديقيه على انحا فمنها ما يكون
المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب
فيه الظن وهو على مراتب فينظر فى القياس من حيث المطلوب
الذى يفيده وما ينبغى ان يكون مقدماته بذلك الاعتبار
ومن اى جنس تكون من العلم او الظن وقد ينظر فى
القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجه
خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة ويعنى به
المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال

للنظر الثاني فانه من حيث الصوره وانتاج القياس على الاطلاق
فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاجناس العاليه
التي ينتهي اليها تجريد المحسوسات في الذهن وهي التي ليس
فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا
التصديقيه واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس
وصورة انتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس وهذا
اخر النظر من حيث الصورة ثم الرابع كتاب البرهان وهو
النظر في القياس المنتج لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته
يقينية ويختص بشروط اخرى لافادة اليقين مذكورة فيه
مثل كونها ذاتيه واوليه وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام
في المعرفات والحدود اذ المطلوب فيها انما هو اليقين
لوجوب المطابقه بين الحدود والمحدود لا يحتمل غيرها
فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب والخامس
كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب وافحام
الخصم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص
ايضا من جهة افادته لهذا الغرض بشروط اخرى هي مذكورة
هنالك وفي هذا الكتاب تذكر المواضع التي يستنبط منها
صاحب القياس قياسه بتمييز الجامع بين طرفي المطلوب
المسمى بالوسط وفيه عكوس القضايا والسادس كتاب
السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط
به المناظر صاحبه وهو فاسد بالغرض الموضوع وانما كتب
ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه والسابع كتاب
الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على
المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات
والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التشبيه
والتمثيل خاصة للاقبال على الشيء والنفرة عنه وما يجب ان
يستعمل فيه من القضايا التخييلية هذه كتب المنطق الثمانية

عند

عند المتقدمين ثم ان الحكما اليونانيين بعد ان تهذبت
الصناعة ورتبت راوا انه لا بد من الكلام في الكليات
الخمس المفيدة للتصور المطابق للماهيات في الخارج او لاجزائها
او عوارضها وهي الجنس والفصل والنوع والخاصة والعرض
العام فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي
الفن فصارت مقالاته تسعا وترجمت كلها في الملة الاسلامية
وتناولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله
الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس
ولابن سينا كتاب الشفا استوعب فيه علوم الفلسفه
السبعه كلها ثم جا المتاخرون فغيروا اصطلاح المنطق
والحقوا بالنظر في الكليات الخمس ثمرته وهي الكلام
في الرسوم والحدود نقلوها من كتاب البرهان
وحذفوا كتاب المقولات لان نظر المنطقي فيه بالعرض لا
بالذات والحقوا في كتاب العبارة الكلام في العكس وان
كان من كتاب الجدل في كتب المتقدمين لكنه من توابع
الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من
حيث انتاجه للمطالب على العموم لا بحسب المادة وحذفوا
النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان
والجدل والخطابه والشعر والسفسطة وربما يلم بعضهم
باليسير منها الماما واغفلوها كان لم تكن وهي المهم المعتمد
في الفن ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاما مستبحرا
ونظروا فيه من حيث انه فن براسه لا من حيث انه آلة
للعلوم فطال الكلام فيه واتسع واول من فعل ذلك الامام
فخر الدين ابن الخطيب ومن بعده افضل الدين الخونجي
وعلى كتبه معتمد المشارقه لهذا العهد وله في هذه الصناعة
كتاب كشف الاسرار وهو طويل ومختصر الموجز وهو حسن
في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر اربعة اوراق اخذ بمجامع

الفن واصوله يتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به
وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وهي ممتليه
من ثمرة المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

فصل اعلم ان هذا الفن قد اشتد النكير
على انتحاله من متقدمي السلف والمتكلمين وبالغوا
في الطعن عليه والتحذير منه وحظروا تعلمه وتعليمه وجاء
المتاخرون من بعدهم من لدن الغزالي والامام ابن الخطيب
فسامحوا في ذلك بعض الشيء واكب الناس على انتحاله من
يومئذ الا قليلا يجنحون فيه الى راي المتقدمين فينفرون
عنه ويبالغون في انكاره فلنبين لك نكتة القبول والرد
في ذلك لتعلم مقاصد العلما في مذاهبهم وذلك ان
المتكلمين لما وضعوا علم الكلام لنصر العقايد الايمانية
بالحجج العقلية كانت طريقتهم في ذلك بادلة خاصة ذكروها
في كتبهم كالدليل على حدوث العالم باثبات الاعراض وحدوثها
وامتناع خلو الاجسام عنها وما لا يخلو عن الحوادث حادث
وكاثباتهم التوحيد بدليل التمانع واثبات الصفات القديمة
بالجوامع الاربعة الحاقا للغايب بالشاهد وغير ذلك من
ادلتهم المذكورة في كتبهم ثم قرروا تلك الادلة بتمهيد
قواعد واصول هي كالمقدمات لها مثل اثبات الجوهر الفرد
والزمن الفرد والخلاء ونفي الطبيعة والتركيب العقلي للماهيات
وان العرض لا يبقى زمنين واثبات الحال وهي صفة لموجود
لا موجودة ولا معدومة وغير ذلك من قواعدهم التي
بنوا عليها ادلتهم الخاصة ثم ذهب الشيخ ابو الحسن والقاضي
ابو بكر والاستاذ ابو اسحق الى ان ادلة العقايد منعكسة
بمعنى انها اذا بطلت بطل مدلولها ولهذا راى القاضي ابو بكر
انها بمثابة العقايد والقدح فيها قدح في العقايد لابتنائها
عليها واذا تاملت المنطق وجدته كله يدور على التركيب

العقلي

العقلي واثبات الكلي الطبيعي في الخارج لينطبق عليه الكلي
الذهني المنقسم الى الكليات الخمس التي هي الجنس والنوع والفصل
والخاصه والعرض العام وهذا باطل عند المتكلمين والكلي
والذاتي عندهم انما هو اعتبار ذهني ليس في الخارج ما يطابقه
او حال عند من يقول بها فتبطل الكليات الخمس والتعريف
المبني عليها والمقولات العشر ويبطل العرض الذاتي فيبطل
ببطلانه القضايا الضرورية الذاتيه المشترطة في البرهان
وتبطل المواضع التي هي لباب كتاب الجدل وهي التي يوخذ
منها الوسط الجامع بين الطرفين في القياس ولا يبقى
الا القياس الصوري ومن التعريفات المساوي في الصادقيه
على افراد المحدود لا يكون اعم منها فيدخل غيرها
ولا اخص فيخرج بعضها وهو الذي يعبر عنه النحاة بالجمع
والمنع والمتكلمون بالطرد والعكس وتنهدم اركان المنطق
جمله وان اثبتنا هذه كما في علم المنطق ابطلنا كثيرا من
مقدمات المتكلمين فيودي الى ابطال ادلتهم على العقايد
كما مر فلهذا بالغ المتقدمون من المتكلمين في النكير على انتحال
المنطق وعدوه بدعة او كفرا على نسبة الدليل الذي يبطل
والمتاخرون من لدن الغزالي لما انكروا انعكاس الادلة
ولم يلزم عندهم من بطلان الدليل بطلان مدلوله وصح
عندهم راي اهل المنطق في التركيب العقلي ووجود
الماهيات الطبيعيه وكلياتها في الخارج قضوا بان المنطق
غير مناف للعقايد الايمانيه وان كان منافيا لبعض
ادلتها بل قد يستدلون على ابطال كثير من تلك المقدمات
الكلاميه كنفي الجوهر الفرد والخلا وبقا الاعراض وغيرها
ويستبدلون من ادله المتكلمين على العقايد بادلة اخرى
يصححونها بالنظر والقياس العقلي ولم يقدح ذلك عندهم
في العقايد السنية بوجه وهذا راي الامام والغزالي وتابعيهما

عندهم وتبطل العلة العقلية
فيبطل كتاب البرهان
صح

لهذا العهد فتامل ذلك واعرف مدارك العلما ومآخذهم
فيما يذهبون اليه والله الهادى والموفق للصواب

الطبيعيات وهو علم يبحث عن الجسم من جهة
مايلحقه من الحركة والسكون فينظر فى الاجسام السماوية
العنصرية ومايتولد عنها من انسان وحيوان ونبات
ومعدن ومايتكون فى الارض من العيون والزلازل
وفى الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق
وغير ذلك وفى مبدا الحركة للاجسام وهو النفس على
تنوعها فى الانسان والحيوان والنبات وكتب ارسطو
فيه موجودة بين ايدى الناس ترجمت مع ماترجم
من علوم الفلسفة ايام المامون والف الناس على حذوها
مستتبعين لها بالبيان والشرح واوعب من الف فى
ذلك ابن سينا فى كتاب الشفا جمع فيه العلوم السبعة
للفلاسفة كما قدمنا ثم لخصه فى كتاب النجاة وفى كتاب الاشارات
وكانه يخالف ارسطو فى الكثير من مسائلها ويقول فيها
برأيه واما ابن رشد فلخص كتب ارسطو وشرحها متبعا
له غير مخالف والف الناس بعده فى ذلك كثيرا لكن هذه
هى المشهورة لهذا العهد والمعتبرة فى الصناعة ولاهل
المشرق عناية بكتاب الاشارات لابن سينا وللامام ابن
الخطيب عليه شرح حسن وكذا الامدى وشرحه نصير
الدين الطوسى المعروف بخواجه من اهل العراق وبحث
مع الامام فى كثير من مسائله فاوفى على انظاره وبحوثه
وفوق كل ذى علم عليم بلغ قبا

علم الطب

وهى صناعة تنظر فى بدن الانسان من حيث يمرض
ويصح فيحاول صاحبها على حفظ الصحة وبرء المرض
بالادوية والاغذية بعد ان يتبين المرض الذى يخص
كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض

التى

التى تنشأ وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك
بامزجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة
بنضجه وقبوله الدواء اولا فى السحنة والفضلات والنبض
محاذين بذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة فى حالتى الصحة
والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشى بحسب
ماتقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم
الجامع لهذا كله علم الطب وربما افردوا بعض الاعضاء
بالكلام وجعلوه علما خاصا كالعين وعللها واكحالها
وكذالك الحقوا بالفن منافع الاعضا ومعناه المنفعة التى
خلق لاجلها كل عضو من اعضا البدن الحيوانى وان لم يكن
ذلك من موضوع علم الطب الا انهم جعلوه من لواحقه
وتوابعه ولجالينوس فى هذا الفن كتاب جليل عظيم المنفعة
وهو امام هذه الصناعة التى ترجمت كتبه فيها من
الاقدمين يقال انه كان معاصرا لعيسى عليه السلام
ويقال مات بصقلية فى سبيل تقلب ومطاوعة اغتراب
وتواليفه فيها هى الامهات التى اقتدى بها جميع الاطبا
من بعده وكان فى الاسلام فى هذه الصناعة ائمة جاؤا
من ورآء الغاية مثل الرازى والمجوسى وابن سينا ومن
اهل الاندلس ايضا كثير واشهرهم ابن زهر وهى لهذا
العهد فى المدن الاسلامية كانها نقصت لخنوف
العمران وتناقصه وهى من الصنايع التى لاتستدعيها
الا الحضارة والترف كما نبينه بعد

فصل

وللبادية من اهل العمران طب يبنونه فى غالب الامر
على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ويتداولونه
متوارثا عن مشايخ الحى وعجائزه وربما يصح منه البعض
الا انه ليس على قانون طبيعى ولا عن موافقة للمزاج
وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم اطبا

معروفون كالحارث ابن كلده وغيره والطب المنقول في النبوات من هذا القبيل وليس من الوحي في شي انما هو امر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نوع ذكر احواله التي هي عادة جبلية لا من جهة ان ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعرفنا الشرايع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات وقد وقع له في شان تلقيح النخل ما وقع فقال انتم اعلم بامور دنياكم فلا ينبغي ان يحمل شيء من الذي وقع في الطب في الاحاديث الصحيحة المنقولة على انه مشروع فليس هنالك ما يدل عليه اللهم الا ان استعمل على جهة التبرك وبصدق العقد الايماني فيكون له اثر عظيم في النفع وليس ذلك من الطب المزاجي وانما هو من اثار الصدق في الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة المبطون بالعسل ونحوه والله الهادي الى الصواب **علم الفلاحة** هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تمنيته ونشوه بالسعي والعلاج واستجادة المنبت وصلاحية الفصل وتعاهده بما يصلحه يتمه من ذلك كله وكان للمتقدمين لهم به عناية كثيرة وكان النظر فيها من جهة غرسه وتمنيته وجهة خواصه وروحانيته ومشاكلتها لروحانية الكواكب والهياكل المستعمل ذلك في باب السحر فعظمت عنايتهم به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلما النبط مشتملة من ذلك على علم كبير ولما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب وكان باب السحر مسدودا والنظر فيه محظورا فاقتصروا منه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه وما

يعرض

يعرض له من ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جملة واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفن الاخر منها مغفلا نقل منه مسلمة في كتبه السحرية امهات من مسائله كما نذكر عند الكلام على السحر ان شا الله تعالى وكتب المتاخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون الكلام فيها في الغراس والعلاج وحفظ النبات من جوايحه وعوايقه وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة **علم الالاهيات** وهو علم ينظر بزعمهم في الوجود المطلق فاولا في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدة والكثرة والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادي الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها وترتيبها ثم في احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدا وهو عندهم علم شريف يزعمون انه يقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة بزعمهم وسياتي الرد عليهم بعد وهو تال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمونه علم ما بعد الطبيعة وكتب المعلم الاول فيه موجودة بين ايدي الناس ولخصها ابن سينا في كتاب الشفا والنجا وكذلك لخصها ابن رشد من حكما الاندلس ولما وضع المتاخرون في علوم القوم ودونوا فيها ورد عليهم الغزالي ما رده منها ثم خلط المتاخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لاشتراكهما في المباحث وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالاهيات ومسائله بمسائلها فصارت كانها في واحد وغيروا ترتيب الحكما في مسائل الطبيعيات والالاهيات وخلطوهما فنا واحدا قدموا فيه الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها وبالروحانيات وتوابعها الى اخر العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علما الكلام وصار علم الكلام

مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعها
ومسائلهما واحد والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب
لان مسائل علم الكلام انما هي عقايد متلقاة من الشريعة
كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا تعويل
عليه بمعنى انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع
وانظاره وما تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس
بحثا عن الحق فيها ليعلم بالدليل بعد ان لم يكن معلوما كما
هو شان الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد
عقايد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبهة اهل
البدع عنها الذين يزعمون ان مداركهم فيها عقلية وذلك
بعد ان تفرض صحيحة بالادلة النقلية كما تلقاها السلف
واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك ان مدارك
صاحب الشريعة اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الانظار
العقلية فهي فوقها ومحيطة بها لاستمدادها من الانوار
الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك
المحاط بها فاذا هدانا الشارع الى مدرك فينبغي ان نقدمه
على مداركنا ونثق به دونها ولا ننظر في تصحيحه بمدرك
العقل ولو عارضه بل نعتقد ما امرنا به اعتقادا وعلما ونسكت
عما لم نفهم من ذلك ونفوضه الى الشارع ونعزل العقل
عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام اهل الالحاد في
معارضات العقايد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد
عليهم من جنس معارضاتهم واستدعا ذلك الحجج النظرية
ومحاذات العقايد السلفية بها فليس من موضوع علم الكلام
~~والالهيات بالتصحيح والبطلان فليس من موضوع علم الكلام~~ زايد
ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لتميز به بين الفنين
فانهما مختلطان عند المتاخرين في الوضع والتاليف والحق
مغايرة كل منهما لصاحبه بالموضوع والمسائل وانما جا الالتباس

واما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطلان

من

من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج اهل الكلام
كانه انشا لطلب الاعتقاد بالدليل وليس كذلك بل انما هو
رد على الملحدين والمطلوب مفروض الصدق معلومه وكذا
جا المتاخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالمواجد ايضا
فخلطوا مسائل الفنين بفنهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلها
مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والحلول والوحدة وغير
ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة
وابعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة
لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل والوجدان
بعيد عن المدارك العلمية وانحائها وتوابعها كما بيناه ونبينه
والله الهادي الى الصواب بمنه وكرمه علوم السحر
والطلسمات وهي علم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس
البشرية بها على التاثيرات في عالم العناصر اما بغير معين
او بمعين من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو
الطلسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرايع لما
فيها من الضرر ولما يشترط من الوجهة الى غير الله من كوكب
او غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس الا ما وجد في كتب
الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل
النبط والكلدانيين فان جميع من تقدم من الانبيا لم يشرعوا
الشرايع ولا جاوا بالاحكام انما كانت كتبهم مواعظ وتوحيد
وتذكيرا بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من
السريانيين والكلدانيين وفي اهل مصر من القبط وغيرهم
وكان لهم فيها التواليف والاثار ولم يترجم لنا من كتبهم
فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية لابن وحشية من
اوضاع اهل بابل فاخذ الناس هذا العلم منها وتفننوا فيه
ووضعت بعد ذلك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة
وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرهم

مطلب في بيان حقيقة السحر

ثم ظهر بالمشرق جابر ابن حيان كبير السحرة في هذه الملة
فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص على زبدتها
فاستخرجها ووضع فيها عدة من التواليف واكثر الكلام
فيها وفي صناعة الكيميا لانها من توابعها لان احالة
الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما تكون بالقوى
النفسانية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر كما نذكره
في موضعه ثم جا مسلمه بن احمد المجريطي امام اهل الاندلس
في التعاليم فلخص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها
في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب احد في هذا
العلم بعده ولنقدم هنا مقدمة يتبين لك منها حقيقة
السحر وذلك ان النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع
فهي مختلفه بالخواص وهي اصناف كل صنف مختص بخاصية
لا توجد في الصنف الاخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة
لصنفها فنفوس الانبيا عليهم السلام لها خاصية تستعد بها
للانسلاخ من الروحانيه البشرية الى الروحانية الملكية
حتى يصير ملكا في تلك اللمحة التي انسلخت فيها وهذا هو
معنى الوحي كما مر في موضعه وهي في تلك الحالة محصلة
للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى
كما مر وما يتبع ذلك من التاثير في الاكوان ونفوس السحرة
لها خاصية التاثير في الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب
للتصرف بها والتاثير بقوة نفسانيه او شيطانيه فاما
تاثير الانبيا عليهم السلام فبمدد الهي وخاصية ربانية ونفوس
الكهنة لها خاصيه الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية
وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الاخر والنفوس
الساحرة على مراتب ثلاثة ياتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة
فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي يسميه الفلاسفة
السحر والثاني بمعين من مزاج الافلاك والعناصر او خواص

من الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو اضعف رتبة من الاول
والثالث تاثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التاثير الى
القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها
انواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك
ثم ينزلها الى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه
فينظر الراؤن كانها في الخارج وليس هناك شي كما يحكى
عن بعضهم انه يرى البساتين والانهار والقصور وليس
هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذه
او الشعبذه هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في
بالقوة شان القوى البشرية كلها وانما تخرج الى الفعل بالرياضة
ورياضة السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب
والعوالم العلوية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة
والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة الى غير الله وسجود له
والوجه الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرا والكفر من
مواده واسبابه كما رايت ولهذا اختلف الفقها في قتل الساحر
هل هو لكفره السابق على فعله او لتصرفه بالافساد وما ينشا
عنه من الفساد في الاكوان والكل حاصل منه ثم لما كانت
المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة
الاخيرة الثالثه لا حقيقة لها اختلف العلما في السحر هل له
حقيقة او انما هو تخييل فالقايلون بان له حقيقة نظروا الى
المرتبتين الاوليين والقايلون بانه لا حقيقة له نظروا الى
المرتبه الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر
بل انما جا من قبل اشتباه هذه المراتب والله اعلم واعلم
ان وجود السحر لا مرية فيه بين العقلا من اجل التاثير
الذي ذكرناه وقد نطق به القران قال الله تعالى ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا

انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين
المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى
كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في
مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بئر ذروان
فانزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفاثات
في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأ على عقدة
من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت واما وجود السحر
في اهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير
نطق به القران وجاءت به الاخبار وكان للسحر في مصر وبابل
ايام بعثة موسى عليه السلام سوق نافقة ولهذا كانت
معجزته من جنس ما يدعون ويتنازعون فيه وبقي من
آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك
ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور بخواص
اشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور امثال تلك
المعاني من اسما وصفات في التاليف والتفريق ثم يتكلم على
تلك الصورة التي اقامها مقام الشخص المسحور عينا او معنى
ثم ينفث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرار مخارج حروف
ذلك الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب اعده
لذلك تفاؤلا بالعقد واللزام واخذ العهد على من اشرك
به من الجن في نفثه في فعله ذلك استشعارا للعزيمة بالعزم
ولتلك البنية والاسما السيئة روح خبيثة تخرج منه مع
النفخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتنزل عنها
ارواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر
وشاهدنا ايضا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير الى كساء
او جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع متخرق ويشير
الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فاذا امعاؤها ساقطة

والمشاقة ما يغزل من الكتان عند المشط وجف الطلعة وعاؤها او قشرها ويكون مع التلقيح قاموس

بعجه كمنعه شقه ورجل بعيج [illegible] والبعج الشق قاموس

من

من بطونها على الارض وسمعنا ان بارض الهند لهذا العهد
من يشير الى انسان فيتحتت قلبه ويقع ميتا وينقلب عن قلبه
فلا يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة ويفتح فلا يوجد من
حبوبها شيء وكذلك سمعنا ان بارض السودان وارض
الترك من يسحر السحاب فيمطر الارض المخصوصة وكذلك
راينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتحابة
وهي رك رفد احد العددين مائتان وعشرون والآخر
مائتان واربعة وثمانون ومعنى المتحابة ان اجزاء كل واحد
التي فيه من نصف وربع وسدس وخمس وامثالها اذا
جمع كان مساويا للعدد الآخر صاحبه فتسمى لاجل ذلك المتحابة
ونقل اصحاب الطلسمات ان لذلك الاعداد اثرا في الالفة
بين المتحابين واجتماعهما اذا وضع لهما تمثالان احدهما
بطالع الزهرة وهي في بيتها او شرفها ناظرة الى القمر نظر
مودة وقبول ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويوضع
على احد التمثالين احد العددين والآخر على الآخر ويقصد
بالاكثر الذي يراد ائتلافه اعني المحبوب ما ادري الاكثر
كمية او الاكثر اجزاء فيكون لذلك من التاليف العظيم بين
ما لا يكاد ينفك احدهما عن الآخر قاله صاحب الغاية وغيره
من ائمة هذا الشان وشهدت له التجربة وكذا طالع الاسد
ويسمى ايضا طالع الحصى وهو ان يرسم في قالب هند صيني
صورة اسد شايلا ذنبه عاضا على حصاة قد قسمها بنصفين
وبين يديه صورة حية منسابة من رجليه الى قبالة وجهه
فاغرة فاها الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويتحين
لرسمه حلول الشمس بالوجه الاول او الثالث من الاسد
بشرط صلاح النيرين وسلامتهما من النحوس فاذا وجد
ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المثقال
فما دونه من الذهب وغمس من بعده من الزعفران محلولا

التحتت [illegible]

المتحابين

بمآ الورد ورفع فى خرقة حرير صفرا فانهم يزعمون ان
لممسكه من العز على السلاطين فى مباشرتهم وخدمتهم
وتسخيرهم له ما لا يعبّر عنه وكذلك للسلاطين فيه من
القوة والعز على من تحت ايديهم ذكر ذلك ايضا اهل هذا
الشان فى الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك
وفق المسدس المختص بالشمس ذكروا انه يوضع عند حلول
الشمس فى شرفها وسلامتها من النحوس وسلامة القمر
بطالع ملوكى يعتبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع
نظر مودة وقبول ويصلح فيه ما يكون فى مواليد الملوك
من الادلة الشريفة ويرفع فى خرقة حرير صفرا بعد ان
يغمس فى الطيب فزعموا ان له اثرا فى صحابة الملوك وخدمتهم
ومعاشرتهم وامثال ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلمة بن احمد
المجريطى هو مدون هذه الصناعة وفيه استيفاؤها وكمال
مسايلها وذكر لنا ان الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا
فى ذلك سماه السر المكتوم وانه بالمشرق يتداوله اهله
ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من ائمة هذا الشان
فيما يظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صنف من
هولا المنتحلين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالبعاجين
وهم الذين ذكرت اولا انهم يشيرون الى الكسا او الجلد
فيتخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج ويسمى احدهم
لهذا العهد باسم البعاج لان اكثر ما ينتحل من السحر بعج الانعام
يرهب بذلك اهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترون
بذلك فى الغاية خوفا على انفسهم من الحكام لقيت منهم
جماعة وشاهدت من افعالهم هذه واخبروني ان لهم
وجهة رياضية خاصة بدعوات كفرية واشراك لروحانية
الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى الخنزيرية
يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول

هذه

هذه الافعال وان التاثير الذى لهم انما هو فيما سوى الانسان
الحر من الامتعة والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك
بما يمشى فيه الدرهم اى ما يملك ويباع ويشترى من ساير
المتملكات هذا ما زعموه وسالت بعضهم فاخبرني به واما
افعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعايناها
من غير ريبة فى ذلك هذا شان السحر والطلسمات واثارهما
فى العالم فاما الفلاسفه ففرقوا بين السحر والطلسمات
بعد ان اثبتوا انهما جميعا اثر للنفس الانسانية واستدلوا
على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لها اثارا فى بدنها
على غير المجرى الطبيعى واسبابه الجسمانية بل اثار عارضة
من كيفيات الارواح تارة كالسخونة الحادثة فى الفرح والسرور
ومن جهة التصورات النفسانية اخرى كالذى يقع من قبل
التوهم فان الماشى على حرف حايط او على حبل منتصب
اذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد
كثيرا من الناس يعودون انفسهم ذلك بالدربة عليه حتى
يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحايط
والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك
من اثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل
التوهم واذا كان ذلك اثرا للنفس فى بدنها من غير الاسباب
الجسمانية الطبيعية فجائز ان يكون لها مثل هذا الاثر فى
غير بدنها اذ نسبتها الى الابدان فى ذلك النوع من التاثير
واحدة لانها غير حالة فى البدن ولا منطبعة فيه فثبت
انها موثرة فى ساير الاجسام واما التفرقة عندهم بين
الى معاين ما — السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج الساحر فيه
وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب واسرار
الاعداد وخواص الموجودات واوضاع الفلك الموثرة فى
عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون السحر اتحاد

روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم
ربط الطبايع العلوية السماوية بالطبايع السفلية والطبايع
العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبه
في غالب الامر بالنجامة والساحر عندهم غير مكتسب لسحره
بل هو مفطور على تلك الجبلة المختصة بذلك النوع من
التاثير والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان المعجزة
قوة الهية تبعث في النفس ذلك التاثير فهو مؤيد بروح الله
على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه
وبقوته النفسانية وبامداد الشياطين في بعض الاحوال
فبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس
الامر وانما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة
وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير وللنفوس
المتمحضة للخير والتحدي بها على دعوى النبوة والسحر
انما يوجد في صاحب الشر وفي افعال الشر في الغالب
من التفريق بين الزوجين وضرر الاعدا وامثال ذلك
وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما عند
الحكما الالاهيين وقد يوجد لبعض المتصوفة اصحاب
الكرامات تاثير ايضا في احوال العالم وليس معدودا
من جنس السحر وانما هو بالامداد الالهي لان نحلتهم
وطريقتهم من اثار النبوة وتابعها ولهم في المدد الالهي
حظ عظيم على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله
واذا اقتدر احد منهم على افعال الشر فلا ياتيها لانه متقيد
فيما ياتيه ويذره بالامر الالهي فما لا يقع لهم فيه الاذن
لا ياتونه بوجه ومن اتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق
وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى
الالهية فلذلك لا يعارضها شيء من السحر وانظر شان
سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصى كيف تلقف

ما يافكون وذهب سحرهم واضمحل كان لم يكن وكذلك
لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن
شر النفاثات في العقد قالت عائشه رضي الله عنها فكان
لا يقراها على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت
فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره بالهمة الايمانية
وقد نقل المورخون ان درفش كابيان وهي راية كسرى
كان فيها الوفق المئيني العددي منسوجا بالذهب في
طوالع فلكية رصدت لوضع ذلك فوجدت الراية يوم
قتل رستم بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام اهل
فارس وشتاتهم وهو فيما يزعم اهل الطلسمات والاوفاق
مخصوص بالغلب في الحروب وان الراية التي تكون فيها
او معها لا تنهزم اصلا الا ان هذه عارضها المدد الالهي
من ايمان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكلمة
الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا
يعملون واما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات
والشعبذه وجعلته كله بابا واحدا محظورا لان الافعال
انما اباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا الذي فيه
صلاح اخرتنا او في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا
وما لا يهمنا في شيء منهما فان كان فيه ضررا ونوع ضرر
كالسحر الحاصل ضرورة بالوقوع وتلحق به الطلسمات
لان اثرهما واحد وكالنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد
التاثير فتفسد العقيدة الايمانية برد الامور الى غير الله
فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبته في الضرر
وان لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا اقل من تركه
قربة الى الله فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعبذه بابا
واحدا لما فيها من الضرر وخصته بالحظر والتحريم واما

اى الوفق المشهور فيما بين حكماء الفرس بعد الرصد يعنى مائة فى مائة ٩

ضرره ظ

الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذى ذكره المتكلمون
انه راجع الى التحدى وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه
قالوا ووقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور
لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية لان صفة نفسها
التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا
وهو محال فاذا لا تقع المعجزة مع الكذب بالاطلاق واما
الحكما فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير
والشر فى نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا
يستعمل فى اسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر
ولا يستعمل فى اسباب الشر وكانهما على طرفى النقيض فى الخير
والشر فى اصل فطرتهما والله يهدى من يشا فصل

الاصابة بالعين

ومن قبيل هذه التاثيرات النفسانية الاصابة بالعين وهو
تاثير من نفس المعيان عندما يحسن بعينه مُدْرَكًا من
الذوات او الاحوال ويفرط فى استحسانه وينشأ عن ذلك
الاستحسان حسد يروم معه سلب ذلك الشى عمن اتصف
به فيؤثر فساده وهو جبلة فطرية اعنى هذه الاصابة
بالعين والفرق بينها وبين التاثيرات النفسانية ان صدوره
فطرى جبلى لا يتخلف ولا يرجع الى اختيار صاحبه ولا
يكتسبه وسائر التاثيرات وان كان منها ما لا يكتسب
فصدورها راجع الى اختيار فاعلها والفطرى منها قوة
صدورها لا نفس صدورها ولهذا كان القاتل بالسحر
او بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك
الا لانه ليس مما يريده ويقصده او يتركه وانما هو مجبور
فى صدوره عنه والله سبحانه وتعالى اعلم علم اسرار
الحروف وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا نقل وضعه
من الطلسمات اليه فى اصطلاح اهل التصرف من
المتصوفه فاستعمل استعمال العام فى الخاص وحدث

هذا

هذا العلم فى الملة بعد صدر منها وعند ظهور الغلاة من
المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق
على ايديهم والتصرفات فى عالم العناصر وتدوين الكتب
والاصطلاحات ومزاعمهم فى تنزل الوجود عن الواحد
وترتيبه وزعموا ان الكمال الاسمائى مظاهره ارواح الافلاك
والكواكب وان طبايع الحروف واسرارها سارية فى الاسما
فهى سارية فى الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن
الابداع الاول تنتقل فى اطواره وتعرب عن اسراره فحدث
لذلك علم اسرار الحروف وهو من تفاريع علوم السيميا
لا يوقف على موضوعه ولا يحاط بالعدد مسائله تعددت
فيه تواليف البونى وابن العربى وغيرهما ممن اتبع اثارهما
وحاصله عندهم وثمرته تصرف النفوس الربانية فى عالم
الطبيعة بالاسما الحسنى والكلمات الالهية الناشية عن
الحروف المحيطة بالاسرار السارية فى الاكوان ثم اختلفوا
فى سر التصرف الذى فى الحروف بما هو فمنهم من جعله
للمزاج الذى فيه وقسم بقسمة الطبايع الى اربعة اصناف
كما فى العناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف
يقع التصرف فى طبيعتها فعلا وانفعالا بذلك الصنف
فتنوعت الحروف بقانون صناعى يسمونه التكسير الى نارية
وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف
للنار والبا للهوا والجيم للما والدال للتراب ثم ترجع
كذلك على التوالى من الحروف والعناصر الى ان تنفد فتعين
لعنصر النار حروف سبعه الالف والها والطا والميم والفا
والشين والذال وتعين لعنصر الهوا سبعه ايضا البا والواو
واليا والنون والصاد والتا والضاد وتعين لعنصر الما سبعة
ايضا الجيم والزاى والكاف والسين والقاف والثا والظا
وتعين لعنصر التراب سبعة ايضا الدال والحا واللام والعين

يعنى ابا العباس البونى صاحب شمس المعارف الكبرى عزاه الله
وهو كتاب جليل القدر فى علم الحروف
والاوفاق الا ان النسخ الموجودة
منه فى ايدى الناس محرفة
مصحفة لا يعول
عليها

ا	ب	ج	د
ه	و	ز	ح
ط	ى	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

والرا والخا والغين فالحروف النارية لدفع الامراض البارده
ولمضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها اما حسا
او حكما كما فى تضعيف قوى المريخ فى الحروب والقتل والقهر
والمائية ايضا لدفع الامراض الحارة من حميات وغيرها
ولتضعيف القوى البارده حيث تطلب مضاعفتها حسا او حكما
كتضعيف قوة القمر وامثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف
الذى فى الحروف للنسبة العددية فان حروف ابجد دالة
على اعدادها المتعارفة وضعا وطبعا فبينها من اجل تناسب
الاعداد تناسب فى نفسها ايضا كما بين البا والكاف والرا
لدلالتها كلها على الاثنين كل فى مرتبته فالبا على اثنين
فى مرتبة الاحاد والكاف على اثنين فى مرتبة العشرات والرا
على اثنين فى مرتبة المئين وكالذى بينها وبين الدال
والتا لدلالتها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة
الضعف وخرج للاسما اوفاق كما للاعداد يختص كل صنف
من الحروف بصنف من الاوفاق الذى تناسبه من حيث
عدد الشكل او عدد الحروف وامتزج التصرف من السر
الحرفى والسر العددى لاجل التناسب الذى بينها فاما سر هذا
التناسب بين الحروف وامزجة الطبايع او بين الحروف والاعداد
فامر عسير على الفهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات
وانما مستنده عندهم الذوق والكشف قال البونى ولا
تظنن ان سر الحروف مما يتوصل اليه بالقياس العقلى وانما
هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهى واما التصرف فى عالم
الطبيعة بهذه الحروف والاسما المركبة منها وتاثير الاكوان
عن ذلك فامر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواترا وقد
يظن ان تصرف هولا وتصرف اصحاب الطلسمات واحد
وليس كذلك فان حقيقة الطلسم وتاثيره على ما حققه
اهله انه قوى روحانية من جوهر القهر تفعل فيما له ركب

فعل

فعل غلبة وقهر باسرار فلكية ونسب عددية وبخورات
جالبة لروحانية ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة فايدتها
ربط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية وهو عندهم كالخميرة
المركبة من ارضية وهوائيه ومائيه ونارية حاصلة فى جملتها
تحيل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقلبه الى صورتها
وكذلك الاكسير للاجسام المعدنية خميرة تقلب المعدن
الذى تسرى فيه الى نفسها بالاحالة ولذلك يقولون موضوع
الكيميا جسد فى جسد لان الاكسير اجزاوه كلها جسدانية
ويقولون موضوع الطلسم روح فى جسد لانه ربط
الطبايع العلوية بالطبايع السفلية والطبايع السفلية جسد
والطبايع العلويه روحانية وتحقيق الفرق بين تصرف اهل
الطلسمات واهل الاسما بعد ان تعلم ان التصرف فى عالم
الطبيعة كله انما هو للنفس الانسانية والهمم البشرية لان
النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحاكمة عليها بالذات
الا ان تصرف اهل الطلسمات انما هو فى استنزال روحانية
الافلاك وربطها بالصور او بالنسب العددية حتى يحصل من
ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة والقلب بطبيعته فعل الخميرة
فيما حصلت فيه وتصرف اهل الاسما انما هو بما حصل لهم
بالمجاهدة والكشف من النور الالهى والمدد الربانى فيسخر
الطبيعة لذلك طايعة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد
من القوى الفلكية ولا غيرها ويحتاج اهل الطلسمات الى
قليل من الرياضة تفيد النفس قوة على استنزال روحانية
الافلاك واهون بها درجة ورياضة بخلاف اهل الاسما
فان رياضتهم هى الرياضة الكبرى وليست لقصد التصرف
فى الاكوان اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض
كرامة من كرامات الله بهم فان خلا صاحب الاسما عن
معرفة اسرار الله وحقايق الملكوت الذى هو نتيجة المشاهدة

لاوتن مدد اعلا منها

والكشف واقتصر على مناسبة الاسما وطبايع الحروف والكلمات
وتصرف بها من هذه الحيثيه وهولاهم اهل السيميا في
المشهور كان اذن لا فرق بينه وبين اصحاب الطلسمات بل
صاحب الطلسمات اوثق منه لانه يرجع الى اصول طبيعية
علمية وقوانين مترتبة واما صاحب اسرار الاسما اذا فاته
الكشف الذي يطلع به على حقايق الكلمات واثار المناسبات
بفوات الخلوص في الوجهة وليس له في العلوم الاصطلاحية
قانون برهاني يعول عليه فيكون حاله اضعف رتبة وقد
مزج صاحب الاسما قوى الكلمات والاسما بقوى الكواكب فعين
لذكر الاسما الحسنى ومايرسم من وفاقها بل ولسائر الاسما
اوفاقا تكون من خطوط الكوكب الذي يناسب ذلك الاسم
كما فعله البوني في كتابه الذي سماه الانماط وهذه المناسبة
عندهم هي من لدن الحضرة العمائية وهي برزخية الكمال
الاسمائي وانما تنزل تفصيلها في الحقايق على ماهي عليه من
المناسبة واثبات هذه الكلمات عندهم انما هو بحكم المشاهدة
فاذا خلا صاحب الاسما عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة
تقليدا كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم بل هو اوثق منه
كما قلناه وكذلك قد يمزج ايضا صاحب الطلسمات عمله وقوى
كواكبه بقوى الدعوات المولفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة
بين الكلمات والكواكب الا ان مناسبة الكلمات عندهم ليس
كما هي عند اصحاب الاسما من الاطلاع في حال المشاهدة
وانما يرجع الى ما اقتضته اصول طريقتهم السحرية من اقسام
الكواكب بجميع ما في عوالم المكونات من جواهر واعراض
وذوات ومعان والحروف والاسما من جملة ما فيه فلكل
واحد من الكواكب قسم منها يخصه ويبنون على ذلك مباحث
غريبة منكرة من تقسيم سور القران وآيه على هذا النحو
كما فعله مسلمة المجريطي في الغاية والظاهر من حال البوني

في انماطه

في انماطه انه اعتبر طريقتهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها
وتصفحت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب
السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التي
فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب يسمونها قيامات
الكواكب اي الدعوة التي يقام له بها شهد لك ذلك اما بانه
من مادتها او بان التناسب الذي كان في اصل الابداع وبرزخ
العلم قضى بذلك كله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وليس كلما
حرمه الشرع من العلوم بمنكر الثبوت فقد ثبت ان السحر
حق مع حظره لكن حسبنا من العلم ما علمنا الله **تحقيق**
ونكتة هذه السيميا كما تحقق لك انها ضرب من السحر
يحصل برياضات شرعية وذلك انا قدمنا ان التصرف في عالم
الاكوان لصنفين من البشر هما الانبيا بالقوة الالهية التي فطرهم
الله عليها والسحرة بالقوة النفسانية التي جبلوا عليها وقد
يحصل للاوليا تصرف يكتسبونه بالكلية الايمانية وهو من
نتايج التجريد ولا يقصدون الى تحصيله وانما ياتيهم عفوا
والمتمكنون منهم اذا عرض لهم اعرضوا عنه واستعاذوا
بالله منه وعدوه محنة كما يحكى عن ابي يزيد البسطامي
انه وافا شاطئ دجلة عشاً متحفزاً فالتقى له طرفا الوادي
فاستعاذ بالله وقال لا ابيع حظي من الله بدانق وركب
السفينة عابرا مع الملاحين واما السحر فلابد فيه للجبلي منه
من الرياضة ليخرج من القوة الى الفعل وقد يحصل غير
الجبلي منه بالاكتساب وهو دون الجبلي فتعانا فيه الرياضة
كما تعانا في الاول وهذه الرياضة السحرية معروفة وقد
ذكر انواعها وكيفيتها مسلمة المجريطي في كتاب الغاية
وجابر بن حيان في رسايله وغيرهما ويستعملها كثير ممن
يقصد اكتساب السحر وتعلمه على قوانينها وشروطها
الا ان هذه الرياضة السحرية التي للاولين مشحونة بالكفريات

شرعية خ

كالتوجهات للكواكب والدعوات لها التي يسمونها قيامات لاستجلاب روحانيتها وكاعتقاد التاثير من غير الله في ربط الفعل بالطوالع النجومية وبمناظرة الكواكب في البروج لتحصيل الاثر المطلوب فاعتمد لذلك كثير ممن يروم التصرف في عالم الكائنات وقصدوا طريق تحصيله على وجه يبعد عن ملابسة الكفر وانتحاله وقلبوا تلك الرياضة شرعية باذكار وتسبيحات ودعوات من القران والاحاديث النبوية هداهم الى معرفة المناسب منها للحاجة ماقدمناه من انقسام العالم بما فيه من ذوات وصفات وافعال باثار الكواكب السبعة ويتحرون مع ذلك الساعات والايام المناسبة لانقسامها كذلك ويتسترون بتلك الرياضة الشرعية تحرجا من السحر المعهود الذي هو كفر او يدعو اليه ويتمسكون بالوجهة الشرعية لعمومها وخلوصها كما فعله البوني في كتاب الانماط وغيره من كتبه وفعله غيره وسموا هذه الطريقة بالسيميا توغلا في الفرار من اسم السحر وهم في الحقيقة واقعون في معناه وان كانت الوجهة الشرعية حاصلة لهم فلم يبعدوا كل البعد عن اعتقاد التاثير لغير الله ثم انهم يقصدون التصرف في عالم الكائنات وهو محظور عند الشارع وما وقع منه للانبياء في المعجزات فبامر الله واقداره وما وقع للاولياء فباذن من الله يحصل لهم بخلق العلم الضروري الهاما وغيره ولا يتعمدونه من دون اذن فلا تثق بما يموهون به هؤلاء في علم السيميا فانما هي كما قررته لك من فنون السحر وضروبه والله الهادي الى الحق بمنه

فصل ومن فروع علم السيميا عندهم استخراج الاجوبة من الاسولة

بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون انها اصل في معرفة

ما يحاولون عليه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاياة والمسائل السيالة ولهم في ذلك كلام كثير من اوعبه واعجبه **زايرجة العالم للسبتي** وقد تقدم ذكرها ونبين هنا ما ذكروه في كيفية العمل بتلك الزايرجة ونسرد القصيدة المنسوبة للسبتي بزعمهم في ذلك وبعدها صفة الزايرجة بدايرتها وجدولها المكتوب بحولها ثم نكشف عن الحق فيها وانها ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها في الافادة الخطابية فقط وهي ملحة من الملح غريبة في استخراج الجواب من السؤال بالصناعة التي يسمونها صناعة التكسير وقد اشرنا الى ذلك كله من قبل وليس عندنا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا انا تحرينا اصح النسخ منها في ظاهر الامر وهي هذه

يقول سبيتي ويحمد ربه ... مصل على هاد الى الناس ارسلا
محمد المبعوث خاتم الانبيا ... ويرضى عن الصحب ومن لهم تلا
الا هذه زايرجة العالم الذي ... تراه بحسكم وبالعقل قد جلا
فمن احكم الوضع فيحكم جسمه ... ويدرك احكاما تونثرها العلا
ومن احكم الربط فيدرك قوة ... ويدرك التقوى وللكل حصلا
وفي عالم الامر تراه محققا ... وهذا مقام من بالافكار كملا
فهذي سراير عليكم بكتمها ... اقمها دوايرا وبالجاء عدلا
وطالها عرش وفيه نقوشها ... بنظم ونثر وتراه مجدولا
ونسب دواير كنسبة فلكها ... وارسم كواكب لادراجها العلا
واخرج لاوتاره وارسم حروفها ... وكرر بمثليها على حد من خلا
اتم شكل زيرهم وسو بيوته ... وحقق بيم حيث نورهم جلا
وحصل علوما للطبايع مهندسا ... وعلما بهيئات والارباع مثلا
وسو بموسيقا وعلم حروفهم ... وعلم بالة فحقق وحصلا
وسو دواير ونسب حروفها ... وعالمها اطلق والاقاليم جدولا

اميرلنا يهوى بجاية دولة … زناتية اتت وحكم لها جلا
وقطر لاندلس فابن لهود هم … وجا ابنو نصر وظعز هم تلا
ملوك وفرسان واهل الحكم … فان شئت نصبهم فقطرهم
ومهدي موحد بتونس حكمهم … ملوك لمشرق بالاوفاق نزلا
واقسم على القطر وكن معتقدا … فان شئت بالرومي بلاد الحرشكلا
فغنش وبرشلون والراحرفه … وافرنسهم ذاك وبالطا كملا
ملوك كناوة وسند مهرمس … وفرس طرى وما بعدهم طلا
فقيصرهم جا ويزدجردهم … لكاف وقنطنهم بلامه طولا
وعباس كلهم شريف معظم … ولكن تدكى اذا الفعل عطلا
فان شئت تدقيق الملوك واحكمهم … فختم بثوتا ثم نسبه جدولا
على حكم قانون الحروف وعلمها … وعلم طباعها وكله ميلا
فمن علم العلوم يعلم علمنا … ويعلم اسرار الوجود واجملا
فترسخ علمه ويعرف ربه … وعلم صلاحيم بحم فصلا
وحيث اتى اسم والعروض … فصفه محكم الحكيم فيه قطعا
ويأتيك احرف فسوّ لضربها … واحرف تسويه يأتيك فيصلا
فمكن بتكسير وقابل وعوضن … ترنيمك الغالى للاجزا خللا
وفى العقد والمجذور يعرف غالبا … وزدنح وصفيه ففى العقل فلا
واختر لمطلع وسو بيوته … واعكس بجذوره وبالدور عدلا
ويدركها المرء فيبلغ قصده … ويعطى حروفها وفى نظمها الجلا
اذا كان سعد والكواكب اسعدت … فحسبك فى الملك ونيل سهامها العلا
وايقاع ذا الهد بموز ثمة … فنسب دنا دنيا بجذ فيه منهلا
واوتار زيرهم فللحا بمتهم … ومبناهم المثلث بجيمه قد حلا
وادخل بافلاك وعدل بجدول … وارسم اباجاد وباقيه جملا
وحور سدود البحر بحر ومثله … اتى فى عروض الشعر عن جملة
فاصنع له بيتا واصل لغتبنا … وعلم لنحونا فاحفظ وحصلا
فادخل لقسطاط على العود جدوله … وسبح لاسمه وكبر وهللا
فيخرج ابياتا فى كل مطلب … بنظم طبيعى وستر من العلا

وبعا

وبعما نحصر كذا حلم عددهم … فعلم الفواتح يرى فيه سهلا
فيخرج ابياتا وعشرون ضعفت … من الالف طبعا فيا صاح جدولا
بريك صنايعا من الضرب اكملا … فتفتح لك المنا وتفتح لك العلا
وسبح بزبرهم واثن سفره … اتمها دواير الزير وحصلا
اتمها باوفاق واصّل لعددها … من اسرار حرفهم فغذيه سلسلا

بهعر لاك ولاح واه عم بدىلا سعل ط الم ن ح ع ف ق ل مناظره

الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكيفيتها ومقادير المقابل منها وقوة الدرجة المميزة بالنسبة الى موضع المعلق من امتزاج طبايع وعلم طب اوصناعة الكيميا

ايا طالبا للطب من علم جابر … وعالم مقدار المقادير بالولا
اذا شئت علم الطب لا تدلسم … لاحكام ميزان يصادف منهلا
فيشفى عليكم والاكسير محكم … وامزاج وصعلم بتصحيح انجلا

الطب الروحاني

ريستا بلاوس لاعز كاهه ودهنه بحلا لبهرام برحس وسعه اكملا
لتحليل وجاع البوارد صححوا … كذلك والتركيب حيث تنقلا
بمسح قهى ٥ ٥ ٢ قهى ٦ صح آ ى ٦ ملح ... قهى ماى ٧ مه لا ٥ ٤
... ع ٧ هه لمح ح ستا ... ١٧

مطالع الشعاعات فى مواليد الملوك وسهم

وعلم مطارح الشعاعات مشكل … وضلع تثنيها بمسلقة حلا
ولكن فى حج مقام امامنا … ويبدوا اذا عرض الكواكب عدلا
بذاك مراكز بين طولها وعرض … فمن ادركه ثم موصلا
مواقع تربيع وسدس لسعط … لتسديسهم بثلث بيت الذى تلا
يراد لتربيع وهذا قياسه … نعسا وجذره وبالعين اعملا
وفى نسبة الربعين ركب … شعاعك بضاد وضعفه وتربيعه

اختص ٥ صح عت ٨ سح ولى هد العمل هما بالملوك والقانون يطرد عمله ولم يرا محجب منه مقامات الملوك المقام الاول ٥ المقام الثانى ٩ ... سعر المقام الثالث ع ح ...

المقام الرابع ﻫ المقام الخامس لاى المقام السادس ٢٦
المقام السابع عرے حط الاتصال والانفصال ••
عرہ٤٥ طس٤ لح حط الاتصال ر١٢ ادداح لح حط الانفصال
مح ٢ اح د٩ ﻫ الربو للجمع ومانع للحدر التام ••
الاتصال والانفصال ٢ ٢ لح ااا ک لح
ع لح الواجب التام فى الاتصالات مح ٥ لح ﻫ
امام الانوار ٣ ٤ ٦ ﺷ الحدر المحسع العمل
امام السوال عن الملوك ٥ ١ ٥ ٢ لح
مقام الاولاد مقام نور عه مقام بها ٤ ح •

بكذا وجد فى النسخ المفقودة

الانفعال الروحانى والانقياد الربانى

ايا طالب السر لتهليل ربه	لدى اسمائه الحسنى يصادف منهلا
بطبعك اخبار الايام يطلهم	لذلك رسمهم وفى السمن اعملا
ترى عامة الناس اليك تعتدو	وما مثله حقا متى الغير اهملا
طريقك هذا السبيل والسبيل الذى	اقوله غيركم ونصر كم احفلا
كذى النون والحمد مع سر صسم	وفى سر بسطام اراك مسرتلا
وفى العالم العلوى يكون محدثا	كذا قالت الهند وصوفية الملا
طريق رسول الله بالحق ساطع	وما حكم منع مثل جبريل انزلا
فطلسك تهليل وقوسك مطلع	ويوم الخميس البدو والاحد انجلا
وفى جمعه ايضا بالاسما مثل	وفى اسمى الحسنى يكون مكملا
وفى طائه ستر وفى صاده اذا	اراك بها مع نسبة الكل اعتلا
وساعه سعد شرطهم فى نقوشها	وعود ومصطكا بجور تحملا
ويتلى عليها اخر الحشر دعوه	والاخلاص والسبع المثانى مرتلا

اتصال انوار الكواكب بلعانى لا ﻫ ح ط ع س لا م

وبكذا فى نسخه لا ﻫ ح ط ع س

سع ں مح ﻫ و لح ى ر ﺳ

وفى يدك اليمنى حديد وخاتم	وكل براسك وفى دعوه فلا
وايه حشر فاجعل القلب لوحها	واتل اذا يامر الايام ورتلا
هى السر فى الاكوان لاسوى غيرها	هى الايه العظمى تحقق وحصلا

يكون

تكون بها حطنا اذا احدث حدثهم	ويدرك اسرارا من العالم العلا
سرى بها ماجا ومعروف بعده	وباح بها الحلاج جهرا فصلا
وكان بها الشبلى بذات وانما	الى ان رقا فوق المريدين واعتلا
فضحص من الاناس ملك حامدا	ولازم لاذكار وصم وسعلا
مما نال سر القوم الاعمق	علم باسرار العلوم محصلا

ع مح ح ٥ ٧ ٤ ک لح ص ٣ لح س ے اع ٤ لا ٤ ٢

دعد ل ص ٢ ا ك ل م مقام المحبة وصل النفوس والمجاهده والطاعه والعبادة وحب وتعشق وفنا الغنا وتوجه ومراقبه وحل دائمه الانفعال الطبعى

للربع

لبرجيس فى المحبة الوفق صرفوا	لعصدى او نحاس الخلط اعملا
وقيل نعصه صحيحا رايه محملك	طالعا حطوطه ما علا
توخ به زياده النور للقمر	وجملك للقبول سمسه اصلا
ويومه والبخور عود لهندهم	ووقت لساعه ودعوته الا
ودعوته لعابه فهى اعملت	وعن طلسمان دعوه وطاحلا
وقيل يدعوه حروف لوضعها	بحرهوا او مطالب اهلا
سفس احرفا دال ولامها	ودلك وفق للربع حصلا
اذا لم يكن بهوى هواك دلالها	فذلك لسدوا واورست معطلا
محس لنابه وبا بهم الى هواك	وبا نهم ملبله حملا
وبعس مساكل سرط البعضهم	وما روب لسه لعملك عدلا
ومفتاح مريم وفعلها سوا	فنودى وبسطامى بسور بها تلا
وجعلكها لعصد وكن معقدا	اوله وحشى لنصه مسلا
فاعكس شبوتها مالف وسع	ساطرها سر وفى سرها انجلا

فصل فى المقامات للنهاية

لك الغب صوره من العالم العلا	ويوجدها دارا وملبسها الحلا
ويوسف فى الحسن وهذا شبهه	سر ويرسل حقيقه اسرلا
وفى يده طول وفى العس ناطق	فتحكى الى عود لحادث بلبلا
وقد حن بهلول بعشق جمالها	وعبد بحليها لبسطام لحدلا

ومانا حليه واشرب حبها ... حندو بصري والجسم اهملا
فتطلب في التهليل عاشه ومن ... باسمايه الحسنى بلا نسبة خلا
ومن صاحب الحسنى له الفوز بالنهى ... وسهم بالزلفى لدى حضرة العلا
ويحر بالغسل واحد سحدهم ... تريك محاسنا لمن كان مؤيلا
فهذا هو النور وحسن ساله ... ومنها زيادات لتفسيرها تلا

الوصيه والبحم والايمان والاسلام والتحريم والاهليه

فهذا قصيدنا وتسعون عده ... وما زاد خطبة وختما وحدو لا
محبت لابيات وتسعون عدها ... لولدنا سانا وما حصرها انجلا
فمن فهم السر فنفهم نفسه ... ونصهم بعسر امسانها اسكلا
حرام وشرعي لاظهار سرنا ... لناس وان حصوا وكانه الاهلا
فان شئت اهله فغلط بميسهم ... ونفهم برحله ودين بطولا
لعلك ان سخوا وسامع سرهم ... من القطع بالافشا فتراس
فيحل لعباس نسره كاتم ... فنال سعادات وبالبعد علا
وقام رسول الله في الناس خاطبا ... فمن داس عشره فدلل اكملا
وعدركنا الارواح اجساد مطهر ... فنال لعلمهم بدو بطولا
الى العالم العلوي نعني فناو نا ... ويلبس ابواب الوجود على
فقد تم نظمنا وصلى الهنا ... على خاتم الرسل صلاتها العلا
وصل الله العرش ذو المجد و العلى ... على سيد ساد الانام ومحلا
محمد الهادي الشفيع امامنا ... واصحابه اهل المكارم والعلا

فرسه باسب عن الحله س ح اسع ح صح ح ٥٥١٤٥٠ وطع ٨٠٥١١١

تصحيح النيرين وتعديل الكواكب عند كل تاريخ مطلوب

باس لدل ط ووه ١٨٤ لوطرح الاوبار الكليه ٤٤٥٤٤٤٤٢٢١ ٥١ صح
الاول عم ٤٥٢٤٣٤٥ عوح ٤٥٥٤٦٤٥١٤٥٤٦٤ح ٤٥٨٤٥١٤٥٢ح ١٥٠٤٥٤٥٤٥٤٥٤
كملتا الزايرجه ... والله بولى ... ممل

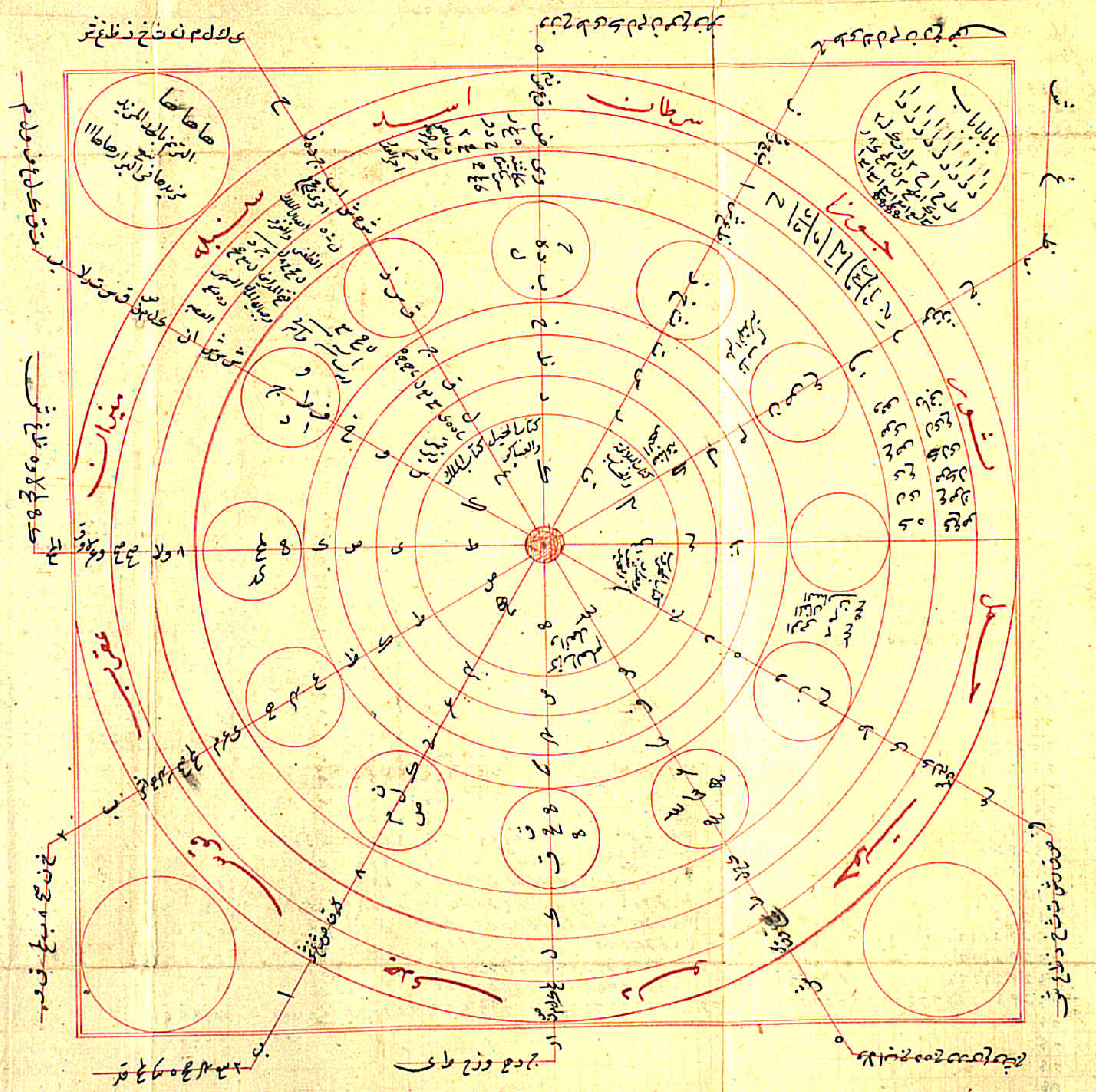

اسد
سرطان
جوزا
سنبله
میزان
ثور
حمل

الدرج ط

كيفية العمل فى استخراج اجوبة المسائل من زايرجة العالم

يجوز الله السؤال له ثلثمائة وستون جوابا عدة وتختلف الاجوبة
عن سؤال واحد فى طالع مخصوص باختلاف الاسوله
المضافه الى حروف الاوتار وتناسب العمل من استخراج
الاحرف من بيت القصيده **تنبيه** تركيب حروف الاوتار
والجدول على ثلثة اصول حروف عربية تنقل على هيأتها
وحروف برسم الغبار وهذه تتبدل فمنها ما ينقل على هيئة
متى لم تزد الادوار عن اربعه فان زادت عن اربعة نقلت
الى المرتبه الثانيه من مرتبه العشرات وكذلك لمرتبة
المائيين على حسب العمل كما سنبينه ومنها حروف برسم
الزمام كذلك غير ان رسم الزمام يعطى نسبة ثانيه فهى بمنزلة
واحد الف وبمنزله عشره ولها نسبة من خمسه بالعربى
فاستحق البيت من الجدول ان توضع فيه ثلاثة حروف
فى هذا الرسم وحرفين فى الرشم فاختصروا من الجدول
بيوتا خاليه فمتى كانت اصول الادوار زائدة على اربعة
حسبت فى العدد فى طول الجدول وان لم تزد عن اربعه
لم تحسب الا العام منها والعمل فى السؤال يفتقر الى
سبع اصول عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد
طرحها اثنى عشر وهى ثمانيه ادوار فى الكامل وستة
فى الناقص ابدا ومعرفه درج الطالع وسلطان البرج
والدور الاكبر الاصلى وهو واحد ابدا وما يخرج من اضافة
الطالع للدور الاصلى وما يخرج من ضرب الطالع والدور
فى سلطان البرج واضافه سلطان البرج للطالع والعمل
جميعه ينتج على ثلثه ادوار مضروبه فى اربعه تكون اثنى
عشر دورا ونسبة هذه الثلثه ادوار التى هى كل دور
من اربعه ثلثه كل نشأة لها ابتدا ثم انها تضرب ادوارا
رباعيه ايضا ثلاثيه ثم انها من ضرب ستة فى اثنين

بذا وجد

فكان لها نشاه يطهر ذلك فى العمل وتتبع هذه الادوار
نتايج وهى الادوار اما ان تكون نتيجه او اكثر
الى ستة فاول ذلك نعرض سوال سائل عن الزايرجة هل
هى علم محدث ام قديم بطالع اول درجة من القوس
فوضعنا حروف وبر راس القوس ونظيره من راس الجوزا
وثالثه وتر راس الدلو الى حد المركز واضفنا اليه حروف
السوال ونظرنا عدتها واقل ما تكون ثمانيه وثمانين واكثر
ما تكون ستة وتسعين وهو جمله دور صحيح فكانت فى
سوالنا ثلثه وتسعين ويختصر السوال ان زاد على ستة
وتسعين كما تسقط جميع ادواره الاثنى عشريه ويحفظ
ماخرج منها وما بقى فكانت فى سوالنا سبعه ادوار الباقى
تسعه اثبتها فى الحروف مالم تبلغ الطالع اثنى عشر درج
فان بلغ لم تثبت لها عده ولا دور ثم تثبته اعدادها
ايضا ان زاد الطالع عن اربعه وعشرين فى الوجه الثالث
ثم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان الطالع وهو اربعه
والدور الاكبر وهو واحد واجمع مابين الطالع والدور
وهو اثنان فى هذا السوال واضرب ماخرج منهما فى سلطان
البرج تبلغ ثمانيه واضف السلطان للطالع يكون خمسة
فهذه سبعه اصول فما خرج من ضرب الطالع والدور الاكبر
فى سلطان القوس مالم يبلغ اثنى عشر فيه فتدخل فى ضلع
ثمانيه من اسفل الجدول صاعدا وان زاد على اثنى عشر
طرح ادوارا وتدخل بالباقى فى ضلع ثمانيه وتعلم على
منتهى العدد والخمسة المستخرجه من السلطان والطالع
يكون الدخل فى ضلع السطح المبسوط الاعلى من الجدول المدخل
وتعد مواليا خمسات ادوارا وتحفظها الى ان يقف العدد
فى مقابلة البيوت العامره بالعدد من الجدول وان وقف
فى مقابلة الخالى من بيوت الجدول على احدهما فلا يعتبر

وتستمر على ادوارك على حرف من اربعه وهو الف او با
او جيم او زاى فوقع العدد فى عملنا على حرف الف وخلف
ثلثه ادوار فضربنا ثلثة فى ثلثه كانت تسعه فهو عدد الدور
الاول فاثبته واجمع مابين الضلعين القائم والمبسوط
يكن فى بيت ثمانيه وادخل بعدد ما فى الدور الاول وذلك
تسعة فى صدر الجدول مما يلى البيت الذى اجتمعا فيه مارا
الى جهة اليسار وهو ثمانيه فوقع على حرف لام الف ولا
يخرج ابدا منها حرف مركب وانما هو اذن حرف تا اربع
مائه برشم الزمام فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيد
واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها فى
حروف الاوتار واثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من
بيت القصيده وهو هذا القانون تدرى كم تدور الحروف
فى النظم الطبيعى وذلك ان تجمع حرف الدور الاول وهو
تسعه لسلطان البرج وهو اربعه تبلغ ثلثه عشر اضفها
لمثلها تكن ستة وعشرين اسقط منه درج الطالع وذلك
واحد من هذا السوال الباقى خمسة وعشرون فعلى ذلك
يكون نظم الحرف الاول ثم ثلثة وعشرون مرتين ثم اثنان
وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى ان ينتهى الى
الواحد من اخر البيت المنظوم ولا تقف على اربعة وعشرين
لطرح ذلك الواحد اولا ثم ضع الدور الثانى وضع
حرف الدور الاول الى ثمانيه الخارجه من ضرب الطالع
والدور فى السلطان يكن سبعه عشر الباقى خمسة فاصعد
فى ضلع ثمانيه بخمسة من حيث انتهيت فى الدور الاول
وعلم عليه وادخل فى صدر الجدول بسبعة عشر ثم بخمسه
ولا تعد الخالى والدور عشرى فوجدنا حرف ثا خمسمائة
وانما هو ن لان دورنا فى مرتبه العشرات وكانت الخمسمائه
بخمسين لان دورها سبعة عشر فلو تكن سبعه

وعشرين لكان مبنيا فاثبت نون ثم ادخل بخمسة ايضا من اوله وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجد واحدا فتهقر العدد واحدا يقع على خمسه اضعف لها واحد السطح يكون ستة اثبت واو وعلم عليها من بيت القصيد اربعه وضعها للثمانيه الخارجه من ضرب الطالع مع الدور في السلطان يبلغ اثنى عشر اضعف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة يبلغ سبعه عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا بسبعه عشر من حروف الاوتار فوقع العدد على واحد اثبت الف وعلم عليها من بيت القصيد واسقط من حروف الاوتار ثلثة حروف عده الخارجة من الدور الثاني وضع الدور الثالث وضعف خمسة الى ثمانيه يكن ثلثه عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانيه بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثه عشر وحذفما وقع عليه العدد وهو ق وعلم عليها وادخل بثلاثه عشر في حروف الاوتار واثبت ماخرج وهو س وعلم عليه من بيت القصيد ثم ادخل مما يلي السين الخارجه بالباقي من دور ثلثه عشر وذلك واحد فخذ ما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب اثبتها وعلم عليها من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو ان تضعف ثلاثة عشر بمثلها اليها وتضف اليها الواحد الباقي من الدور يبلغ سبعة وعشرين وهو حرف با المستخرج من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قابله من السطح واضعفه بمثله وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم فكانت الجملة سبعة فذلك حرف زاي فاثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه انه تضعف سبعه بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكون خمسة عشر وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا اخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد

تسعه

تسعه باضافه الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور اخر العمل في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واصعد بتسعه في ضلع ثمانيه وادخل بتسعه من دور الحرف الذي اخذته اخرا من بيت القصيد فالتاسع حرف را فاثبته وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعه وانظر ما قابلها من السطح يكون جيم فتهقر العدد واحد يكون الف وهو الثاني من حرف الرا من بيت القصيد فاثبته وعلم عليه وعد ما يلي الثاني تسعه تكون الف ايضا اثبته وعلم عليه واضرب على حرف من الاوتار واضعف تسعه لمثلها تبلغ ثمانيه عشر وادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف را اثبتها وعلم عليها من بيت القصيد ثمانيه واربعة وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على را اثبتها وعلم عليها اثنين وضعف اثنين الى تسعه تكن احد عشر ادخل في صدر الجدول باحد عشر فقابلها من السطح الف اثبتها وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسه اصعد بخمسة في ضلع ثمانيه واضرب على حرفين من الاوتار واضعف خمسه بمثلها واضفها الى سبعه عشر عدد دورها الجمله سبعه وعشرون ادخل بها في حروف الاوتار فيقع على ت اثبتها وعلم عليها اثنين وثلثين واطرح من سبعه عشر اثنين التي هي في اثنين اثنين وثلثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار يقف على قاف اثبتها وعلم عليها ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف ب اثبته وعلم عليه اربعة وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين اذ ذاك ان دور النظم من خمسة وعشرين

فان الادوار خمسة وتسعون وسبعه عشر وخمسة وثلا
عشر وواحد فاضرب خمسة فى خمسه تكن خمسة وعشرين
وهو الدور فى نظم البيت فانقل الدور فى ضلع ثمانيه بواحد
ولكن لم يدخلوا فى بيت القصيده بثلثه عشر كما قدمناه لانه
دور ثان من نشاة تركيبية ثانية بل اضفنا الاربعة التى
من اربعة وخمسين الخارجة على حرف با من بيت القصيد
الى الواحد يكون خمسة فضف خمسة الى ثلثة عشر التى للدور
تبلغ ثمانيه عشر ادخل فى صدر الجدول بها وخذ ما قبلها
من السطح وهو الف اثبته وعلم عليه من بيت القصيد اثنى
عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الحد تنظر
احرف السؤال فما خرج منها رده مع بيت القصيد من اخره
وعلم عليه من حروف السؤال ليكون داخلا فى العدد
فى بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف خرج بعد ذلك
مناسبا لحروف السؤال فما خرج منها رده الى بيت القصيد
من اخره وعلم عليه وكذلك تفعل بكل حرف خرج بعد
ذلك مناسبا لحروف السؤال ثم اضف الى ثمانيه عشر
ما علمته على حرف الالف من الاحاد فكان اثنين تبلغ
الجملة عشرين ادخل بها فى حروف الاوتار تقف على حرف
را واثبته وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين
وهو نهاية الدور فى الحرف الوترى فاضرب على حرفين
من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتدا المخترع ثانى
ينتشى من الاختراعين وبهذا الدور من العدد تسعة
تضف لها واحدا يكن عشرين للنشاة الثانية وهذا الواحد
تزيده بعد الى اثنى عشر دورا اذا كان من هذه النسبة
او تنقصه من الاصل تبلغ الجمله عشره فاصعد فى ضلع
ثمانية وتسعين وادخل فى صدر الجدول بعشره تقف
على خمسمائه وانما هى خمسون نون مضاعفه بمثلها وثلا

ن فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين واسقط
من اثنين وخمسين اثنين واسقط تسعه التى للدور الباقى
واحد واربعون فادخل بها فى حروف الاوتار تقف على
واحد اثبته وكذلك ادخل بها فى بيت القصيد تجد واحدا
فهذا ميزان هذه النشاة الثانيه تعلم عليه من بيت القصيد
علامتين علامة فى الالف الاخير الميزانى واخرى على الالف
الاولى فقط والثانيه اربعة وعشرون واضرب على حرفين
من الاوتار وضع الدور الثانى وعدوه سبعه عشر الباقى
خمسه ادخل فى ضلع ثمانيه وخمسين وادخل فى بيت القصيد
بخمسه تقع على ع سبعين اثبتها وعلم عليها وادخل فى الجدول
بخمسه وخذ ما قابلها من السطح وذلك واحد اثبته وعلم
عليه من السس ثمانيه واربعين واسقط واحدا من ثمانية
واربعين للاس الثانى واضف لها خمسة الدور الجملة اثنان
وخمسون ادخل بها فى صدر الجدول يقف على حرف اثنين
غباريه وهو مرتبة مئينية لتزايد العدد فتكون مائتين وهى
حرف را اثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اربعه وعشرين
فانقل الامر من ستة وتسعين الى الابتدا وهو اربعه وعشرون
فضف الى اربعة وعشرين خمسه الدور واسقط واحدا
تكون الجمله ثمانيه وعشرين ادخل بالنصف منها فى بيت القصيد
تقف على ثمانيه اثبت ح وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدد
ثلثة عشر الباقى واحد اصعد فى ضلع ثمانيه بواحد وليست
نسبة العمل هنا كنسبتها فى الدور السادس لتضاعف العدد
ولانه من النشاه الثانيه ولانه اول الثلث الثالث من مربعات
البروج واخر النسبه الرابعه من المثلثات فاضرب ثلثة عشر
التى للدور فى اربعه التى هى مثلثات البروج السابعة الجمله
اثنان وخمسون ادخل بها فى صدر الجدول تقف على حرف
اثنين غباريه وانما هى مئينية لتجاوزها فى العدد عن مرتبتى

الاحاد والعشرات فاثبته ماتين را وعلم عليها من بيت القصيد
ثمانيه واربعين واضف الى ثلثه عشر الدور واحد الاس وادخل
باربعه عشر فى بيت القصيد تبلغ ح فعلم عليها ثمانيه وعشرين
واطرح من اربعه عشر سبعة تبقى سبعة اضرب على حرفين
من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام اثبته وعلم
عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدوه تسعه وهذا ابتدا
المثلثة الرابعه واصعد فى ضلع ثمانيه بتسعه يكون خلافنا
صعد بتسعه ثانيه تصير فى السابع الابتدا اضرب تسعه فى
اربعه لصعودنا بتسعتين وانما كانت تضرب فى اثنين ادخل
فى الجدول بستة وثلثين تقف على اربعه زماميه وهى
عشريه فى اخذناها احاديه لعله الادوار فاثبت حرف دال
وان اضفت الى ستة وثلثين واحد الاس كان حدها من بيت
القصيد فعلم عليها ولو دخلت بتسعة لا غير من غير ضرب فى
صدر الجدول لوقف على ثمانيه فاطرح من ثمانيه واربعين
الباقى اربعه وهو المقصود ولو دخلت فى صدر الجدول بثمانيه
عشر التى هى تسعه فى اثنين لوقف على واحد زمامى وهو عشرى
فاطرح منه اثنين تكرار التسعه الباقى ثمانيه يضعفها المطلوب
ولو تدخل فى صدر الجدول بسبعه وعشرين ضربها فى ثلاثة
لوقف على عشره زماميه والعمل واحد ثم ادخل بتسعه فى
بيت القصيد واثبت ماخرج وهو الف ثم اضرب تسعه فى ثلاثة
التى هى مركز تسعة الماضيه واسقط واحدا وادخل فى صدر
الجدول بستة وعشرين واثبت ماخرج وهو مائتان بحرف
را وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين واضرب على حرفين
من الاوتار وضع الدور الحادى عشر وله سبعه عشر الباقى
خمسه اصعد فى ضلع ثمانيه بخمسه وبحسب ماتكرر عليه
المثنى فى الدور الاول وادخل فى صدر الجدول باربعه تقف
على خال فخذ ماقابله من السطح وهو واحد فادخل بواحد

فى بيت القصيد يكون رس اثبته وعلم عليه اربعة ولو يكون
الوقوف فى الجدول على بيت عامر لاثبتنا الواحد ثلثة
واضعف سبعه عشر بمثلها واسقط واحدها وزدها
اربعه تبلغ سبعه وثلثين ادخل بها فى الاوتار تقف على ه
اثبتها وعلم عليها خمسه واضعفها بمثلها وادخل فى البيت
تقف على ك اثبتها وعلم عليها عشرين واضرب على حرفين
من الاوتار وضع الدور الثانى عشر وله ثلثة عشر الباقى
واحدا اصعد فى ضلع ثمانيه بواحد وهو الدور اخر الادوار
واخر الاختراعين واخر المربعات الثلاثيه واخر المثلثات
الرباعيه فالواحد فى صدر الجدول يقع على ثمانين زماميه
وانما هى احاد ثمانيه وليس معنا فى الادوار الا واحد فلو
زاد على اربعه من مربعات اثنى عشر او ثلاثه من مثلثات
اثنى عشر لكانت ح وانما هى د فاثبتها وعلم عليها من بيت
القصيد واربعة وسبعين ثم انظر ما ناسبها من السطح
يكن خمسة اضعفها بمثلها للاس تبلغ عشره اثبت ى
وعلم عليها وانظر فى اى المراتب وقعت وجدناها فى السابع
فدخلنا بسبعه فى حروف الاوتار وهو المدخل سمى التوليد
الحرفى فكانت ق اثبتها وضف الى سبعه واحد الدور
الجمله ثمانيه ادخل بها فى الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها
ثمانية واضرب ثمانيه فى ثلثة الزايده على عشرة الدور
فانها اخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ اربعه وعشرين
ادخل بها فى بيت القصيد وعلم على ما يخرج منها وهو
مائتان وعلامتها ستة وتسعون وهو نهاية الدور الثانى
فى الادوار الحرفيه واضرب على حرفين من الاوتار وضع
النتيجة الاولى لها تسعه وهذا العدد يناسب ابدا الباقى
من حروف الاوتار بعد طرحها ادوارا وذلك تسعة فاضرب
تسعه فى ثلاثة التى هى زائده على تسعين من حروف الاوتار

من حروف الاوتار وضعف لها واحد الباقي من الدور
الثاني عشر يبلغ ثمانيه وعشرين فادخل بها في حروف
الاوتار تبلغ ا اثبته وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت الف م
تسعه التي هي ادوار الحروف التسعينيه في اربعه وهي
الثلثه الزايده على تسعين والواحد الباقي من الدور
الثاني عشر كذلك واصعد في ضلع ثمانيه بتسعه وادخل
في الجدول بتسعه تبلغ اثنين زماميه واضرب تسعه
في ما ناسب من السطح وذلك ثلثه واضف لذلك سبعه
عدد الادوار الحرفيه واطرح واحد الباقي من دور اثني
عشر تبلغ ثلثه وثلثين ادخل بها في البيت تبلغ خمسة مع
فاضعفها واضعف تسعه بمثلها وادخل في صدر الجدول
بثمانيه عشر وخذ ما في السطوح وهو واحد ادخل به
في حروف الاوتار تبلغ م اثبته وعلم عليه واضرب على
حرفين من الاوتار وضع النتيجه الثانيه وهاسبعه عشر
الباقي خمسه فاصعد في ضلع ثمانيه وخمسين واضرب
خمسة في ثلاثة الزايده على تسعين تبلغ خمسة عشر
اضف لها واحد الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة
وادخل بستة عشر في البيت تبلغ تا اثبته وعلم عليه
اربعه وستين وضف الى خمسة الثلثه الزايده على تسعين
وزد واحد الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة وثلثين
ادخل بها في صدر الجدول تبلغ ثلثين زماميه وانظر
ما في السطح تجد واحد ا اثبته وعلم عليه من بيت القصيد
وهو التاسع ايضا من البيت وادخل بتسعه في صدر الجدول
تقف على ثلثه وهو عشرات فاثبت لام وعلم عليه وضع
النتيجه الثالثه وعدوها ثلثه عشر الباقي واحد فانقل في
ضلع ثمانيه بواحد وضف الى ثلثه عشر الثلثه الزايده على
تسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ سبعة عشر

وواحد

الاوتار م

وواحد النتيجه يكن ثمانيه عشر ادخل بها في حروف تكون
لام اثبتها فهذا اخر العمل المثال في هذا السوال السابق
اردنا ان نعلم ان هذه الزايرجه علم محدث ام قديم بطالع
اول درج من القوس حروف الاوتار ثم حروف السوال ثم
الاصول وهذه عده الحروف ثلثه وتسعون ادوارها
تسبعه الباقي منها تسعه الطالع واحد سلطان القوس اربعة
الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اثنان ضرب الطالع
مع الدور في السلطان ثمانيه اضافه السلطان للطالع خمسه

بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذا غرايب شك ضبطه الجد مثلا

حروف الاوتار

ص ط د ط ه ز ث ك ه م ض ص و ن ث ه ش ا ب ل م ن
ص ع ف ض ق ر س ی ك ل م ن ص ع ف ق ر ث ث
خ ذ ظ غ ش ط ك ن ع ح ص ز و ح ل ص ك ل م ن ص ا
ب ج د ه و ز ح ط ی

السوال

ال ز ی ر ج ت ع ل م م ح د ث ا م ق د ی م

الدور الاول	الدور التاسع	٦و ٨ع رح ٨ع ر ٢ ا ا ر
تسعة	ثلاثة عشر	
الدور الثاني	الباقي	
سبعة وعشرين	آ	
الباقي خمسه	الدور العاشر	
الدور الثالث	تسعه	
ثلثة عشر	الدور الحادي عشر	
الباقي	سبعة عشر	
واحد	الباقي	
الدور الرابع	خمسة	
تسعة	الدور الثاني عشر	
الدور الخامس	ثلاثة عشر	
سبعه عشر	الباقي	
الباقي	واحد	
خمسة	النتيجة الاول	
الدور السادس	تسعه	
ثلاثة عشر	النتيجة الثانيه	
الباقي	سبعة عشر	
واحد	الباقي	
الدور السابع	خمسة ٧ و٨ ع رح	
تسعة	النتيجة الثالثه	
الدور الثامن	ثلاثة عشر	
سبعه عشر	الباقي	
الباقي	واحد ع٨ ع	
خمسة		

و س ا ل ع ظ ى م ا ل خ ل ق ح ز ت ب ث ن ا ن غ د ا ى ب ش ك ن ب ط ه ا ه ٦

ت و ن ا ق س ب ز ر ا ا ر س ا ت ق ب ا ر ق
اع ا ر م ح ر ج ل د ا ر س ه ا ل د ى ف س ر
ا ه م ت ا ل ل دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلثة
وعشرين مرتين ثم على احدى وعشرين مرتين الى ان
ينتهى الواحد من اخر البيت وسعد الحروف جميعا
والله اعلم ت ر و ح ذ ر و ح ا ل ق د س ا ب ر
ز س ر ه ا ل ا د ر ى س ر ف ا س ت ر ق ا ب ه
ا م ر ت ق ا ا ل ع ل ا هذا اخر الكلام في استخراج
الاجوبة من زايرجة العالم منظومة وللقوم طرايق
اخر من غير الزايرجه يستخرجون بها اجوبة المسائل
غير منظومه وعندى ان السر في خروج الجواب منظوما
من الزايرجة انما هو مزجهم بيت ملك بن وهيب وهو
سؤال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب رويه واما
الطرق الاخرى يخرج منها الجواب غير منظوم فمن طرايقهم
في استخراج الاجوبه ما ننقله قال بعض المحققين منهم

فصل في الاطلاع على الاسرار الخفيه من جهة الارتباطات الحرفية

اعلم ارشدنا الله واياك ان هذه الحروف اصل الاسولة قضية
وانما تستنتج الاجوبة على تجربه بالكليه وهى ثلاثة واربعون
حرفا كما ترى ا و ل ا ع ظ س ا ل م خ ى د ل ز ق ت ا ف ذ
ص ر ن غ ش ا ك ك ى ب م ض ب ج ط ل ح ه د ث ل
ث ا وقد نظمها بعض الفضلا في بيت جعل فيه كل حرف مشدد
من حرفين وسماه القطب فقال سؤال عظيم الخلق حزت فصن
اذا غرايب شك ضبطه الجد مثلا فاذا اردت استنتاج المسئلة
فاحذف ما تكرر من حروفها واثبت ما فضل منها ثم احذف
من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يماثله
واثبت ما فضل منه ثم امزج الفضلين في سطر واحد تبدا،

بالاول من فضلة الاصل والثانى من فضلة المسئلة وكذلك
الى ان يتم الفضلين او ينفد احدهما قبل الاخر فتضع البقيه
على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجه هذا الفصل
مذكور فى الورقة الثالثة بعده وفى نسخة اخرى هنا
الفضلين او ينفد احديهما قبل الاخرى فيضع البقية على ترتيبها
فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد
حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح فحينئذ تضف اليها
خمس نونات لتعدلها الموازين الموسقيه وتكمل الحروف
ثمانيه واربعون حرفا فتعمر بها جدولا مربعا يكون اخرما فى
فى السطر الاول الثانى وينقل البقيه على حالها وكذلك الى — اولا فى السطر
ان يتم عمارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى
الحروف فى القطر على نسبة الحركه ثم تخرج وتركل حرف بقسمه
مربعه على اعظم حر يوجد له ويضع الوتر مقابلا للحرمه
ثم يستخرج النسب العنصريه الحروف الجدوليه ويعرف قوتها
الطبيعه وموازينها الروحانيه وغرايرها النفسانيه واسوسها
الاصليه من الجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

ما وجدنا الصورة فى النسخ

ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه فى اسوس اوتاد الفلك
الاربعه واحذر مايلى الاوتاد وكذلك السواقط فان
نسبتها مضطربه وهذا الخارج هو اول رتبه السريان
ثم تاخذ مجموع العناصر وتحط منها اسوس المولدات
تبقى اسوس عالم الخلق بعد عروضه للمدد الكونيه فتحمل
عليه بعض المجردات عن المواد وهى عناصر الامداد يخرج
افق النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع
العناصر يعنى عالم التوسط وهذا مخصوص بعالم الاكوان
من البسيطه لا المركبه وتضرب علم التوسط فى افق النفس
الاوسط يخرج الافق الاعلى فتحمل عليه اول رتب السريان
ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلى يبقى ثالث
رتبة السريان فتضرب مجموع اجزا العناصر ابدا فى رابع مرتبة
السريان يخرج اول عالم التفصيل والثانى فى الثانى يخرج
ثانى عالم التفصيل والثالث فى الثالث يخرج ثالث عالم
التفصيل والرابع فى الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع
عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل يبقى العوالم المجرده فتقسم
على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول وتقسم المنكسر على الافق
الاوسط يخرج الجزء الثانى وما انكسر فهو الثالث ويتعين
الرابع هذا فى الرباعى وان شئت اكثر من الرباعى فتستكثر
من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوفاق بعدد
الحروف والله يرشدنا واياك وكذلك اذا قسم عالم التجريد
على اول رتب السريان خرج الجزء الاول من عالم التركيب
وكذلك الى نهايه الرتبه الاخيره من عالم الكون فافهم وتدبر
والله المرشد المعين ومن طرايقهم ايضا
فى استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايدنا الله
واياك بروح منه ان علم الحروف علم جليل يتوصل العالم به
لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداوله بين العالم وللعمل

شرايط

شرايط تلتزم وقد يستخرج العالم به اسرار الخليقه وسر
الطبيعه فيطلع بذلك على نتيجتى الفلسفة اعنى السيميا
واختها ويرفع له حجاب المجهولات ويطلع بذلك على مكنون
خبايا القلوب وقد شهد جماعة بارض المغرب ممن اتصل بذلك
فاظهر العجايب وخرق العوايد وتصرف فى الوجود بتاييد الله
واعلم ان ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة مع
الصبر مفتاح كل خير كما ان الخرق والعجلة راس الحرمان
فاقول اذا اردت ان تعلم قوة كل حرف من حروف القانيطور
اعنى ابجد الى اخر العدد وهذا اول مدخل من علم الحروف
فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتلك الدرجه التى هى
مناسبه للحرف هى قوته فى الجسمانيات ثم اضرب العدد فى
مثله تخرج لك قوته فى الروحانيات وهى وتره وهذا فى
الحروف المنقوطه لايتم بل يتم فى الغير المنقوطة منها مراتب منقوطة لان
لمعان يأتى عليها البيان فيما بعد واعلم ان لكل شكل من اشكال
الحروف شكلا فى العالم العلوى اعنى الكرسى ومنها المتحرك
والساكن والعلوى والسفلى كما هو مرقوم فى اماكنه من
الجداول الموضوعه فى الزايرج واعلم ان قوى الحروف ثلاثة
اقسام الاول وهو اقلها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كتابة
لعالم روحانى مخصوص بذلك الحرف المرسوم فمتى خرج ذلك
الحرف بقوة نفسانيه وجمع همة كانت قوى الحروف مؤثرة
فى عالم الاجسام الثانى قوتها فى الهيئة الفكريه وذلك
ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها فهى قوة فى الروحانيات
العلويات وهى شكليه فى عالم الجسمانيات الثالث وهو
ما يجمع الباطن اعنى القوه النفسانيه على تكوينه فتكون
قبل النطق به صورة فى النفس وبعد النطق به صورة فى
الحروف وقوة فى النطق واما طبايعها فهى الطبيعيات
المنسوبات للمتولدات وهى الحرارة واليبوسة والحرارة والبرودة

والبرودة والرطوبه والبرودة واليبوسه فهذا سر العدد
الثمانى والحرارة جامعه للهوا والنار وهما
اه طم ف ش ذ ب ز ك س ق ث ظ
والبرودة جامعة للارض والما
د ح ل ع ر خ غ ب و ى ن ص ت ض
والرطوبة جامعه للهوا والما
ج ز ك س ق ث ظ د ح ل ع ر خ غ
واليبوسة جامعه للنار والارض
اه طم ف ش ذ ب و ى ن ص ت ض
فهذه نسبة حروف الطبايع وتداخل اجزا بعضها فى بعض
وتداخل اجزا العالم فيها علويا وسفليا باسباب الامهات
الاول اعنى الطبايع الاربع المفرده فصل فمتى اردت
استخراج مجهول من مسئلة ما فحقق طالع السائل او طالع
مسئلته واستنطق حروف اوتادها الاربعه ا وع وح وه ا
مستويه مرتبه واستخرج اعداد القوى والاوتاد كما سنبين
واجمل ونسب واستفتح الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح
اللفظ او بالمعنى وكذلك فى كل مسئله تقع لك بيانه
اذا اردت ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل
والحاجه فاجمع اعدادها بالجمل الكبير فكان الطالع الحمل
رابعه السرطان سابعه الميزان عاشره الجدى وهو اقوى
هذه الاوتاد فاسقط من كل برج حرفى التعريف وانظر ما
يخص كل برج من الاعداد المنطقه الموضوعه فى دايرتها
واحذف اجزا الكثير فى النسبة الاستنطاقيه كلها واثبت تحت
كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربع
وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله احرفا ورتب الاوتاد
والقوى والغراير سطرا ممتزجا وكسر واضرب ما يضرب
لاستخراج الموازين واجمع واستفتح الجواب يخرج لك الضمير

وجوابه

وجوابه مثال ذلك افرض ان الطالع الحمل كما تقدم
ترسم ح م ل فللحا من العدد ثمانيه لها النصف والربع
والثمن د ب ا الميم لها من العدد اربعون لها النصف والربع
والثمن والعشر ونصف العشر ان اردت التدقيق م ك
ى ه د ب اللام لها من اللذين ثلثون لها النصف والثلثان والثلث
والخمس والسدس والعشر يه ك ى و ه ج وهكذا تفعل
بسائر حروف المسئله والاسم من كل لفظ يقع لك واما
استخراج الاوتاد فهو ان تقسم مربع كل حرف على اعظم
جزء يوجد له مثاله حرف دال له من الاعداد اربعة مربعها
ستة عشر اقسمها على اعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج
وتر الدال ثمانيه ثم تضع كل وتر مقابلا لحرفه ثم يستخرج
النسب العنصريه كما تقدم فى شرح الاستنطاق ولها قاعدة
تطرد فى استخراجها من طبع الحرف وطبع البيت الذى تحل
فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح فصل
فى الاستدلال على ما فى الضمائر الخفيه بالقوانين الحرفيه
وذلك لو سال سائل عن عليل ما لم تعرف مرضه ما علته
وما الموافق له بها من الادويه فمر السائل ان يسمى شيئا
من الاشيا على اسم العلة المجهوله ليجعل ذلك الاسم قاعدة
لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل
واليوم والساعة ان اردت التدقيق فى المسئله والا اقتصر
على اسم الذى سماه السائل وفعلت به كما نبين فاقول
مثلا سمى السائل فرسا فاثبت الحروف مع اعدادها المنطقة
بيانه ان للفا من العدد ثمانين ولها م ك ى ح د ثم الرا
لها من العدد مائتان ولها ق ك ك ى ثم السين ط ى
لها من العدد ستون ولها ل ك ى و ح فالواو تام له عدوم
ح ب والسين مثله لها م ل ك ى فاذا انبسطت حروف
الاسما فوجدت عنصرين متساويين فاحكم لاكثرهما حروفا

بالغلبه على الاخر ثم اجمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والاقوى بالغلبه وصفة استخراج قوى العناصر

ماء	هوا	تراب	نار
	ك ك ك ك	ى ى ى ى	ه ه ه
ح ل	ق	ن	م م

فتكون الغلبه هنا للتراب وطبعه البرد واليبوسه طبع السودا فتحكم على المريض بالسودا فاذا الفت من حروف الاستنطاق كلاما على نسبة تقريبيه خرج موضع الوجع في الحلق ويوافقه من الادويه حقنه ومن الاشربة شراب الليمون وهذا ما خرج من قوى اعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصر واما استخراج قوى العناصر من الاسما العلميه فهو ان يسمى مثلا محمد فترسم احرفه مقطعه ثم تضع اسما العناصر الاربعه على تركيب الفلك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

ماء		هوا		تراب		نار
د د د د		ح ح				
ح ح ح	[illegible]		[illegible]	ب ب ب	[illegible]	ا ا ا
ل ل ل		د د				
ع ع ع ع		ك ك ك		و و و		ه ه
د د د		س س				
ح ح ح		ق ق		ن ن		م م
		ن ن				

فتجد اقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الما لان عدد حروفه عشرون حرفا فجعلت له الغلبه على بقيه عناصر الاسم المذكور وهكذا تفعل بجميع الاسما حينئذ تضاف الى اوتارها او للوتر المنسوب للطالع في الزايرجة او لوتر البيت المنسوب لملك بن وهيب الذي جعله قاعدة لمزج الاسوله وهو بيت

مثلا

سؤال عظيم الخلق حزت فصن . اذن غرايب شك ضبطه الجد

وهو

وهو وتر مشهور لاستخراج المجهولات وعليه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو عمل تام قايم بنفسه في المثالات الوضعيه وصفة العمل بهذا الوتر المذكور ان ترسمه مقطعا ممتزجا بالفاظ السوال على قانون صيغه التكسير وعدة حروف هذا الوتر اعني البيت ثلثه واربعون حرفا لان كل حرف مشدد من حرفين ثم تحذف ما يتكرر عند المزج من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسله حرفا بما ثله وتثبت الفضلين سطرا ممتزجا بعضه ببعض للحرف الاول من فضله القطب والثاني من فضله السوال حتى تتم الفضلتان جميعا فتكون ثلثه واربعين فتضيف اليها خمس نونات لتكون ثمانيه واربعين وتعتدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضله على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الاصلي قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عمرتما مزجت جدولا مربعا يكون اخرما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركه ثم تخرج وتر كل حرف كما تقدم وتضع مقابلا لحرفه ثم تستخرج النسب العنصريه للحروف الجدوليه لتعرف قوتها الطبيعيه وموازنها الروحانيه وغرايزها النفسانيه واسوسها الاصليه من الجدول الموضوع لذلك وصفة استخراج النسب العنصرية هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفقا فحسن والا فاستخرج بين الحرفين نسبته ويتتبع هذا القانون في جميع الحروف الجدوليه وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هي مقررة في دائرتها الموسيقية ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه

البيت م

فى اسوس اوتاد الفلك الاربعه كما تقدم واحذر مايلى
الاوتاد وكذلك السواقط لان نسبها مضطربه وهذا
الذى يخرج لك هو اول رتب السريان ثم تاخذ مجموع
العناصر وتحط منها اسس المولدات يبقى اس عالم الخلق
بعد عروضه للمدد الكونيه فتحمل عليه بعض المجردات
عن المواد وهى عناصر الامداد يخرج افق النفس الاوسط
وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط
وهذا مخصوص بعالم الاكوان البسيطه لا المركبه ثم
تضرب عالم التوسط فى افق النفس الاوسط يخرج الافق
الاعلى فتحمل عليه اول رتب السريان من تطرح من الربع
اول عناصر الامداد الاصلى يبقى ثالث رتبة السريان
فتضرب مجموع اجزا العناصر ابدا فى رابع رتبة السريان
يخرج عالم التفصيل والثانى فى الثانى يخرج ثانى عالم
التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل
وتحط من عالم الكل تبقى العوالم المجرده فتقسم على الافق
الاعلى يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل لتمامه
وله مقدمات فى كتب ابن وحشيه والبونى وغيرهما
وهذا التدبير يجرى على القانون الطبيعى الحكمى فى
هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهيّة وعليه مدار
وضع الزايرج الحرفيه والصنعة الالهيه والنيرجات
الفلسفيه والله الملهم وبه المستعان وعليه التكلان
وحسبنا الله ونعم الوكيل واعلم ان هذه الاعمال كلها
انما يوصل بها الى حصول جواب مطابق للسوال فى
المعنى فقط لانه يعثر بها على غيب وهى من قبيل الملح
كما تقدم لنا اول الكتاب وكذلك ليست من علم السيميا
كما بيناه ه **علم الكيمياء** ه وهو علم
ينظر فى المادة التى يتم بها كون الذهب والفضة بالـ

ويشرح

ويشرح العمل الذى يوصل الى ذلك فيتصفحون المكونات
كلها بعد معرفه امزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة
المستعده لذلك حتى من الفضلات الحيوانيه كالعظام
والريش والشعر والبيض والعذرات فضلا عن المعادن
ثم تشرح الاعمال التى تخرج لها بتلك المادة من القوة الى
الفعل مثل حل الاجسام الى اجزايها الطبيعيه بالتصعيد
والتقطير وجمد الذايب منها بالتكليس وامها الصلب بالفهر
والصلاية وامثال ذلك وفى زعمهم انه يخرج بهذه الصناعة
كلها جسم طبيعى يسمونه الاكسير وانه يلقى على الجسم المعدنى
المستعد لقبول صورة الذهب والفضه بالاستعداد القريب
من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد ان يحمى
بالنار فيعود ذهبا ابريزا ويكنون عن ذلك الاكسير اذا
الغزوا اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذى يلقى عليه
بالجسد فنشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل
الصناعى الذى يقلب هذه الاجساد المستعده الى صورة
الذهب والفضه هو علم الكيميا وما زال الناس يولفون فيها
قديما وحديثا وربما يعزى فيها الكلام الى من ليس من اهلها
وامام المدونين فيها عندهم جابر بن حيان حتى انهم
يخصونها فيسمونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة
كلها شبيهة بالالغاز وزعم انه لا يفتح مقفلها الا من احاط
علما بجميع ما فيها والطغراى من حكما المشرق المتاخرين
له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من الحكما
وكتب فيها مسلمة المجريطى من حكما الاندلس كتابه الذى
سماه رتبة الحكيم وجعله قرينا لكتابه الاخر فى السحر
والطلسمات الذى سماه غايه الحكيم وزعم ان هاتين
الصناعتين هما نتيجتان للحكمه وثمرتان للعلوم ومن لم يقف
عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة اجمع وكلامه فى ذلك

الجفر بالكبير حجر الصلاية
٩

الكتاب وكلامهم اجمع فى تواليفهم هى الغاز يتعذر
فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم ونحن نذكر
سبب عدولهم الى هذا الرموز والالغاز ولابن المغيربي
من ائمه هذا الشان كلمات شعريه رويها على حروف المعجم
من ابدع ما يجى فى الشعر ملغوزه كلها لغز الاحاجى
والمعاياة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغزالى بعض التواليف
فيها وليس ذلك بصحيح لان الرجل لم تكن مداركه العاليه
لتقف على خطاما يذهبون اليه حتى ينحله وربما نسبوا
بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معوية
ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين ان خالد
من الجيل العربى والبداوة اليه اقرب فهو بعيد عن
العلوم والصنايع بالجمله فكيف له بصناعه غريبه المنحى
مبنيه على معرفه طبايع المركبات وامزجتها وكتب
الناظرين فى ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر
بعد ولم تترجم اللهم الا ان يكون خالد بن يزيد
اخر من اهل المدارك الصناعيه تشبه باسمه فممكن
وانا انقل لك ههنا رسالة ابى بكر بن بشرون لابن السمح
فى هذه الصناعة وكلاهما من تلميذ مسلمه فتستدل
من كلامه فيها على ما اذهب اليه فى شانها اذا اعطيته
حقه من التامل قال ابن بشرون بعد صدر من
الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التى لهذه
الصناعة الكريمه قد ذكرها الاولون واقتص جميعها
اهل الفلسفه من معرفه تكوين المعادن وتخلق
الاحجار والجواهر وطباع البقاع والاماكن فمنعنا
اشتهارها من ذكرها ولكن ابين لك من هذه الصنعة
ما يحتاج اليه فنبدا بمعرفته فقد قالوا ينبغى لطلاب
هذا العلم ان يعلموا اولا ثلث خصال اولها هل تكون

والثانيه من اى شى تكون والثالثه كيف تكون فاذا
عرف هذه الثلث واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ
نهايته من هذا العلم فاما البحث عن وجودها والاستدلال
على مكونها فقد كفيناكم بما بعثنا به اليك من الاكسير
واما من اى شى تكون فانما يريدون بذلك البحث
عن الحجر الذى يمكنه العمل وان كان العمل موجودا
من كل شى بالقوة لانها من الطبايع الاربع منها تركيب
ابتدا واليها ترجع انتها ولكن من الاشيا ما تكون فيه
بالقوة ولا تكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها
ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر
وهى التى تخرج من القوة الى الفعل والتى لا يمكن تفصيلها
لا تعالج ولا تدبر لانها فيها بالقوة فقط وانما لم يمكن
تفصيلها لاستغراق بعض طبايعها فى بعض وفضل قوة
الكبير على الصغير فينبغى لك وفقك الله ان تعرف اوفق
الاحجار المنفصله التى يمكن منها العمل وجنسه وقوته
وعمله وما يدبر من الحل والعقد والتنقيه والتكليس
والتنشيف والتقليب فان من لم يعرف هذه الاصول
التى هى عماد هذه الصنعه لم ينجح ولم يظفر بخير ابدا
وينبغى لك ان تعلم هل يمكن ان يستعان عليه بغيره
ام يكتفى به وحده وهل هو واحد فى الابتدا ام شاركه
غيره فصار فى التدبير واحدا فسمى حجرا وينبغى لك
ان تعلم كيفيه عمله وكميه اوزانه وازمانه وكيف تركبت
الروح فيه وادخال النفس عليه وهل تقدر النار على
تفصيلها منه بعد تركيبها فان لم تقدر فلاى عله وما
السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم
واعلم ان الفلاسفه كلها مدحت النفس وزعمت انها
المدبره للجسد والحاملة له والدافعة عنه والفاعله فيه

وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر
على الحركه والامتناع من غيره لانه لاحياه فيه ولانور وانما
ذكرت النفس والجسد لان هذه الصنعه شبيهة بجسد
الانسان الذى تركيبه على الغدا والعشا وقوامه وتمامه
بالنفس الحيه النورانيه التى بها يفعل العظايم والاشيا المتقابله
التى لايقدر عليها غيرها بالقوة الحيه التى فيها وانما انفعل
الانسان لاختلاف تركيب طبايعه ولو اتفقت طبايعه وسلمت
من الاعراض والتضاد لم تقدر النفس على الخروج من جسده
ولكان خالدا باقيا فسبحان مدبر الاشيا تعالى واعلم ان الطبايع
التى يحدث عنها هذا العمل كيفيه دافعه فى الابتدا فيضية
محتاجة الى الانتها وليس لها اذا صارت فى هذا الجسد ان
تستحيل الى مامنه تركيب كما قلناه انفا فى الانسان لان
طبايع هذا الجوهر قد لزم بعضها بعضا وصارت شيا واحدا
شبيها بالنفس فى قوتها وفعلها بالجسد فى تركيبه ومجسته
بعد ان كانت طبايع مفرده باعيانها فيا عجبا من افاعيل
الطبايع ان القوة للضعيف الذى يقوى على تفصيل الاشيا
وتركيبها وتمامها فلذلك قلت قوى وضعيف وانما وقع
التغيير والفنا فى التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك
فى الثانى للاتفاق وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع
فى هذا العمل حياة وبقا والتركيب موت وفنا وهذا
الكلام دقيق المعنى لان الحكيم اراد بقوله حياة وبقا بخروجه
من العدم الى الوجود لانه مادام على تركيبه الاول فهو
فان لامحاله فاذا ركب التركيب الثانى عدم الفنا والتركيب
الثانى لايكون الا بعد التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل
والتقطيع فى هذا العمل خاصة فاذا الفى الجسد المحلول انبسط
فيه بعدم الصورة لانه صار فى الجسد بمنزلة النفس التى
لاصورة لها وذلك انه لاوزن له فيه وسترى ذلك انشا الله

وقد

وقد ينبغى لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف باللطيف اهون
من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما اريد بذلك التشاكل
فى الارواح والاجساد لان الاشيا تتصل باشكالها وذكرت
لك ذلك لتعلم ان العمل اوفق وايسر من الطبايع اللطايف
الروحانيه منها من الغلظه الجسمانيه وقد يتصور فى العقل
ان الاحجار اقوى واصبر على النار من الارواح كما ترى
الذهب والحديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزيبق
وغيرهما من الارواح فاقول ان الاجساد قد كانت ارواحها
فى بديها فلما اصابها حر الكيان قلبها اجساد لزجة غليظة فلم
تقدر النار على اكلها لافراط غلظها وتلزجها فاذا افرطت النار
عليها صيرتها ارواحا كما كانت اول خلقها وان تلك الارواح
اللطيفه ان اصابتها النار ابقت ولم تقدر على البقا عليها ينبغى
لك ان تعلم ماصير الاجساد فى هذه الحاله وصير الارواح
فى هذه الحاله فهو اجل ماتعرفه اقول انما ابقت تلك الارواح
واحترقت لاشتعالها ولطافتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها
ولان النار اذا احست بالرطوبه تعلقت بها لانها هوائيه تشاكل
النار ولاتزال تغتذى بها الى ان تنتهى وكذلك الاجساد
اذا ابقت بوصول النار اليها بقلة تلزجها وغلظها وانما صارت
تلك الاجساد لاتشتعل لانها مركبه من ارض وما صابر
على النار بلطيفه متحد بكثيفه بطول الطبخ اللين المزاج الاشيا
وذلك ان كل متلاش انما يتلاشى بالنار لمفارقة لطيفه
من كثيفه ودخول بعضه فى بعض على غير التحليل والموافقه
فصار ذلك الانضمام والتداخل مجاورة لاممازجة فسهل
بذلك افتراقهما كالما والدهن وما اشبههما وانما وصفت لك
ذلك لتستدل به على تركيب الطبايع وتقابلها فاذا احكمت ذلك
علما شافيا فقد اخذت حظك منها وينبغى لك ان تعلم ان
الاخلاط التى هى طبايع هذه الصناعه موافقه بعضها لبعض

مفصله من جوهر واحد يجمعها نظام واحد بتدبير واحد
لا يدخل عليه غريب فى الجزمنه ولافى الكل كما قال الفيلسوف
انك ان احكمت تدبير الطبايع وتاليفها ولم تدخل عليها
غريبا فقد زاغ عنها ووقع الخطا واعلم ان هذه الطبيعة
اذا حل لها جسد من قرابتها على ما ينبغى فى الحل حتى يشاكلها
فى الرقه واللطافه انبسطت فيه وجرت معه حيث ماجرى
لان الاجساد مادامت غليظه جافيةً لا تنبسط ولا تتزاوج
وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هداك الله هذا
القول واعلم هداك الله ان هذا الحل فى جسد الحيوان هو
الحق الذى لا يضمحل ولا ينتقض وهو الذى يقلب الطبايع
ويمسكها ويظهر لها الوانا وازهارا عجيبة وليس كل جسد
يحل خلاف هذا هو الحل التام لانه مخالف للحياه وانما حله
بما يوافقه ويدفع عنه حرف النار حتى يزول عن الغلظ
وتنقلب الطبايع عن حالاتها الى مالها ان تنقلب من اللطافة
والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف
ظهرت لها هناك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنفذ وكل
عمل لا يرى له مصداق فى اوله فلا خير فيه واعلم ان
البارد من الطبايع هو ليلبس الاشيا ويعقد رطوبتها والحار
منها يظهر رطوبتها ويعقد يبسها وانما افردت الحر والبرد
لانهما فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعن انفعال
كل واحد منهما لصاحبه تحدث الاجسام وتكون وان
كان الحر اكثر فعلا فى ذلك من البرد لان البرد ليس له
نقل الاشيا ولا تحركها والحر هو علة الحركه ومتى ضعفت
عله الكون وهو الحرارة لم يتم منها شى ابدا كما انه اذا
افرطت الحرارة على شى ولم يكن ثم برد احرقته واهلكته
فمن اجل هذه العله احتيج الى البارد فى هذه الاعمال ليتقوى
به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم تحذر

الفلاسفه اكثر شى الا من النيران المحرقه وامرت بتطهير
الطبايع والانفاس واخراج دنسها ورطوبتها ونفى افاتها
واوساخها عنها على ذلك استقام رايهم وتدبيرهم فان
عملهم انما هو مع النار اولا واليها يصير اخرا فلذلك قالوا
اياكم والنيران المحرقات وانما ارادوا بذلك نفى الافات التى
معها فتجمع على الجسد افتين فيكون اسرع لهلاكه وكذلك
كل شى انما يتلاشى ويفسد لتضاد طبايعه واختلافه
فيتوسط بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا تهرته
الافة واهلكته واعلم ان الحكما ذكرت ترداد الارواح على
الاجسام مرارا ليكون الزم اليها واقوى على قتال النار
اذا هى باشرتها عنه الالفة اعنى بذلك النار العنصرية
فاعلمه ولنقل الان على الحجر الذى يمكن منه العمل على ما
ذكرته الفلاسفه وقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه فى
الحيوان ومنهم من زعم انه فى النبات ومنهم من زعم
انه فى المعادن ومنهم من زعم انه فى الجميع وهذه
الدعاوى ليست بنا حاجة الى استقصائها ومناظرة اهلها
عليها لان الكلام يطول جدا وقد قلت فيما تقدم ان العمل
من كل شى بالقوة لان الطبايع موجودة فى كل شى فهو
كذلك فيريد ان تعلم من اى شى يكون العمل بالقوة والفعل
فنقصد الى ما قاله الحرانى ان الصبغ كله احد صبغين اما
صبغ جسد كالزعفران فى الثوب الابيض حتى يحول فيه
وهو مضمحل منتقض التركيب والصبغ الثانى تقليب الجوهر
من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتقليب الشجر
التراب الى نفسه وقلب الحيوان النبات الى نفسه حتى
يصير التراب نباتا ويصير النبات حيوانا ولا يكون الا
بالروح الحى والكيان الفاعل الذى له توليد الاجرام وقلب
الاعيان فاذا كان هذا هكذا فاقول ان العمل لابد ان يكون

اما فى الحيوان واما فى النبات وبرهان ذلك انهما مطبوعان
على الغذا وبه قوامهما وتمامهما فاما النبات فليس فيه
ما فى الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكما
فيه واما الحيوان فهو اخر الاستحالات الثلث ونهايتها
وذلك ان المعدن يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا
والحيوان لا يستحيل الى شى هو الطف منه الا ان ينعكس
راجعا الى الغلظ وانه ايضا لا يوجد فى العالم شى تتعلق
به الروح الحية غيره والروح الطف ما فى العالم ولم تتعلق
الروح بالحيوان الا لمشاكلته اياها فاما الروح التى فى النبات
فانها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهى مع ذلك مستغرقة
كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظه
وغلظ روحه والروح المتحركة الطف من الروح الكامنة
كثيرا وذلك ان المتحركة لها قبول الغذا والتنقل والتنفس
وليس للكامنة غير قبول الغذا وحده ولا تجرى اذا قيست
بالروح الحية الا كالارض عند الما كذلك النبات عند الحيوان
فالعمل فى الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فينبغى للعاقل
اذا عرف ذلك ان يجرب ما كان سهلا ويترك ما يخشى فيه
عسرا واعلم ان الحيوان عند الحكما ينقسم اقساما من الامهات
التى هى الطبايع والحدثية التى هى المواليد وهذا معروف
بيسير الفهم فلذلك قسمت الحكما العناصر والمواليد اقساما
حية واقساما ميتة فجعلوا كل متحرك فاعلا حيا وكل ساكن
مفعولا ميتا وقسموا ذلك فى جميع الاشيا وفى الاجساد
الذاتيه وفى العقاقير المعدنيه فسموا كل شى يذوب فى النار
ويطير ويشتعل حيا وما كان على خلاف ذلك سموه ميتا
فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبايع اربع
حيا وما لم ينفصل سموه ميتا ثم انهم طلبوا جميع الاقسام
الحيه فلم يجدوا ما يوافق هذه الصناعه مما ينفصل فصولا

اربعه

اربعه ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذى فى الحيوان
فبحثوا عن جنسه حتى عرفوه واخذوه ودبروه فتكيف
لهم منه الذى ارادوه وقد يتكيف مثل هذا فى المعادن
والنبات بعد جمع العقاقير وخلطها ثم تفصل بعد ذلك
فاما النبات فمنه ما ينفصل ببعض هذه الفصول مثل
الاشنان واما المعادن ففيها اجساد وارواح وانفاس
اذا امتزجت ودبرت كان منها ما له تاثير وقد دبرنا كل ذلك
فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتدبيره اسهل وايسر
فينبغى ان يعلم ما هو الحجر الموجود فى الحيوان وطريق
وجوده انا بينا ان الحيوان ارفع المواليد وكذلك ما تركب
منه فهو الطف منه كالنبات من الارض لما كان النبات
الطف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافى وجسده
اللطيف فوجب له بذلك اللطافه والرقه وكذلك هو الحجر
الحيوانى بمنزلة النبات فى التراب وبالجمله انه ليس فى
الحيوان شى ينفصل طبايع اربع غيره فافهم هذا القول
فانه لا يكاد يخفى الا على جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له
فقد اخبرتك بماهية هذا الحجر واعلمتك جنسه وانا
ابين لك وجوه تدابيره حتى يكمل لك الذى شرطناه على
انفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه التدبير
على بركة الله تعالى خذ الحجر الكريم فاودعه القرعة والانبيق
وفصل طبايعه الاربع التى هى الما والهوى والارض والنار
وهى الجسد والروح والنفس والصبغ فاذا عزلت الما
عن التراب والهوا عن النار فارفع كل واحد فى انائه على
حدة وخذ الهابط اسفل الانا وهو الثقل فاغسله بالنار
الحارة حتى يذهب عنه سواده ويزول غلظه وجفاوه
وبيضه تبييضا محكما وطير عنه فضول الرطوبات المستجنة
فيه فانه يصير عند ذلك ما ابيض لا ظلمة فيه ولا وسخ

ولانقاد ثم اعمل الى تلك الطبايع الاول الصاعده منه
فطهرها ايضا من السواد والقناد وكرر عليها الغسل
والتصعيد حتى تلطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك
فقد فتح الله عليك فابدا بالتركيب الذى هو مدار العمل
وذلك ان التركيب لايكون الا بالتزويج والتعفين فاما
التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ واما التعفين
فهو التمشية والسحق حتى تختلط بعضه ببعض ويصير
شيا واحدا لا اختلاط فيه ولانقصان بمنزلة الامتزاج
بالما فعند ذلك يقوى الغليظ على امساك اللطيف ويقوى
الروح على مقابلة النار وتصبر عليها وتقوى النفس على
الغوص فى الاجساد والدبيب فيها وانما وجد ذلك بعد
التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجه
بجميع اجزايه ودخل بعضها فى بعض لتشاكلها فصار
شيا واحدا ووجب من ذلك ان يعرض للروح من الصلاح
والفساد والبقا والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج
وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيهما بخدمة
التدبير اختلطت اجزاوها بجميع اجزا الاخرين اعنى الروح
والجسد وصارت هى وهما شيا واحدا لا اختلاف فيه
بمنزلة الجز الكلى الذى سلمت طبايعه واتفقت اجزاوه
فاذا القى هذا المركب الجسد المحلول ومن شان الرطوبة
والح عليه النار وظهر ما فيه من الروح تحلل جوهره فذاب فى الجسد المحلول صح
الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بها
منعها من الاتحاد بالنفس ممازجة الما لها فان النار لاتتحد
بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك الما من شانه النفور
من النار فاذا الحت عليه النار وارادت تطيره حبسه
الجسد اليابس الممازج له فى جوفه فمنعه من الطيران
فكان الجسد علة لامساك الما والما علة لبقا الدهن
والدهن علة لثبات الصبغ وكان الصبغ علة لظهور اللون

واظهار

واظهار الدهنية فى الاشيا المظلمة التى لانور لها ولاحياة
فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه
البيضة التى سالت عنها وهى التى سمتها الحكما بيضة
واياها يعنون لا بيضة الدجاجة واعلم ان الحكما لم تسميها
بهذا الاسم لغير معنى بل اشبهتها ولقد سالت مسلمة
عن ذلك يوما وليس عنده غيرى فقلت له ايها الحكيم
الفاضل اخبرنى لاى شى سمت الحكما مركب الحيوان
بيضة اختيارا منهم لذلك ام لمعنى دعاهم اليه فقال
بل لمعنى غامض فقلت ايها الحكيم وما ظهر لهم من ذلك
من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها
وسموها بيضة فقال لشبهها وقرابتها من المركب ففكر
فيه فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه متفكرا الا
على الوصول الى معناه فلما راى ما بى من الفكر وان نفسى
قد مضت فيها اخذ بعضدى وهزنى هزة خفيفة وقال
لى يا ابا بكر ذلك للنسبة التى بينهما فى كمية الالوان عند
امتزاج الطبايع وتاليفها فلما قال ذلك انجلى عنى الظلمة
واضا لى نور قلبى وقوى عقلى على فهمه فنهضت شاكرا
لله تعالى عليه الى منزلى واقمت عليه شكلا هندسيا
يتبرهن به صحة ما قاله مسلمة وانا واضعه لك فى هذا
الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكمل كان نسبة ما
فيه من طبيعة الهوا الى ما فى البيضة من طبيعة الهوا
كنسبة ما فى المركب من طبيعة النار الى ما فى البيضة من
طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخرتان الارض والما
فاقول ان كل شيين متناسبين على هذه الصفة فهما
متشابهان ومثال ذلك ان يجعل سطح البيضة ه ز ح
فاذا اردنا ذلك فانا ناخذ اقل الطبايع المركبة وهى طبيعة
اليبوسة ونضيف اليها مثلها من طبيعة الرطوبة وندبرهما

حتى تنشف طبيعة اليبوسه طبيعه الرطوبة وتقبل قوتها
وكان فى هذا الكلام رمزا ولكنه لا يخفى عليك ثم تحمل
عليهما جميعا مثليهما من الروح وهو الما فيكون الجميع
ستة امثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلا من طبيعة
الهوا التى هى النفس وذلك ثلثة اجزا فيكون الجميع تسعة
امثال اليبوسة بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من هذا
المركب الذى طبيعته محيطه بسطح المركب طبيعتين فنجعل
اولا الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الما وطبيعه الهوا
وهما ضلعا اح ح وسطح ابجد وكذلك الضلعان المحيطان
بسطح البيضه اللذان هما الما والهوا ضلعا هزوح فاقول
ان ابجد يشبه سطح هزوح طبيعه الهوا التى تسمى نفسا
وكذلك بجه من سطح المركب والحكما لم تسم شيا باسم شئ
الا لشبهه به والكلمات التى سالت عن شرحها الارض المقدسة
هى المنعقدة من الطبايع العلوية والنحاس هو الذى اخرج
سواده وقطع حتى صار هبا، ثم حمر بالزاج فصار نحاسا
والمغنيسا حجرهم الذى تجمد فيه الارواح وتخرجه الطبيعه
العلوية التى تسجن فيها الارواح لتقاتل عليها النار والفرفره
لون احمر قان يحدثه الكيان والرصاص حجر له ثلث قوى
مختلفة الشخوص ولكنها متشاكلة متجانسه فالواحده
روحانيه نيرة صافيه وهى الفاعلة والثانيه نفسانيه وهى
متحركة حساسة غير انها اغلظ من الاولى ومركزها
دون مركز الاولى والثالثه قوة ارضية جاسيه قابضة
منعكسة الى مركز الارض لثقلها وهى الماسكة الروحانيه
والنفسانية جميعا والمحيطة بهما واما سائر الباقيه فمبتدعة
ومخترعة الباسا على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى
عن غيرها فهذا جميع ما سالتنى عنه قد بعثت به اليك
مفسرا ونرجوا بتوفيق الله تعالى ان تبلغ املك والسلام

انتهى

انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلميذ مسلمة المجريطى
شيخ الاندلس فى علوم الكيميا والسيميا والسحر فى القرن
الثالث وما بعده وانت ترى كيف صرف الفاظهم كلها
فى الصناعة الى الرمز والالغاز التى لا تكاد تبين ولا تعرف
وذلك دليل على انها ليست بصناعه طبيعيه والذى
يجب ان يعتقد فى امر الكيميا وهو الحق الذى يعضده
الواقع انها من جنس اثار النفوس الروحانية وتصرفها
فى عالم الطبيعه اما من نوع الكرامة ان كانت النفوس
خيرة او من نوع السحر ان كانت شريرة فاجرة فاما الكرامة
فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما ثبت فى مكان
تحققه يقلب الاعيان المادية بقوته السحرية ولا بد له
مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحرى فيها كتخليق
بعض الحيوانات من مادة التراب والشعر والنبات وبالجملة
من غير مادتها كما وقع لسحرة فرعون فى الحبال والعصى
وكما ينقل عن سحرة السودان فى قاصية الجنوب والهنود
والترك فى قاصية الشمال انهم يسحرون الجو للامطار وغير
ذلك ولما كانت هذه تخليقا للذهب فى غير مادته الخاصة
به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكما
مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكما الامم انما
نحوا هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغازا حذرا من انكار
الشرايع على السحر وانواعه لان ذلك يرجع الى الضنانة
بها كما هو راى من لم يذهب الى التحقيق فى ذلك وانظر
كيف سمى مسلمة كتابه فيها رتبة الحكيم وسمى كتابه فى السحر
والطلسمات غاية الحكيم اشارة الى عموم موضوع الغاية
وخصوص موضوع هذه لان الغاية اعلى من المرتبة وكان
مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية او تشاركهما فى الموضوعات
ومن كلامه فى الفنين تبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد

بلغ قبالة

هذا غلط من يزعم ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعيه
والله العليم الخبير

فصل في ابطال الفلسفه وفساد منتحلها

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة
في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كبير فوجب
ان نصدع بشانها ونكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك
ان قوما من عقلا النوع الانساني زعموا ان الوجود كله
الحسي منه وما ورآ الحسي تدرك ذواته واحواله باسبابها
وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وان تصحيح
العقايد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها
بعض من مدارك العقل وهولا يسمون الفلاسفه جمع فيلسوف
وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فبحثوا عن ذلك وشمروا
وحوموا على اصابة الغرض منه ووضعوا قانونا يهتدى
به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل وسموه
بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق
من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات
الشخصية فيتجرد اولا منها صور منطبقة على جميع الاشخاص
كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي يرسمها في طين او
شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات
الاوائل ثم تجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت مشتركة
مع معاني اخرى وقد تميزت عنها في الذهن فيتجرد منها
معاني اخرى هي التي اشتركت بها ثم تجرد ثانيا ان شاركها
غيرها وثالثا الى ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكلية
المنطبقة على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد
بعد هذا وهي الاجناس العاليه وهذه المجردات كلها من
غير المحسوسات هي من حيث تاليفها بعضها مع بعض
لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني فاذا نظر الفكر

في هذه

في هذه المعقولات المجرده وطلب منها تصور الوجود
كما هو فلابد للذهن من اضافة بعضها الى بعض ونفي
بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور
الوجود صحيحا مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما مر
وصنف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم
عندهم على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في
البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية الطلب الادراكي
وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من
تقدم التصور وتوقف التصديق عليه فبمعنى الشعور لا بمعنى
العلم التام هذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون ان
السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما ورآ
الحس بهذا النظر وتلك البراهين وحاصل مداركهم في الوجود
على الجملة ما آلت اليه وهو الذي فرعوا عليه قضايا انظارهم
انهم عثروا اولا على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس ثم
ترقى ادراكهم قليلا فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة
والحس في الحيوانات ثم احسوا من قوى النفس بسلطان
العقل ووقف ادراكهم فقضوا على الجسم العالي السماوي
بنحو من القضاء على امر الذات الانسانية ووجب عندهم
ان يكون للفلك نفس وعقل كما للانسان ثم انهوا ذلك نهاية
عدد الاحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها جمل وواحد
اول مفرد وهو العاشر ويزعمون ان السعادة في ادراك
الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخلقها
بالفضائل وان ذلك ممكن للانسان ولو لم يرد شرع لتمييزه
بين الفضيله والرذيلة من الافعال بمقتضى عقله ونظره
وميله الى المحمود منها واجتنابه المذموم بفطرته وان ذلك
اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك
هو الشقا السرمدي وهذا عندهم هو معنى العذاب والنعيم

في الاخرة الى خباط لهم في تفاصيل ذلك معروف من كلماتهم
وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون علمها
وسطر حجاجها فيما بلغنا في هذه الاحقاب هو ارسطو
المقدوني من اهل مقدونيه من بلاد الروم من تلميذ
افلاطون وهو معلم الاسكندر ويسمونه المعلم الاول
على الاطلاق يعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله
مهذبة وهو اول من رتب قانونها واستوفى مسائلها
واحسن بسطها ولقد احسن في ذلك القانون ما شا
لو تكفل له بقصدهم في الالهيات ثم كان من بعده في
الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رايه حذو
النعل بالنعل الا في القليل وذلك ان كتب اولئك المتقدمين
لما ترجمها الخلفا من بني العباس من اللسان اليوناني الى
اللسان العربي تصفحها كثير من اهل الملة واخذ بمذاهبهم
من اضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا
في مسائل من تفاريعها وكان اشهرهم ابو نصر الفارابي في
المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابو علي بن سينا في المائة
الخامسه لعهد بني بويه باصبهان وغيرهما واعلم ان هذا
الراي الذي ذهبوا اليه باطل بجميع وجوهه فاما اسنادهم
الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفاؤهم به في الترقي
الى الواجب فهو قصور عما ورا ذلك من رتب خلق الله
فالوجود اوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكانهم
في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراه
بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة
المعرضين عن النفس والعقل المعتقدين انه ليس ورا الجسم
في حكمة الوجود شي واما البراهين التي يزعمونها على
مدعياتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق
وقانونه فهي قاصرة وغير وافية بالغرض اما ما كان

منها

منها في الموجودات الجسمانيه ويسمونه بالعلم الطبيعي فوجه
قصوره ان المطابقه بين تلك النتايج الذهنية التي تستخرج
بالحدود والاقيسه كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير
يقيني لان تلك احكام ذهنية كلها عامة والموجودات الخارجية
متشخصة بموادها ولعل في المواد ما يمنع من مطابقه
الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس
من ذلك فدليله مشهودة لا تلك البراهين فاين اليقين الذي
يجدونه فيها وربما يكون تصرف الذهن ايضا في المعقولات
الاول المطابقه للشخصيات بالصور الخيالية التي تجريدها
في الرتبة الثانيه فيكون الحكم حينئذ يقينيا بمثابة المحسوسات
اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج لكمال الانطباق
فنسلم لهم حينئذ دعاويهم في ذلك الا انه ينبغي لنا الاعراض
عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه فان مسائل
الطبيعيات لا تهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها
واما ما كان منها في الموجودات التي ورا الحس وهي الروحانيات
ويسمونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعه فان ذواتها مجهولة
راسا ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها لان تجريد
المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو
ممكن فيما هو مدرك لنا بالحس فينتزع منه الكليات ونحن
لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجرد منها ماهيات اخرى لحجاب الحس بيننا وبينها فلا يتاتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في اثبات
وجودها على الجملة الا ما نجده بين جنبينا من امر النفس
الانسانية واحوال مداركها وخصوصا في الرويا التي هي
وجدانية لكل احد وما ورا ذلك من حقيقتها وصفاتها
فامر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه ولقد صرح بذلك
محققوهم حيث ذهبوا الى ان ما لا مادة له فلا يمكن البرهان
عليه لان مقدمات البرهان من شرطها ان تكون ذاتية
وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى يقين

وانما يقال فيها بالاخلق والاولى يعنى الظن واذا كنا انما
نحصل بعد التعب والنصب على الظن فقط فيكفينا الظن
الذى كان اولا فاى فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها
ونحن انما عنايتنا بتحصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات
وهذه هى غاية الافكار الانسانية عندهم واما قولهم
ان السعادة فى ادراك الوجود على ما هو عليه بتلك البراهين
فقول مزيف مردود وتفسيره ان الانسان مركب من جزئين
احدهما جسمانى والاخر روحانى ممتزج به ولكل واحد
من الجزئين مدارك مختصة به والمدرك فيهما واحد
وهو الجزء الروحانى يدرك تارة مدارك روحانية وتارة
مدارك جسمانية الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاتها
بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة الات الجسم
من الدماغ والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه
واعتبره بحال الصبى فى اول مداركه الجسمانية التى هى بواسطة
كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات
فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذى للنفس من ذاتها بغير واسطة
يكون اشد والذ فالنفس الروحانية اذا شعرت بادراكها الذى
لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها
وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما يحصل بكشف
حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفه
كثيرا ما يعنون بحصول هذا الادراك للنفس بحصول هذه
البهجه فيحاولون بالرياضه اماتة القوى الجسمانية ومداركها
حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذى لها من ذاتها
عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة
ولذه لا يعبر عنها وهذا الذى زعموه بتقدير صحته مسلم
لهم وهو مع ذلك غير واف بمقصودهم فاما قولهم ان
البراهين والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك

والابتهاج

والابتهاج عنه فباطل كما رايته اذ البراهين والادله جمله
من المدارك الجسمانيه لانها بالقوى الدماغيه من الخيال
والفكر والذكر ونحن اول شئ نعنى به فى تحصيل هذا
الادراك اماتة هذه القوى الدماغية كلها لانها منازعة
له قادحة فيه وتجد الماهر منهم عاكفا على كتاب الشفا
والاشارات والنجاة وتلاخيص ابن رشد للفص من تاليف
ارسطو وغيره يبعثر اوراقها ويتوثق من براهينها ويلتمس
هذا القسط من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك
من الموانع عنها ومستندهم فى ذلك ما ينقلونه عن ارسطو
والفارابى وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعال
واتصل به فى حياته الدنيا فقد حصل على حظه من السعادة
والعقل الفعال عندهم عبارة عن اول رتبة ينكشف عنها
الحس من رتب الروحانيات ويحملون الاتصال بالعقل الفعال
على الادراك العلمى وقد رايت فساده وانما يعنى ارسطو
واصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذى
لها من ذاتها وبغير واسطة وهو لا يحصل الا بكشف حجاب
الحس واما قولهم ان البهجه الناشية عن هذا الادراك
هى عين السعادة الموعود بها فباطل ايضا لانا انما تبين
لنا بما قرروه ان وراء الحس مدركا اخر للنفس من غير واسطة
وانها تبتهج بادراكها ذلك ابتهاجا شديدا وذلك لا يعين لنا
ان عين السعاده الاخرويه ولا بد بل هى من جملة الملاذ
التى لتلك السعادة واما قولهم ان السعادة فى ادراك
هذه الموجودات على ما هى عليه فقول باطل مبنى على ما كنا
قدمناه فى اصل التوحيد من الاوهام والاغلاط فى ان
الوجود عند كل مدرك منحصر فى مداركه وبينا فساد ذلك
وان الوجود اوسع من ان يحاط به او يستوفى ادراكه
بجملة روحانيا وجسمانيا والذى يحصل من جميع ما قررناه

من مذاهبهم ان الجزء الروحانى اذا فارق القوى الجسمانية
ادرك ادراكا ذاتيا له مختصا بصنف من المدارك وهى
الموجودات التى احاط بها علمنا وليس بعام الادراك فى
الموجودات كلها اذ لم تنحصر وانه يبتهج بذلك النحو من
الادراك ابتهاجا شديدا كما يبتهج الصبى بمداركه الحسية
فى اول نشوه ومن لنا بعده ذلك بادراك جميع الموجودات
او بحصول السعادة التى وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها
هيهات هيهات لما توعدون واما قولهم ان الانسان
مستقل بتهذيب نفسه واصلاحها بملابسة المحمود من
الخلق ومجانبة المذموم فامر مبنى على ان ابتهاج النفس
بادراكها الذى لها بذاتها هو عين السعادة الموعود بها
لان الرذائل عائقة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما
يحصل لها من الملكات الجسمانية والوانها وقد بينا ان
اثر السعادة والشقاء من وراء الادراكات الجسمانية
والروحانية فهذا التهذيب الذى توصلوا الى معرفته انما
نفعه فى البهجة الناشئة عن الادراك الروحانى فقط
الذى هو مقاييس وقوانين واما ما وراء ذلك من السعادة
التى وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الاعمال
والاخلاق فامر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه
لذلك زعيمهم ابو على ابن سينا فقال فى كتاب المبدا
والمعاد له ما معناه ان المعاد الروحانى واحواله هو مما
يتوصل اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لانه على
نسبة طبيعية محفوظة ووتيرة واحدة فلنا فى البراهين
عليه سعة واما المعاد الجسمانى واحواله فلا يمكن ادراكه
بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة وقد بسطته لنا
الشريعة الحقة المحمدية فلينظر فيها وليرجع فى احواله اليها
فهذا العلم كما رايته غير واف بمقاصدهم التى حوموا عليها

مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس له فيما
علمنا الا ثمرة واحدة وهى شحذ الذهن فى ترتيب
الادلة والحجاج لتحصل ملكة الجودة والصواب فى البراهين
وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام
والاتقان هو كما شرطوه فى صناعتهم المنطقية وهم
كثيرا ما يستعملونها فى علومهم الحكمية من الطبيعيات
والتعاليم وما بعدها فيستولى الناظر فيها بكثرة استعمال
البراهين بشروطها على ملكة الاتقان والصواب فى الحجاج
والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية بمقصودهم
فهى اصح ما علمناه من قوانين الانظار هذه هى ثمرة هذه
الصناعة مع الاطلاع على مذاهب اهل العالم وارائهم
ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من
معاطبها وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات
والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكبن احد عليها وهو
خلو من علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطبها
والله الموفق للحق والهادى اليه وما كنا لنهتدى لولا ان
هدينا الله فصل فى ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها
وفساد غايتها هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم
يعرفون بها الكائنات فى عالم العناصر قبل حدوثها من
قبل معرفة قوى الكواكب وتاثيرها فى المولدات العنصرية
مفردة ومجتمعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب
دالة على ما سيحدث من نوع نوع من انواع الكائنات
الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة
قوى الكواكب وتاثيرها بالتجربة وهو امر تقصر الاعمار
كلها عن تحصيله لو اجتمعت اذ التجربة انما تحصل فى
المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن
وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره

الى آماد واحقاب متطاوله تتقاصر عنها اعمار العالم
وربما ذهب ضعفاء منهم الى ان معرفه قوى الكواكب
وتاثيراتها كانت بالوحى وهو راى قابل وقد كفونا مؤنة
بطلانه ومن اوضح الادلة فيه ان تعلم ان الانبيا عليهم
الصلوة والسلام ابعد الناس عن الصنايع وانهم لا يتعرضون
للاخبار بالغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه
بالصناعة ويشرعون ذلك لمتبعهم من الخلق واما بطلميوس
ومن تبعه من المتاخرين فيرون ان دلاله الكواكب على
ذلك دلاله طبيعيه من قبل مزاج يحصل للكواكب في
الكائنات العنصرية قال لان فعل النيرين واثرهما في
العنصريات ظاهر لا يسع احدا جحده مثل فعل الشمس في
تبدل الفصول وامزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك
وفعل القمر في الرطوبات والما وانضاج المواد المتعفنة
وفواكه القثا وسائر افعاله ثم قال ولنا فيما بعدهما من
الكواكب طريقان الاولى التقليد لمن نقل ذلك عنه من ائمة
الصناعة الا انه غير مقنع للنفس الثانية الحدس والتجربة
بقياس كل واحد منها الى النير الاعظم الذى عرفنا طبيعته
واثره معرفة ظاهرة فينظر هل يزيد ذلك الكوكب عند
القران فى قوته ومزاجه فنعرف موافقته فى الطبيعة
او ينقص منها فنعرف مضادته ثم اذا عرفنا قواها
مفردة عرفناها مركبة وذلك عند تناظرها باشكالها
التثليث والتربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل
طبايع البروج بالقياس ايضا الى النير الاعظم واذا عرفنا
قوى الكواكب كلها فهى موثرة فى الهوا وذلك ظاهر
والمزاج الذى يحصل منها للهوا يحصل لما تحته من
المولدات وتتخلق به النطف والبزر فيصير حالا للبدن
المتكون عنها وللنفس المتعلقة به الفايضة عليه المكتسبة

كمالها

كمالها منه ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كيفيات
البزرة والنطفة كيفيات لما يتولد عنهما وينشا منهما قال
وهو مع ذلك ظنى وليس من اليقين فى شى وليس هو
ايضا من القضا الالهى يعنى القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الالهى ﻫ سابق على كل شى هذا محصل كلام
بطلميوس واصحابه وهو منصوص فى كتابه الاربع وغيره
ومنه يتبين ضعف مدارك هذه الصناعة وذلك ان
العلم بالكاين او الظن به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه
من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين فى
موضعه والقوى النجومية على ما قرروه انما هى فاعلة
فقط والجز العنصرى هو القابل ثم ان القوى النجومية
ليست هى الفاعلة بجملتها بل هناك قوى اخرى فاعلة معها
فى الجز المادى مثل قوة التوليد للاب والنوع التى فى
النطفة وقوى الخاصة التى تميز بها صنف من النوع
وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصلت على كمالها وحصل
العلم بها انما هى فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة
للكاين ثم انه يشترط مع العلم بقوى النجوم وتاثيراتها
مزيد حدس وتخمين حينئذ يحصل عنده الظن بوقوع
الكاين والحدس والتخمين قوى للناظر فى فكره وليس
من علل الكاين ولا من اسبابه فاذا فقد هذا الحدس والتخمين
رجعت ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم
بالقوى النجومية على سداده ولم تعترضه آفة وهذا معوز
لما فيه من معرفه حسبانات الكواكب فى سيرها لتتعرف به
اوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه
ومدرك بطلميوس فى اثبات القوى للكواكب الخمسة
بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف لان قوة الشمس غالبة
لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يشعر
بالزيادة فيها او النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه

كلها قادحة فى تعريف الكائنات الواقعه فى عالم العناصر بهذه
الصناعة ثم ان تاثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين
فى باب التوحيد ان لا فاعل الا الله بطريق استدلالى كما رايته
واحتج له اهل علم الكلام بما هو غنى عن البيان من ان
اسناد الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل متهم
على ما يقضى به فيما يظهر بادى الراى من التاثير فلعل
استنادها على غير صورة التاثير المتعارف والقدرة
الالهيه رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا
سيما والشرع يرد الحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبراء
مما سوى ذلك والنبوات ايضا منكرة لشان النجوم وتاثيراتها
واستقراء الشرعيات شاهد بذلك فى مثل قوله ان الشمس
والقمر لا يخسفان لموت احد ولا لحياته وفى قوله اصبح
من عبادى مؤمن بى وكافر بى فاما من قال مطرنا بفضل
الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب واما من
قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب الحديث
الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق
الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع
ما لها من المضار فى العمران الانسانى بما تبعث فى عقايد
العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها فى بعض
الاحايين اتفاقا لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق فيلهج بذلك
من لا معرفة له ويظن اطراد الصدق فى ساير احكامها
وليس كذلك فيقع فى رد الاشيا الى غير خالقها ثم ما ينشأ
عنها كثيرا فى الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه
ذلك التوقع من تطاول الاعدا والمتربصين بالدولة
الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغى
ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ
عنها من المضار فى الدين والدول ولا يقدح فى ذلك

كون

كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم
فالخير والشر طبيعيان فى العالم موجودان لا يمكن نزعهما
وانما يتعلق التكاليف باسباب حصولهما فيتعين السعى
فى اكتساب الخير باسبابه ودفع اسباب الشر والمضار وهذا
هو الواجب على من عرف مفاسد هذا العلم ومضاره وليعلم
من ذلك انها وان كانت صحيحة فى نفسها فلا يمكن احد
من اهل الملة تحصيل علمها ولا ملكتها بل ان نظر فيها
ناظر وظن بها الاحاطة فهو فى غاية القصور فى نفس الامر
فان الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من اهل
العمران لقرائتها والتحليق لتعلمها وصار المولع بها من
الناس وهم الاقل واقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها
فى كسر بيته متستر اعن الناس وتحت رقبة من الجمهور
مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها عن الفهم
فكيف يحصل منها على طايل ونحن نجد الفقه الذى عم نفعه
دنيا ودينا وسهلت ماخذه من الكتاب والسنة المتداولة
وعكف الجمهور على قرائته وتعليمه ثم بعد التحليق والتجميع
وطول المدارسة وكثرة المجالس وتعددها فانما يحذق
فيه الواحد بعد الواحد فى الاعصار والاجيال فكيف
بعلم مهجور للشريعة مضروب دونه سد الحظر والتحريم
مكتوم عن الجمهور صعب الماخذ محتاج بعد الممارسة
والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد حدس وتخمين
يكتنفان به من الناظر فاين التحصيل والحذق فيه مع هذه
كلها ومدعى ذلك من الناس مردود على عقبه ولا شاهد
يقوم له بذلك لغرابة الفن بين اهل الملة وقلة حملته
فاعتبر ذلك تتبين صحة ما ذهبنا اليه والله عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا ومما وقع فى هذا المعنى لبعض اصحابنا
من اهل العصر عندما غلب العرب عساكر السلطان ابى

الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر ارجاف الفريقين الاوليا والاعدا فقال في ذلك ابو القاسم الرحوي من شعرا اهل تونس

استغفر الله كل حين قد ذهب العيش والهناء
اصبح في تونس وامسي والصبح لله والمساء
والناس في مرية وحزن وما عسى ينفع المراء
للخوف والجوع والمنايا يحثها الهرج والوباء
فاحمدي يرى عليا حل به الهلك والتواء
واخر قال سوف تاتي به اليكم صبا رخاء
والله من فوق ذا وهذا يقضي لعبديه ما يشاء
يا راصدي الخنس الجواري ما فعلت هذه السماء
مطلتمونا وقد زعمتم انكم اليوم املياء
مر خميس على خميس وجا سبت واربعاء
ونصف شهر وعشرتان وثالث ضمه انقضاء
ولا نرى غير زور قول اذاك جهل ام ازدراء
انا الى الله قد علمنا ان ليس يستدفع القضاء
رضيت بالله لي الها حسبكم البدر او ذكاء
ما هذه الانجم السواري الا عباديد او اماء
يقضى عليها وليس تقضي وما لها في الورى اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما ما شانه الجرم والفناء
وحكمت في الوجود طبعا يحدثه الماء والهواء
لم ترحلوا اذا امر يغذوهما تربة وماء
الله ربي ولست ادري ما الجوهر الفرد والخلاء
ولا الهيولى التي تنادي ما لي عن صورة عراء
ولا وجود ولا انعدام ولا ثبوت ولا انتفاء
ولست ادري ما الكسب الا ما جلب البيع والشراء
وانما مذهبي وديني ما كان والناس اولياء
اذ لا فضول ولا اصول ولا جدال ولا ارتياء
ما تبع الصدر والبقايا يا حبذا ذاك الاقتفاء
كانوا كما تعلمون منهم ولم يكن ذلك الهراء
يا اشعري الزمان اني اشعر في الصيف والشتاء
اني اجزي بالشر شرا والخير عن مثله جزاء
وانني ان اكن مطيعا فلست اعصي ولي رجاء
وانني تحت حكم بار اطاعه العرش والبراء
ليس باسطاركم ولكن اتاحه الحكم والقضاء
لو حدث الاشعري عمن له الى رايه انتماء
لقال اخبرهم باني مما يقولونه براء

فصل في انكار ثمرة الكيميا واستحالة وجودها وما ينشا من المفاسد عن انتحالها

اعلم ان كثيرا من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انتحال هذه الصناعة ويرون انها احد مذاهب المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها ايسر واسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعانات الصعاب وعسف الحكام وخسارة الاموال في النفقات زيادة الى النيل من غرضه والعطب اخرا اذا ظهر على خيبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وانما اطمعهم في ذلك انهم راوا المعادن تستحيل وتنقلب بالصنعة بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهبا والنحاس والقصدير فضة ويحسبون انها من ممكنات عالم الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة للعلاج المسماة عندهم بالحجر المكرم هل هي العذرة او الدم او الشعر او البيض او كذا او كذا مما سوى ذلك وجملة التدبير عندهم بعد تعيين المادة ان تمهى بالفهر على حجر صلد املس وتسقى اثناء امهائها بالماء بعد ان يضاف

الفهر بالفاء حجر قدر ما يدق به الجوز او ما يملا الكف المونثة ترقيق الشفرة كذا في القاموس

اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويوثر
في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تجفف بالشمس من
بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعد او تكلس لاستخراج مائها
او ترابها فاذا رضي ذلك كله من علاجها وتم تدبيره على
ما اقتضته اصول صنعته حصل من ذلك تراب او مايع
يسمونه الاكسير ويزعمون انه اذا القي منه على الفضة
المحماة بالنار عادت ذهبا او النحاس المحمي بالنار عاد فضة
على حسب ما قصد به في عمله ويزعم المحققون منهم
ان ذلك الاكسير مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل
فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج وقوى طبيعية
تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها ومزاجها
وتبث فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخميرة
للخبز تقلب العجين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من
الانفشاش والهشاشة ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل
سريعا الى الغذا وكذا اكسير الذهب والفضة فيما يحصل
فيه من المعادن يصرفه اليهما ويقلبه الى صورتهما هذا
محصل زعمهم على الجملة فتجدهم عاكفين على هذا العلاج
يبتغون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامه وقواعده
من كتب ائمة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم
ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف اسرارها اذ هي
في الاكثر تشبه المعمى كتواليف جابر ابن حيان في رسائله
السبعين ومسلمة المجريطي في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي
والمغربي في قصايده العريقة في اجادة النظم وامثالها
ولا يحلون من بعد هذا كله بطايل منها فاوضت يوما
شيخنا ابا البركات البلغيقي كبير مشيخة الاندلس في
مثل ذلك ووقفته على بعض التواليف فيها فتصفحه طويلا
ثم رده إلي وقال لي وانا الضامن له ان لا يعود الى بيته

الا

الا بالخيبة ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط
اما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب والنحاس بالفضة او
خلطهما على نسبة جزء وجزءين او ثلاثة او الخفية كالقاء
الشبه بين المعادن بالصناعة مثل تبييض النحاس وتليينه
بالزيبق المصعد فيجي جسما معدنيا شبيها بالفضة ويخفى
الا على النقاد المهرة فيقدر اصحاب هذه الدلس من
دلسهم هذه سكة يسربونها في الناس ويطبعونها
بطابع السلطان تمويها على الجمهور بالخلاص من الغش
وهولا اخس الناس حرفة واسوءهم عاقبة لتلبسهم بسرقة
اموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع
نحاسها في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه
فهو سارق او اشر من السارق ومعظم هذا الصنف
لدينا بالمغرب من طلبة البربر المنتبذين باطراف البقاع
ومساكن الاغمار ياوون الى مساجد الباديه ويموهون
على الاغنيا منهم بان بايديهم صناعة الذهب والفضة
والنفوس مولعة بحبهما والاستهلاك في طلبهما فيحصلون
من ذلك على معاش ثم يبتغي ذلك عندهم تحت الخوف
والرقبة الى ان يظهر العجز وتقع الفضيحة فيفر الى مكان
اخر ويستجد حالا اخرى في استهوا بعض اهل الدنيا
باطماعهم فيما لديه ولا يزالون كذلك في ابتغا معاشهم
وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية من
الجهل والرداة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعلتهم
الا اشتداد الحكام عليهم وتناولهم من حيث كانوا
وقطع ايديهم متى ظهر على شانهم لان فيه افسادا
للسكة التي تعم بها البلوى وهي متمول الناس كافة
والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد
على مفسدها واما من انتحل هذه الصناعة ولم يرض

بحال الدلسة بل استنكف عنها ونزه نفسه عن افساد
سكة المسلمين ونقودهم وانما يطلب احالة الفضة الى
الذهب والرصاص والنحاس الى الفضة بذلك النحو من العلاج
وبالاكسير الحاصل عنه فلنا مع هولا متكلم وبحث في مداركهم
لذلك مع انا لا نعلم ان احدا من اهل العالم تم له هذا الغرض
او حصل منه على بغية انما تذهب اعمارهم في التدبير والفهر
والصلايا والتصعيد والتكليس واعتيام الاخطار لجمع
العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك حكايات وقعت
لغيرهم من تم له الغرض منها او وقف على الوصول يقنعون
باستماعها والمفاوضة فيها ولا يسترئبون في تصديقها
شان المكلفين المغرمين بوساوس الاخبار فيما يتكلفون
به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة انكروه وقالوا
انما سمعنا ولم نر هكذا شانهم في كل عصر وجيل واعلم
ان انتحال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم الناس
فيها من المتقدمين والمتاخرين فلننقل مذاهبهم في ذلك
ثم نتلوه بما يظهر لنا فيها من التحقيق الذي عليه الامر
في نفسه والله الموفق للصواب فنقول ان مبنى الكلام
في هذه الصناعة عند الحكما على حال المعادن السبعة
المنطرقة وهي الذهب والفضة والرصاص والقصدير
والنحاس والحديد والخارصيني هل هي مختلفات بالفصول
وكلها انواع قائمة بانفسها او انما هي مختلفة بخواص من
الكيفيات وهي كلها اصناف لنوع واحد فالذي ذهب
اليه ابو نصر الفارابي وتابعه عليه حكما الاندلس انها نوع
واحد وان اختلافها بالكيفيات من الرطوبة واليبوسة
واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد
وهي كلها اصناف لذلك النوع الواحد والذي ذهب اليه
ابن سينا وتابعه عليه حكما المشرق انها مختلفة بالفصول

والقصدير

وانها

وانها انواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق
بحقيقته له فصل وجنس شان سائر الانواع وبنا ابو نصر
الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع امكان انقلاب
بعضها الى بعض لامكان تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها
بالصنعة فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيميا عنده
ممكنة سهلة الماخذ وبنا ابو علي بن سينا على مذهبه
في اختلافها بالنوع انكار هذه الصنعة واستحالة وجودها
بنا على ان الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وانما يخلقه
خالق الاشيا ومقدرها وهو الله عز وجل والفصول
مجهولة الحقايق راسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها
بالصنعة وغلطه الطغرائي من اكابر اهل هذه الصنعة
في هذا القول ورد عليه بان التدبير والعلاج ليس
في تخليق الفصل وابداعه وانما هو في اعداد المادة
لقبوله خاصة والفصل ياتي من بعد الاعداد من لدن
خالقه وباريه كما يفيض النور على الاجسام بالصقل والامها
ولا حاجة بنا في ذلك الى تصوره ومعرفته قال واذا كنا
قد عثرنا على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بفصولها
مثل العقرب من التراب والتبن ومثل الحيات المتكونة
من الشعر ومثل ما ذكروه اصحاب الفلاحة من تكوين
النحل اذا فقدت من عجاجيل البقر وتكوين القصب من
قرون ذوات الظلف وتصييره سكرا بحشو القرون
بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذا من العثور
على مثل ذلك في المعادن وهذا كله بالصناعة وهي انما
موضوعها المادة فيعدها التدبير والعلاج الى قبول
تلك الفصول لا اكثر قال فنحن نحاول مثل ذلك في الذهب
والفضة فنتخذ مادة نضعها للتدبير بعد ان يكون فيها
استعداد اول لقبول صورة الذهب والفضة ثم نحاولها

جها

بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى
كلام الطغرائى بمعناه وهذا الذى ذكره فى الرد على ابن
سينا صحيح لكن لنا فى الرد على اهل هذه الصناعة ماخذ
اخر يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين
لا الطغرائى ولا ابن اسينا وذلك ان حاصل علاجهم
انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد الاول
يجعلونها موضوعا ويحاذون فى تدبيرها وعلاجها
تدبير الطبيعة للجسم فى المعدن حتى احالته ذهبا او فضة
ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعلة ليتم فى زمان
اقصر لانه تبين فى موضوعه ان مضاعفة قوة الفاعل
تنقص من زمن فعله وتبين ان الذهب انما يتم كونه
فى معدنه بعد الف وثمانين من السنين دورة الشمس
الكبرى فاذا تضاعفت الكيفيات فى العلاج كان زمان
كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه او يتحرون
بعلاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة يصيرها
كالخميرة فتفعل فى الجسم المعالج الافاعيل المطلوبة فى
احالته وذلك هو الاكسير على ما تقدم واعلم ان كل
متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع
العناصر الاربعة على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة
فى النسبة لما حصل امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب
على الكل ولا بد فى كل ممتزج من المولدات من حرارة
غريزية هى الفاعلة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون
فى زمان فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله فى زمن
التكوين من طور الى طور حتى ينتهى الى غايته وانظر
شان الانسان فى طور النطفة ثم العلقة ثم المضغة
ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم الى
نهايته ونسب الاجزاء فى كل طور تختلف مقاديرها وكيفياتها

والا لكان الطور بعينه الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريزية
فى كل طور مخالفة لها فى الطور الاخر فانظر الى الذهب ما
يكون فى معدنه من الاطوار منذ الف سنة وثمانين وما
ينتقل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيميا ان يساوق فعل
الطبيعه فى المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه الى ان يتم
ومن شرط الصناعة ابدا تصور ما يقصد اليه بالصنعه
فمن الامثال السائرة فى ذلك للحكماء اول العمل اخر الفكرة واخر
الفكرة اول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب
فى احواله المتعدده ونسبتها المتفاوتة فى كل طور واختلاف
الحار الغريزى عند اختلافها ومقدار الزمن فى كل طور
وما ينوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه
حتى يحاذى بذلك كله فعل الطبيعة فى المعدن او تعد
لبعض المواد صورة مزاجيه تكون لصورة الخميرة للخبز
وتفعل فى هذه المادة بالمناسبة لقواها ومقاديرها
وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية
قاصرة عن ذلك وانما حال من يدعى حصوله على الذهب
بهذه الصناعة بمثابة من يدعى بالصنعة تخليق الانسان
من المنى ونحن اذا سلمنا الاحاطة باجزائه ونسبه واطواره
وكيفية تخليقه فى رحمه وعلم ذلك علما محصلا بتفاصيله
حتى لا يشذ منه شئ عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان
وانى له ذلك ولنقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه
فنقول حاصل صناعة الكيميا وما يدعونه بهذا التدبير انه
مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعى ومحاذاتها
به الى ان يتم كون الجسم المعدنى او تخليق مادة بقوى
وافعال وصورة مزاجية تفعل فى الجسم فعلا طبيعيا
فتصيره وتقلبه الى صورتها والفعل الصناعى مسبوق
بتصورات احوال الطبيعة المعدنية التى تقصد مساوقتها

ومحاذاتها وفعل المادة ذات القوى فيها تصورا مفصلا
واحدة بعد اخرى وتلك الاحوال لانهاية لها والعلم
البشرى عاجز عن الاحاطة بما دونها وهو بمثابة من
يقصد تخليق انسان اوحيوان اونبات هذا محصل هذا
البرهان وهو اوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه من
جهة الفصول كما رايته ولا من الطبيعة انما هو من تعذر
الاحاطة وقصور البشر عنها وماذكره ابن سينا بمعزل
عن ذلك وله وجه اخرى فى الاستحالة ومن جهة غايتها
وذلك ان حكمة الله فى الحجرين وندورهما انهما قيم لمكاسب
الناس ومتمولاتهم فلو حصل عليها بالصنعة لبطلت حكمة
الله فى ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل احد من اقتنائهما
على شئ وله وجه اخر من الاستحالة ايضا وهو ان الطبيعة
لاتترك اقرب الطرق فى افعالها وتركب الاعوص والابعد
فلو كان هذا الطريق الصناعى الذى يزعمون انه صحيح
وانه اقرب من طريق الطبيعة فى معدنها واقل زمانا
لما تركته الطبيعة الى طريقها الذى سلكته فى كون الفضة
والذهب وتخليقهما واما تشبيه الطغرائى هذا التدبير بما
عثر عليه من مفردات لامثاله فى الطبيعة كالعقرب والنحل
والحية وتخليقها فامر صحيح فى هذه ادى اليه العثور
كما زعم واما الكيميا فلم ينقل عن احد من اهل العالم
انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال منتحلوها يخبطون
فيها عشوا الى هلم ولا يظفرون الا بالحكايات الكاذبة
ولو صح ذلك لاحد منهم لحفظه عنه ولده او تلميذه
واصحابه وتنوقل فى الاصدقا وضمن تصديقه صحة
العمل بعده الى ان ينتشر ويبلغ الينا او الى غيرنا
واما قولهم ان الاكسير بمثابة الخميرة وانه مركب
يحيل ما حصل فيه ويقلبه الى ذاته فاعلم ان الخميرة

انما

انما تقلب العجين وتعده للهضم وهو فساد والفساد فى
المواد سهل يقع بايسر شئ من الافعال والطبايع والمطلوب
بالاكسير قلب المعدن الى ما هو اشرف منه واعلى فهو
تكوين وصلاح والتكوين اصعب من الفساد فلا يقاس
الاكسير على الخميرة وتحقيق فى ذلك ان الكيميا ان صح
وجودها كما يزعم الحكما المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان
ومسلمة بن احمد المجريطى وامثالهم فليس من باب الصنايع
الطبيعيه ولا يتم بامر صناعى وليس كلامهم فيها من منحى
الطبيعيات انما هو من منحى كلامهم فى الامور السحريه
وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره وقد ذكر ذكره
مسلمة فى كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها فى كتاب
رتبة الحكيم من هذا المنحى وكذا كلام جابر فى رسائله ونحو
كلامهم فيه معروف ولا حاجه بنا الى شرحه وبالجملة
فامرها عندهم من كليات المواليد الخارجة عن حكم
الصنايع فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان فى يوم
اوشهر خشبا اوحيوانا فيما عدى مجرى تخليقه كذلك عدا
لا يتدبر ذهب من مادة الذهب فى يوم ولا شهر ولا
يتغير طريق عادته الا بارفاد مما ورا عالم الطبايع وعمل
الصنايع فلذلك من طلب الكيميا طلبا صناعيا ضيع ماله
وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعى التدبير العقيم لان
نيلها ان كان صحيحا فهو واقع مما ورا الطبايع والصنايع
فهو كالماشى على الما وامتطا الهوا والقعود فى كثائف كالمشى
الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاوليا الخارقة للعادة
اومثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبيا قال تعالى
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا
باذن الله وعلى ذلك فسبيل تيسيرها مختلف بحسب
حال من يؤتاها فربما اوتيها الصالح ويؤتاها غيره فتكون

عنده معارة وربما اوتيها الطالح ولا يملك ايتاها فلا
يتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحريا فقد
تبين انها انما تقع بتاثيرات النفس وخوارق العادة
اما معجزة اوكرامة او سحر ولهذا كان كلام الحكما فيها
الغازا لا يظفر بتحقيقه الا من خاض لجة من علوم السحر
واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة وامور خرق
العادة غير منحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله بما
يعملون محيط واكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة
وانتحالها هو كما قلناه العجز عن الطريق الطبيعية للمعاش
وابتغاؤه من غير وجوهه الطبيعية كالفلاحة والتجارة
والصناعة فيستصعب العاجز ابتغاه من هذه ويروم
الحصول على الكثرة من المال دفعة بوجوه غير طبيعية
من الكيميا وغيرها واكثر من يعين بذلك الفقرا من اهل
العمران حتى في الحكما المتكلمين في امكانها واستحالتها
فان ابن سينا القايل باستحالتها كان من علية الوزرا
فكان من اهل الغنى والثروة والفارابي القائل بامكانها
كان من اهل الفقر الذين يعوزهم ادنى بلغة من المعاش
واسبابه وهذه تهمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة
بطرقها وانتحالها والله الرزاق ذو القوة المتين فصل
في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتاليف والغا ما سواها
اعلم ان العلوم البشرية خزانتها النفس الانسانية بما جعل الله
فيها من الادراك الذي يفيدها ذلك بالفكر المحصل لها
ذلك بالتصور للحقايق اولا ثم باثبات العوارض الذاتية
لها او نفيها عنها ثانيا اما بغير وسط او بوسط حتى
يستنتج الفكر بذلك مطالبه التي يعين باثباتها او نفيها
فاذا استقرت من ذلك صورة علمية في الضمير فلا بد من
بيانها لاخر اما على وجه التعليم او على وجه المفاوضة

لصقل الافكار في تصحيحها وذلك البيان انما يكون
بالعباره وهي الكلام المركب من الالفاظ النطقية التي
خلقها الله في عضو اللسان مركبه من الحروف وهي
كيفيات الاصوات المقطعه بعضلة اللهاة واللسان ليتبين
بها ضمائر المتكلمين بعضهم لبعض في مخاطباتهم وهذه
رتبة اولى في البيان عما في الضماير وان كان معظمها
واشرفها العلوم فهي شاملة لكل ما يندرج في الضمير
من خبر وانشا على العموم وبعد هذه الرتبة الاولى
من البيان رتبة ثانية يودى بها ما في الضمير لمن توارى
او غاب شخصه وبعد او لمن ياتي بعد ولم يعاصره ولا
لقيه وهذا البيان منحصر في الكتابة وهي رقوم باليد
تدل اشكالها وصورها بالتواضع على الالفاظ النطقية
حروفا بحروف وكلمات بكلمات فصار البيان فيها على
ما في الضمائر بواسطه الكلام النطقي فلهذا كانت
في الرتبه الثانيه واحد قسمي هذا البيان يدل على ما في
الضماير من العلوم والمعارف فهو اشرفها واهل الفنون
معتنون بابداع ما يحصل في ضمايرهم من ذلك في بطون
الاوراق بهذه الكتابه لتعم الفايدة في حصوله للغايب
والمتاخر وهولاء هم المولفون والتواليف بين العوالم البشرية
والامم الانسانيه كثيرة ومنتقلة في الاجيال والاعصار
ويختلف باختلاف الشرايع والملل والاخبار عن الامم
والدول واما العلوم الفلسفيه فلا اختلاف فيها لانها انما تاتي
على نهج واحد فيما تقتضيه الطبيعة الفكرية في تصور
الموجودات على ما هي عليه جسمانيها وروحانيها وفلكيها
وعنصريها ومجردها وماديها فان هذه العلوم لا تختلف
وانما يقع الاختلاف في العلوم الشرعيه لاختلاف الملل
او التاريخيه لاختلاف خارج الخبر ثم الكتابه مختلفة

باصطلاحات البشر فى رسومها واشكالها ويسمى ذلك
قلما وخطا فمنها الخط الحميرى ويسمى المسند وهو كتابة
حمير واهل اليمن الاقدمين وهو يخالف كتابة العرب
المتاخرين من مضر كما يخالف لغتهم وان كان الكل
عربيا الا ان ملكة هولاء فى اللسان والعبارة غير ملكة
اولئك ولكل منهما قوانين كلية مستقرات من عباراتهم
غير قوانين الاخرين وربما يغلط فى ذلك من لا يعرف
ملكات العبارة ومنها الخط السريانى وهو كتابة
النبط والكلدانيين وربما يزعم بعض اهل الجهل انه
الخط الطبيعى لتقدمه فانهم كانوا اقدم الامم وهذا
وهم ومذهب عامى لان الافعال الاختيارية كلها
ليس بشئ منها بالطبع وانما هو يستمر بالقدم والمران
حتى يصير ملكة راسخة فيظنها المشاهد طبيعية كما هو
راى كثير من البلدا فى اللغة العربية فيقولون العرب كانت
تعرب بالطبع وتنطق بالطبع وهذا وهم ومنها الخط
العبرانى الذى هو كتابة بنى عابر بن شالخ من بنى اسرائيل
وغيرهم ومنها الخط ~~[illegible]~~ اللطينيين من الروم
ولهما ايضا لسان مختص بهم ولكل امة من الامم اصطلاح
فى الكتاب يعزى اليها ويختص بها مثل الترك والفرنج
والهنود وغيرهم وانما وقعت العناية بالاقلام الثلاثة
الاول اما السريانى فلقدمه كما ذكرنا واما العربى والعبرى
فلتنزل القران والتورية بهما بلسانهما وكان هذان
الخطان بيانا لمتلوهما فوقعت العناية بمنظومهما اولا
وانبسطت قوانين لاطراد العبارة فى تلك اللغة على
اسلوبها لتفهم الشرايع التكليفية من ذلك الكلام الربانى
واما اللطينى فكان الروم وهم اهل ذلك اللسان لما اخذوا
بدين النصرانية وهو كله من التورية كما سبق فى اول

خط اللطيني

الكتاب

الكتاب ترجموا التورية وكتب الاسرائيليين الى لغتهم ليقتنصوا
منها الاحكام على اسهل الطرق وصارت عنايتهم بلغتهم
وكتابتهم اكد من سواها واما الخطوط الاخرى فلم تقع بها
عناية وانما هى لكل امة بحسب اصطلاحها ثم ان الناس
حصروا مقاصد التاليف التى ينبغى اعتمادها والغاء ما سواها
فعدوها سبعة اولها استنباط العلم بموضوعه وتقسيم
ابوابه وفصوله وتتبع مسائله او استنباط مسائل ومباحث
تعرض للعالم المحقق ويحرص على ايصاله لغيره لتعم المنفعة
به فيودع ذلك بالكتاب فى الصحف لعل المتاخر يظهر على
تلك الفائدة كما وقع فى اصول الفقه تكلم الشافعى اولا فى
الادلة الشرعية اللفظية ولخصها ثم جاء الحنفية فاستنبطوا
مسائل القياس واستوعبوها وانتفع بذلك من بعدهم
الى الان وثانيها ان يقف على كلام الاولين وتواليفهم
فيجدها مستغلقة على الافهام ويفتح الله فى فهمها فيحرص
على ابانة ذلك لغيره ممن عساه يستغلق عليه لتصل الفائدة
لمستحقها وهذه طريقة البيان لكتب المعقول والمنقول
وهو فصل شريف وثالثها ان يعثر المتاخر على غلط او خطا
فى كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد فى الافادة صيته
ويستوثق فى ذلك بالبرهان الواضح الذى لا مدخل
للشك فيه فيحرص على ايصال ذلك لمن بعده اذ قد تعذر
محوه ونزعه بانتشار التاليف فى الافاق والاعصار
وشهرة المولف ووثوق الناس بمعارفه فيودع ذلك الكتاب
ليقف الناظر على بيان ذلك ورابعها ان يكون الفن الواحد
قد نقصت منه مسائل او فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد
المطلع على ذلك ان يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل
الفن بكمال مسائله وفصوله ولا يبقى للنقص فيه مجال
وخامسها ان يكون مسائل العلوم قد وقعت غير مرتبة

فى ابوابها ولا منتظمه فيقصد المطلع على ذلك ان يرتبها
ويهذبها ويجعل كل مسئله فى بابها كما وقع فى المدونة
من رواية سحنون عن ابن القاسم وفى العتبيه من رواته
العتبى عن اصحاب مالك فان مسائل كثيرة من ابواب
الفقه منها قد وقعت فى غير بابها فهذب ابن ابى زيد
المدونة وبقيت العتبيه غير مهذبة فنجد فى كل باب
مسائل من غيره واستغنوا بالمدونة وما فعله ابن ابى زيد
فيها والبرادعى من بعده وسادسها ان تكون مسائل العلم
مفرقة فى ابوابها من علوم اخرى فيتنبه بعض الفضلا
الى موضوع ذلك الفن وجمع مسائله فيفعل ذلك ويظهر به
فن ينظمه فى جملة العلوم التى ينتحلها البشر بافكارهم كما وقع
فى علم البيان فان عبد القاهر الجرجانى وابا يوسف السكاكى
وجدوا مسائله مستقرية فى كتب النحو وقد جمع منها الجاحظ
فى كتاب البيان والتبيين مسائل كثيره تنبه الناس فيها لموضوع
ذلك العلم وانفراده عن سائر العلوم فكتبا فى ذلك تواليفهم
المشهورة وصارت اصولا لفن البيان ولقنها المتاخرون
فاربوا فيها على كل متقدم وسابعها ان يكون الشى من
التواليف التى هى امهات للفنون مطولا مسهبا فيقصد
بالتاليف تلخيص ذلك بالاختصار والايجاز وحذف المتكرر
ان وقع مع الحذر من حذف الضرورى لئلا يخل بمقصد
المولف الاول فهذه جماع المقاصد التى ينبغى اعتمادها بالتاليف
ومراعاتها وما سوى ذلك ففعل غير محتاج اليه وخطا
عن الجادة التى يتعين سلوكها فى نظر العقلا مثل انتحال
ما تقدم لغيره من التواليف ان ينسبه الى نفسه ببعض
تلبيس من تبديل الالفاظ وتقديم المتاخر وعكسه او يحذف
ما يحتاج اليه فى الفن او ياتى بما لا يحتاج اليه او يبدل الصواب
بالخطا او ياتى بما لا فائدة فيه فهذا شان الجهل والقحة

ولهذا

ولهذا قال ارسطو لما عدد هذه المقاصد وانتهى الى اخرها
فقال وما سوى ذلك ففضل او شره يعنى بذلك الجهل والقحة
نعوذ بالله من العمل فيما لا ينبغى للعاقل سلوكه والله يهدى
للتى هى اقوم

فصل فى ان كثرة التواليف فى العلوم عايقة عن التحصيل

اعلم انه مما اضر بالناس فى تحصيل
العلم والوقوف على غاياته كثرة التواليف واختلاف
الاصطلاحات فى التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم
والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل
فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومراعاة طرقها ولا
يفى عمره بما كتب فى صناعة واحده اذا تجرد لها فيقع
القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شان
الفقه فى المذهب المالكى بكتاب المدونه مثلا وما كتب
عليها من الشروحات الفقهيه مثل كتاب ابن يونس
واللخمى وكتاب ابن بشر والتنبيهات والمقدمات وكذلك
كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة
القيروانية من القرطبيه والبغداديه والمصرية وطرق
المتاخرين عنهم والاحاطه بذلك كله وحينئذ يسلم له
منصب الفتيا وهى كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب
باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر ينقضى فى واحد
منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية
فقط لكان الامر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا
وماخذه قريبا ولكنه دا لا يرتفع لاستقرار العوايد عليه
فصارت كالطبيعة التى لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويمثل
ايضا علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه
وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين
ومن بعدهم وطرق المتقدمين والمتاخرين مثل ابن
الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب فى ذلك وكيف يطالب به

المتعلم وينقضي عمره دونه ولا يطمع احد في الغاية منه
الا في القليل النادر مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد
من تواليف رجل من اهل صناعة العربيه من اهل مصر
يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيه انه استولى على غاية
من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسيبويه وابن جني
واهل طبقتهما لعظم ملكته وما احاط به من اصول
ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه ودل ذلك
على ان الفضل ليس منحصرا في المتقدمين سيما مع ما قررناه
من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتواليف
ولكن فضل الله يوتيه من يشاء وهذا نادر من نوادر
الوجود والا فالظاهر ان المتعلم لو قطع عمره في هذا كله
لا يفي له بتحصيل علم العربيه مثلا الذي هو آلة من الالات
ووسيله فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله
يهدي من يشاء

فصل في ان كثرة الاختصارات الموضوعة في العلوم مخلة بالتعليم ٥

ذهب كثير من المتاخرين الى اختصار
الطرق والانحا في العلوم يولعون بها ويدونون منها
برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وادلتها
باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة
من ذلك الفن فصار ذلك مخلا بالبلاغه وعسيرا على
الفهم وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون
فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه
واصول الفقه وابن مالك في العربيه والخونجي في المنطق
وامثالهم وهو فساد من التعليم وفيه اخلال بالتحصيل
وذلك لان فيه تخليطا على المبتدي بالقاء الغايات من العلم
عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم
كما سياتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الفاظ
الاختصار العويصة للفهم لتزاحم المعاني عليها واستخراج

المسائل من بينها لان الفاظ المختصرات تجدها لذلك صعبة
عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت ثم بعد
ذلك كله فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات
اذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات
التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة لكثرة ما يقع
في تلك من التكرار والاطالة المفيدين لحصول الملكة التامة
واذا اقتصر عن التكرار قصرت الملكة لقلته كشان هذه
الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين
فاركبوهم صعبا بقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة
وتمكنها ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له

فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين المتعلمين للعلوم انما يكون مفيدا اذا كان
على التدريج شيئا شيئا وقليلا قليلا يلقي عليه اولا مسائل
في كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ويقرب له في
شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله
واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن
وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية
وضعيفه وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله
ثم يرجع الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة
الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال
ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى
اخر الفن فتجود ملكته ثم ترجع به وقد شدا فلا يترك
عويصا ولا مبهما ولا منغلقا الا وضحه وفتح له مقفلة
فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه التعليم
المفيد وهو كما رايت انما يحصل في ثلث تكرارات وقد
يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر
عليه وقد شاهدنا كثيرا من المتعلمين لهذا العهد الذي ادركنا

منتهى

يجهلون طريق هذا التعليم وافادته ويحصرون المتعلم
في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم يطالبونه باحضار
ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا
فيه ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما
يلقون له من غايات الفنون في مباديها وقبل ان يستعد
لفهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشا
تدريجا ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم في الجملة
الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالمثل الحسية
ثم لايزال الاستعداد فيه بتدريج قليلا قليلا بمخالطة
مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من
التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد
ثم في التحصيل ويحيط بمسائل الفن واذا القيت عليه الغايات
في البداية وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد
عن الاستعداد له كلّ ذهنه عنها وحسب ذلك من
صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله
وتمادى في هجرانه وانما اتى في ذلك من سوء التعليم
ولا ينبغي للمعلم ان يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي اكب
على التعليم منه بحسب طبقته وعلى نسبة قبوله للتعليم
مبتديا كان او منتهيا ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها
حتى يعيه من اوله الى آخره ويحصل اغراضه ويستولي منه
على ملكة بها ينفذ في غيره لان المتعلم اذا حصل ملكة ما في
علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط
في طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولي على غايات
العلم واذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال
وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم
والله يهدي من يشا وكذلك ينبغي ان لا يطول على المتعلم
في الفن الواحد او الكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفريق

ما بينها

ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن
بعضها عن بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها واذا كانت
اوائل العلم واواخره حاضرة عند الفكر مجانبة للنسيان
كانت الملكة ايسر حصولا واحكم ارتباطا واقرب صبغة
للملكات لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكرره
واذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشية عنه والله
علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجملية والطرق
الجميلة
الواجبة في التعليم ان لا يخلط على المتعلم علمان معا
فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم
البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهيم الآخر فيستغلقان
معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة واذا تفرغ الفكر
لتعلم ما هو بسبيله مقتصرا عليه فربما كان ذلك اجدر
بتحصيله والله الموفق للصواب فصل واعلم
ايها المتعلم اني اتحفك بفائدة في تعلمك ان تلقيتها بالقبول
وامسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة
واُقدّم لك مقدمة تعينك على فهمها وذلك ان الفكر
الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبدعاته
وهو فعل وحركة في النفس بقوة في البطن الاوسط من
الدماغ وتارة تكون مبدا للافعال الانسانية على نظام
وترتيب وتارة يكون مبدا العلم ما لا يكون حاصلا بان
يتوجه الى المطلوب وقد تصور طرفيه ويروم نفيه
او اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما اسرع من
لمح البصر ان كان واحدا او ينتقل الى تحصيل وسط
آخر ان كان متعددا ويصير الى الظفر بمطلوبه هذا
شان هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من
سائر الحيوان ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه
الطبيعة الفكرية النظرية بصفة لتعلم سداده من خطاه

لانها وان كان الصواب لها ذاتيا الا انه قد يعرض لها
الخطا فى الاقل من تصور الطرفين على غير صورتهما او من
اشتباه الهيئات فى نظم القضايا وترتيبها للنتاج فيعين
المنطق على التخلص من ورطة هذا الفساد ان عرض فالمنطق
اذا امر صناعى مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة
فعلها ولكونه امرا صناعيا استغنى عنه فى الاكثر ولذلك
تجد كثيرا من فحول النظار فى الخليقة يحصلون على المطالب
فى العلوم دون علم صناعة علم المنطق ولاسيما مع صدق
النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك اعظم معين ويسلكون
بالطبيعة الفكرية على سدادها فيفضى بهم بالطبع الى حصول
الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا
الامر الصناعى الذى هو المنطق مقدمة اخرى من التعليم
وهى معرفة الالفاظ ودلالتها على المعانى الذهنية تردها
من مشافهة الرسوم بالكتاب او مشافهة اللسان بالنطق
بالخطاب فلا بد ايها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها
الى الفكر فى مطلوبك فاولا دلالة الكتابة المرسومة على
الالفاظ المقولة وهى اخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة
على المعانى المطلوبة ثم القوانين فى ترتيب المعانى
للاستدلال فى قوالبها المعروفة فى صناعة المنطق ثم
تلك المعانى مجردة فى الفكر اشراكا تقتنص بها المطلوب
بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه وليس
كل احد متجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه
الحجب فى التعليم بسهولة بل ربما وقف الذهن فى حجب
الالفاظ بالمناقشات او عثر فى اشراك الادلة بشغب
الجدال والشبهات فقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد
يتخلص من تلك الغمرة الا قليلا ممن هداه الله تعالى فاذا
ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتياب فى فهمك او تشغيب

بالشبهات

بالشبهات فى ذهنك فاطرح ذلك وانبذ حجب الالفاظ
وعوايق الشبهات واترك الامر الصناعى جملة واخلص
الى فضاء الفكر الطبيعى الذى فطرت عليه وسرح نظرك
فيه وفرغ ذهنك للغوص على مرامك منه واضعا قدمك
حيث وضعها اكابر النظار قبلك متعرضا للفتح من الله تعالى
كما فتح عليهم من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا
فعلت ذلك اشرقت عليك انوار الفتح من الله بالظفر
بمطلوبك وحصل الالهام الوسط الذى جعله الله من
مقتضيات هذا الفكر وفطره عليه كما قلناه وحينئذ
فارجع الى قوالب الادلة وصورها فافرغه فيها ووفه
حقه من القانون الصناعى ثم اكسه صور الالفاظ وابرزه
الى عالم الخطاب والمشافهة وثيق العرى صحيح البنيان
واما ان وقفت عند المناقشة فى الالفاظ والشبه فى
الادلة الصناعية وتمحيص صوابها من خطايها وهذه
امور صناعية وضعية تستوى جهاتها المتعددة وتتشابه
لاجل الوضع والاصطلاح فلا يتميز جهة الحق منها اذ
فيستمر جهة الحق انما تتميز اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من
الشك والارتياب وتنسدل الحجب على المطلوب وتقعد
بالناظر عن تحصيله وهذا شان الاكثر من النظار المتاخرين
سيما من سبقت له عجمة فى لسانه فربطت على ذهنه او
من حصل له شغف بالقانون المنطقى وتعصب له فاعتقد
انه الذريعة بالطبع الى درك الحق فيقع فى الحيرة بين
شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يتخلص منها والذريعة
الى درك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعى كما قلناه اذا
جرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه لرحمة الله
واما المنطق فانما هو واصف لفعل هذا الفكر فيساوقه
لذلك فى الاكثر فاعتمد ذلك واستمطر رحمة الله متى

اعوزك فهم المسائل تشرق عليك انواره بالالهام الى الصواب والله الهادى برحمته وما العلم الا من عند الله

فصل في ان العلوم الالية لا يوسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل

اعلم ان العلوم المتعارفه بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والالهيات من الفلسفه وعلوم هى الة ووسيلة لهذه العلوم كالعربيه والحساب وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفه وربما كان الة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريق المتاخرين فاما العلوم التى هى مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الادلة والانظار فان ذلك يزيد طالبها تمكنا فى ملكته وايضاحا لمعانيها المقصودة واما العلوم التى هى الة لغيرها مثل العربيه والمنطق وامثالهما فلا ينبغى ان ينظر فيها الا من حيث هى الة لذلك الغير فقط ولا توسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك يخرج بها عن المقصود اذ المقصود منها ما هى الة له لا غير فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عايقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع ان شانها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الالية تضييعا للعمر وشغلا بما لا يعنى وهذا كما فعله المتاخرون فى صناعة النحو وصناعة المنطق لابل واصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها نقلا واستدلالا واكثروا من التفاريع والمسائل بما اخرجها عن كونها الة وصيرها

مقصودة بذاتها وربما يقع فيها لذلك انظار ومسائل لا حاجة بها فى العلوم المقصوده بالذات فيكون لاجل ذلك لغوا ويضر بالمتعلم على الاطلاق لان اهتمامهم بالعلوم المقصودة اكثر من هذه الالات والوسائل فاذا قطعوا العمر فى هذه الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الاليه ان لا يستبحروا فيها ولا يستكثروا من مسائلها وياخذون بالمتعلم فى الغرض منها ويقفوا به عنده ومن نزعت همته بعد ذلك الى شىء من التوغل وراى من نفسه قياما بذلك وكفاية به فليختر لنفسه وكل ميسر لما خلق له

فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه

اعلم ان تعليم الولدان للقران شعار من شعائر الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه فى جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقايده من ايات القران وبعض متون الاحاديث وصار القران اصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات وسبب ذلك ان تعليم الصغر اشد رسوخا وهو اصل لما بعده لان السابق الاول الى القلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما يبنى عليه واختلفت طرقهم فى تعليم القران للولدان باختلافهم فى اعتبار ما ينشا عن ذلك التعليم من الملكات فاما اهل المغرب فمذهبهم فى الولدان الاقتصار على تعليم القران فقط واخذهم اثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القران فيه لا يخلطون ذلك بسواه فى شىء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذق فى ذلك او ينقطع دونه فيكون انقطاعه فى الغالب انقطاعا عن العلم

بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم
من قرا البربر امم المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا
حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا راجع مدارسة
القران بعد طائفة من عمره فهم لذلك اقوم على رسم القران
وحفظه من سواهم واما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم
القراءة والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعونه
في التعليم الا انه لما كان القران اصل ذلك واسه ومنبع
الدين والعلوم جعلوه اصلا في التعليم فلا يقتصرون
لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية
الشعر في الغالب والترسيل واخذهم بقوانين العربية
وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم في
التعليم بالقران دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط اكثر من
جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة
وقد شدا بعض الشي في العربية والشعر والبصر بهما
وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم على
الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون
عند ذلك لانقطاع سند التعليم في افاقهم ولا يحصل
بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه
كفاية لمن ارشده الله تع واستعداد اذا وجد المعلم
واما اهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القران
بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين
بعض مسائلها الا ان عنايتهم بالقران واستظهار الولدان
اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته اكثر مما سواه
وعنايتهم بالخط تبع لذلك وبالجملة فطريقتهم في تعليم
الولدان الى طريقة اهل الاندلس لان سند طريقتهم في ذلك اقرب
متصل بمشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى
على شرق الاندلس واستقروا بتونس وعنهم اخذ

ولدانهم

ولدانهم من بعد ذلك واما اهل المشرق فيخلطون
في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا ادري بم عنايتهم
منها والذي ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القران وصحف
العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطونه بتعليم
الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على
انفراده كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب
الصبيان واذا كتبوا لهم الالواح فبخط قاصر عن الاجادة
ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من
الهمة في طلبه ويبتغيه من اهل صنعته فاما اهل افريقية
والمغرب فافادهم الاقتصار على القران القصور عن ملكة
اللسان جملة وذلك ان القران لا ينشا عنه في الغالب ملكة
لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله فهم مصروفون
كذلك عن الاستعمال عن اساليبه والاحتذا بها وليس
لهم ملكة في غير اساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان
العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام
وربما كان اهل افريقية في ذلك اخف من اهل المغرب
لما يخلطون في تعليمهم القران بعبارات العلوم في قوانينها
كما قلناه فيقتدرون على شي من التصرف ومحاذاة المثل
بالمثل الا ان ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان
اكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سياتي
في فصله واما اهل الاندلس فافادهم التفنن في التعليم
وكثرة رواية الشعر والترسيل ومدارسة العربية من
اول العمر حصول ملكة صاروا بها اعرف في اللسان العربي
وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القران
والحديث الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك اهل
خط وادب بارع او مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني
من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب القاضي ابو بكر ابن العربي

في كتاب رحلته الى غريبه في وجه التعليم واعاد في
ذلك وابدا وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم
كما هو مذهب اهل الاندلس قال لان الشعر ديوان
العرب ويدعو الى تقديمه وتقديم العربية في التعليم
ضرورة فساد اللغه ثم تنتقل منه الى الحساب فيتمرن
فيه حتى يرى القوانين ثم تنتقل الى درس القران فانه
يتيسر عليك بهذه المقدمه ثم قال ويا غفلة اهل بلادنا
في ان يؤخذ الطفل بكتاب الله في اول امره يقرا ما لم
يفهم وينصب في امر غيره اهم عليه منه قال ثم ينظر
في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث
وعلومه ونهى مع ذلك ان يخلط في التعليم علمان الا
ان يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الذهن والنشاط
هذا ما اشار اليه القاضي رحمه الله وهو لعمري مذهب
حسن الا ان العوايد لا تساعد عليه وهي املك بالاحوال
ووجه ما اختصت به العوايد من تقديم دراسة القران
ايثار التبرك والثواب وخشية ما يعترض الولد في جنون
الصبى من الافات والقواطع عن العلم فيفوته القران
لانه ما دام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ
وانحل من ربقة القهر فربما عصفت به ريح الشبيبة
فالقته في ساحل البطالة فيغتنمون في زمان الحجر وربقة
الحكم تحصيل القران له لئلا يذهب خلوا منه ولو حصل
اليقين باستمراره في طلب العلم وقبول التعليم لكان هذا المذهب
الذي ذكره القاضي اولى ما اخذ به اهل المغرب والمشرق
ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه

فصل في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك ان ارهاف الحد في التاديب مضر بالمتعلم سيما
في اصاغر الولد لانه من سوء الملكة ومن كان مرباه

فاغتنموه

بالعسف

بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا
به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها
ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر
بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه
وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا
وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع
والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه او منزله وصار
عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل
والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس
وعاد في اسفل سافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة
القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك امره عليه
ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به تجد ذلك فيهم استقراء
وانظره في اليهود وما حصل فيهم بذلك من خلق السوء حتى
انهم يوصفون في كل افق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح
المشهور التخابث والكيد وسببه ما قلناه فلذلك ينبغي للمعلم
في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التاديب
وقد قال ابو محمد بن ابي زيد في كتابه الذي الفه في حكم
المعلمين والمتعلمين فقال لا ينبغي للمؤدب للصبيان ان يزيد
في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلثة اسواط شيئا ومن
كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصا
على صون النفوس عن مذلة التاديب وعلما بان المقدار الذي
عينه الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحته ومن احسن
مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده قال خلف
الاحمر بعث الى الرشيد لتاديب ولده محمد الامين فقال
يا احمر ان امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمرة
قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة فكن
له بحيث وضعك امير المؤمنين اقرئه القران وعرفه الاخبار

ورده الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبد
وامنعه من الضحك الا فى اوقاته وخذه بتعظيم مشايخ
بنى هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حضروا
مجلسه ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيد
اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته
فيستحلى الفراغ ويالفه وقومه ما استطعت بالقرب
والملاينه فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة فصل
فى ان الرحلة فى طلب العلوم ولقا المشيخه مزيد كمال فى التعلم
والسبب فى ذلك ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم
وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما والقا
وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة الا ان حصول الملكات
عن المباشرة والتلقين اشد استحكاما واقوى رسوخا
فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكه ورسوخها
والاصطلاحات ايضا فى تعليم العلوم مخلطة على المتعلم
حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه
ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقا
اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما
يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم
انها انحا تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ
والاستحكام فى الملكات ويصحح معارفه ويميزها
عن سواها مع تقوية ملكاته بالمباشرة والتلقين وكثرتها
من المشيخه عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه
طرق العلم والهدايه فالرحلة لا بد منها فى طلب العلم
لاكتساب الفوائد والكمال بلقا المشايخ ومباشرة
الرجال والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فصل
فى ان العلما من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها
والسبب فى ذلك انهم معتادون للنظر الفكرى والغوص

على

بلغ مقابلة

على المعانى وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها
فى الذهن امورا كليه عامة ليحكم عليها بامر على العموم
لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا امه ولا صنف
من الناس ويطبقون من بعد ذلك الكلى على الخارجيات
وايضا يقيسون الامور على اشباهها وامثالها بما اعتادوه
من القياس الفقهى فلا تزال احكامهم وانظارهم كلها
فى الذهن ولا تصير الى المطابقه الا بعد الفراغ من
البحث والنظر او لا تصير بالجملة الى مطابقته وانما يتفرع
ما فى الخارج عما فى الذهن من ذلك كالاحكام الشرعيه
فانها فروع عما فى المحفوظ من ادلة الكتاب والسنة
فيطلب مطابقته ما فى الخارج لها عكس الانظار فى العلوم
العقلية التى يطلب فى صحتها مطابقتها لما فى الخارج
فهم متعودون فى سائر انظارهم الامور الذهنية
والانظار الفكريه لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج
صاحبها الى مراعات ما فى الخارج وما يلحقها من الاحوال
ويتبعها فانها خفية ولعل ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها
بشبه او مثال وينافى الكلى الذى يحاول تطبيقه عليها
ولا يقاس شئ من احوال العمران على الاخر اذ كما
اشتبها فى امر واحد فلعلهما اختلفا فى امور فيكون
العلما لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور
بعضها على بعض اذا نظروا فى السياسة افرغوا ذلك فى
قالب انظارهم ونوع استدلالاتهم فيقعون فى الغلط
الكبير ولا يومن عليهم ويلحق بهم اهل الذكا والكيس
من اهل العمران لانهم ينزعون بثقوب اذهانهم
الى مثل شان الفقها من الغوص على المعانى والقياس
والمحاكاه فيقعون فى الغلط والعامى السليم الطبع المتوسط
الكيس لقصور فكره عن ذلك وعدم اعتباره اياه يقتصر

لكل مادة على حكمها في كل صنف من الاحوال والاشخاص على ما اختص به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في اكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالسابح لا يفارق الموج عند البر قال

ولا توغلن اذا ما سبحت ٭ فان السلامة في الساحل

فيكون مامونا من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة ابنا جنسه فيحسن معاشه وتندفع افاته ومضاره باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا نعلم ان صناعة المنطق غير مامونة الغلط لكثرة ما فيها من الانتزاع وبعدها عن المحسوس فانها نظر في المعقولات الثواني ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الاحكام وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني واما النظر في المعقولات الاول وهي التي تجريدها قريب فليست كذلك لانها خيالية وصور المحسوس حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه

فصل في ان جملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم

من الغريب الواقع ان جملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو اعجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعتها عربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السذاجة والبداوة وانما احكام الشريعة التي هي اوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا ماخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتاليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعتهم اليه حاجة وجرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين

بحمل ذلك ونقله القراء اي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربا فقيل لحملة القران يومئذ قرا اشارة الى هذا فهم قرا لكتاب الله والسنة الماثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارده تفسير له وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتيج الى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الرواة للتمييز بين الصحيح من الاسناد وما دونه ثم كثر استخراج احكام الواقعات من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فاحتيج الى وضع القوانين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس واحتيج الى علوم اخرى هي وسائل لها من معرفة قوانين العربيه وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة البدع والالحاد فصارت هذه الامور كلها علوما ذات ملكات محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع من منتحل الحضر وان العرب ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد العرب عنها وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم او من في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في انسابهم وانما ربوا في اللسان

العربى فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيّروه قوانين
وفنا لمن بعدهم وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه على
اهل الاسلام اكثرهم عجم او مستعجمون باللغه والمربى
لاتساع الفن بالعراق وما بعده وكان علما اصول الفقه
كلهم عجما كما تعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا اكثر
المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم فظهر
مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلق العلم باعنان
السما لناله قوم من فارس واما العرب الذين ادركوا هذه
الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم
الرياسة فى الدولة العباسية وما رفعوا اليه من القيام
بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا اهل الدولة
وحاميتها واولى سياستها مع ما يلحقهم من الانفة من
انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنايع والروسا
ابدا يستنكفون عن الصنايع والمهن وما يجر اليها
ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين وما
زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا
يحتقرون حملتها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب
جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسب
عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبها وامتهن
حملتها بما يرون انهم بعدا عنهم مشغولون بما لا يجدى
عليهم فى الملك والسياسة كما ذكرناه فى فصل المراتب
الدينية فهذا الذى قررناه هو السبب فى ان كان حملة
الشريعة او عامتهم عجما واما العلوم العقلية ايضا فلم
يظهر فى الملة الا بعد ان تميز حملة العلم ومولفوه
واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركها
العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الا المعربون من
العجم شان الصنايع كما قلناه اولا ولم يزل ذلك فى الامصار

الاسلاميه

الاسلاميه ما دامت الحضارة فى العجم وبلادهم
من العراق وخراسان وما ورا النهر فلما خربت تلك
الامصار وذهبت منها الحضارة التى هى سر الله فى حصول
العلوم والصنايع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم
من البداوة واختص العلم بالامصار الموفورة الحضارة
ولا اوفر اليوم حضارة من مصر فهى ام العالم وايوان
الاسلام وينبوع العلوم والصنايع وبقى بعض الحضارة
فيما ورا النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التى فيها
فلهم بذلك حصة من العلوم والصنايع لا تنكر وقد
دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم فى تواليف وصلت
الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازانى واما
غيره من العجم فلم نر لهم من بعد الامام ابن الخطيب
ونصير الدين الطوسى كلاما يعول على نهايته فى
الاجادة فاعتبر ذلك وتامله تجد عجبا فى احوال الخليقة
والله يخلق ما يشا لا اله الا هو **فصل فى ان العجمة
اذا سبقت الى اللسان قصرت بصاحبها عن تحصيل
العلوم عن اهل اللسان العربى** والسر فى ذلك
ان مباحث العلوم كلها انما هى فى المعانى الذهنيه
والخيالية من بين العلوم الشرعيه التى اكثر مباحثها
فى الالفاظ وموادها من الاحكام المتلقاة من الكتاب
والسنة ولغاتها المودية لها وهى كلها فى الخيال
وبين العلوم العقلية وهى فى الذهن واللغات انما
هى ترجمان عما فى الضماير من تلك المعانى يوديها
بعض الى بعض بالمشافهة فى المناظرة والتعليم
وممارسة البحث فى العلوم لتحصيل ملكتها بطول
المران على ذلك والالفاظ واللغات وسايط وحجب
بين الضماير وروابط وختام على المعانى ولا بد فى

اقتناص تلك المعاني من الفاظها بمعرفة دلالتها اللغوية عليها
وجودة الملكة للناظر فيها والانيعتاص عليه اقتناصها زيادة
على ما يكون في مباحثها الذهنية من الاعتياص واذا كانت
ملكته تلك الدلالات راسخة بحيث تتبادر المعاني الى
ذهنه من تلك الالفاظ عند استعمالها شان البديهي والجبلي
زال ذلك الحجاب بالجملة بين المعاني والفهم او خف ولم يبق
الا معاناة ما في المعاني من المباحث فقط هذا كله اذا كان
التعليم تلقينا وبالخطاب والعبارة واما ان احتاج المتعلم
الى الدراسة والتقييد بالكتاب ومشافهة الرسوم الخطية
من الدواوين بمسائل العلوم كان هنالك حجاب اخر
بين الخط ورسومه في الكتاب وبين الالفاظ المقولة في
الخيال لان رسوم الكتابة لها دلالة خاصة على الالفاظ
وما لم تعرف تلك الدلالة تعذرت معرفة العبارة وان عرفت
بملكة قاصرة كانت معرفتها منها ايضا قاصرة ويزداد على
المتعلم والناظر حجاب اخر بينه وبين مطلوبه من تحصيل
ملكات العلوم اعوص من الحجاب الاول واذا كانت ملكته
في الدلالة اللفظية والخطية مستحكمة ارتفعت الحجب
بينه وبين المعاني وصار انما يعاني فهم مباحثها فقط هذا
شان المعاني مع الالفاظ والخط بالنسبة الى كل لغة
والمتعلمون لذلك في الصغر اشد استحكاما لملكاتهم ثم ان
الملة الاسلامية لما اتسع ملكها واندرجت الامم في طيها
ودرست علوم الاولين بنبوتها وكتابها وكانت امية
النزعة والشعار فاخذها الملك والعزة وسخرية الامم
لهم بالحضارة والتهذيب وصيروا علومهم الشرعية صنائع
بعد ان كانت نقلا فحدثت الملكات وكثرت الدواوين
والتواليف وتشوفوا الى علوم الامم فنقلوها بالترجمة
الى علومهم وافرغوها في قالب انظارهم وجردوها من

تلك

تلك اللغات الاعجمية الى لسانهم واربوا فيها على مداركهم
وبقيت تلك الدفاتر التي بلغتهم الاعجمية نسيا منسيا وطللا
مهجورا وهباء منثورا واصبحت العلوم كلها بلغة العرب
ودواوينها المسطرة بخطهم واحتاج القائمون بالعلوم
الى معرفة الدلالات اللفظية والخطية في لسانهم دون
ما سواه من الالسن لدروسها وذهاب العناية بها وقد
تقدم لنا ان اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط ملكتها صناعية
في اليد فاذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصرا
في اللغة العربية لما قدمناه من ان الملكة اذا تقدمت في
صناعة بمحل فقل ان يجيد صاحبها ملكة في صناعة اخرى
وهو ظاهر واذا كان مقصرا في اللغة العربية ودلالاتها
اللفظية والخطية اعتاص عليه فهم المعاني منها كما مر
الا ان يكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم حين انتقل
منها الى العربية كاصاغر ابناء العجم الذين يربون مع العرب
قبل ان تستحكم عجمتهم فتكون اللغة العربية كانها السابقة
لهم ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من اللغة
العربية وكذا ايضا شان من سبق له تعلم الخط الاعجمي
قبل العربي ولهذا نجد الكثير من علماء الاعاجم في دروسهم
ومجالس تعليمهم يعدلون عن نقل التفاسير من الكتب
الى قراءتها ظاهرا يخففون بذلك عن انفسهم مؤنة بعض
الحجب ليقرب عليهم تناول المعاني وصاحب الملكة في
العبارة والخط مستغن عن ذلك لتمام ملكته وانه صار
له فهم الاقوال من الخط والمعاني من الاقوال كالجبلة
الراسخة وارتفعت الحجب بينه وبين المعاني وربما يكون
الدؤوب على التعليم والمران على اللغة وممارسة الخط يفضيان
بصاحبهما الى تمكن الملكة كما نجده في الكثير من علماء
الاعاجم الا انه في النادر واذا قرن بنظيره من علماء العرب

واهل طبقته منهم كان باع العربي اطول وملكته اقوى
لما عند المستعجم من الفتور بالعجمة السابقة التي تورث
القصور بالضرورة ولا يعترض على ذلك بما تقدم من
ان علما الاسلام اكثرهم العجم لان المراد بالعجم هنالك
عجم النسب لتداول الحضارة فيهم التي قررنا انها سبب
لانتحال الصنايع والملكات ومن جملتها العلوم واما عجمة
اللغة فليست من ذلك وهي المرادة هنا ولا يعترض ذلك
ايضا بما كان لليونانيين في علومهم من رسوخ القدم فانهم
انما تعلموها من لغتهم السابقة لهم وخطهم المتعارف
بينهم والاعجمي المتعلم للعلم في الملة الاسلامية ياخذ
العلم بغير لسانه الذي سبق اليه ومن غير خطه الذي
يعرف ملكته فلهذا يكون له ذلك حجابا كما قلناه وهذا
عام في جميع اصناف اهل اللسان الاعجمي من الفرس
والروم والترك والبربر والفرنج وسائر من ليس من اهل
اللسان العربي وفي ذلك ايات للمتوسمين **فصل في
علوم اللسان العربي** واركانها اربعة وهي اللغة
والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل
الشريعة اذ ماخذ الاحكام الشرعيه كلها من الكتاب
والسنه وهما بلغة العرب ونقلتها من الصحابه والتابعين
عرب وشرح مشكلها من لغتهم فلابد من معرفة
العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة وتتفاوت
في التاكيد بتفاوت مراتبها في التوفيه بمقصود الكلام
حسب ما يتبين في الكلام عليها فنا فنا والذي يتحصل
ان الاهم المقدم منها هو النحو اذ به يتبين اصول المقاصد
بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدا من الخبر
ولولاه لجهل اصل الافاده وكان من حق علم اللغة
التقديم لولا ان اكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها

لم

لم تتغير بخلاف الاعراب الدال على الاسناد والمسند
والمسند اليه فانه تغير بالجمله ولم يبق له اثر فلذلك
كان علم النحو اهم من اللغه اذ في جهله الاخلال بالتفاهم
جملة وليس كذلك اللغه والله اعلم **النحو** اعلم ان اللغه
في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة
فعل لساني ناشئ عن القصد بافادة الكلام فلا بد ان تصير
ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في
كل امة بحسب اصطلاحهم وكانت الملكة الحاصلة من
ذلك للعرب احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد
لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات
التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور اعني المضاف
ومثل الحروف التي تفضي بالافعال اي الحركات الى الذوات
من غير تكلف الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة
العرب واما غيرها فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ
تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم
اطول مما نقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله
عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا
فصار للحروف في لغتهم والحركات والاوضاع اي الهيئات
اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة
يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة في السنتهم ياخذها
الاخر عن الاول كما ياخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما
جا الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في
ايدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة
بما القى اليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم
والسمع ابو الملكة اللسانية ففسدت بما القي اليها مما
يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع وخشي اهل الحلوم
منهم ان تفسد تلك راسا ويطول العهد فينغلق القران

الملكة

والحديث على الفهوم فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين
لتلك الملكة مطرده شبه الكليات والقواعد يقيسون
عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشباه منها بالاشباه
مثل ان الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدا مرفوع
ثم راوا تغير الدلالة بتغير هذه الحركات فاصطلحوا
على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا
وامثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم
فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة مخصوصة واصطلحوا
على تسميتها بعلم النحو واول من كتب فيها ابو الاسود
الدولى من بنى كنانة ويقال باشارة على رضى الله عنه
لانه راى تغير الملكة فاشار عليه بحفظها ففزع الى ضبطها
بالقوانين الحاصرة المستقراة ثم كتب فيها الناس من بعده
الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدى ايام الرشيد
احوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب
فهذب الصناعة وكمل ابوابها واخذها عنه سيبويه
فكمل تفاريعها واستكثر من ادلتها وشواهدها ووضع
فيها كتابه المشهور الذى كان اماما لكل ما كتب فيها من
بعده ثم وضع ابو على الفارسى وابو القاسم الزجاجى كتبا
مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذو الامام فى كتابه
ثم طال الكلام فى هذه الصناعة وحدث الخلاف بين اهلها
فى الكوفة والبصرة المصرين القديمين للعرب وكثرت
الادلة والحجاج بينهم وتباينت الطرق فى التعليم وكثر
الاختلاف فى اعراب كثير من اى القران باختلافهم
فى تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتاخرون
بمذاهبهم فى الاختصار فاختصروا كثيرا من ذلك الطول
مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك فى كتاب
التسهيل وامثاله واقتصارهم على المبادى للمتعلمين كما فعل

الزمخشرى فى المفصل وابن حاجب فى المقدمه وربما
نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك فى الارجوزتين الكبرى
والصغرى وابن معطى فى الارجوزة الالفية وبالجملة
فالتواليف فى هذا الفن اكثر من ان يحصى او يحاط بها
وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة
لطريق المتاخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون
والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه
الصناعة ان تؤذن بالذهاب لما راينا من النقص فى سائر
العلوم والصنايع بتناقص العمران ووصل الينا بالمغرب
لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين
بن هشام من علمائها استوفى فيه احكام الاعراب
مجملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل
وحذف ما فى الصناعة من المتكرر فى اكثر ابوابها وسماه
بالمغنى فى الاعراب واشار الى نكت اعراب القران كلها
وضبطها بابواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها
فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره فى هذه الصناعة
ووفور بضاعته منها وكانه ينحو فى طريقته منحاة اهل
الموصل اقتفوا اثر ابن جنى واتبعوا مصطلح تعليمه فاتى
من ذلك بشئ عجيب دال على قوة ملكته واضطلاعه والله
يزيد فى الخلق ما يشاء **علم اللغة** وهذا العلم
هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك انه لما فسدت ملكة
اللسان العربى فى الحركات المسماة عند اهل النحو بالاعراب
واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك
الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تادى الفساد
الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب
فى غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين فى
اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج الى حفظ

الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس
وما ينشا عنه من الجهل بالقران والحديث فشمر كثير
من ائمة اللسان لذلك واملوا فيه الدواوين وكان سابق
الحلبة في ذلك الخليل بن احمد الفراهيدي الف فيها كتاب
العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي
والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان
العربي وتاتى له حصر ذلك بوجوه عديدة حاصرة وذلك
ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على
التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية
حروف بواحد لان الحرف الواحد منها يوخذ مع كل المعجم
واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين
كلمة ثنائية ثم يوخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم
الثالث والرابع ثم يوخذ السابع والعشرون مع الثامن
والعشرين فيكون واحدا فيكون كلها اعدادا على توالي
العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي
بالعمل المعروف عند اهل الحساب وهو ان تجمع الاول
مع الاخير وتضرب المجموع في نصف العدة ثم تضاعف
لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتاخير بين الحروف
معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج
الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجتمع من واحد
الى ستة وعشرين على توالي العدد لان كل ثنائية تزيد
عليها حرفا فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمنزلة الحرف
الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة
وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة
وعشرين على توالي العدد وتضرب فيه جملة الثنائيات ثم
تضرب الخارج في ستة جملة تقاليب الكلمة الثلاثية
فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في

الرباعي

الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه
ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف
واعتمد فيه ترتيب المخارج فبدا بحروف الحلق ثم
ما بعده من حروف الحنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل
حروف العلة اخرا وهي الحروف الهوائية وبدا من حروف
الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمي الكتاب
بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم
الى مثل هذا وهو تسميته باول ما يقع فيه من الكلمات
والالفاظ ثم بين المهمل منها والمستعمل وكان المهمل
في الخماسي والرباعي اكثر لقلة استعمال العرب له لثقله
ولحق به الثنائي لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي
اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورانه وضمن الخليل ذلك
كله كتاب العين واستوعبه احسن استيعاب واوفاه
وجا ابو بكر الزبيدي مكتب هشام المويد بالاندلس
في المائة الرابعة فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب
وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المستعمل ولخصه
للحفظ احسن تلخيص والف الجوهري من المشارقة كتاب
الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداءة
منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير
من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى اواخر الكلمة
فيجعل ذلك بابا ثم ياتي بالحروف اول الكلمة على ترتيب
حروف المعجم ايضا ويترجم عليها بالفصول الى اخرها
وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل ثم الف فيها من الاندلسيين
ابن سيده من اهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب
المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب
كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصريفها
فجاء من احسن الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين

المستنصر من ملوك الدوله الحفصيه بتونس وقلب
ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح فى اعتبار اواخر الكلم
وبنا التراجم عليها فكانا توامى رحم وسليلى ابوة ولكرا
من ايمة اللغه كتاب المنجد ولابن دريد كتاب الجمهره
ولابن الانبارى كتاب الزاهر هذه اصول كتب اللغه
فيما علمناه وهناك مختصرات اخرى مختصه بصنف من الكلمات
ومستوعبة لبعض الابواب او لكلها الا ان وجه الحصر
فيها خفى ووجه الحصر فى تلك جلى من قبل التراكيب
كما رايت ومن الكتب الموضوعة ايضا فى اللغة كتاب
الزمخشرى فى المجاز وسماه اساس البلاغة بين فيه
كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به
من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت
العرب تضع الشئ لمعنى على العموم ثم تستعمل فى الامور
الخاصه الفاظا اخرى خاصه بها فرق ذلك عنه ما بين
الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه اللغة عزيز الماخذ
كما وضع لكل ما فيه بياض ثم اختص الابيض من الخيل
بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالاملح
حتى صار استعمال الابيض فى كلها لحنا وخروجا عن لسان
العرب واختص بالتاليف فى هذا المنحى الثعالبى وافرده
فى كتاب له سماه فقه اللغه وهو من اكد ما ياخذ
به اللغوى نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه
فليس معرفه الوضع الاول بكاف فى التركيب حتى يشهد
له استعمال العرب واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب
فى فنى نظمه ونثره حذرا ان يكثر لحنه فى الموضوعات
اللغوية فى مفرداتها وتراكيبها وهو اشر من اللحن
فى الاعراب وافحش وكذلك الف بعض المتاخرين فى
الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم يبلغ الى النهاية

في ذلك

فى ذلك فهو مستوعب للاكثر واما المختصرات الموجودة
فى هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير
الاستعمال تسهيلا لحفظها على الطالب فكثير مثل
الالفاظ لابن السكيت والفصيح لثعلب وغيرهما وبعضها
اقل لغه من بعض باختلاف نظرهم فى الاهم على الطالب
للحفظ والله الخلاق العليم

فصل

واعلم
ان النقل الذى تثبت به اللغه انما هو النقل عن العرب
انهم استعملوا هذه الالفاظ لهذه المعانى لا تقل
انهم وضعوها لانه متعذر وبعيد ولم يعرف لاحد
منهم وكذلك لا تثبت اللغات بقياس ما لم يعرف استعماله
على ما عرف استعماله بجامع يشهد باعتباره فى الاول شان
القياسات الفقهيه فيثبت الخمر للنبيذ باستعماله فى ما
العنب باعتبار الاسكار الجامع لان شهادة الاعتبار فى
باب القياس انما مدركها الشرع الدال على صحه القياس
من اصله وليس لنا مثله فى اللغة الا بالعقل وهو تحكم
وعلى هذا جمهور الايمه وان مال الى القياس فيها القاضى
وابن سريج وغيرهم لكن القول بنفيه ارجح ولا تتوهمن
ان اثبات اللغه فى باب الحدود اللفظية لان الحد راجع
الى المعانى ببيان ان مدلول اللفظ المجهول الخفى هو
مدلوله الواضح المشهور واللغه اثبات ان اللفظ لمعنى
كذا والفرق فى غاية الظهور

علم البيان

هذا العلم
حادث فى المله بعد علم العربيه واللغه وهو من العلوم
اللسانيه لانه متعلق بالالفاظ وما تفيده ويقصد بها
الدلاله عليه من المعانى وذلك ان الامور التى يقصد بها
المتكلم افادة السامع من كلامه هى اما تصور مفردات
تسند ويسند اليها ويفضى بعضها الى بعض والدلالة
على هذه هى المفردات من الاسماء والافعال والحروف

واما تمييز المسندات من المسندات اليها والازمنه ويدل
عليها بتغيير الحركات وهو الاعراب وابنية الكلمات
وهذه كلها هى صناعة النحو ويبقى من الامور المكتنفة
بالواقعات المحتاجه للدلاله احوال المتخاطبين او
الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج الى الدلالة
عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت للمتكلم فقد
بلغ غاية الافادة فى كلامه واذا لم يشتمل منها على شئ
فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع ولكل
مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة
الا ترى ان قولهم زيد جاءنى مغاير لقولهم جاءنى زيد
من قبل ان المتقدم منها هو الاهم عند المتكلم فمن قال
جاءنى زيد افاد ان اهتمامه بالمجئ قبل الشخص المسند اليه
ومن قال زيد جاءنى افاد ان اهتمامه بالشخص قبل
المجئ المسند وكذا التعبير عن اجزاء الجملة بما يناسب
المقام من موصول او مبهم او معرفه وكذا تاكيد الاسناد
فى الجملة كقولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا لقائم
متغايرة كلها فى الدلاله وان استوت من طريق الاعراب
فان الاول العارى عن التاكيد انما يفيد الخالى الذهن
والثانى المؤكد بان يفيد المتردد والثالث يفيد المنكر
فهى مختلفه وكذلك تقول جاءنى الرجل ثم تقول مكانه
بعينه جاءنى رجل اذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه وانه
رجل لا يعادله احد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون
خبرية وهى التى لها خارج يطابقه اولا وانشائية وهى
التى لا خارج لها كالطلب وانواعه ثم قد يتعين ترك العاطف
بين الجملتين اذا كان للثانية محل من الاعراب فيتنزل
بذلك منزلة التابع المفرد نعتا او توكيدا او بدلا فلا
عطف او يتعين العطف اذا لم يكن للثانية محل من الاعراب

ثم قد يقتضى المحل الاطناب او الايجاز فيورد الكلام عليهما
ثم قد تدل باللفظ ولا تريد منطوقه وتريد لازمه ان
كان مفردا كما تقول زيد اسد فلا تريد حقيقة الاسد
المنطوقه وانما تريد شجاعته اللازمة وتسندها الى
زيد وتسمى هذه استعارة وقد تريد باللفظ المركب
الدلاله على ملزومه كما تقول زيد كثير رماد القدر وتريد
ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيوف لان كثرة
الرماد ناشئة عنهما فهى داله عليهما وهذه كلها دلالات
زائده على دلالات الالفاظ المفردة والمركبة وانما هى
هيئات واحوال للواقعات جعلت للدلالة عليها احوال
وهيئات فى الالفاظ بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل
هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالة التى
للهيئات والاحوال فى المقامات وجعل على ثلاثة اصناف
الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيئات والاحوال
حتى يطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ويسمى علم
البلاغة والصنف الثانى يبحث فيه عن الدلاله على
لازم اللفظ او ملزومه وهو الاستعارة والكنايه كما قلناه
ويسمى علم البيان والحقوا بهما صنفا آخر وهو
النظر فى تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق اما
بسجع يفصله او تجنيس يشابه من الفاظه او ترصيع يقطع
اوزانه او تورية عن المعنى المقصود بايهام معنى اخفى منه
لاشتراك اللفظ بينهما او طباق بالتقابل بين الاضداد
وامثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع واطلق على الاصناف
الثلثه عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثانى
لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاحقت مسائل الفن
واحده بعد اخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ
وقدامه وامثالهم املاآت غير وافية بها ثم لم تزل

مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى ان محض السكاكى زبدته
وهذب مسائله ورتب ابوابه على نحو ما ذكرناه انفا من
الترتيب والف كتابه المسمى بالمفتاح فى النحو والتصريف
والبيان فجعل هذا الفن من بعض اجزائه واخذه المتاخرون
من كتابه ولخصوا منه امهات هى المتداوله لهذا العهد كما
فعله السكاكى فى كتاب التبيان وابن مالك فى كتاب المصباح
وجلال الدين القزوينى فى كتاب الايضاح وفى كتاب التلخيص
وهو اصغر حجما من الايضاح والعنايه لهذا العهد به عند
اهل المشرق فى الشرح والتعليم منه اكثر من غيره وبالجمله
فالمشارقه على هذا الفن اقوى من المغاربه وسببه والله
اعلم انه كمالى فى العلوم اللسانيه والصنايع الكماليه توجد
فى وفور العمران والمشرق اوفر عمرانا من المغرب كما ذكرنا
او نقول لعناية العجم وهم معظم اهل المشرق بتفسير الزمخشرى
وهو كله مبنى على هذا الفن بل هو اصله وانما اختص باهل
المغرب من اصنافه علم البديع خاصه وجعلوه من جملة
علوم الادب الشعريه وفرعوا له القابا وعددوا ابوابا
ونوعوا انواعا زعموا انهم احصوها من لسان العرب
وانما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وان علم
البديع سهل الماخذ وصعبت عليهم ماخذ البلاغة
والبيان لدقة انظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما
وممن الف فى البديع من اهل افريقيه ابن رشيق وكتاب
العمدة له مشهور وجرى كثير من اهل افريقيه والاندلس
على منحاه واعلم ان ثمرة هذا الفن انما هى فى فهم الاعجاز
من القران لان اعجازه فى وفا الدلالة منه بجميع مقتضيات
الاحوال منطوقة ومفهومة وهى اعلى مراتب الكمال
مع الكلام فيما يختص بالالفاظ فى انتقايها وجودة رصفها
وتركيبها وهذا هو الاعجاز الذى تقصر الافهام عن دركه

وانما

وانما يدرك بعض الشئ منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان
وحصول ملكته فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا
كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلا مقاما
فى ذلك لانهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم
موجود باوفر ما يكون واصحه واحوج ما يكون الى
هذا الفن المفسرون واكثر تفاسير المتقدمين غفل
منه حتى ظهر جار الله الزمخشرى ووضع كتابه فى التفسير
وتتبع اى القران باحكام هذا الفن بما يبدى البعض من
اعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه يؤيد
عقايد اهل البدع عند اقتباسها من القران بوجوه البلاغة
ولاجل هذا انتحاه كثير من اهل السنة مع وفور بضاعته
من البلاغه فمن احكم عقايد السنه وشارك فى هذا
الفن بعض المشاركه حتى يقتدر على الرد عليه من جنس
كلامه او يعلم انها بدعة فيعرض عنها ولا تضره فى معتقده
فانه يتعين عليه النظر فى هذا الكتاب للظفر بشئ من
غرائب الاعجاز مع السلامة من البدع والاهوا والله
الهادى من يشا الى سواء السبيل

علم الادب

هذا العلم لا موضوع له ينظر فى اثبات عوارضه او نفيها
وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهى الاجادة
فى فنى المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم
فيجمعون لذلك من حفظ كلام العرب ما عساه تحصل به
الملكه من شعر عالى الطبقه وسجع متساو فى الاجادة ومسائل
من اللغه والنحو مبثوثة اثنا ذلك متفرقه يستقرى منها
الناظر فى الغالب معظم قوانين العربيه مع ذكر بعض من
ايام العرب يفهم به ما يقع فى اشعارهم منها وكذلك ذكر
المهم من الانساب الشهيره والاخبار العامة والمقصود
بذلك كله ان لا يخفى على الناظر فيه شئ من كلام العرب

واساليبهم ومناحى بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا حد هذا الفن قالوا الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان او العلوم الشرعيه من حيث متونها فقط وهى القران والحديث اذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم فى كلام العرب الا ما ذهب اليه المتاخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التوريه فى اشعارهم وترسيلهم بالاصطلاحات العلميه فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهى ادب الكاتب لابن قتيبه وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابى على القالى البغدادى وما سوى هذه الاربعه فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين فى ذلك كثيره وقد كان الغنا فى الصدر الاول من اجزا هذا الفن لما هو تابع للشعر اذ الغنا انما هو تلحينه وقد كان الكتاب والفضلا من الخواص فى الدوله العباسيه ياخذون انفسهم به حرصا على تحصيل اساليب العرب وفنونهم فلم يكن انتحاله قادحا فى العداله والمروة وقد كان سلف اهل الحجاز بالمدينة وغيرها ينتحلون ذلك وهم الحجة على من سواهم وقد الف القاضى ابو الفرج الاصبهانى وهو ما هو كتابه فى الاغانى جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وايامهم ودولهم وجعل مبناه على الغنا فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب واوفاه ولعمرى انه ديوان العرب وجامع اشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغنا وسائر الاحوال ولا يعدل

في مائة صوت

به

به كتاب فى ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التى يسمو اليها الاديب ويقف عندها وانى له بها ونحن الان نرجع بالتحقيق على الاجماع فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادى للصواب

فصل فى ان اللغة ملكة صناعية

اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هى ملكات فى اللسان للعبارة عن المعانى وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة التامه فى تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعانى المقصوده ومراعاة التاليف الذى يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افاده مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولا وتعود منه للذات صفة ثم يتكرر فتكون حالا ومعنى الحال عندهم انه صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فيكون ملكة اى صفة راسخة فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربيه موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيله واساليبهم فى مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبى استعمال المفردات فى معانيها فيلقنها اولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد فى كل لحظه ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا تصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا معنى ما يقوله العامة من ان اللغة للعرب بالطبع اى بالملكة الاولى التى اخذت عنهم ولم ياخذوها من غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناشى من الجيل صار يسمع فى العبارة عن المقاصد كيفيات اخرى غير الكيفيات التى كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده

لكثرة المخاطبين للعرب من غيرهم وبسمع كيفيات العرب ايضا
فاختلط عليه الامر واخذ من هذه وهذه فاستحدث
ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان
العربي ولهذا كانت لغة قريش افصح اللغات العربيه واصرحها
لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفهم
من ثقيف وهذيل وخزاعه وبنى كنانه وغطفان وبنى اسد
وبنى تميم واما من بعد عنهم من ربيعه ولخم وجذام
وغسان واياد وقضاعه وعرب اليمن المجاورين لامم
الفرس والروم والحبشه فلم تكن لغتهم تامة الملكة لمخالطة
الاعاجم وعلى نسبة بعدهم عن قريش كان الاحتجاج بلغتهم
في الصحه والفساد عند صناعة العربيه والله تعالى اعلم

فصل في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقله مغايرة للغة مضر ولغة حمير

وذلك انا نجدها في بيان المقاصد والوفا
بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها الا دلالة
الحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم
والتاخير وبقراين تدل على خصوصيات المقاصد الا ان البيان
والبلاغة في اللسان المضري اكثر واعرق لان الالفاظ باعيانها
دالة على المعاني باعيانها ويبقى ما تقتضيه الاحوال ويسمى
بساط الحال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لابد وان
تكتنفه احوال تخصه فيجب ان يعتبر تلك الاحوال في تادية
المقصود لانها صفاته وتلك الاحوال في جميع الالسن اكثر
ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع واما في اللسان العربي
فانما يدل عليها باحوال وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتاليفها
من تقديم او تاخير او حذف او حركة اعراب وقد يدل
عليها بالحروف غير المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام
في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات
كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك اوجز واقل الفاظا

وعبارة من جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه
وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا
واعتبر ذلك بما يحكى عن عيسى بن عمر وقد قال له بعض
النحاة اني اجد في كلام العرب تكرارا في قولهم زيد قايم
وان زيدا قايم وان زيدا لقايم والمعنى واحد فقال له
ان معانيها مختلفه فالاول افادته لخالي الذهن عن قيام
زيد والثاني لمن سمعه فانكره والثالث لمن عرف بالاصرار
على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت
هذه البلاغه والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد
ولا تلتفتن في ذلك الى خرفشة النحاة اهل صناعة الاعراب
القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون ان البلاغة
لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي فسد بما وقع اواخر
الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي
مقالة دسها التشيع في طباعهم والقاها القصور في افيدتهم
والا فنحن اليوم نجد الكثير من الفاظ العرب لم تزل في
موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتفاوت فيه
بتفاوت الابانه موجود في كلامهم لهذا العهد واساليب
اللسان وفنونه من النظم والنثر موجوده في مخاطباتهم
وفيهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر
المفلق على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم
شاهدان بذلك ولم يفقد من احوال اللسان المدون الا
حركات الاعراب في اواخر الكلم فقط الذي لزم في لسان
مضر طريقة واحدة ومهيعا معروفا وهو الاعراب وهو
بعض من احكام اللسان وانما وقعت العنايه بلسان مضر
لما فسد لمخالطتهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق
والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة
التي كانت اولا فانقلب لغة اخرى وكان القران منزلا به

اعتبارا

والحديث النبوي منقولا بلغته وهما اصل الدين والملة فخشي تناسيهما
وانغلاق الافهام عنهما بفقدان اللسان الذي تنزلا به
فاحتيج الى تدوين احكامه ووضع مقايسه واستنباط قوانينه
وصار علما ذا فصول وابواب ومقدمات ومسائل سماه
اهله بعلم النحو وصناعة العربيه واصبح فنا محفوظا وعلما
مكتوبا وسلما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وافيا ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرينا
احكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية التي فسدت في دلالتها
بامور اخرى وكيفيات موجوده فيه وتكون لها قوانين
تخصها اولعلها يكون اواخره على غير المنهاج الاول في لغة
مضر فليست اللغات وملكاتها مجانا ولقد كان اللسان المضري
مع اللسان الحميري بهذه المثابة وتغيرت عند مضر كثير
من موضوعات اللسان الحميري وتصريف كلماته يشهد
بذلك الانتقال الموجودة لدينا خلافا لمن يحمله القصور
على انها لغة واحدة ويلتمس اجرا اللغة الحميريه على مقاييس
اللغه المضريه وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل
في اللسان الحميري من القول وكثيرا من اشباه هذا وليس
ذلك بصحيح ولغة حمير لغة اخرى مغايرة للغه مضر في
الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركاتها كما هي لغة العرب
لعهدنا مع لغه مضر الا ان العنايه بلسان مضر من اجل
الشريعه كما قلناه حمل على ذلك الاستقرا والاستنباط
وليس عندنا نحن لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك ويدعو
اليه ومما وقع في لغه هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث
كانوا من الاقطار شانهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون
بها من مخرج القاف عند اهل الامصار كما هو مذكور
في كتب العربيه انه من اقصى اللسان وما فوقه من الحنك
الاعلى ولا ينطقون بها ايضا من مخرج الكاف وان كان

اسفل

اسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الاعلى كما هي
بل يجيئون بها متوسطه بين الكاف والقاف وهذا موجود
للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك
علامة عليهم من بين الامم والاجيال ومختصا بهم لا يشاركهم — كهم
فيه غيرهم حتى من يريد التعرب والانتساب الى الجيل
والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها وعندهم انه انما
يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبيه او الحضري
بالنطق بهذه القاف ويظهر من ذلك انها لغه مضر بعينها
فان هذا الجيل الباقين معظمهم ورياستهم شرقا وغربا
في ولد منصور بن عكرمه بن خصفه بن قيس بن عيلان
من سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن معويه
بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد اكثر الامم
في المعمور واغلبهم وهم من اعقاب مضر وسائر الجيل
معهم من بني كهلان في النطق بهذه القاف اسوة وهذه
اللغه لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبه
ويظهر من ذلك انها لغه مضر الاولين ولعلها لغة النبي
صلى الله عليه وسلم بعينها وقد ادعى ذلك فقها اهل البيت
وزعموا ان من قرا في ام القران الصراط المستقيم بغير
القاف الذي لهذا الجيل فقد لحن وافسد صلاته وما ادري
من اين جا هذا فان لغه اهل الامصار ايضا لم يستحدثوها
وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان اكثرهم من مضر
لما نزلوا الامصار من لدن الفتح واهل الجيل ايضا لم يستحدثوها
الا انهم ابعد عن مخالطه الاعاجم من اهل الامصار فهذا
يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم انه ~~من اللغة لديهم~~ انه
من لغه سلفهم هذا مع اتفاق الجيل كلهم شرقا وغربا في — النطق
بها وانها الخاصية التي يتميز بها العربي من الهجين والحضري
والظاهر ان هذه القاف التي ينطق بها اهل الجيل العربي

البدوى هو من مخرج القاف عندا وليهم من اهل اللغة
وان مخرج القاف متسع فاوله من اعلى الحنك واخره مما
يلى الكاف فالنطق بها من اعلى الحنك هو لغة الامصار
والنطق بها مما يلى الكاف هى لغة هذا الجيل البدوى وبهذا
يندفع ما قاله اهل البيت من فساد الصلاة بتركها فى ام
القران فان فقها الامصار كلهم على خلاف ذلك وبعيد
ان يكونوا اهملوا ذلك فوجه ما قلناه نعم نقول ان الارجح
والاولى ما ينطق به اهل الجيل البدوى لان تواترها فيهم
كما قدمناه شاهد بانها لغة الجيل الاول من سلفهم وانها
لغة النبى صلى الله عليه وسلم ويرجح ذلك ايضا ادغامهم
لها فى الكاف لتقارب المخرجين ولو كانت كما ينطق بها اهل
الامصار من اصل الحنك لما كانت قريبة المخرج من الكاف
ولم تدغم ثم ان اهل العربية قد ذكروا هذه القاف القريبة
من الكاف وهى التى ينطق بها اهل الجيل البدوى من العرب
لهذا العهد متوسطة بين مخرجى القاف والكاف على انها حرف
مستقل وهو بعيد والظاهر انها من اخر مخرج القاف لاتساعه
كما قلناه ثم انهم يصرحون باستهجانه واستقباحه كانهم لم يصح
عندهم انها لغة الجيل الاول وفيما ذكرناه من اتصال نطقهم بها
لانهم انما ورثوها من سلفهم جيلا بعد جيل وانها شعارهم
الخاص بهم دليل على انها لغة ذلك الجيل الاول ولغة النبى
صلى الله عليه وسلم كما تقدم ذلك كله وقد يزعم زاعم
ان هذه القاف التى ينطق بها اهل الامصار ليست من هذا
الحرف وانها انما جاءت من مخالطتهم للعجم وانهم ينطقون
بها كذلك فليست من لغة العرب لكن الاقيس ما قدمناه
من انهما حرف واحد متسع المخرج فتفهم ذلك والله الهادى
المبين **فصل فى ان لغة الحضر والامصار لغة قائمة بنفسها
مخالفة للغة مضر** اعلم ان عرف التخاطب فى الامصار بين الحضر

ليس

ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة اهل الجيل بل هى لغة اخرى
قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجيل
العربى الذى لعهدنا وهى عن لغة مضر ابعد فاما انها
لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير
الذى يعد عند صناعة اهل النحو لحنا وهى مع ذلك تختلف
باختلاف الامصار فى اصطلاحاتهم فلغة اهل المشرق
مباينة بعض الشىء للغة اهل المغرب وكذا اهل الاندلس
معهما وكل منهم متوصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة
عما فى نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الاعراب
ليس بضاير لهم كما قلناه فى لغة العرب لهذا العهد واما
انها ابعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجيل فلان
البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة فمن خالط
العجم اكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلى ابعد
لان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة
من الملكة الاولى التى كانت للعرب والملكة الثانية التى
للعجم فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة ويربون عليه يبعدون
عن الملكة الاولى واعتبر ذلك فى امصار افريقية والمغرب
والاندلس والمشرق اما افريقية والمغرب فخالطت العرب
فيها البرابرة من العجم لوفور عمرانها بهم ولم يكد يخلو عنها
مصر ولا جيل فغلبت العجمة على اللسان العربى الذى كان
لهم وصارت لغة اخرى ممتزجة والعجمة فيها اغلب لما
ذكرناه فهى عن اللسان الاول ابعد وكذا المشرق لما غلب
العرب على امم من فارس والترك فخالطوهم وتداولت
بينهم لغاتهم فى الاكرة والفلاحين والسبى الذين اتخذوهم
خولا ودايات واظآرا ومراضع ففسدت لغتهم بفساد
الملكة حتى انقلبت لغة اخرى وكذا اهل الاندلس مع عجم
الجلالقة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من هذه

الاقاليم اهل لغة اخرى مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف
ايضا بعضها بعضا كما نذكره وكانها لغة اخرى لاستحكام
ملكتها فى اجيالهم والله يخلق ما يشا

فصل فى تعلم اللسان المضرى

اعلم ان ملكة اللسان المضرى
لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجيل كلهم مغايرة
للغة مضر التى نزل بها القران وانما هى لغة اخرى من امتزاج
العجمة بها كما قدمناه الا ان اللغات لما كانت ملكات كما مر
كان تعلمها ممكنا شان سائر الملكات ووجه التعليم لمن
يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها ان ياخذ نفسه بحفظ
كلامهم القديم الجارى على اساليبهم من القران والحديث
وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى اسجاعهم
واشعارهم وكلمات المولدين ايضا فى سائر فنونهم حتى
يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة
من نشا بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف
بعد ذلك فى التعبير عما فى ضميره على حسب عباراتهم
وتاليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من اساليبهم وترتيب
الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال
وتزداد بكثرتها رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة
الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب واساليبهم فى التراكيب
ومراعات التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق
يشهد لذلك وهو ينشا من هذه الملكة والطبع السليم
فيهما كما نذكر بعد وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال
تكون جودة المقول المولف نظما ونثرا ومن حصل على
هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد
البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغى ان يكون تعلمها
والله يهدى من يشا

فصل فى ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها فى التعليم

والسبب فى ذلك

ان

ان صناعة العربيه انما هى معرفة قوانين هذه الملكة
ومقاييسها خاصه فهو علم بكيفيه لا نفس كيفيه فليست
نفس الملكه وانما هى بمثابة من يعرف صناعة من الصنايع
علما ولا يحكمها عملا مثل ان يقول بصير بالخياطة غير
محكم لملكتها من التعبير عن بعض انواعها الخياطة هى
ان تدخل الخيط فى خرت الابرة ثم تغرزها فى لفقى
الثوب مجتمعين وتخرجها من الجانب الاخر بمقدار كذا
ثم تردها الى حيث ابتدات وتخرجها قدام منفذها الاول
بمطرح ما بين الثقبين الاولين ثم تمادى على وصفه الى
اخر العمل ويعطى صورة الحبك والتنبيت والتفتيح وسائر
انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طولب ان يعمل ذلك بيده
لا يحكم منه شيئا وكذا لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب
فيقول هو ان تضع المنشار على راس الخشبة وتمسك بطرفه
واخر قبالك ممسك بطرفه الاخر وتتعاقبانه بينكما واطرافه
المضرسة المحدودة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية
الى ان ينتهى الى اسفل الخشبة وهو لو طولب بهذا العمل
او شئ منه لم يحكمه وهكذا هو العلم بقوانين الاعراب
مع هذه الملكة فى نفسها فان العلم بقوانين الاعراب
انما هو علم بكيفية العمل ليس هو نفس العمل وكذلك نجد
كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين
علما بتلك القوانين اذا سئل فى كتابة سطرين الى اخيه او ذى
مودته او شكوى ظلامة او قصد من قصوده اخطا فيها الصواب
واكثر من اللحن ولم يجد تاليف الكلام لذلك والعبارة عن
المقصود فيه على اساليب اللسان العربى وكذا نجد كثيرا
ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور
وهو لا يحسن اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من
المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربيه فمن هنا تعلم

ان تلك الملكه هي غير صناعة العربيه وانها مستغنيه عنها
بالجمله وقد نجد بعض المهرة في صناعه الاعراب بصيرا بحال
هذه الملكه وهو قليل واتفاقي واكثر مايقع للمخاطبين لكتاب
سيبويه فانه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط بل ملا كتابه
من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه
جزء صالح من تعليم هذه الملكه فتجد العاكف عليه والمحصل
له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محفوظه
في اماكنه ومفاصل حاجاته وتنبه به لشان الملكة فاستوفى
تعليمها فكان ابلغ في الافادة ومن هولاء المخالطين لكتاب
سيبويه من يغفل من التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان
صناعة ولا يحصل عليه ملكة واما المخالطون لكتب المتاخرين
العارية من ذلك الا من القوانين النحوية مجردة عن اشعار
العرب وكلامهم فقل ما يشعرون لذلك بامر هذه الملكة
او يتنبهون لشانها فتجدهم يحسبون انهم قد حصلوا على
رتبه في لسان العرب وهم ابعد الناس عنه واهل صناعه
العربيه بالاندلس ومعلموها اقرب الى تحصيل هذه الملكه
وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم
والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيسبق
الى المبتدي كثير من الملكة اثناء التعليم فتنطبع النفس بها
وتستعد الى تحصيلها وقبولها واما من سواهم من اهل
المغرب وافريقيه وغيرهم فاجروا صناعة العربيه مجرى
العلوم بحثا وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب
الا ان اعربوا شاهدا او رجحوا مذهبا من جهة الاقتضا
الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه فاصبحت
صناعة العربية عندهم كانها من جملة قوانين المنطق
العقلية والجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وافاد
ذلك حملتها في هذه الافاق وامصارها البعد عن الملكة

بالكليه

بالكليه وكانهم لا ينظرون في كلام العرب وما ذاك الا
لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز
اساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم فهو احسن
مايفيده الملكه في اللسان وتلك القوانين انما هي وسائل
للتعليم لكنهم اجروها على غير ما قصد بها واصاروها
علما بحتا وبعدوا عن ثمرتها وتعلم بما قررناه في هذا
الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكثرة الحفظ
من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا
عليه تراكيبهم فينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزلة من
نشا معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له
الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم
والله مقدر الامور **فصل في تفسير لفظة الذوق في مصطلح
اهل البيان وتحقيق معناها وبيان انها لا تحصل غالبا
للمستعربين من العجم** اعلم ان لفظة الذوق يتداولها
المعتنون بفنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة
للسان وقد مر تفسير البلاغه وانها مطابقه الكلام
للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة
ذلك بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة
لذلك على اساليب العرب وانحا مخاطباتهم وينظم الكلام
على ذلك الوجه جهده فاذا اتصلت معاناته لذلك بمخالطة
كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه
وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد يخطي فيه عن منحى
البلاغه التي للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك
المنحى مجه ونبا عنه سمعه بادنى فكر بل وبغير فكر الا
بما استفاده من حصول هذه الملكه فان الملكات اذا استقرت
ورسخت في محالها ظهرت كانها طبيعة وجبلة لذلك المحل
ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شان الملكات

ان الصواب للعرب فى لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعى ويقول
كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هى ملكة لسانية
فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهر فى بادى الراى انها
جبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة
كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه
وليست تحصل بمعرفة القوانين العلميه فى ذلك التى استنبطها
اهل صناعة البيان فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك
اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها وقد مر
ذلك واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة فى اللسان تهدى
البليغ الى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب
العرب فى لغتهم ونظم كلامهم ولو رام صاحب الملكة
حيدا عن هذه السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما
قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه
اليه ملكته الراسخة عنده واذا عرض عليه الكلام حايدا
عن اسلوب العرب وبلاغتهم فى نظم كلامهم اعرض
عنه ومجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذى مارس
كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما يصنع اهل
القوانين النحويه والبيانيه فان ذلك استدلالى بما حصل
من القوانين المفادة بالاستقرا وهذا امر وجدانى حاصل
بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله
لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشا وربى فى جيلهم فانه يتعلم
لغتهم ويحكم شان الاعراب والبلاغه فيها حتى يستولى على
غايتها وليس من العلم القانونى فى شىء وانما هو بحصول
هذه الملكة فى لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة
لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم واشعارهم وخطبهم
والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد
ممن نشا فى جيلهم وربى بين احيايهم والقوانين بمعزل

عن

عن هذا واستعير لهذه الملكة عندما ترسخ ويستقر اسم
الذوق الذى اصطلح عليه اهل صناعة البيان والذوق
انما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه
الملكة فى اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لادراك
الطعوم استعير لها اسمه وايضا فهو وجدانى للسان كما
ان الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق واذا تبين لك ذلك
علمت منه ان الاعاجم الداخلين فى اللسان العربى الطارئين
عليه المضطرين الى النطق به لمخالطة اهله كالفرس والروم
والترك بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا
الذوق لقصور حظهم فى هذه الملكة التى قررنا امرها لان
قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة اخرى الى اللسان
وهى لغاتهم ان يعتنوا بما يتداوله اهل المصر بينهم فى المحاورة
من مفرد ومركب لما يضطرون اليه من ذلك وهذه
الملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدوا عنها كما تقدم
وانما لهم فى ذلك ملكة اخرى وليست ملكة اللسان
المطلوبة ومن عرف احكام تلك الملكة من القوانين المسطرة
فى الكتب فليس من تحصيل الملكة فى شىء انما حصل احكامها
كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد
والتكرر لكلام العرب فان عرض لك ما تسمعه من ان
سيبويه والفارسى والزمخشرى وامثالهم من فرسان
الكلام كانوا اعجاما مع حصول هذه الملكة لهم فاعلم
ان اولئك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا عجما فى نسبهم
فقط واما المربى والمنشا فكانت بين اهل هذه الملكة
من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام
على غاية لا وراءها وكانهم فى اول نشاتهم بمنزلة الاصاغر
من العرب الذين نشاوا فى اجيالهم حتى ادركوا كنه اللغة
وصاروا من اهلها فهم وان كانوا عجما فى النسب فليسوا

باعجام فى اللغه والكلام لانهم ادركوا الملة فى عنفوانها
واللغه فى شبابها ولم تذهب اثار الملكه منها ولا من اهل
الامصار ثم عكفوا على المدارسة والممارسة لكلام العرب
حتى استولوا على غايته والواحد اليوم من العجم اذا
خالط اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يجد تلك الملكه
المقصودة من اللسان العربي ممتحنه الاثار ويجد ملكتهم
الخاصه بهم ملكة اخرى مخالفه لملكه اللسان العربي ثم اذا
فرضنا انه اقبل على الممارسة لكلام العرب واشعارهم
بالمدارسة والحفظ ليستفيد تحصيلها فقل ان تحصل
له لما قدمناه من ان الملكة اذا سبقتها ملكة اخرى فى
المحل فلا تحصل له الا ناقصة مخدوجه وان فرضنا اعجميا
فى النسب سلم من مخالطه اللسان الاعجمي بالكلية وذهب
الى تعلم هذه الملكة بالحفظ والمدارسة فربما يحصل له
ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر وربما
يدعى كثير ممن ينظر فى هذه القوانين البيانيه حصول
هذه الذوق لها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له
الملكة ان حصلت فى تلك القوانين البيانية وليست من
ملكة العبارة فى شئ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

فصل فى ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون فى تحصيل هذه الملكة اللسانيه التى تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصولها عليه اصعب

والسبب فى ذلك ما يسبق الى المتعلم من حصول ملكه
منافية للملكه المطلوبه بما سبق اليه من اللسان الحضري
الذى افادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الاولى
الى ملكة اخرى هى لغة الحضر لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين
يذهبون الى المسابقه بتعليم اللسان للولدان وتعتقد
النحاة ان هذه المسابقه بصناعتهم وليس كذلك وانما

هى

هى بتعليم هذه الملكه بمخالطه اللسان وكلام العرب نعم
صناعة النحو اقرب الى مخالطه ذلك وما كان من لغات
اهل الامصار اعرق فى العجمة وابعد عن لسان مضر قصر
بصاحبه عن تعلم اللغه المضريه وحصول ملكتها لتمكن
المنافات حينئذ واعتبر ذلك فى اهل الاقطار فاهل
افريقيه والمغرب لما كانوا اعرق فى العجمة وابعد عن
اللسان الاول كان لهم قصور تام فى تحصيل ملكته بالتعليم
ولقد نقل ابن الرقيق ان بعض كتاب القيروان كتب الى
صاحب له يا اخى ومن لا عدمت فقده اعلمنى ابو سعيد
كلاما انك كنت ذكرت انك تكن مع الزين تاتى وعاقنا
اليوم فلم يتهيا لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب من امر
التبن فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكتابى
اليك وانا مشتاق اليك وهكذا كانت ملكتهم فى اللسان
المضرى وسببه ما ذكرناه وكذلك اشعارهم كانت بعيدة
من الملكه نازلة عن الطبقة ولم تزل كذلك ولهذا العهد
وما كان بافريقيه من مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن
شرف واكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها ولم تزل
طبقتهم فى البلاغه حتى الان مائلة الى القصور واهل
الاندلس اقرب منهم الى تحصيل هذه الملكه بكثرة معاناتها
وامتلائهم من المحفوظات اللغويه نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان
المورخ امام اهل الصناعة فى هذه الملكه ورافع الراية
لهم فيها وابن عبد ربه والقسطلى وامثالهم من شعراء
ملوك الطوايف لما زخر فيها بحر اللسان والادب وتداول
ذلك فيهم مئين من السنين حتى كان الانفضاض والجلاء
ايام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران
فتناقص ذلك شان الصنايع كلها فقصرت الملكة فيهم عن
شانها حتى بلغت الحضيض وكان من اخرهم صالح بن شريف

ومالك بن المرحل من تلميذ الطبقه الاشبيليين بسبته وكانت
دولة بنى الاحمر فى اولها والقت الاندلس افلاذ كبدها
من اهل تلك الملكة بالجلا الى العدوة من اشبيلية الى سبته
ومن شرق الاندلس الى افريقية ثم لم يلبثوا ان انقرضوا وانقطع
سند تعليمهم فى هذه الصناعة لعسر قبول اهل العدوة لها
وصعوبتها عليهم لعوج السنتهم ورسوخهم فى العجمة البربرية
وهى منافية لما قلناه ثم عادت الملكة بعد ذلك الى الاندلس
كما كانت ونجم بها ابن شيرين وابن جابر وابن الجياب وطبقتهم
ثم ابرهيم الساحلى الطويجن وطبقته وقفاهم ابن الخطيب
من بعدهم الهالك لهذا العهد شهيدا بسعاية اعدائه وكان
له فى اللسان ملكة لا تدرك واتبع اثره تلميذه من بعده
وبالجملة فشان هذه الملكة بالاندلس اكثر وتعليمها ايسر
واسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة
علوم اللسان ومحافظاتهم عليها وعلى علوم الادب وسند
تعليمها ولان اهل اللسان العجمى الذين يفسد ملكتهم
انما هم طاريون عليهم وليست عجمتهم اصلا للغة اهل
الاندلس والبربر فى هذه العدوة هم اهلها ولسانهم
لسانها الا فى الامصار فقط وهو فيها منغمس فى بحر عجمتهم
ورطانتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية
بالتعليم بخلاف اهل الاندلس واما المشرق لعهد الاموية
والعباسية فكان شانه شان الاندلس فى تمام هذه الملكة
واجادتها لبعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخالطتهم
الا فى القليل فكان امر هذه الملكة لذلك العهد اقوم وكان
فحول الشعرا والكتاب لعهدهم اوفر لتوفر العرب وابنايهم
بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الاغانى من نظمهم
ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم
فيه لغتهم واخبارهم وايامهم وملتهم العربية وسير

نبيهم

نبيهم صلى الله عليه وسلم واثار خلفايهم وملوكهم واشعارهم
وغناتهم وساير احوالهم فلا كتاب اوعب منه لاحوال العرب
وبقى امر هذه الملكة مستحكما بالمشرق فى الدولتين وربما
كانت فيهم ابلغ من سواهم ممن كان فى الجاهلية كما نذكره
بعد حتى تلاشى امر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم
وانقضى امرهم ودولهم وصار الامر للاعاجم والملك فى
ايديهم والتغلب لهم وذلك فى دولة الديلم والسلجوقية
وخالطوا اهل الامصار وكثروهم فامتلات الارض بلغاتهم
واستولت العجمة على اهل الامصار والحواضر حتى بعدوا
عن اللسان العربى وملكته وصار متعلمها منهم مقصرا
عن تحصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد فى فنى المنظوم
والمنثور وان كانوا مكثرين منه والله يخلق ما يشاء ويختار

بلغ

فصل فى انقسام الكلام الى فنى النظم والنثر

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنين فى الشعر المنظوم
وهو الكلام الموزون المقفا ومعناه الذى تكون اوزانه
كلها على روى واحد وهو القافيه وفى النثر وهو الكلام
غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب
فى الكلام فاما الشعر فمنه المدح والشجاعة والرثا واما النثر
فمنه المسجع وهو الذى يوتى به قطعا قطعا ويلتزم فيه
او فى كل كلمتين منه قافية واحدة تسمى سجعا ومنه المرسل
وهو الذى يطلق فيه الكلام اطلاقا ولا يقطع اجزا بل
يرسل ارسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل
فى الخطب والدعا وترغيب الجمهور وترهيبهم واما القران
وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين وليس يسمى
مرسلا مطلقا ولا مسجعا بل هو مفصل ايات تنتهى الى مقاطع
يشهد الذوق بانتها الكلام عندها ثم يعاد الكلام فى الاية الاخرى
بعدها ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية

وهو معنى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الايات وسمى اخر الايات فيه فواصل اذ ليست اسجاعا ولا التزم فيها ما يلتزم فى السجع ولا هى ايضا قواف واطلق اسم المثانى على ايات القران كلها على العموم لما ذكرناه واختص بام القران للغلبة فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع المثانى وانظر هذا ما قاله المفسرون فى تعليل تسميتها بالمثانى يشهد لك الحق برجحان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون الشعرية اساليب تختص به عند اهله ولا تصلح للفن الاخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر والحمد والدعا المختص بالخطب والدعا المختص بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعمل المتاخرون اساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدى الاغراض وصار هذا المنثور اذا تاملته من باب الشعر وفنه لم يفترقا الا فى الوزن واستمر المتاخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها فى المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال فى هذا المنثور كله على هذا الفن الذى ارتضوه وخلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصا اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذى اشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ فى تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال المخاطب والمخاطب وهذا الفن المنثور المقفى ادخل المتاخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تباح فيها اللوذعة وخلط الجد بالهزل والاطناب فى الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات

هذا مع م

حيث

حيث لا يدعو لذلك كله ضرورة فى الخطاب والتزام التقفية ايضا من اللوذعة والتزيين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافى ذلك ويباينه والمحمود فى المخاطبات السلطانية الترسيل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا فى الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطا الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام اسلوب يخصه من اطناب وايجاز وحذف واثبات وتصريح واشارة وكناية واستعارة واما اجرا المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذى هو على اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلا العجمة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطا الكلام حقه فى مطابقته لمقتضى الحال فعجزوا عن الكلام المرسل لبعد امده فى البلاغة وانفساح خطوته وولعوا بهذا المسجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاب البديعة ويغفلون عما وراء ذلك واكثر من اخذ بهذا المذهب وبالغ فيه فى سائر انحاء كلامهم كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد حتى انهم ليخلون بالاعراب فى الكلمات والتصريف اذا دخلت لهم فى تجنيس او مطابقة لا يجتمعان معها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتامل ذلك وانتقد بما قدمناه لك تقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق

فصل فى انه لا تتفق الاجادة فى فنى المنظوم والمنثور معا الا للاقل

والسبب فى ذلك انه كما بيناه ملكة فى اللسان فاذا سبقت الى محله ملكة اخرى قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة لان قبول الملكات وحصولها للطباع التى على الفطرة الاولى

يجب مطابقته

اسهل وايسر واذا تقدمتها ملكات اخرى كانت منازعة لها
فى المادة القابلة وعايقة عن سرعة القبول فوقعت المنافات
وتعذر التمام فى الملكة وهذا موجود فى الملكات الصناعية
كلها على الاطلاق وقد برهنا عليه فى موضعه بنحو من هذا
البرهان فاعتبر مثله فى اللغات فانها ملكات اللسان وهى
بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شى من العجمة كيف يكون
قاصرا فى اللسان العربى ابدا فالاعجمى الذى سبقت له اللغة
الفارسية لا يستولى على ملكة اللسان العربى ولا يزال قاصرا
فيه ولو تعلمه وكذا البربرى والرومى والافرنجى قل ان تجد
احدا منهم محكما لملكة اللسان العربى وما ذاك الا لما سبق
الى السنتهم من ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من
اهل هذه الالسن اذا طلبه بين اهل اللسان العربى ومن
كتبهم جاء مقصرا فى معارفه عن الغاية والتحصيل وما اتى
الا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل ان الالسن واللغات
شبيهة بالصنايع وتقدم لك ان الصنايع وملكاتها لا تزدحم
وان من سبقت له اجادة ملكة فقل ان يجيد اخرى ويستولى
فيها على الغاية والله خلقكم وما تعملون **فصل فى صناعة
الشعر ووجه تعلمه** ٥ هذا الفن من فنون كلام العرب
وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد فى سائر اللغات الا انا انما نتكلم
الان فى الشعر الذى للعرب فان امكن ان تجد اهل الالسن
الاخرى مقصودهم من كلامنا والا فلكل لسان احكام فى البلاغة
تخصه وهو فى لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام
مفصل قطعا قطعا متساوية فى الوزن متحدة فى الحرف الاخير
من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا
وتسمى الحرف الاخير الذى تتفق فيه رويا وقافية وتسمى جملة
الكلام الى اخره قصيدة وكلمة وينفرد كل بيت منه بافادته
فى تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وبعده

واذا افرد كان تاما فى بابه فى مدح او نسيب او رثا فيحرص
الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل به فى افادته ثم
يستانف فى البيت الاخر كلاما اخر كذلك ويستطرد للخروج من
فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يعطى المقصود
الاول ومعانيه الى ان يناسب المقصود الثانى ويبعد الكلام عن
التنافر كما يستطرد من النسيب الى المدح ومن وصف البيدا
والطلول الى وصف الركاب والخيل والطيف ومن وصف
الممدوح الى وصف قومه وعساكره ومن التفجع والعزا
فى المرثا الى التابين وامثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيد
كلها فى الوزن الواحد حذرا من ان يتساهل الطبع فى الخروج
من وزن الى وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من اجل المقاربة
على كثير من الناس ولهذه الموازين شروط واحكام تضمنها
علم العروض وليس كل وزن يتفق فى الطبع استعملته العرب
فى هذا الفن وانما هى اوزان مخصوصة تسميها اهل تلك
الصناعة البحور وقد حصروها فى خمسة عشر بحرا بمعنى
انهم لم يجدوا للعرب فى غيرها من الموازين الطبيعية نظما
واعلم ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند
العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد
صوابهم وخطايهم واصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم
وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شان ملكاتهم كلها
والملكات اللسانية كلها انما تكتسب بالصناعة والارتياض
فى الكلام حتى يحصل شبه فى تلك الملكة والشعر من بين فنون
الكلام صعب الماخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة
من المتاخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام فى مقصوده
ويصلح ان ينفرد دون ما سواه فيحتاج من اجل ذلك الى نوع
تلطف فى تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعرى فى قوالبه
التى عرفت له فى ذلك المنحى من شعر العرب ويبرزه مستقلا

بنفسه ثم ياتي ببيت اخر كذلك ثم ببيت اخرى ويستكمل الفنون
الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها
مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيده ولصعوبة منحاه
وغرابة فنه كان محكّا للقرائح في استجادة اساليبه وشحذ
الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يكفي فيه ملكة الكلام
العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلطف ومحاولة
في رعاية الاساليب التي اختصته العرب بها وباستعمالها فيه ولنذكر
هنا مدلول لفظ الاسلوب عند اهل هذه الصناعه وما يريدون
بها في اطلاقهم فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي
تنسج فيه التراكيب او القالب الذي ترصّ فيه ولا يرجع الى الكلام
باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار
افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغه
والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو
وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجه عن هذه الصناعة
الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية
باعتبار انطباقها على كل تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها
الذهن من اعيان التراكيب واشخاصها ويصيّرها في الخيال
كالقالب او المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار
الاعراب والبيان فيرصها فيه رصّا كما يفعله البنّا في القالب
او النساج في المنوال حتى يتسع القالب لحصول التراكيب الوافية
بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان
العربي فيه فان لكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد
فيه على انحا مختلفة فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول
كقوله يا دار مية بالعليا فالسند ويكون باستدعا الصحب للوقوف والسؤال
كقوله قفا نسال الدار التي خف اهلها او باستبكا الصحب عليها
كقوله قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين
كقوله الم تسال فتخبرك الرسوم ومثل تحية الطلول بالامر لمخاطب غير معين

كقوله

كقوله حيّ الديار بجانب الغزل او بالدعا لها بالسقيا
كقوله اسقى طلولهم اجش هزيم وغدت عليهم روضة ونعيم
او بسؤال السقيا لها من البرق
كقوله يا برق طالع منزلا بالابرق واحدِ السحاب له حداء الانيق
ومثل التفجع في الرثا باستدعا البكا
كقوله كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماوها عذر
او باستعظام الحادث
كقوله ارايت من حملوا على الاعواد ارايت كيف خبا ضياء النادي
او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده
كقوله منابت العشب لا حام ولا راعي مضى الردى بطويل الرمح والباع
او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات
كقول الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف
او بتهنئة قريعة بالراحة من ثقل وطاته
كقوله القِ الرماح ربيعة بن نزار اودى الردى بقريعك المغوار
وامثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنتظم
التراكيب فيه بالجمل وغير الجمل انشائية وخبرية اسمية
اوفعلية متبعة وغير متبعة مفصولة وموصولة على ما هو
شان التراكيب في الكلام العربي ومكان كل كلمة من الاخرى
يعرفك به ما تستفيده بالارتياض في اشعار العرب من القالب
الكلي المجرد في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك
القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبنّا او كالنساج
والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه او كالمنوال
الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب في بنائه او عن المنوال
في نسجه كان فاسدا ولا تقولن ان معرفة قوانين البلاغة
كافية في ذلك لانا نقول قوانين البلاغة انما هي قواعد علمية
قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس
وهو قياس علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية

وهذه الاساليب التى نحن نقررها ليست من القياس فى شئ انما
هى هيئة ترسخ فى النفس من تتبع التراكيب فى شعر العرب لجريانها
على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها
والاحتذا بها فى كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك فى الكلام
باطلاق وان القوانين العلمية من الاعراب والبيان لا تفيد تعليمه
بوجه وليس كلما يصح فى قياس كلام العرب وقوانينه العلمية
استعملوه وانما المستعمل عندهم من ذلك انحا معروفة يطلع عليها
الحافظون لكلامهم وتندرج صورها تحت تلك القوانين القياسية
فاذا نظر فى شعر العرب على هذا النحو وبهذه الاساليب الذهنية
التى تصير كالقوالب كان نظرا فى المستعمل من تراكيبهم لا فيما
يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب فى الذهن
انما هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون فى
المنظوم تكون فى المنثور فان العرب استعملوا كلامهم فى كلا الفنين
وجاؤا به مفصلا فى النوعين ففى الشعر بالقطع الموزونة والقوافى
المقيدة واستقلال الكلام فى كل قطعة وفى المنثور يعتبرون الموازنة
والتشابه بين القطع غالبا وقد يقيدونه بالاسجاع وقد يرسلونه
وقوالب كل واحد من هذه معروفة فى لسان العرب والمستعمل
منها عندهم هو الذى يبنى مؤلف الكلام عليه تاليفه ولا يعرفه
الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد له فى ذهنه من القوالب المعينة
الشخصية قالب كلى مطلق يحذو حذوه فى التاليف كما يحذو
البنا على القالب والنساج على المنوال فلهذا كان فن تاليف الكلام
منفردا عن نظر النحوى والبيانى والعروضى نعم ان مراعات
قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فاذا تحصلت هذه
الصفات كلها فى الكلام اختص بنوع من النظر لطيف فى هذه
القوالب التى يسمونها اساليب ولا يفيده الا حفظ كلام العرب
نظما ونثرا واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده حدا
ورسما للشعر يفهمنا حقيقته على صعوبة هذا الغرض فانا لم نقف

عليه

عليه لاحد من المتقدمين فيما رايناه وقول العروضيين
فى حده انه الكلام الموزون المقفى ليس بحد لهذا الشعر
الذى نحن بصدده ولا رسم له وصناعتهم انما تنظر
فى الشعر من حيث اتفاق ابياته على عدد المتحركات
والسواكن على التوالى ومماثلة عروض ابيات الشعر لضربها
وذلك نظر فى وزن مجرد عن الالفاظ ودلالتها فناسب
ان يكون حدا عندهم ونحن هنا ننظر فى الشعر باعتبار
ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة
فلا جرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من
تعريف يعطينا حقيقته من هذه الحيثية فنقول الشعر هو
الكلام البليغ المبنى على الاستعارة والاوصاف المفصل
باجزا متفقة فى الوزن والروى مستقل كل جزء منها فى
غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجارى على اساليب العرب
المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ كالجنس وقولنا
المبنى على الاستعارة والاوصاف فصل له عما يخلو من هذه
فانه فى الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزا متفقة الوزن
والروى فصل له عن الكلام المنثور الذى ليس بشعر عند
الكل وقولنا مستقل كل جزء منها فى غرضه ومقصده عما
قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون ابياته الا
كذلك ولم يفصل به شئ وقولنا الجارى على الاساليب المخصوصة
به فصل له عما لم يجر منه على اساليب الشعر المعروفة فانه
حينئذ لا يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له
اساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا للمنثور اساليب لا تكون
للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب
فلا يسمى شعرا وبهذا الاعتبار كان الكثير ممن لقيناه من
شيوخنا فى هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبى
والمعرى ليس من الشعر فى شئ لانهما لم يجريا على اساليب

العرب فيه وقولنا في الحد الجاري على اساليب العرب فصل له عن شعر غير العرب من الامم عند من يرى ان الشعر يوجد للعرب ولغيرهم ومن يرى انه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجاري على الاساليب المخصوصة به واذ فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا اولها الحفظ من جنسه اي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعه وكثير وذو الرمة وجرير وابي نواس وحبيب والبحتري والرضا وابي فراس واكثره شعر كتاب الاغاني لانه جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردي ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه او عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من المحفوظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثار منه تستحكم ملكته وترسخ وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة اذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها كانه منوال يؤخذ بالنسج عليه بامثالها من كلمات اخرى ضرورة ثم لا بد له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذلك من المسموع لاستنارة القريحة باستجماعها وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله فشرطه ان يكون على جمام ونشاط فذلك اجمع له واجدر للقريحة ان تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه قالوا وخير الاوقات لذلك اوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء

الجاري

ذوي

وأولى

الذي

الحمام

هو الحمام وربما قالوا ان من بواعثه العشق والانتشاء ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمده وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة واعطى حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت اخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه يضعها ويبني عليها الى اخره لانه ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها فربما تجيء نافرة قلقة واذا سمح الخاطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الاليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يبق الا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضن به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هو بنات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص من الضرورات اللسانية اذ هو قصور في الملكة اللسانية فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغه وقد حظر ائمة الشان على المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى من الملكة وليجتنب ايضا المعقد من التراكيب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت الفاظه طبقا على معانيه او اوفى منها فان كانت المعاني كثيرة كان حشوا واشتغل الذهن بالغوص عليها فمنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر ابن خفاجه شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الاساليب العربيه كما مر فكان شعرهم كلام منظوم نازل عن طبقة الشعر والحاكم في ذلك هو الذوق

الحلاوة

وليجتنب الشاعر ايضا الحوشي من الالفاظ والمقعر وكذلك السوقي المبتذل بالتداول في الاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة وكذلك المعاني المبتذلة بالشهرة فان الكلام ينزل بها عن البلاغة ايضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا وبمقدار ما يقرب من طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبوات قليل الاجادة في الغالب ولا يجيد فيه الا الفحول وفي القليل على العسر لان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كلها فليراوضه ويعاوده فان القريحة مثل الضرع يدر بالامتراء ويجف ويغزر بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البغية وهذه نبذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية وما يجب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك واظنه لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا ... من صنوف الجهال فيها لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما ... كان سهلا للسامعين مبينا
ويرون المحال معنى صحيحا ... وخسيس الكلام شيئا ثمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد ... رون للجهل انهم يجهلونا
فهم عند من سوانا يلامو ... ن وفي الحق عندنا يعذرونا
انما الشعر ما تناسب في النظ ... م وان كان في الصفات فنونا
فاتى بعضه يشاكل بعضا ... واقامت له الصدور المتونا
كل معنى اتاك منه على ما ... تتمنى لو لم يكن ان يكونا
فتناهى من البيان الى ان ... كاد حسنا يبين للناظرينا
فكان الالفاظ منه وجوه ... والمعاني ركبن فيه عيونا
قائما بالمرام حسب الاماني ... يتحلى بحسنه المنشدونا

فاذا

فاذا ما مدحت بالشعر حرا ... رمت فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلا قريبا ... وجعلت المديح صدقا مبينا
وتنكبت ما يهجن في السمـ ... ـع وان كان لفظه موزونا
واذا ما قرضته بهجاء ... عبت فيه مذاهب المرفثينا
فجعلت الصريح منه دواء ... وجعلت التعريض داء دفينا
واذا ما بكيت فيه على الغا ... دين يوما للبين والظاعنينا
حلت دون الاسى وذللت ما كا ... ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت عاتبا شبت بالوعـ ... ـد وعيدا وبالصعوبة لينا
فتركت الذي عتبت عليه ... حذرا آمنا عزيزا مهينا
واصح القريض ما فات في النظـ ... ـم وان كان واضحا مستبينا
فاذا قيل اطمع الناس طرا ... واذا ريم اعجز المعجزينا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم وهو الناشي

الشعر ما قومت زيغ صدوره ... وشددت بالتهذيب اسر متونه
ورابت بالاطناب شعب صدوعه ... وفتحت بالايجاز عور عيونه
وجمعت بين قريبه وبعيده ... ووصلت بين مجمه ومعينه
وعمدت منه لكل امر يقتضي ... شبها به فقرنته بقرينه
واذا مدحت به جوادا ماجدا ... وقضيته بالشكر حق ديونه
اصفيته بنفيسه ورصينه ... وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلا في مساق صنوفه ... ويكون سهلا في اتفاق فنونه
واذا بكيت به الديار واهلها ... اجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا اردت كناية عن ريبة ... باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه ... بثنائه وظنونه بيقينه
واذا عتبت على اخ في زلة ... ادمجت شدته له في لينه
فتركته مستأنسا بدماثة ... مستامنا لحزونه وحزونه
واذا نبذت الى التي علقتها ... اذ صارمتك بفاتنات شؤونه
تيمتها بلطيفه ورقيقه ... وشغفتها بخفيه وكمينه
واذا اعتذرت لسقطة اسقطتها ... واشكت بين مخيله ومبينه

بلغ مقابلة

فيحول ذنبك عند من يعتده   عتبا عليه مطالبا بيمينه

فصل فى ان صناعة النظم والنثر انما هى فى الالفاظ لا فى المعانى

اعلم ان صناعة الكلام نظما ونثرا انما هى فى الالفاظ لا فى المعانى وانما المعانى تبع لها وهى اصل فالصانع الذى يحاول ملكة الكلام فى النظم والنثر انما يحاولها فى الالفاظ بحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة فى لسان مضر ويتخلص من العجمة التى ربى عليها فى جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشا فى جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبى حتى يصير كانه واحد منهم فى لسانهم ذلك وذلك انا قدمنا ان اللسان ملكة من الملكات فى النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل شان الملكات والذى فى اللسان والنطق انما هو الالفاظ وانما المعانى فى الضمائر وايضا فالمعانى موجوده عند كل احد وفى طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى تكلف صناعة فى تاليفها وتاليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعانى فكما ان الاوانى التى يغترف بها الماء من البحر منها انية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد فى نفسه وتختلف الجودة فى الاوانى المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغه وبلاغتها فى الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام فى تاليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعانى واحدة فى نفسها وانما الجاهل بتاليف الكلام واساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذى يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون

فصل فى ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قد قدمنا انه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم

تعلم

تعلم اللسان العربى وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ فمن كان محفوظه من اشعار العرب الاسلاميين شعر حبيب او العتابى وابن المعتز او ابن هانى او الشريف الرضى اور سائل ابن المقفع او سهل ابن هرون وابن الزيات والبديع او الصابى تكون ملكته اجود واعلا مقاما ورتبة فى البلاغة ممن يحفظ اشعار المتاخرين مثل شعر ابن سهل او ابن النبيه او ترسيل البيسانى او العماد الاصبهانى لنزول طبقة هولاء عن اولئك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق من بعده ثم اجادة الملكة من بعدهما فبارتقا المحفوظ فى طبقته من الكلام ترتقى الطبقة الحاصلة لان الطبع انما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها وذلك ان النفس وان كانت فى جبلتها واحدة بالنوع فهى تختلف فى البشر بالقوة والضعف فى الادراكات واختلافها انما هو باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التى تكيفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها والملكات التى يحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملكة الشعرية تنشا بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلميه بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات والاذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وروحه وينقلب ربانيا وكذا سائرها وللنفس لكل واحد منها لون تتكيف به وعلى حسب ما نشات الملكة عليه من جودة او رداءة تكون تلك الملكة فى نفسها فملكة البلاغة العالية الطبقة فى جنسها انما تحصل بحفظ العالى فى طبقته

من الكلام ولهذا كان الفقها واهل العلم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم و تمتلئ به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن اسلوب البلاغه والنازلة عن الطبقة لان العبارات عن القوانين والعلوم لا حظ فيها للبلاغه فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكه الناشيه عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن اساليب العرب في كلامهم وهكذا نجد شعر الفقها والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لا يمتلئ من حفظ النقي الحر من كلام العرب اخبرني صاحبنا الفاضل ابو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال ذاكرت يوما صاحبنا ابا العباس بن شعيب كاتب السلطان ابي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهده فانشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم انسبها له وهو • لم ادر حين وقفت بالاطلال • ما الفرق بين جديدها والبالي • فقال على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن اين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذ هي من عبارات الفقها وليست من اساليب كلام العرب فقلت له لله ابوك انه ابن النحوي واما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخالطتهم كلام العرب واساليبهم في الترسيل وانتقائهم له الجيد من الكلام ذاكرت ابا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة فقلت له اجد استصعابا علي في نظم الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القران والحديث وفنون كلام العرب وان كان محفوظي قليلا وانما اتيت والله اعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلميه والقوانين التاليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القرات والرسم واستظهرتهما

وتدارست

وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول وجمل الخونجي في المنطق وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس فامتلا محفوظي من ذلك وخدش وجه الملكه التي استعديت لها بالمحفوظ الجيد من القران والحديث وكلام العرب فعاق القريحة عن بلوغها فنظر الي ساعة متعجبا ثم قال لله انت وهل يقول هذا الا مثلك ويظهر لك من هذا الفصل وما تقرر فيه سر اخر وهو اعطا السبب في ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدر من الدولة العباسيه في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم (تهم) للملوك ارفع طبقه في البلاغة بكثير من شعر النابغة وعنتره وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبده وطرفه بن العبد ومن كلام الجاهليه في منثورهم ومحاوراتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هولاء الذين ادركوا الاسلام سمعوا الطبقة العاليه من الكلام في القران والحديث الذين عجز البشر عن الاتيان بمثلها لكنها ولجت قلوبهم ونشات على اساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من اهل الجاهليه ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشا عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن ديباجة واصفى رونقا من اولئك وارصف مباني واعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتامل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من اهل الذوق والبصر بالبلاغة ولقد سالت يوما شيخنا الشريف ابا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة اخذ بسبتة عن مشيختنا من تلميذ الشلوبين واستبحر في علم

اللسان وحامن ورآ الغاية فيه فسالته يوما ما بال العرب
الاسلاميين اعلى طبقة من الجاهليين ولم يكن يستنكر ذلك
بذوقه فسكت طويلا ثم قال لى والله ما ادرى فقلت له اعرض
عليك شيئا ظهر لى فى ذلك ولعله السبب فيه وذكرت له هذا
الذى كتبت فسكت متعجبا ثم قال لى يا فقيه هذا كلام من حقه
ان يكتب بالذهب وكان من بعدها يوثر محلى ويصيخ فى مجالس
التعليم الى قولى ويشهد لى بالنباهة فى العلوم والله خلق
الانسان وعلمه البيان

فصل فى بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيف جودة المصنوع او قصوره ...

اعلم ان الكلام الذى هو العبارة والخطاب انما سره وروحه
فى افادة المعنى واما اذا كان مهملا فهو كالموات الذى لا عبرة
به وكمال الافادة هو البلاغة على ما عرفت من حدها عند
اهل البيان لانهم يقولون هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال
ومعرفة الشروط والاحكام التى بها تطابق التراكيب اللفظية
مقتضى الحال هو من البلاغة وتلك الشروط والاحكام للتراكيب
فى المطابقة استقريت من لغة العرب وصارت كالقوانين
فالتراكيب بوضعها تفيد الاسناد بين المسندين بشروط واحكام
هى جل قوانين العربية واحوال هذه التراكيب من تقديم وتاخير
وتعريف وتنكير واضمار واظهار وتقييد واطلاق وغيرها
ويفيد الاحكام المكتنفة من خارج بالاسناد وبالمتخاطبين
حال التخاطب بشروط واحكام هى قوانين لفن سموه علم المعانى
من فنون البلاغة فتندرج قوانين العربية لذلك فى قوانين
علم المعانى لان افادتها الاسناد جزء من افادتها للاحوال
المكتنفة بالاسناد وما قصر من هذه التراكيب عن افادة مقتضى
الحال لخلل فى قوانين الاعراب وقوانين المعانى كان قاصرا عن
المطابقة لمقتضى الحال ولحق بالمهمل الذى هو فى عداد الموات
ثم يتبع هذه الافادة لمقتضى الحال التفنن فى انتقال الذهن

بين المعانى باصناف الدلالات لان التركيب يدل بالوضع
على معنى ثم ينتقل الذهن الى لازمه او ملزومه او شبهه
فيكون فيها مجازا اما باستعارة او كناية كما هو مقرر فى مواضعه
ويحصل للفكر بذلك الانتقال لذة كما تحصل من الافادة واشد
لان فى جميعها ظفرا بالمدلول من دليله والظفر من اسباب اللذة
كما علمت ثم لهذه الانتقالات ايضا شروط واحكام كالقوانين
صيروها صناعة وسموها بالبيان وهى شقيقة علم المعانى
المفيد لمقتضى الحال لانها راجعة الى معانى التراكيب ومدلولاتها
وقوانين علم المعانى راجعة الى احوال التراكيب انفسها من حيث
الدلالة واللفظ والمعنى متلازمان متضايفان كما علمت فاذن
علم المعانى وعلم البيان هما جزء البلاغة وبهما كمال الافادة
والمطابقة لمقتضى الحال فما قصر من هذه التراكيب عن المطابقة
وكمال الافادة فهو مقصر عن البلاغة ويلتحق عند البلغا باصوات
الحيوانات العجم واجدر به ان لا يكون عربيا لان العربى هو الذى
يطابق بافادته مقتضى الحال فالبلاغة على هذا هى اصل الكلام
العربى وسجيته وروحه وطبيعته ثم اعلم انهم اذا قالوا الكلام
المطبوع فانهم يعنون به الكلام الذى كملت طبيعته وسجيته من
افادة مدلوله المقصود منه لانه عبارة وخطاب ليس المقصود
منه النطق فقط بل المتكلم يقصد به ان يفيد سامعه ما فى
ضميره افادة تامة ويدل عليه دلالة وثيقة ثم يتبع تراكيب الكلام
فى هذه السجية التى له بالاصالة ضروب من التحسين والتزيين
بعد كمال الافادة وكانها تعطيها رونق الفصاحة من تنميق الاسجاع
والموازنة بين جمل الكلام وتقسيمه بالاقسام المختلفة الاحكام
والتورية باللفظ المشترك عن الخفى من معانيه والمطابقة بين
المتضادات ليقع التجانس بين الالفاظ والمعانى فيحصل للكلام
رونق ولذة فى الاسماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على الافادة
وهذه الصنعة موجودة فى الكلام المعجز فى مواضع متعددة

مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ومثل فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى الى اخر التقسيم في الايه وكذا فاما من
طغى واثر الحيوة الدنيا الى اخر الايه وكذا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا وامثاله كثير وذلك بعد كمال الافاده في اصل
هذه التراكيب قبل وقوع هذا البديع فيها وكذا وقع في كلام
الجاهلية منه لكن عفوا او قصدا واتوا منه بالعجايب واول
من احكم طريقته حبيب بن اوس والبحتري ومسلم بن الوليد
فقد كانوا مولعون بالصنعة ويأتون منها بالعجيب وقيل
ان اول من ذهب الى معاناتها بشار بن برد وابن هرمه وكانا
اخر من يستشهد بشعره في اللسان العربي ثم اتبعهما كلثوم
بن عمرو والعتابي ومنصور النميري ومسلم بن الوليد وابو نواس
وجا على اثرهم حبيب والبحتري ثم ظهر ابن المعتز فختم علم
البديع والصناعة اجمع ولنذكر مثالا من المطبوع الخالي من
الصنعه لتفهمه مثل قول قيس بن ذريح .

واخرج من بين البيوت لعلني . احدث عنك النفس في السر خاليا

وقول كثير .

واني وتهيامي بعزة بعد ما . تخليت عما بيننا وتخلت .
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما . تبوأ منها للمقيل اضمحلت .

فتامل هذا المطبوع الفقيد الصنعة في احكام تاليفه وثقافة
تراكيبه فلو جاءت فيه الصنعة من بعد هذا الاصل زادته
حسنا واما المصنوع فكثير من لدن بشار ثم حبيب وطبقتهما
ثم ابن المعتز خاتم الصنعة الذي جرى المتاخرون بعدهم
في ميدانهم ونسجوا على منوالهم وقد تعددت اصناف هذه
الصنعة عند اهلها واختلفت اصطلاحاتهم في القابها وكثير
منهم يجعلها مندرجة في البلاغة على انها غير داخلة في الافا
وانما هي تعطي التحسين والرونق واما المتقدمون من اهل
البديع فهي عندهم خارجة عن البلاغة ولذلك يذكرونها

عفوا من غير قصد ولا تعمد
ويقال انه وقع في شعر زهير
واما الاسلاميون فوقع لهم
قولا

في الفنون الادبية التي لا موضوع لها وهو راي ابن رشيق
في كتاب العمدة له وادبا الاندلس وذكر واني استعمال هذه
الصنعه شروطا منها ان تقع من غير تكلف ولا اكتراث
فيما يقصد منها واما العفو فلا كلام فيه لانها اذا برئت
من التكلف سلم الكلام من عيب الاستهجان لان تكلفها
ومعاناتها يصير الى الغفلة عن التراكيب الاصلية للكلام
فتخل بالافاده من اصلها وتذهب بالبلاغة راسا ولا يبقى
في الكلام الا تلك التحسينات وهذا هو الغالب اليوم على
اهل العصر واصحاب الاذواق في البلاغة يسخرون من
كلفهم بهذه الفنون ويعدون ذلك من القصور عن سواه
وسمعت شيخنا الاستاذ ابا البركات البلفيقي وكان من
اهل البصر باللسان والقريحة في ذوقه يقول ان من
اشتهى ما يقترحه على نفسي ان اشاهد في بعض الايام من
ينتحل فنون هذا البديع في نظمه او نثره وقد عوقب باشد
العقوبة ونودي عليه يحذر بذلك تلميذه ان يتعاطوا
هذه الصنعة فيكلفون بها ويتناسون البلاغة ثم من
شروط استعمالها عندهم الاقلال منها وان تكون في
بيتين او ثلاثة من القصيد فتكفي في زينة الشعر ورونقه
والاكثار منها عيب قاله ابن رشيق وغيره وكان شيخنا
ابو القسم الشريف السبتي منفق اللسان العربي بالاندلس
لوقته يقول هذه الفنون البديعية اذا وقعت للشاعر
او للكاتب فيقبح ان يستكثر منها لانها من محسنات الكلام
ومزيناته فهي بمثابة الخيلان في الوجه يحسن بالواحد
والاثنين منها ويقبح بتعدادها وعلى نسبة الكلام المنظوم
هو الكلام المنثور في الجاهليه والاسلام كان اولا مرسلا
معتبر الموازنة بين جمله وتراكيبه شاهده موازنته بفواصله
من غير التزام سجع ولا اكتراث بصنعة حتى نبغ ابرهيم

ابن هلال الصابي كاتب بني بويه فتعاطى والتقفية واتى من ذلك بالعجب وعاب الناس عليه كلفه بذلك في المخاطبات السلطانية وانما حمله عليه ما كان في ملوكه من العجمة والبعد عن صولة الخلافة المنفقة لسوق البلاغة ثم انتشرت الصناعة بعده في منثور المتاخرين ونسي عهد الترسيل وتشابهت السلطانيات بالاخوانيات والعربيات بالسوقيات واختلط المرعي بالهمل وهذا كله يدلك على ان الكلام المصنوع بالمعاناة والتكليف قاصر عن الكلام المطبوع لقلة الاكتراث فيه باصل البلاغة والحاكم في ذلك الذوق والله خلقكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

فصل في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر اعلم ان الشعر كان ديوانا للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمتهم وكان روساء العرب متنافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد ديباجته على فحول الشان واهل البصر لتمييز حوكه حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابيهم ابرهيم كما فعل امرء القيس ابن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبده والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات التسع فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القران ونظمه فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقروا واونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره بل سمعه النبي صلى الله عليه وسلم

واثاب

واثاب عليه فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه وكان لعمر بن ابي ربيعة كبير قريش لذلك العهد فيه مقامات عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجبا به ثم جا من بعد ذلك الملك الفحل والدولة العزيزة فتقرب اليهم العرب باشعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفا باعظم الجوائز على نسبة الجودة في اشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استهدا اشعارهم يطلعون منها على الاخبار والاثار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالبون وليدهم بحفظها ولم يزل الشان هذا ايام بني امية وصدرا من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعرا تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية بانتحاله والبصر بجيد الكلام ورديه وكثرة محفوظه منه ثم جا خلف من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من اجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا باشعارهم امرا العجم الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفهم فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعل حبيب والبحتري والمتنبي وابن هاني ومن بعدهم الى هلم جرا فصار قرض الشعر في الغالب انما هو للكدية والاستجدا لذهاب المنافع التي كانت فيه للاولين كما ذكرناه وانف منه لذلك اهل الهمم والمراتب من المتاخرين وتغير الحال فيه واصبح تعاطيه هجنة في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

فصل في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سوا كانت عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعرا وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق له اوميروس الشاعر واثنى عليه

وكان في حمير ايضا شعرا مقدمون ولما فسد لسان مضر ولغتهم
التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها واختلفت اللغات من
بعدهم بحسب ما خالطها ومازجها من العجمة فكانت
لجيل العرب بانفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الاعراب
جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبنا الكلمات وكذلك
الحضر اهل الامصار نشات فيهم لغة اخرى خالفت لسان
مضر في الاعراب واكثر الاوضاع والتصاريف وخالفت ايضا
لغة الجيل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها
بحسب اصطلاحات اهل الافاق فلاهل المشرق وامصاره
لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره وتخالفها ايضا لغة اهل
الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر موجودا بالطبع في اهل
كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحركات
والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر
بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحوله وفرسان
ميدانه حسبما اشتهر بين اهل الخليقة بل كل جيل واهل كل لغة
من العرب المستعجمين والحضر اهل الامصار يتعاطون منه
ما يطاوعهم في انتحاله ورصف بنائه على مهيع كلامهم فاما
العرب اهل هذا الجيل المستعجمين عن لغة سلفهم من مضر
فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كانت
عليه لسلفهم المستعربين ويأتون منها بالمطولات مشتملة على
مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثا والهجاء
ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام وربما
هجموا على المقصود لاول كلامهم واكثر ابتدائهم في قصائدهم
باسم الشاعر ثم من بعد ذلك ينسبون واهل المغرب من العرب
يسمون هذه القصايد بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي راوية
العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا
النوع من الشعر بالبدوي والحوراني والقيسي وربما يلحنون

قال في هامش النسخة التي عليها قوبلت هذه النسخة بعد قوله واغراضه والله وله التوفيق في النسخة وجدت في النسخة المقابل عليها المصححة بخط مؤلفها رحمه الله

فيه

فيه الحانا بسيطة لا على طريق الصنعة الموسيقانية ثم يغنون به
ويسمون الغنا باسم الحوراني نسبة الى حوران من اطراف الشام
وهي منازل العرب البادية ومساكنهم لهذا العهد ولهم فن
اخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به على اربعة اجزاء
يخالف اخرها الثلاثة الاول في رويه ويلتزمون القافية
الرابعة في كل بيت الى اخر القصيدة شبيها بالمربع والمخمس الذي
احدثه المولدون من المتاخرين ولهولاء العرب في هذا الشعر
بلاغة فايقة وفيهم الفحول والمتاخرون عن ذلك والكثير من المنتحلين
للعلوم لهذا العهد وخصوصا علوم اللسان يستنكرون هذه الفنون
التي لهم اذا سمعها ويمج نظمهم اذا انشد ويعتقدون ان ذوقه انما
نبا عنها لاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما اتى من فقدان
الملكة في لغتهم ولو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له ذوقه
وطبعه ببلاغتها ان كان سليما من الافات في فطرته ونظره والا
فالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود
ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل
والنصب دالا على المفعول او بالعكس وانما يدل على ذلك قراين الكلام
كما هو في لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه اهل الملكة فاذا
عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة
المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في
ذلك واساليب الشعر وفنونه موجودة في اشعارهم هذه ما عدا
حركات الاعراب في اواخر الكلمات فان غالب كلماتهم موقوفة
الاخر ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدا من
الخبر بقراين الكلام لا بحركات الاعراب فمن اشعارهم على لسان
الشريف بن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان ويذكر ظعنها مع
قومها الى المغرب . الشريف بن هاشم . على الى حراكبد شكت من زفيرها
نعم الاعلام اين مارت خاطر .. يرد غلام البدو يلوي عصيرها
وماذا شكات الروح مما طرالها .. غداة وداع بلتق الله خبيرها

مقضام

يتواني الهيامه

في

يحسن ان خطا عاما ابن ضيرها | بمشى طتوا هندا وما فى ذكيرها
وعادت كما خوارة فى يد غاسل | على مثل شوك الطلح عقد بنيرها
تجابدوها اثنين والفرع بينهم | على شوكو العقد وابقايا حريرها
وجات دموعى ذارفات لكنها | بيدين دوار السوانى بديرها
تدارك منها النجم حذرا وزادها | مزون بجى متراكبا من بسيرها
تصب من القيعان من جانب الصفا | عيونا ولحجار البرق فى غزيرها
هذا الغنا متى تسابنت غزوة | ناضت من بغداد حتى فقيرها
ونادى المنادى بالرحيل وشوروا | وعرج عاريها على مستعيرها
وسدا لها الان باليادين غانم | على ايدين ماضى بن مقرب بنيرها
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا | وسوقوا النجوع ان كان انا هو غفيرها
ويركض ويتودبها بالنايج | وبا للمنى لا تحجزوا فى مغيرها
غدرنى زيان السميح بن عابس | وما كان يرضى زين حميروميرها
غدرنى وهو زعما صديقى وصاحبى | وانا ليه ما من ذرقتى ما نديرها
ورجع يقول لهم بلاد ابن هاشم | بجير البلاد المعطشا ما يجيرها
حراما علينا باب بغداد وارضها | داخل ولا عاود ذكيرى بغيرها
نصدف دوحى من بلاد ابن هاشم | على الشمس او نزل القضا من حجيرها
وبانت بنيران العذارى قوادح | تلوذو بحرجان بشدو واسيرها

ومن قولهم فى رثاء امير زناتة ابى سعد اليفرنى فى مقارعهم بافريقية وارض الزاب ورثاهم له على طريق التهكم

تقول فتاة الحى سعدى وهاضها | لها فى الظعون الباكرين عويل
يا سائلى عن قبر الزناتى خليفة | خذ النعت منى لا تكون هبيل
اراه تعالى واد ران وفوقه | من الريط عيساوى بناه طويل
اراه يميل الغور من شارع النقا | به الواد شرقا والبراع دليل
يا لهف كبدى على الزناتى خليفة | وقد كان لاعقاب الجياد سليل
قتيل فتى الهيجا دياب بن غانم | جراحه كافواه المزاد تسيل
ايا جابر مات الزناتى خليفة | لا ترحل الا ان تريد رحيل
الا واش رحلنا ثلثين مرة | وعشرا وستا فى النهار قليل

ومن

ومن قولهم فى ذكر رحلتهم الى المغرب وغلبهم زناتة عليه

واى جميل ضاع لى فى ابن هاشم | واى رجال ضاع قبل جميلها
لقد كنت انا واياه فى زهو بيننا | عنانى بحجة ما قبا بى دليلها
وعدت كانى شارب من مدامة | من الخمر فهوا ما قدر من يميلها
او مثل شمطامات مطنون كبدها | غريبا وهى مدوحا عن قبيلها
اتاها زمان السو حتى بدوحت | وهى بين عربان غافلا عن نزيلها
كذلك انا مما لحالى من الوجا | شكى بكبد ابا تسيها زعيلها
وامرت قومى بالرحيل وبكروا | وقوا وشدا دالحوايا جميلها
قعدنا سبعة ايام محبوس نجعنا | والبدو ما ترفع عمود ابقى لها
نظل على احداب الثنايا نوازى | نظل الجرا فوق النفنا وتضيلها

ومن قولهم على لسان الشريف يذكر عتابا وقع بينه وبين ماضى بن مقرب

هذا ماضى الجبار وقال لى | اذكر ما انحنا عليك رضاش
اسكوا عدا الا تريد ملامة | لتجدو من عمى بلاده عاش
يا عدتنا يا اسكرود انت غيرنا | وقربت عربا للتشتير قماش
نحن غدينا نصدقوا ما قضا لنا | كما صادف طعم الزناد طشاش
ان كان نبت الشوك يلقح بارضكم | هنا العرب ما رذنا لهن صباش

ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الدواودة احدى بطون رياح واهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل بالمهدية فى سجن الامير ابى زكريا بن ابى حفص من ملوك افريقية من الموحدين

يقول وفى نوح الدجا بعد هدمة | حراما على اجفان عينى منامها
ايا من لقلبا غالف الوجد والاسى | وروحا هيامى طال ما فى سقامها
حجازية بدوية عربية | عداوية ولها بعيد امرامها
مولعة بالبدو لا تألف القرى | سوى ما نك الوعسا ياوى خيامها
عيبات ومنشاها بها كل شتوة | محجونة بيها وبيها غرامها
ومرباعها عشب الاراضى من الحيا | بواتح من الخور الخلا با جمامها
تشوق بشوف العين مما تداركت | عليها من السحب السوارى غمامها

وماذا بكت بالماو ماذا تناحطت … عيون غزار المزن غدياحمامها
كان العروس البكو لاحت ثيابها … عليها ومن نور الاقاحي خزامها
فلاة ودهنا وانتماع [سنو] دنبه … ومرعاسوا ما في مراعي نعامها
ومشروبها من محض شنو البان … عُنيم ومن لحم الحواري طعامها
نغانت عن الابواب و الموقف الذي … يشيب الفتى ما يُقاسي زحامها
سقا الله الواد المستنجد بالجيا … [وتا] لا ونحى ما بلا من رمامها
مكافاتها بالود مني وليتني … ظفرت بايام مضت من كرامها
ليالي اقواس الصبى في سواعدي … اذا قمت لم تخطي من ايدي سهامها
وفرسي عديد اتحت سرحي مشامي … زمان الصبى سرخا وبيدي لجامها
وكم من رداحا اسهرتني ولم اري … من الخلق ابهى من نظام ابتسامها
وكم غيرها من كاعبا مرجحنة … مطرزة الاجفان باهي وشامها
وصفقت من وجدي عليها طريحة … بكفي ولم تنس جدايا زمامها
ايامن   هذا الى متى … [فتى] العمر في دار عماني ظلامها
ولكن رايت الشمس تكسف ساعة … ويغما عليها ثم يبرا غيامها
بنو دو رايات من السعد اقبلت … الينا بعون الله تهفوا علامها
الاوا على ما بالعين اظعان عروتي … ورمحي على كتفي وسيري امامها
بجو عاعيات الفرق من فوق شامس … احب بلاد الله عندي ختامها
الى منزل بالجعفرية للنوى … [مقر] بها ما الذي عندي مقامها
ونلتقي سراة من هلال بن عامر … يزيل الصدى والغل عني سلامها
بهم يضرب الامثال غرب ومشرق … الا فاقبلوا قوما سريع انهزامها
عليهم ومن هو في خباهم تحية … مدى الدهر ما غنى بغينا حمامها
ادغ ذا ولا تاسف على سالف مضى … فذي الدنيا ما دام لاحد دوامها

ومن اشعار المتاخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من اولاد ابي الليل يعاتب اقيالهم اولاد مهلهل ويجيب شاعرهم شبل بن مسكيانه بن مهلهل عن ابيات فخر عليهم بها فقال يقول

يقول وذا قول المصاب الذي نشا … قوارع قيفان يعاني صعابها
يزيح بها حاوي المصاب لا انتقا … فنونا من انشاد القوافي عذابها

محيرة مختارة من نشادها … تجد في لياناما الوشا ملتهابها
مغربلة عن ناقدا في غصونها … محكمة القيفان دابي ودابها
هيفض نذكاري بها يا ذوي النهى … قوارع من شبل وهذي جوابها
اشبل جتنا من حباك طرائف … فراح يريح الموجعين الغنابها
فخرت ولم تقصر ولست بعادم … سوا قلت في جمهورها ما عنا
لقولك فخام المتيمين ابن حمزة … حامي حماها عاد بانى خرابها
اما تعلم انه قامها بعد ما القى … رصاص بنى يحيى وغلاق بابها
شهابا من اهل الامر يا شبل خارق … وهل ريت من نجا القلو واصطلا
سواهم طفاها وضرمت بعد طفية … وانا طفاها حاسر الابها بها
وضرمت بعد الطفيتين الى صحت … لعاشو الى بيت المنا يعتدا بسهلها
وبان لنوالى الراى في ذا انشاحها … فصار او هو عن كبر الاسنا بها
كما كان هو يطلب على ذا التجنبت … رجال بني كعب الذي يتقى بها

ومنها في العتاب

وليدا [■] تغانيتو انا اعني لانني … عنيت بعلاق الثنا واعتصابها
على ونا ندفع بها كل منضغ … اسياف تتناش العدا من رقابها
فان كانت الاملاك تنعت عرابها … علينا با طراف القنى احتطابها
ولا تعدها الا رهاف وذبلها … وزرق كالسنة الحناش انسلابها
بنى عمنا ما نرتضي الذل علمه [■] … نسير النبايا والمطايا ركابها
وهي على ابن المنا نغيلها [■] … به شك والدنيا سريع انقلابها

ومنها في وصف الظعاين

بظعن وقطوع البيد لا تختشي الخطا … فنوق لجريات مخوض جنابها
ترى العين بها فل سبل غيرها … وكل امهات محتظاتها ونابها
ترى اهلها عطا الصباح ان [نفيها] … [■]ها بكل خلوب الجوف ما شح نابها
لها كل يوم في الايا ما قتا لك … ورا الفاجر المنزوج عنوو رضابها

ومن قوله في الامثال الحكميه

وطلبك في الممنوع منك سفاهة … وصدك عمن صد عنك صوابه
الا رايت ناسا يغلقوا عنك بابهم … ظهور المطايا يفتح الله بابه

ومن قول شبل تذكر انساب الكعوب الى ترجم

لشيب وشبان من اولاد ترجم   جميع البرايا تشتكي من ضنها دها

ومن قول خالد يعاتب اخوانه في موالاة شيخ الموحدين ابي محمد بن بافراكين المستبد بتونس على سلطانها مكفوله ابي اسحق بن السلطان ابي يحيى وذلك فيما قرب من عصرنا

يقول بلا جهل فتى الجود خالد   مقالة قوال وقال صواب

مقالة خبر ذات ذهن ولم يكن   هرجا ولا فيما يقول ذهاب

تحجست معنى قافها لا لجاجة   ولا هرجا ينقاد منه معاب

وكنت بها كبدي وهي نعم صنانة   خزينة فكر والخزين يصاب

تفوهت بادي شرحها عن مآرب   جرت من رجال في القبيل مراب

بني كعب دني الاقربين لدمنا   بني عم منهم شائب وشباب

جرى عند فتح الوطن منا لبعضهم   مضافات ود واتساع جناب

وبعضهم ملنا له عن خصيمه كما   تعلموا قولي تعينه صاب

وبعضهم موهوب من بعض ملكنا   جزا بامرنا وحد الظهر كتاب

وبعضهم جانا جريح ستحت   خوافرمنا للجزيل وهاب

وبعضهم نطار فينا بسوه   تفهناه حتى ما عنابه سناب

رجع ينتهي مما تفهنا قبيحه   فرازوفي بعض المرار يهاب

وبعضهم شاكي من او عاد قادر   علق عنه في احكام السقايف باب

فسمناه عنه واقتضى منه مورد   على كره مولى القالعي ورباب

ونحن على ذا في مدى نطلب العلا   لهم ما حططنا للعجيز نقاب

وحزنا حميا وطن ترشيش بعدما   نفقنا عليها سبغا ورقاب

ومهد من الاملاك ما كان خارج   عن احكام والى امرها له ناب

توع قروم من قروم قبيلنا   بني كعب لا واها الغريم وطاب

جرينا بهم عن كل ناليف في العدى   وقمنا بهم عن كل قيد متاب

الى ان عاد من لا كان فيهم بهمه   رعيها وخير اتوعليه حصاب

وركبوا السبايا المثمنات من اهلها   ولبسوا من انواع الحرير ثياب

وساقوا المطايا بالسرا لا نسوله   حمامير ما نغلو بها نجلاب

وكسبوا

وكسبوا من اصناف السعايا دخايرا   وضخام بجزات الزمان تصاب

وعادوا نظير البرمكيين قبل ذا   والاهلا لا في زمان ذياب

وكانوا النادر بما لكل مهمة   الى بان من نار العدو شهاب

حلوا الدار في صنح الظلام لا نكر   اتحوا ملامه ولا دار الكرام غياب

كسوا الحي جلباب البهيم لسترة   وهم لو دروا لبسوا قبيح جباب

كذلك منهم حابس مادرا النبا   نهل حلمي له ان عقله غاب

تظن ظنونا ليس نحن من اهلها   تمني يكن له في السماح شعاب

خطاهو ومن واتاه في سوظنه   بالابيات من ظن القبايح عاب

بنو وعزي ان الفتى بو محمد   وهو لا الالاف بغير حساب

وترحت الاوعاد منه ويحسبوا   بروحة يا يحيى تروح سحاب

جروا يطلبوا تحت السحاب شرايع   لقوا كل ما يستاملوه سراب

وهو لو عطا ما كان للراي عارف   ولكن في قلة عطاه صواب

وان نحن ما نستاملو عنه راحم   وانه بسهام التلاف مصاب

وان وطا ترشيش يضاق وسعها   عليه وتمسي بالفزوع كراب

وانه منها عن قريب مفاصل   خلوج عنا زهوالها وقباب

وعن فاتنات الطرف عند عويج   ربوا خلف استار وخلف حجاب

تبيه اذا باهو وتصبوا اذا صبر   بحس قوانين وصوت رباب

يضلو من عدم اليقين وربما   يطارح حتى ما لكنه سباب

بهم حاز له رمنا وطوع اوامر   ولذة ماكول وطيب شراب

حرام على ابن بافراكين ما مضى   من الوقت الا ما يدل بجراب

وان كان له عقلا رجيح ووطنه   للجج في اليم الغريق غراب

واما الندالا يدنها من مناعل   كنا زال بيقا الرجال كعاب

ونحمي بها سوق علينا سلاعه   ونحمي ار معصوب الفنا وجعاب

ويمشي غلام طالب الديج ملكنا   بدوما ولا يمشي صحيح شباب

يا واكلين الخبز يبغوا ادامه   غلطوا ادمتوا في السموم لباب

ومن شعر علي بن ابرهيم من رؤسا بني عامر لهذا العهد الهدي بطون زغبة يعاتب بني عمه المتطاولين الى رياسة بيته

… ابابيات عذبه من قريض كلام

محبره كالدر في يدي صانع … اذا كان من سلك الحرير نظام
اذلجابهما متى اسباب ماطرا … وبما بدا يرك الظعون وسام
عدا منه لام الحي حنين وانشقت … عصاها ولا صنبا عليه حكام
لكن ضميري يوم بان بهم النبا … مترم على شوك القتاد ستر ام
والاكما ارتاض التهامي قوادح … بين عوج الكانفات ضرام
والا لكن القلب في يدين قابض … اتاهم بمنشار القطيع عشام
لنا قلب اجفا من شفا البين زادني … اذاه ينادي بالفراق وحام
الايا ربوعا كان بالامس عامر … بمحي رحله والقطين لمسام
وعيد اتداني للخطا في ملاعب … دجا الليل فيهم ساهر او نيام
ونعم بيشور الناظرين التمام … لياما بدا من مهرق وكظام
وعدت وناسمها بروعوا مربها … واطلاق من سرب المها ونعام
واليوم مابها سوى البوم حولها … ينوحوا على اطلال لها وخيام
وقفت بها طورا طويل نسالها … نعين سخيفا والدموع سجام
ولاصح لي منها سوى وحش نايم … وسقمي من اسباب عرفت وهام
ومن بعد ذا اهدى لمنصور بو علي … سلام ومن بعد السلام سلام
وقولوا الويا بو الوفا كلح رايكم … دخلتوا بحورا غامقات دهام
زواخر ما توتاس بالعود وانما … لها سبلات على الفضا والاكام
ولا تستوا فيها قياسا يدلكم … وليس البحور الطاميات تعام
وعانوا على هلكا انكم في ورودها … من الناس عدمان العقول لئام
يا غزو تاركبوا الفلا ولا لهم … قرارا ولاد بنا الهن دوام
الا عناهم لو ترى كيف رايهم … مثيل بدور خلو ما لهن تمام
خلوا الغنا وبغا ومن مرقب العلى … مواضع ماهيا لهم بمقام
وحق النبي والبيت واركانه الذي … وما زارها في كل دهر وعام
لبد الليالي بيه ان طالت الحيا … يذوقون من خمط الشكاع ملدم
وان بدها تتلى البوادي عكايف … بكل رديني مطرب وحسام
وكل مشاقا كالسد اتاه عابرا … عليها من اولاد الكرام غلام

وكل كميتي مكفص غصن بانة … يظل يصارع في العنان لجام
وتجبل بنا الارض العقيمة مذ … ويقوادنا من كل ضيق اطام
بالابطال والقود الهجان وبالقنى … لها وقت وجبات العدو زحام
نخجرها وايا مقيد نقودها … وفي سن رمحي للحروب علام
ونحن كما اضراس التراقي اثر نجعكم … بحبلكم حتى تقاصوا من بدي فوق غام
متى كان يوم الفحص يا ميربو علي … تلقا شعابا صادات قرام
لذاك بو جمو اشترى نعت دلحس … وخلا الجياد الغاليات تسام
وخلا رجالا لا يرى الضيم جارهم … ولا يخدعوا ان في العدو ذمام
الا يقيموها ويقد وبشورهم … وهم مرزعنه دائما ودوام
كم ثار طعنهما على البدو سابق … بين صحاصيح وبين حشام
فتا اثار قطاع الصوايو منا حلو … ليا ناض ترك الطاعنين زمام
وكم ذا يحيبوا في اثره من غنيمة … خليف الثنا سحاج كل غنام
وان جاز يحفوه الملوك ويتبعوا … غدا طعنه يجدي عليه قتام
عليكم سلام الله من لسن فاهم … ما غنت ورقا وناح حمام

ومن شعر عرب البرية بالشام تم بنو لحي حوران لامراة قتل زوجها بعثت الى احلافه من قيس تعزيهم بطلب ثاره

تقول فتاة الحي ام سلامة … بعين اراع الله من لا رثا لها
تبات طوال الليل ما تالف الكرى … موجعة كن السفا في مجالها
على ما جرى في دارها وعيالها … بلحظة عين غير البين حالها
فقد نوا شهاب الدين يا قيس كلكم … وتمتوا من اخذ النار ماذا وما لها
انا قلت اذا ردوا الكتاب بسرعة … ويبرد من نيران قلبي ذبالها
انا حين تسريح الذوايب واللحا … وبيض العذارى ما حميتوا حمالها

ولبعض الجذاميين من اعراب مصر من قبيلة هلبا منهم

يقول الرديني صادق الوديني … يهيني بيوتا محكمات طرايف
الا ايها الغادي على ايدهيه … جمالية ملوا النساع اللطايف
عليها غلام لا يرى اليوم مغنم … عظيم الغنا ندب بالاخبار عارف
اذا جئت من حي هلبا جماعة … يرازيه ازاف للحرب زايف

ولى من بنى بدّاد كل مجرّب
اتابى مع الخطّار علم معلوّح
وكيف اقرّ الضيم وانتم جماعة
اونا الوان رأيا يفيتكم ولو
ولى من ردا عليا عبيد بن مالك
وخلّان صدق من ندا آل مسلم

كفاهم الهى معظمات التلايف
وتفريق نيات ورأى مخالف
على كل صهال طويل المعارف
ولو ان فيه المال والروح تالف
بها شرف عال على الناس شارف
اميرهم جملة جميع الطوايف

وامثال هذا الشعر عندهم كثير وبينهم متداول ومن اجيالهم من ينتحله ومنهم من يستنكف عنه كما بيّناه فى فصل الشعر مثل الكثير من رؤساء رياح وزغبة وسليم لهذا العهد وامثالهم والله الموفق

. . الموشحات والازجال للاندلس . . .

واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر فى قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتاخرون منهم فنا سموه بالموشح ينظمونه اسماطا اسماطا واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عدد قوافى تلك الاغصان واوزانها متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما ينتهى عندهم الى سبعة ابيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصائد وتجاروا فى ذلك الى الغاية واستظرفه الناس وجمله الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر القبريرى من شعرا الامير عبد الله بن محمد المروانى واخذ عنه ذلك عبد الله بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهما مع المتاخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان اول من برع فى هذا الشان بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية وقد ذكر الاعلم البطليوسى انه سمع ابا بكر بن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله

بدر تم ∴ شمس ضحى ∴ غصن نقا ∴ مسك شم ∴ . . .

مالتم

ما اتم ∴ ما اوضحا ∴ ما اورقا ∴ ما انم ∴
لا جرم ∴ من لمحا ∴ قد عشقا ∴ قد حرم ∴

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا فى زمن الطوايف وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع راسه شاعر المامون بن ذى النون صاحب طليطلة قالوا وقد احسن فى ابتدائه فى الموشحة التى طارت له حيث يقول

العود قد ترنم ∴ بابدع تلحين ∴ وشقت المذانب ∴ رياض البساتين

وفى انتهائه حيث يقول ∴ تخطر ولا تسلم ∴ عساك المامون ∴ مروع الكتايب ∴ يحيى بن ذى النون ∴ ثم جاءت الحلبة التى كانت فى مدة الملثمين فظهرت لهم البدايع وفرسان حلبتهم يحيى بن بقى والاعمى الطليطلى وللطليطلى من الموشحات المذهبة قوله

كيف السبيل الى ∴ صبرى وفى المعالم ∴ اشجان ∴ . . .
والركب وسط العلى ∴ بالخرد النواعم ∴ قد بانوا ∴

وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشان بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا فى مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتانق فيها فتقدم الاعمى الطليطلى للانشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله

ضاحك عن جمان ∴ سافر عن بدر ∴ ضاق عنه الزمان ∴ وحواه صدرى ∴

خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباقون وذكر الاعلم البطليوسى انه سمع ابن زهر يقول ما حسدت قط وشاحا على قول الا ابن بقى حين وقع له

اما ترى احمد ∴ فى مجده العالى ∴ لا يلحق ∴ اطلعه الغرب ∴ فارنا مثله ∴ يا مشرق ∴

وكان فى عصرهما من الوشاحين المطبوعين ابو بكر الابيض وكان فى عصرهما ايضا الحكيم ابو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة انه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فالقى على بعض قيناته موشحته التى اولها

جرر الذيل ايما جر ∴ وصل السكر منك بالسكر ∴

فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر ∴ لامير العلى ابى بكر ∴ . . .

وطرق ذلك التلحين سمع بن تيفلويت فصاح واطرباه وشق
ثيابه وقال ما احسن ما بدات وما ختمت وحلف بالايمان المغلظة
لا يمشي ابن باجة الى داره الا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبه
فاحتال بان جعل ذهبا في نعله ومشى عليه وذكر ابو الخطاب
ابن زهر انه جرى في مجلس ابي بكر بن ~~الابيض~~ زهر ذكر ابي بكر
الابيض الوشاح المتقدم الذكر فغض منه احد الحاضرين فقال
كيف تغض ممن يقول ÷ ما لذ لي شرب راح ÷ على رياض الاقاح ÷
لولا هضيم الوشاح ÷ اذا انثنى في الصباح ÷ او في الاصيل ÷
اضحى يقول ÷ ما للشمول ÷ لطمت خدي ÷ وللشمال ÷ هبت فمال
غصن اعتدال ÷ ضمه بردي ÷ مما اباد القلوبا ÷ يمشي لنا مستريبا
يا لحظه رد ذنوبا ÷ ويا لماه الشنيبا ÷ برد غليل ÷ صب عليل ÷
لا يستحيل ÷ فيه عن عهدي ÷ ولا يزال ÷ في كل حال ÷ يرجو
الوصال ÷ وهو في الصد ÷ واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة
الموحدين محمد بن ابي الفضل بن شرف قال الحسن بن دويدة
رايت حاتم بن سعيد على هذا الافتتاح شمس قارنت بدرا
راح ونديم ÷ وابن هردوس الذي له ÷ يا ليلة الوصل والسعود
بالله عودي ÷ وابن موهل الذي له ÷ ما العيد في حلة وطاق
وشم طيب ÷ وانما العيد في التلاقي ÷ مع الحبيب ÷ وابو
اسحق الدويني قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل بن مالك
يقول انه دخل على ابن زهر وقد اسن وعليه زي البادية اذ
كان يسكن بحصن سبتة فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به
المجلس وجرت المحاضرة ان انشد لنفسه موشحة وقع فيها
كحل الدجى يجري ÷ من مقلة الفجر ÷ على الصباح ÷ ومعصم
النهر في حلل خضر ÷ بين البطاح ÷ فتحرك ابن زهر وقال انت
تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع
فوالله ما عرفتك قال ابن سعيد وسابق الحلبة التي ادركت
هؤلاء ابو بكر بن زهر وقد شرقت موشحاته وغربت قال

سمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهر لو قيل لك
ما ابدع ما وقع لك في التوشيح قال كنت اقول ÷ ما للموله
من سكره لا يفيق ÷ يا له سكران ÷ هل تستعاد ÷ ايامنا بالخليج
ولياليها ÷ اذ يستفاد ÷ من النسيم الاريج ÷ مسك دارينا ÷ واذ يكاد
حسن المكان البهيج ÷ ان يحيينا ÷ نهر اظله ÷ دوح عليه انيق
مورق فينان ÷ والماء يجري ÷ وعائم وغريق ÷ من جنى الريحان
واشتهر بعده ابن حيون الذي له الزجل المشهور وهو قوله
يفوق سهمه كل حين ÷ بما شئت من يد وعين ÷ وينشد في
القضيتين ÷ خلقت مليح ÷ علمت رامي ÷ فليس تخل ساع من
قتال ÷ ونعمل بذي العينين ما عمي ÷ ما تعمل يدي بالنبال ÷
واشتهر معهما يومئذ بغرناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد
ولما سمع ابن زهر قوله ÷ لله ما كان من يوم بهيج ÷ بنهر
حمص على تلك المروج ÷ ثم انعطفنا على فم الخليج ÷ نفض
مسك الختام ÷ عن عسجدي المدام ÷ ورداء الاصيل ÷ يطويه
كف الظلام ÷ قال اين كنا نحن عن هذا الرداء وكان معه في
بلده مطرف اخبر ابن سعيد عن والده ان مطرفا هذا
دخل على ابن الفرس فقام له واكرمه فقال لا تفعل فقال
ابن الفرس كيف لا اقوم لمن يقول ÷ قلوب تصاب ÷ بالحاظ تصيب
فقل كيف تبقى ÷ بلا وجد ÷ وبعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية
ذكر ابن الرايس ان يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلس فانشد
موشحة لنفسه فقال له ابن حزمون ما الموشح بموشح حتى
يكون عاريا عن التكلف قال على مثل ماذا قال على مثل قولي
يا هاجري هل الى الوصال منك سبيل ÷ او هل ترى عن هواك
سال ÷ قلب العليل ÷ وابو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال
ابن سعيد كان والدي يعجب بقوله ان سيل الصباح في الشرق
عاد بحرا في اجمع الافق ÷ فتداعت نوادب الورق ÷ اتراها
خافت من الغرق ÷ فبكت سحرة على الورق ÷ واشتهر

باشبيلية لذلك العهد ابو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والدي سمعت سهل بن مالك يقول له يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك ؛ واحسرتا لزمان مضى ؛ عشية بان الهوى وانقضى ؛ وافردت بالرغم لا بالرضا ؛ وبت على جمرات الغضا ؛ اعانق بالفكر تلك الطلول ؛ والثم بالوهم تلك الرسوم ؛ قال وسمعت ابا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ ابا الحسن الدباج موشحاته غير ما مرة فما سمعته يقول لله درك الا في قوله ؛ قسما بالهوى لذي حجر ؛ ما لليل المشوق من فجر ؛ جمد الصبح ليس يطرد ؛ ؛ ما لليلي فيما اظن غد ؛ صح يا ليل انك الابد ؛ او قصصت قوادم النسر ؛ فنجوم السماء لا تسري ؛ ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله ؛ ما حال صب ذي ضنا واكتئاب ؛ امرضه يا ويلتاه الطبيب ؛

عامله محبوبه باجتناب . ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب .
جفا جفوني النوم لكنني . لم ابكه الا لفقد الخيال .
وذا الوصال اليوم قد غرني . منه كما شاء وشاء الوصال .
فلست باللائم من صدني . بصورة الحق ولا بالمحال .

واشتهر ببر العدوة ابن خلف الجزايري صاحب الموشحة المشهورة يد الاصباح قدحت زناد الانوار في مجامر الزهر وابن خزر البجاي وله من موشحة ؛ ثغر الزمان موافق ؛ حياك منه بابتسام ؛ ومن محاسن الموشحات للمتاخرين موشحة بن سهل شاعر اشبيلية وسبتة من بعدها وهي قوله . . .

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى . قلب صب حله عن مكنس .
فهو في نار وخفق مثل ما . لعبت ريح الصبا بالقبس .

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره وقدمنا ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث هما . يا زمان الوصل بالاندلس .
لم يكن وصلك الا حلما . في الكرى او خلسة المختلس .
اذ يقود الدهر اشتات المنى . ننقل الخطو على ما يرسم .

زمرا بين فرادى وثنى . مثل ما يدعو الوفود الموسم .
والحيا قد جلل الروض سنا . فسنا الازهار فيه تبسم .
وروى النعمان عن ماء السما . كيف يروي مالك عن انس .
فكساه الحسن ثوبا معلما . يزدهي منه بابهى ملبس .
في ليال كتمت سر الهوى . بالدجى لولا شموس الغرر .
مال نجم الكاس فيها وهوى . مستقيم السير سعد الاثر .
وطر ما فيه من عيب سوى . انه مر كلمح البصر .
حين لذ الانس شيا او كما . هجم الصبح هجوم الحرس .
غارت الشهب بنا او ربما . اثرت فينا عيون النرجس .
اي شي لامرئ قد خلصا . فيكون الروض قد مكن فيه .
تنهب الازهار فيه الفرصا . امنت من مكره ما تتقيه .
فاذا الماء تناجي والحصا . وخلا كل خليل باخيه .
تبصر الورد غيورا برما . يكتسي من غيظه ما يكتسي .
وترى الاس لبيبا فهما . يسرق السمع باذني فرس .
يا اهيل الحي من وادي الغضا . وبقلبي مسكن انتم به .
ضاق عن وجدي بكم رحب الفضا . لا ابالي شرقه من غربه .
فاعيدوا عهد انس قد مضى . تعتقوا عانيكم من كربه .
واتقوا الله واحيوا مغرما . يتلاشى نفسا في نفس .
حبس القلب عليكم كرما . افترضون عفاء الحبس .
وبقلبي منكم مقترب . باحاديث المنى وهو بعيد .
قمر اطلع منه المغرب . شقوة المغرى به وهو سعيد .
قد تساوى محسن او مذنب . في هواه بين وعد ووعيد .
ساحر المقلة معسول اللمى . جال في النفس مجال النفس .
سدد السهم وسمى ورمى . ففؤادي نهبة المفترس .
ان يكن جار وخاب الامل . وفؤاد الصب بالشوق يذوب .
فهو للنفس حبيب اول . ليس في الحب لمحبوب ذنوب .
امره معتمل ممتثل . في ضلوع قد براها وقلوب .

حكم اللحظ بها فاحتكما	لم يراقب في ضعاف الانفس
منصف المظلوم ممن ظلما	ومجازي البر منها والمسي
ما لقلبي كلما هبت صبا	عاده عيد من الشوق جديد
كان في اللوح له مكتتبا	قوله ان عذابي لشديد
جلب الهم له والوصبا	فهو للاشجان في جهد جهيد
لاعج في اضلعي قد اضرما	فهو نار في هشيم اليبس
لم يدع في مهجتي الا الذما	كبقاء الصبح بعد الغلس
سلمي يا نفس في حكم القضا	واعمري الوقت برجعى ومتاب
دعك من ذكرى زمان قد مضى	بين عتبى قد تقضت وعتاب
واصرفي القول الى المولى الرضا	ملهم التوفيق في ام الكتاب
الكريم المنتهى والمنتمى	اسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصر عليه مثلما	ينزل الوحي بروح القدس

كيف اعيك

واما المشارقة فالتكليف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم في ذلك موشحة ابن سنا الملك التي اشتهرت شرقا وغربا اولها: حبيبي ارفع حجاب النور: عن العذار: تنظر المسك على كافور: في جلنار: كللي: يا سحب تيجان الربا بالحلى: واجعلي: سوارها منعطف الجدول: ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريع اجزايه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد فجاوا فيه بالغرايب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة واول من ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قزمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت على الاطلاق قال ابن سعيد ورايت ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رايتها بحواضر المغرب قال وسمعت ابا الحسن بن جحدر الاشبيلي امام الزجالين في عصرنا

معانيها واشتهرت رشاقتها الا في زمانه وكان لعهد الملثمين وهو امام الزجالين صح

يقول

يقول ما وقع لاحد من ائمة هذا الشان مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتزه مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الماء من فيه على صفايح من الحجر متدرجة فقال: وعريش قد قام على دكان: بحال الرواق: واسد قد ابتلع ثعبان: من غلظ ساق: وفتح فموا بحال انسان: بيه الفواق: وانطلق من ثم على الصفاح: والقى الصياح: وكان ابن قزمان مع انه قرطبي الدار كثيرا ما يتردد الى اشبيليه وينتاب نهرها فاتفق ان اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشان وقد ركبوا في النهر للنزهة ومعهم غلام جميل الصورة من ثروة اهل البلد وبيوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد فنظموا في وصف الحال وبدا منهم عيسى البليد فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتوا	وقد ضمني عشقوا لشهما توا
تراه قد حصل مسكين حملاتوا	يقلق وكذاك امر عظيم صابوا
لو حسن الجفون الكحل ان غابوا	وديك الجفون الكحل ابلاتوا

ثم قال ابو عمرو بن الزاهد الاشبيلي

نشب والهوى من لج فيه ينشب	ترى ايش دعاه يشقى ويعذب
مع العشق قام في بالواني يلعب	وخلق كثير من ذا اللعب ماتوا

ثم قال ابو الحسن المقري الداني

نهار مليح يعجبني اوصافوا	شراب وملاح من حولي قد طافوا
والمقلين يقول من فوق صفصافوا	والبوري اخرى ثمقلاتوا

ثم قال ابو بكر بن مرتين

الحق تريد حديث نقالي عاد	في الواد النزيه والبوري والصياد
لشتة حيتان ديك الذي تصطاد	قلوب الورى هي في شبيكاتوا

ثم قال ابو بكر بن قزمان

اذا شمر اكمامو ابن ميسها	ترى البوري يرتشق لذاك الجيها
وليس مراد وان يقع فيها	الا ان يقبل يديا توا

وكان في عصرهم بشرق الاندلس خلف الاسود وله محاسن من

من الزجل منها قوله

قد كنت منشوب واحتشيت النشب   ورتني ذا العشق لامر صعب

يقول فيه

حين ننظر الخد الشريف البهي   ينتهي سلي في الخمر الماء نجهي
يا طالب الكيميا في عيني هي   تنظر بها الفضه فترجع ذهب

وجات من بعدهم حلبة كان سابقها مدغليس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فمن قوله في زجله المشهود

ورذاذ دق ينزل   وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض   وترى الاخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر   والغصون ترقص وتطرب

ومن محاسن ازجاله قوله

لاح الضيا والنجوم حيارى   فقم بنا ننزع الكسل
شربت ممزوج من قرارا   احلاهو عندي من العسل
يا من يلمني كما تقلد   ملدك الله بما تقول
تقول بان الذنوب تولد   وانه يفسد العقول
لارض الحجاز مو يكن ارشد   ابش ساقك معي في الفضو
من انت للحج والزيارا   ودعني في الشرب ننهمل
من لم لو قدره ولا استطاعا   النية ابلغ من العمل

وظهر من بعد هولاي في اشبيلية ابن جحدر الذي فضل على الزجالين في فتح ميورقه بالزجل الذي اوله

من عاند التوحيد بالسيف يمحق   انا بري ممن يعاند الحق

قال ابن سعيد لقيته ولقيت تلميذه اليعتع صاحب الزجل المشهور الذي اوله

بالنبي ان ربت حبيبي   اقتل اذنو بالرسيلا
ليس احد عنق الغزيل   وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم ابو الحسن سهل بن مالك امام الادباء ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب

امام النظم والنثر في الملة الاسلامية غير مدافع فمن محاسنه في هذه الطريقة

امزج الاكواس واملالي تجدد   ما خلق المال الا ان يبدد

ومن قوله على طريقة الصوفية وينحو منحى الششتري منهم

بين طلوع وبين نزول   اختلطت الغزول
ومضى من لم يكن   وبقي من لم يزول

ومن محاسنه ايضا في ذلك المعنى

البعد عنك يا بني اعظم مصائبي   وحين حصل لي قربك تيبت قاربي

وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من اهل وادي اش وكان اماما في هذه الطريقة وله من زجل يعارض به مدغليس في قوله   لاح الضيا والنجوم حيارى

بقوله

حلوا المجون يا اهل الشطارا   مذ حلت الشمس في الحمل
تجددوا كل يوم خلاعا   لا تجعلوا بينها تمل
اليها تخلعوا في سنيل   على خضورة ذيك النبات
وخل بغداد واختار النيل   احسن عندي ذيك الجهات
وطا فيها اصلح من اربعين ميل   ان مرت الريح عليه وجات
لم تلتقي الغبار اثارا   ولا بمقدار ما يكتحل
وكيف وليس فيه موضع   بقاعا الا وتسرح فيه النحل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالاندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم

دهر لي نعشق جفونك وسنين   وانت لا شفقا ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجع   صنعة السكة ما بين الحدادين
الدموع ترشش والنار تلتهب   والمطارق من شمال ومن يمين
خلق الله النصارى للغزو   وانت تغزو قلوب العاشقين

وكان من المجيدين في هذه الطريقة لاول المائة الادبب ابو عبد الله

اللوشي وله فيها من قصيدة يمدح السلطان بن الاحمر

ظل الصباح قم يا نديم نشربوا … ونضحكوا من بعدما انطربو
سبيكة الفجر احكت شفق … في ميلق الليل فقد قلبو
ترى عيارا خالص ابيض نقي … فقوه لكن الشفق ذهبو
فتنفق سكتو عند البشر … نور الجفون من نورها يسكبو
فهو النهار يا صاحبي للمعاش … عيش الغنا فيه بالله ما اطيبو
والليل ايضا للقبل والعناق … على سرير الوصل نتقلبو
بخيل جاد الزمان من بعدما كان … ولبش كسغلت من يديه عقربو
كما جرع مروفا قد مضى … يشرب بنينوا ويأكل طيبو
قال الرقيب يا ادبا ايش ذا … في العشق والشرب ترى تحجبو
واتعجبوا عذالي من ذا الخبر … فقلت يا قوم من ذا تتعجبو
نعشق مليح الا رقيق الطباع … علاش كنغر والله او نكتبو
ليس بريح الحسن الا شاعر اذا … نغتنض بكى وويدع ثيتبو
وانما الكاس فحرام هو حرام … على الذي ليس يدر كيف يشربو
واهل العقل والحكمة والمجون … تغفر ذنوبهم هذا ان اذنبو
وذا الذي يجلبن حسنوا ولم … نقدر بحسن الفاظ ان نجلبو
صبي هو سمان يطفي الجمر … وقلبي في جمر الغضا يلهبو
غزال هو تنظر قلوب الاسود … وبالوهم قبل النظر يذهبو
ولم يحييهم اذا يتبسم فيضحكو … من بعيد ما يندبو
فميم كالخاتم وثغر انقي … خطيب الا ما للقبل يخطبو
جوهر في مرجان اي عقد يا فلان … قد ضيقوا الناظم ولم يثقبو
وشارب اخضر بريد لس ترى … بريد من شبهوا بالمسك قد غلبو
يسيل دلال مثل جناح الغراب … ليالي هجري منو نستغربو
على بدن ابيض فلون الحليب … لم قط راعي في الغنم يحلبو
ونوج نهيدات عملت قلبها … ديك الفلا يا بنت ما اصلبو
تحت العكاكن معها خصرا … رقيق من رقيق الخزانا يطلبو
ارق هو من ديني فيما يقول … خد ترى نبي ما اكذبو

فيضحكوا

اي دين بقالي معك واي عقل … من يتبعك من ذا وذا تسلبو
ويحمل اردافا ثقال كالرقيب … حين ينظر العاشق وحين يرقبو
محاسنك مثل خصال الامير … او الرمل من هو الذي يحسبو
عماد الامصار وفصيح العرب … فمن فصاحة لفظا يتعربو
بجملة العلم انفردو والعمل … ومع بديع الشعر ما اكتسبو
ففي الصدور بالرمح ما اطعنو … وفي الرقاب بالسيف ما اضربو
من السما يحسد في اربع صفات … ممن تعدو على او تحسبو
الشمس نورو والقمر همتو … والغيث جودو والنجم منصبو
يركب جواد الجود ويطلق عنان … الاهتنا والجد حين يركبو
من خلعتو يلبس كل يوم … من طيب ثناه العالي نطيبو
نعمتو تظهر على من يحبه … قاصد وارد قط ما خيبو
قد اظهر الحق وكان في حجاب … لس يقدر الباطل يعد يحجبو
وقد بنا بالمنى ركن التقا … من بعدما كان الزمان خربو
تخافو حين تلقاه كما تحبه … فمع سماحة وجوه ما اهيبو
يلقى الحروب ضاحك وهو عابسا … غالب هو ليس في الدنيا من يغلبو
اذا جبد سيفو ما بين الوجود … فلس شي على الذي يضربو
وهو سمي المصطفى والاله … للسلطنا اختاروا واستحبو
تراه خليفة امير المسلمين … يقود جيوشو ويزين موكبو
لذي الامارا انتخضع الروس … نعم وفي تقبيل يديه يرغبو
بتيه بني نصر بدور الزمان … يطلعو في المجد ولا يغربو
وفي المعالي والشرف يبعدو … وفي التواضع والحيا يقربو
فالله يبقيهم ما دار الفلك … واشرقت شمسو ولاح كوكبو
وما نغني ذا القصيد في عروض … يا شمس خدرها ليها تغربو

ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فنا اخر من الشعر وسموه عروض البلد وكان اول من استحدثه بينهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس ويعرف بابن عمير فنظم قطعة على طريق الموشح ولم يخرج فيها عن مذهب الاعراب الا قليلا مطلعها

ابكاني بشاطي النهر نوح الحمام — على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف السحر يمحو مداد الظلام — وماء الندى يجري بثغر الاقاح
باكرت الرياض والطل فيه انتراق — كنثر الجواهر في نحور الجوار
ودمع النواعر يهرق انهراق — بحال ثعابين خلقت بالثمار
لوو بالغصون خلخال على كل ساق — ودار الجميع بالروض دور السوار
وايدي الندى تخرق جيوب الكمام — وتحمل نسيم المسك عنها رباح
وماج الضيا يطلي بمسك الغمام — وجر النسيم ذيلو عليها وفاح
رايت الحمام بين الورق في القضيب — قد ابتلت اريا شو بقطر الندى
ينوح مثل المستهام الغريب — قد التف في ثوبو الحرير في ردى
ولكن بفاه احمر وساق خضيب — ينظم سلوك جوهر ويتقلدا
جلس بين الاغصان جلسة المستهام — جناحا فوق سدو التوى في جناح
وصار يشتكي ما في الفواد من غرام — منها ضم منقارو لصدرو وصاح
فقلت احمام احرمت عيني الهجوع — اراما تزال تبكي بدمع سفوح
قال لي فقد بكيت حتى نشفت لي الدموع — بلا دمع نبقى طول حياتي ننوح
على فرخ طار لي لم يكن لو رجوع — الفت البكا والحزن من عهد نوح
كذا هو الوفا قلت كذا هو الذمام — انظر للجفون صارت بحال الجراح
وانتم من بلا منكم اذا تم عام — يقول قد عييت في ذا البكا والنواح
فقلت احمام لو خنت بحر الضنا — كان تبكي وتغفل لي بدمع هتون
ولو كان بقلبك ما بقلبي انا — رماد كان نصير تحتك فروع الغصون
اليوم نقاسي الهجر كم من سنا — حتى لا سبيل حمله تراني العيون
وما كسى جسمي النحول والسقام — اجفاني تجول عن عيون اللواح
لو خبز جسمي المنايا كان يموت في المقام — ومن مات بعد يا قوم لقد استراح
قال لي لو رقدت الاوزات الرياض — من خوفي عليه رقت النفس للفواد
وانخضب من دمعي وذاك البياض — طوق العهد في دمعي ليوم التناد
واما طرف منقاري حديثو استفاض — بحال الطرف شعله وجسمي رماد
ويبكي ويرثي لي صنوف الحمام — ومن ضاق بحال الصد والهجر باح
فيا بهجة الدنيا عليك السلام — اذا لم نجد راحة فيك ولا مستراح

فاستحسنه

فاستحسنه اهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الاعراب الذي ليس من شانهم وكثر شياعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزوج والكازي والملعبة والغزل واختلفت اسماوها باختلاف ازدواجها واوزانها وملاحظاتهم فيها فمن المزوج ما قاله ابن شجاع من فحولهم

وهو من اهل تازى

المال زينة الدنيا وعز النفوس — يبهي وجوها ليس هي باهيا
منها من هو كثير الفلوس — الوه الكلام والرتبة العاليا
يكبر من كثر مالو ولو كان صغير — ويصغر عزيز القوم اذا يفتقر
من ذا ينطبق صدري ومن ذا نغير — وكان ينفقع لولا الرجوع للقدر
اذا يلتحي من هو في قومه كبير — من لا اصل عندو ولا لو خطر
لقد ينبغي يحزن على ذي العكوس — ويصبغ عليه نوح في فراش جابيا
اذى صارت الاذناب امام الروس — وصار يستفيد الواد من الساقيا
ضعف الناس عمل ذا وفساد الزمان — ما ندر بو على من يكبر واذا العتاب
اذى صار فلان اليوم يصبح بو فلان — ولو ورثت وكف حتى يرد الجواب
عشنا والسلام حتى راينا اعيان — انفاس السلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جد اضعاف الاسوس — هم في ناحيا والمجد في ناحيا
يروانهم والناس تراهم نيوس — وجوه البلاد والعمدة الراسيا

ومن مذاهبهم قول ابن شجاع منهم في بعض مزوجاته

تعجب من بيع قلبو املاح ذا الزمان — اهمك يا فلان لا يلعب الحسن بيك
ما منهم مليح عاهد الا وخان — قليل من عليه تحسن ويحسن عليك
يتيهوا على العشاق ويتمنعوا — ويستعهدوا بتقطيع قلوب الرجال
وان واصلوا من حينهم يقطعوا — وان عاهدوا خانوا على كل حال
مليح كن هويت ونشبت قلبي معو — وصبرت من خدي لقدمو نعال
ومهدت لو وسط قلبي مكان — وقلت اكرم قلبي لمن حل بيك
وهو علك ما يعتريك من هوان — فلا بد من هوال الهوى يعتريك
حكمتو عليا وارتضيت به امير — فلو كان ترى حالي اذا تبصر

ترجع مثل درحولي فوجه الغدير　　تدربه وتعطش بحال الحرو
وتعلمت من ساعا نشق الضمير　　ونفهم مرادو وقبل ان يذكرو
ويحتل في مطلوبو ولوان كان　　غصير في الربيع او في الليالي قريك
ونمشي نشوفوا لو يكن في امضمان　　واش ما يقل نحتاج نقل لو يجيكو

حتى اتى على اخره وكان منهم علي بن المؤذن بتلمسان وكان لهذه العصور من نحو لهم بن زهون من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف بديع في مذاهب هذا الفن ومن احسن ما علوته بمحفوظي قوله في رحلة السلطان ابي الحسن وبني مرين الى افريقيه يصف هزيمتهم بالقيروان يسليهم عنها ويونسهم كما وقع لغيرهم بعدان عيبهم على غزاتهم الى افريقيه في ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتتحها وهو من ابدع مذاهب البلاغة في الاشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال

سبحان مالك خواطر الامرا　　بنواصيها في كل حين وزمان
ان اطعناه اعظم لنا نصرا　　وان عاصيناه عاقب بكل هوان

الى ان يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلص

كن مرعي ولا تكن راعي　　فالراعي عن رعيتو مسؤول
واستفتح بالصلاة على الداعي　　للاسلام والرضى السني المكمول
للخلفا الراشدين والاتباعي　　واذكر تعدم ذا نجب وقول

احجاجا تخللو الصحرا　　وردوا شرح البلاد مع السكان
عسكر فاس المنيرة الغرا　　اين سارت به عزايم السلطان
احجاج باليتني الذي زرتم　　وقطعتم لو كلا كل البيدا
عن جنس العرب حيث يسلككم　　المتلوف في غريف السودا
ومن كان بالعطا يزودكم　　ويدع برية الحجاز رغدا
قام قل كالسد صادق الحد　　ونجي شوط بعدما يحتان
ونزوفكو دم وبهت في الغبرا　　اذى صار ان مر لهم سجان
لو كان ما بين تونس الغربا　　وبلاد الغرب رد لسكندر
بيني من شرقها الى غربا　　طبقا يجددو ثانيا يصغر

لابد للطير كن يجنب بنا
نغوصها من امورو ما شرا
لجرت بالدم وانصدع حجرا
ادرى لي فعقلك الفحاص
ان كان تعلم حماص ولا رقاص
يظهر عند المهيمن الغواص
الا قوم عارين بلا سترا
ما يدرو كيف يصورو الكسرا
امولاي بو الحسن خطينا الباب
فغنا كنا عن الجريد والزاب
ما بلغك عن عمر فتا الخطاب
ملك الشام والحجاز وتاج كسرا
كان دادو كرت لو كرة ذكرا
بهذا الفاروق قد عزو الاكوان
وبعث حما الى زمن عثمان
لمن دخلت عنا بما الديوان
وافترق الناس على ثلاث امرا
فاذا كان ذا في مدة البررا
واصحاب الجفر في كتابتا
تذكر في صحفها وابياتا
ان مرين اذا اتت برايانا
وذكونا قال لسيد الوزرا
قال لي دبنا وانا بذي ادرا
ونقول لك مار ما المرسا
زاد المولى بموت بو يحيا
او بات الويح عنم نو دخبر
لو تقرا آنا القول مع الويدان
وهوب لحراف وجنت الغزلان
وتفكو لي بخاطرك جمعا
عن السلطان تنتهي وقل سبعا
وعلامات تنشر على الصمعا
مجهولين الامكان ولا امكان
اوكف دخلوا مدينة القروان
ففقصته سرنا الى تونس
واش لك في معراب افريقيا الغوبر
الفاروق فاتح القرى المونس
وفتح من فريقيا دكان
ويقل فيها نفرق الاخوان
صريح في افريقيا بدا التصريح
وفتحها ابن الزبير عن تصحيح
مات عثمان وانقلبت علينا الريح
وبغا ما هو السكوت عنو ايمان
ايش يعمل في اوخر الزمان
وفي تاريخ كائنا وكيوانا
شق وسطيح وابن مرانا
بحذا تونس فقد بسط شانا
عيسى عن الحسن الرفيع الشان
لكن داجا القدر في عمت الاجفان
من حضرة فاس الى عرب ذيبان
سلطان تونس وصاحب العنان

ثم اخذ في ترجيل السلطان وجيوشه الى اخر رحلته ومنتهى امره مع اعراب افريقيه واتى فيها بكل غريبة من الابدا

واما اهل تونس فاستحدثوا فى الملعبة ايضا على لغتهم الحضرية الا ان اكثره ردى ولم يعلق بمحفوظى منه شى لرداته وكان لعامة بغداد ايضا فن من الشعر يسمونه المواليا وتحته فنون كثيرة يسمون منها القوما وكان وكان ودوبيتى على اختلاف الموازين المعتبرة عندهم فى كل واحد منها وغالبا مزدوجة من اربعة اغصان وتبعهم فى ذلك اهل مصر والقاهرة واتوا فيها بالغرائب وتجاروا فيها على اساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاوا بالعجايب ومن عجب ما علق بحفظى منه قول

شاعرهم

هذى جراحى طريا والدما تنضح   وقاتلى يا اخيا فى الفلا يمرح
قالوا وناخذ بثارك قلت ذا اقبح   الذى جرحنى يداوينى يكون اصلح

ولغيره

طرقت باب الخبا قالت من الطارق   فقلت مفتون لا باهت ولا سارق
تبسمت لاح لى من ثغرها بارق   رجعت حيران فى بحار دمعى غارق

ولغيره

عهدى بها وهى لا تامن على البين   وان شكوت الهوى قالت فدتك العين
لمن تعاين لها غيرى مع غلام زين   ذكرتها العهد قالت لك علينا دين

ولغيره فى وصف الحشيش

خمرة سرى التى عهدى بها باقى   يغنى عن الخمر والخمار والساقى
قحبا ومن قحبها تعمل على اخراقى   خبيتها فى الحشا طلت من احداقى

ولغيره

يا من وصالو لاطفال المحبا جح   كم توجع القلب بالهجران او واح
اودعت قلبى حوحو والتصبر جح   كل الورى كم فى صينى وتنخل دح

ولغيره

ناديتها ومشيبى قد طوانى طى   جودى عليا بقبلا فى الهوى يا مى
قالت وقد تركت داخل فوادى كى   ما ظن ذا القطن يغشى فم من هو حى

ولغيره

رانى ابتسم سقت سحب ادمعى برقو   ما طاللثام تبدا بدر فى شرقو

اسبل

اسبل دجى الشعر تاه القلب فى طرقو   رجع هدانا الجبين الصبح من فرقو

ولغيره

يا حادى العيس زجر بالمطايا تجرى   اقف على منزلا احبابى قبيل الفجر
وصيح فى حيهم يا من يريد الاجر   يه نهض يصلى على ميت قتيل الهجر

ولغيره

عينى التى كنت ننظركم بها بانت   ترعى النجوم وبالتسهيد افنانت
واسهم البين صابتنى ولا فاتت   وسلوتى اعظم الله اجركم ماتت

ولغيره

هويت فى قنطرتكم يا ملاح الحكر   غزال يسلب الاسود الضاريه بالفكر
غصن اذا ما انثنى يسبى البنات البكر   اذا تهلل فما للبدر عند وذكر

ومن الذى يسمونه دوبيتين

قد اقسم من احبه بالبارى   ان يبعث طيفه مع الاسحار
يا نار تشوقى بحر به فاتقدى   ليلا فعساه يهتدى بالنار

نعاديه

واعلم ان الاذواق فى معرفة البلاغة منها كلها انما تحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين اجيالها حتى تحصل ملكتها كما قلناه فى اللغة العربية فلا يشعر الاندلسى بالبلاغة التى فى شعر اهل المغرب ولا المغربى بالبلاغة التى فى شعر اهل المشرق والاندلسى والمشرقى بالبلاغة التى فى شعر اهل الاندلس والمغرب لان اللسان الحضرى وتراكيبه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من اهل جلدته وفى خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك آيات للعالمين وقد ذكرنا ان نخرج عن الغرض وعزمنا ان نقبض العنان عن القول فى هذا الكتاب الاول الذى هو طبيعة العمران وما يعرض فيه فقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفؤا له ولعل من ياتى بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله على اكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله

وما يتكلم فيه والمتأخرون يلحقون المسايل من بعده شيئا شيئا
الى ان يكمل والله يعلم وانتم لا تعلمون **قال** مؤلف الكتاب
عفى الله عنه اتممت هذا الجز الاول بالوضع والتاليف قبل التنقيح
والتهذيب فى مدة خمسة اشهر اخرها منتصف عام تسعة صح
وسبعين ثم نقحته بعد ذلك وهذبته والحقت به تواريخ الامم وسبعمائة صح
كما ذكرته فى اوله وشرطته وما العلم الا من عند الله العزيز الحكيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه اجمعين
تمت
تمت
٢

حسبى الله وحده
من الكتب التى وقفها الفقير
الى الله ربه ذى المواهب
محمد المدعو بن الصدر